

صَبْحُ الْأَسْبَحِ

الجزء التاسع

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

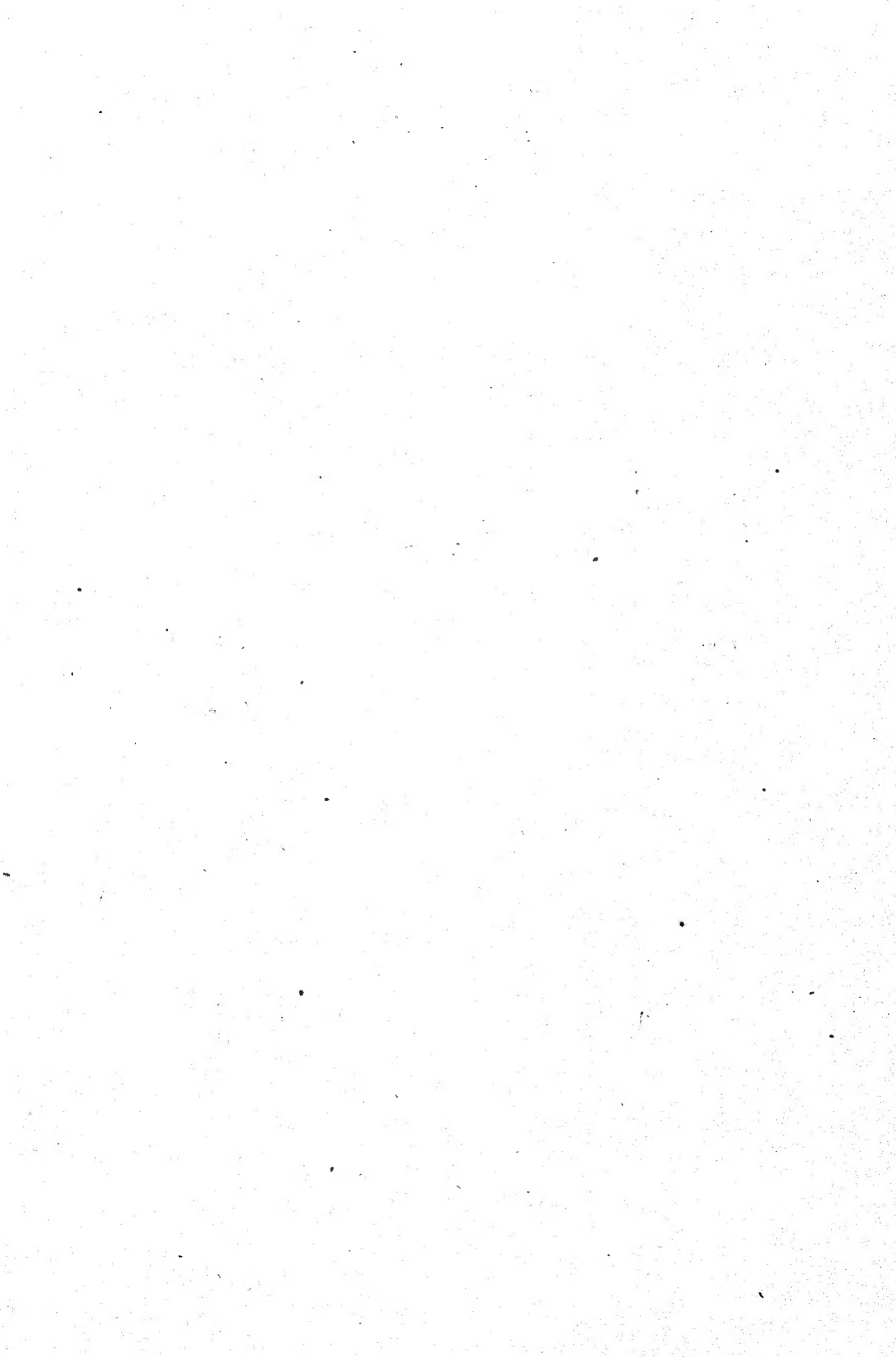
نالت

الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد القلقشندي

الجزء التاسع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
١٩١٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثانى

من مقاصد المكاتبات، الإخوانيات

(مما يكتُب به الرئيسُ إلى المرءوس والمرءوسُ إلى الرئيس والنظيرُ إلى النظير)
قال فى ”موادّ البيان“ : ولها مَوْقعٌ خَطيرٌ من حيثُ تشتركُ الكافّةُ فى الحاجةِ إليها . قال : والكاتبُ إذا كان ماهرًا، أغربَ معانيها، ولطّفَ مبانيها، وتسهّلَ له فيها ما لا يكادُ أن يتسهّلَ فى الكُتُبِ التى لها أمثلةٌ ورسومٌ لا تتغيّرُ ولا تُتجاوزُ، وهى على سبعةٍ عشرَ نوعًا :

النوع الأول

(التّهاني)

قال فى ”موادّ البيان“ : كُتِبَ التّهاني من الكُتُبِ التى تظهرُ فيها مقاديرُ أفهامِ الجُلب، ومنازلُهم من الصّناعة، ومواقِعُهم من البلاغة . وهى من ضروبِ الكتابةِ الجليّةِ النفيسةِ، لما فى التّهنةِ البليغةِ من الإفصاحِ بقدرِ النعمة، والإبانةِ عن مَوْقعِ الموهبةِ، وتضاعُفِ الشُّرورُ بالعطيةِ . وأغراضُها ومعانيها متشعّبةٌ لا تنقِفُ عندَ حدٍّ، وإنما نذكرُ منها الأصولَ التى تفرّعتُ منها فروعٌ رجعتُ إليها، وحملتُ عليها .

قال : ويجب على الكاتب أن يراعى فيها مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه في الرسالة اللائقة بهما مما لا يتساحح بمثله .
ثم التهاني على أحد عشر ضربا :

الضرب الأول

(التهنئة بالولايات ، وهى على تسعة أصناف)

الصنف الأول — التهنئة بولاية الوزارة :

قد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب الملكة أن الوزارة كانت في الزمن المتقدم هى أرفع وظائف الملكة وأعلاها رتبة ، وأنها الرتبة الثانية بعد الخلافة . وكانت في زمن الخلفاء تكاد أن تكون كالسلطنة الآن ، ^(١) فهى من الأتباع ومن معانهم على نحو ما كانت في الزمن المتقدم بين الرؤساء والأكابر ، ومن الرؤساء والأكابر بحسب ما تقتضيه رتبة المهنة .

وهذه تسخّ تهاين من ذلك على ما كان عليه الحال في الزمن القديم .

تهنئة بوزارة : من إنشاء أبى الحسين بن سعد ، كتب بها إلى الوزير محمد بن القاسم بن عبّيد رحمه الله ، وهى :

من كانت النعمة — أيد الله الوزير — نافرة عنه وبفنائيه غريبة ، فهى تأوى من الوزير إلى مثنوى معهود ، وكنتف محمود ، وتجاوز منه من يوفّيها حقها ، ويقابلها بحسن الصّحبة لها ، ويجزى في الشكر لما يولّاه ، والرعاية لما يستترعاه ، على شاكلة مضى عليها السلف من أهله ، ونشأ في مثلها الخلف ، مقتدياً بالأول الآخر ، وبالماضى

(١) أى التهنئة من الأتباع الخ .

الغابر؛ تشابهاً في كرم الأفعال ، ورعايةً لحقوق الآمال ؛ واعتماداً للرأفة والرحمة ، وعموماً بالإنصاف والمعدلة ؛ إلى ما خصَّ الله به أهل البيت رضى الله عن الماضين منهم وأقام عزَّ الباقيين وحِراسَتهم : من العلم بالسياسة والدِّرابة بتدبير المملكة ورعاية الأُمّة ؛ والهداية فيهم لطرق الحِيلة ونهج المصلحة .

والحمد لله على ما خصَّ به الوزير من فضله الذى رفع قدره فيه عن مُساماة ومشكلة المُقادر^(٢) والشَّيْبه ، وجعله فيما جباه به نسيج وحده ، وقريع دهره ؛ وجمع له من مَوَاهِب الخير ، وخصائص الفضل ما أبان به موقعه في الدين ، وأعطاه معه الولاية من جميع المسلمين .

والحمد لله حمداً مجدداً على ما جدد له من رأى أمير المؤمنين وأجتيائه ، ومحلّه من اختياره وأصطفائه .

والحمد لله على ما منّ به من كرامته ، وجدّد له من نعمته ، فيما أعاد إلى تدبيره من وزارته ، وأشركه فيه من أمانته ؛ احتياطاً منه للملكة ، ونظراً للخاصة والعامة ؛ فإنَّ عائدة رأيه سَوَتْ بين الضَّعيف والقَوِيّ ، ووصلت إلى الدَّانِي والقَصِيّ ؛ وأعادت إلى المُلْك بهاءه ، وإلى الإسلام نُورَه وضيآءَه ؛ فاكتست الدنيا من الحِدة بعد الإخلاق ، والنَّضارة بعد الإنهاج^(٣) ، ما لم يكن يوجد مثله إلا بالوزير في شرف منصبه ، وكرم مُرْكَبه ؛ فهنَّا الله الوزير ما آتاه وتابَع له قسَمه ، ووصل له ما جدّد له بالسَّعادة ؛ وأمّته فيه بالزيادة ؛ وأعطاه من كلِّ مأمول أعظم حظٍّ وأوفر نصيبٍ وقِسْمٍ ؛ تراخياً

(١) في الأصل والوراة لتدبير وهو تصحيف بتخفيف .

(٢) في القاموس "قادرته قايسته وفعلت مثل فعله" .

(٣) الإنهاج إلى ، أظفر القاموس في مادة (ن ه ج) .

في مُدَّة العُمُر، وتناهِياً في دَرَجَةِ العِزِّ، وأَحْتِياطاً بِالمَوْهِبَةِ في العَاجِلِه ، وفَوْزاً بِالكِرامَةِ في الآجِلِه ؛ إِنَّه فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذلك : أوردَها في ترسله ، وهى :

التهنئةُ بِالوَزِيرِ لِلزَّمانِ وأَهْلِهِ بِمَا جَمَّلَهُمْ بِهِ ، وَجَدَّدَ لَهُمْ مِنْ مِيسَمِ العِزِّ ، وَسَرَّ بَلَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ حُلَّةِ الأَمْنِ بِوِلَايَتِهِ ، وَالنِّعْمَةُ عَلَى أَوْلِيائِهِ وَرَعَايَاهُ عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهِمْ مِنْ مِشَارِكَتِهِ وَخُطُوطِهِمْ مِنْ مَعْدَلَتِهِ ظَاهِرَةً ، وَلِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ الْفَاضِلُ ، وَالشُّكْرُ الْكَامِلُ . وَلِلوَزِيرِ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ ؛ أَهْنَاهَا مَوْقِعاً ، وَأَسْرَاهَا مَلْبَساً ، وَأَدْوَمُهَا مُدَّةً ، وَأَجْمَلُهَا نَفْسَهُ ؛ وَأَثَرُهَا مُبَوَّأً ، وَأَسْلَمُهَا عُقْبَى ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ بِالْمُعُونَةِ وَالْحِرَاسَةِ ، وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِالنَّصْرِ وَالْكِفَايَةِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِمَا قَلَّدَهُ وَأَسْتَرْعَاهُ ، وَبَلَّغَهُ مَحَابَّةً وَمُنَاهُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَوْقِعِي مِنْ ثِقَةِ الوَزِيرِ يُحِقُّنِي عِنْدَهُ بِمَنْ مَكَّنْتَهُ الْإِيَّامُ مِنْ قَضَاءِ الْحَقِّ فِي التَّلَقِّيِّ وَالْإِنْعَادِ ، وَيُعَوِّضُنِي بِتَفْضِيلِهِ مِمَّا حُرِمْتُهُ مِنْهَا مَحَلَّ ذَوَى الْإِخْلَاصِ وَالْإِعْتِدَادِ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذلك : أوردَها في ترسله أيضاً ، وهى :

وهذا أَوَّلُ يَتْلُوهُ مابَعْدَهُ بِلَا تَنَاهٍ وَلَا تَقْصُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمِشِيئَتِهِ ، بَلْ يَكُونُ مَوْصُولاً لَا يُتَبَلَّغُ مِنْهُ غَايَةٌ إِلَّا شَفَعَتْهَا دَرَجَةُ تَرْقِيٍّ ، تُكْنِفُ ذَلِكَ كِفَايَةً مِنَ اللَّهِ شَامِلَةً كَامِلَةً ، وَغِبْطَةً فِي الْبَدءِ وَالْعَاقِبَةِ بِلَا انْقِطَاعٍ ، وَلَا أَرْجَاجٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ الْمُتَقَلَّبُ مِنْهُ يَعْدُ بُلُوغَ العُمُرِ مِنْتَاهُ ، إِلَى فَوْزٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ . فَهَنِيئًا لِلوَزِيرِ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي فِيهِ مُسَاعَفَةَ الْمِقْدَارِ ، وَلَا يَنَالَهُ بَغِيرُ اسْتِحْقَاقٍ ؛ إِذْ لَا مِثْلَ وَلَا نَظِيرَ لِلوَزِيرِ : فَضْلاً ظَاهِراً ، وَعِلْماً عَلَى الْعُلُومِ مُوَفِّياً ، وَسَابِقَةً فِي تَقْلِيلِ الْخِلَافَةِ ظَهْراً لِبَطْنٍ ، وَحَلَبَ الدَّهْرِ شَطْراً بَعْدَ شَطْرٍ ؛ وَجَمْعاً مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ لِمَا كَانَ مُتَفَرِّقاً ، وَحِفْظاً

لما كَانَ ضَائِعًا ؛ وَحَمَايَةَ لَبِيْضَةِ الْمُلْكِ ، وَضَبْطًا لِلتُّغُورِ ، وَتَلَقِّيًّا لِلخُطُوبِ بِمَا يَفْلُ حَدَّهَا ، وَيُطْفِئُ نَارَهَا وَلَهَبَهَا وَيُقِيمُ أَوْدَهَا ؛ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ فِي رَأْيِهِ مِنْ فَتْحِ الْبِلَادِ الْمُرْتَجَّةِ ، وَقَعَ الْأَعْدَاءُ الْمُتَغَلِّبَةَ ، وَسُكُونُ الدَّهْمَاءِ ، وَثُمُولُ الْأَمْنِ ، وَعُمُومُ الْعَدْلِ ؛ وَاللَّهُ يَصِلُ ذَلِكَ بِأَحْسَنِهِ .

تهنئةٌ أُخْرَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ : مِنْ إِنْشَاءِ عَلِيِّ بْنِ خَلْفٍ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَهِيَ :

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ خَضِرَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ ، فَارِعَةً مِنَ الْمَعَالِي اسْتَقَمَّهَا نُجُودًا ، كَارِعَةً مِنَ الْمُنَنِ أَعَدَّهَا وَرُودًا ، سَاحِبَةً مِنَ الْمَيَامِينِ أَرْقَاهَا بُرُودًا ؛ مُتَمِّعَةً بِالنَّعْمِ الَّتِي يُرَامِي الشُّكْرَ عَنْ حَوَازِئِهَا ، وَيُحَامِي الْبِشْرَ عَنْ حَوَمَتِهَا ؛ مَبْلَغَةً فِي أَوْلِيَائِهَا وَأَعْدَائِهَا ، قَاضِيَةً مَا تَرْتَمِي إِلَيْهِ رِحَابُهَا ؛ فَلَا تَرَى لَهَا وَلِيًّا إِلَّا لِأَحَبِّ الْمَذْهَبِ ، نَاقِبَ الْكُوكُبِ ؛ سَامِيَ الطَّرْفِ ، حَامِيَ الْأَنْفِ ؛ وَلَا عَدُوًّا إِلَّا ضَيْقَ الْمَطْرَحِ ، وَعِرَ الْمَسْرَحِ ؛ صَالِدَ الزَّنْدِ ، مَفْلَلِ الْحَدِّ ؛ رَاغِمَ الْعَرِينِ ، مَتَلَوًّا لِلْجَيْنِ . وَلَا زَالَتْ أَزِمَةُ الدُّنْيَا بِيَدِهَا حَتَّى تَبْلُغَ بِأَمَالِهَا مُتْنَهَا ، وَتَجْرِيَ بِأَيَّامِهَا إِلَى أَقْصَى مَدَاهَا ؛ [فَهِيَ] مِنْ أَعْظَمِ النَّعْمِ خَطَرًا ، وَأَحْسَنِهَا عَلَى الْكَافَّةِ أَثَرًا ؛ وَأَوَّلَاهَا بَأَنْ يُفَاضَ فِي شُكْرِهَا ، وَتَتَعَطَّرَ الْآفَاقُ بِذِكْرِهَا . وَلِسَيِّدِنَا الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ يَرَاعُ يَسْتَقِظُ فِي صَلَاحِهِمْ وَهُمْ هَاجِعُونَ ، وَيَنْصَبُ فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ وَهُمْ وَادِعُونَ ؛ وَكُلَّ تَنْذِيرِهِمْ فِيهِ ، إِلَى مَدَبَرِّ يُخَافُ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ ، وَيَعْمَلُ فِيمَنْ أَسْرَعَاهُ بِمَا يَرْضَاهُ ؛ وَلَا يَمُدُّ يَدَ الْإِقْتِدَارِ عَلَيْهِمْ مُتَسَلِّطًا ، وَلَا يَتَّبِعُ دَوَاعِيَ الْهَوَى فِيهِمْ مُتَسَقِّطًا ؛ وَاضِعًا الْأَشْيَاءَ فِي حَقَائِقِهَا ، سَالِكًا بِهَا أَمْثَلِ طَرَائِقِهَا ؛ مُلَانِيًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، مُحَاشِنًا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ؛ قَرِيبًا مِنْ غَيْرِ صَغَرٍ ، بَعِيدًا مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ ؛ مُرَغَّبًا بِإِسْرَافٍ ، مُرْهَبًا بِإِنْصَافٍ ؛ نَاطِرًا إِلَى مُحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ وَأَطْرَافِهَا ، كَمَا يَنْظُرُ فِي مَعَاطِمِهَا وَأَشْرَافِهَا ؛ آخِذًا بِوَنَائِقِ الْحَزْمِ ، مَتَمَسِّكًا بِعَلَائِقِ الْعَزْمِ ؛ رَامِيًا بِفِكْرَتِهِ مِنْ وَرَاءِ الْعَوَاقِبِ ، خَاطِمًا بِأَرَائِهِ أَنْوَفَ الْمَصَابِعِ ؛

نَاطِمًا بِبَيَّاتِهِ عُقُودَ الْمَصَالِحِ ، مُوْطَأًا بِرِيَاضَتِهِ ظُهُورَ الْجَوَاحِمِ ؛ إِنْ تَقَفَّ ذَا النَّبَوَّةِ
 الْفَرِيدَةِ ، وَالْهَقْوَةَ الْوَحِيدَةَ ؛ أَقْتَصَرَ عَلَى مَا يُؤَافِقُهُ الْوَالِدُ الْحَدَبَ ، مِنْ مُقَوِّمِ الْأَدَبِ
 [وَأِنْ قَبَضَ^(١) عَلَى الْمَرْتَكِسِ فِي غَوَايَتِهِ ، الْمُفْلِسِ فِي عِنَايَتِهِ ؛ ضَيَّقَ عَلَيْهِ مَجَالَ الْعَقْوِ ،
 وَأَحَاقَ بِهِ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَالسَّطْوِ ؛ فَقَدْ سَكَنَتِ الرَّعِيَّةُ فِي عَدْلِهِ ، وَأَوْتَحَرَمَا مَنِيْعًا مِنْ
 ظِلِّهِ ؛ وَوَقِفَتْ أَنَّ الْحَقَّ بِنَظَرِهِ شَائِخٌ شَاقِقٌ ، وَالْبَاطِلَ سَائِخٌ زَاهِقٌ ؛ وَالْإِنْصَافَ مَبْسُوطٌ
 مَنْشُورٌ ، وَالْإِحْكَافَ مَحْطُوطٌ مَبْتُورٌ ؛ وَالشَّمْلَ مَنْظُومٌ ، وَالشَّرَّ مَضْمُومٌ . فَتَنَقَّطَتْ أَلْسِنُهَا
 بِإِحْكَادِهِ ، وَأَشْتَمَلَتْ أَفْنِدَتُهَا عَلَى وَدَادِهِ ؛ وَاتَّفَقَتْ أَهْوَاؤُهَا عَلَى رِيَاسَتِهِ ، وَتَطَابَقَتْ
 آرَاؤُهَا الْمَسَابِقَةُ عَلَى دَوَامِ سِيَادَتِهِ ؛ وَعَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَدَقَ النَّظَرِ فِي دَوْلَتِهِ ؛ وَسَلَّمْ
 أُمُورَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى النَّصِيحِ الْمَأْمُونِ ، وَالتَّجِيحِ الْمَيْمُونِ ؛ الَّذِي وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِاخْتِيَارِهِ ،
 وَيَسَّرَهُ لِاصْطِفَائِهِ وَإِيْثَارِهِ ؛ وَأَنَّهُ قَدْ نَاطَ أُمُورَهُ بِنَ لَمْ يَسْتَحْفَ تَقِيلَ حِمْلُهَا ، وَيُنَوِّ
 بِبَاهِظٍ ثِقْلُهَا ؛ فَتَمَتَّعَ بِلَذِيذِ الْكَرَى ، وَتَوَدَّعَ بَعْدَ السَّيْرِ وَالسَّرَى ؛ وَأَلِمَ مِنَ الْمَسَامِ مُلَمٌ
 مُعْضِلٌ ، وَحُدُوثٌ حَدَثٌ مُشْكِلٌ . وَهَذِهِ نِعْمَةٌ تَعْمُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ عُيُومَ الْغَيْثِ
 إِذَا هَمَعَ وَتَدَفَّقَ ، وَتَشَمَّلَهُمْ شَمُولَ النَّهَارِ إِذَا لَمَعَ وَتَأَلَّقَ ؛ وَهُمْ أَوَّلَى بِالْتَّهْنَةِ فِيهَا
 وَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا .

وَسَيِّدُنَا الْوَزِيرُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ الدُّعَاءُ الْمَرْفُوعُ ، وَالتَّضَرُّعُ الْمَسْمُوعُ ؛ بِأَنْ
 يُهَيِّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا حَمَلَهُ ، وَيُعِينَهُ عَلَى مَا كَفَّلَهُ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ بِتَوْفِيقٍ يَثْقُبُ أَنْوَارَهُ ،
 وَتَأْيِيدٍ يُطَبِّقُ غَرَارَهُ ، وَتَسْدِيدٍ يَحْسِنُ آثَارَهُ ؛ وَإِحْرَاءٍ مَا يَتَوَلَّاهُ عَلَى أَوْضَحِ سَبِيلِ
 وَأَقْصَدِهِ ، وَأَرْجَحِ دَلِيلِ وَأَرْشَدِهِ ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَهْنَأَ بِمَالِهِ عَيَاؤُهُ وَكَلَّهُ ، وَلَمْذَعْنِيهِ
 صِلَاحُهُ كُلُّهُ . وَالْعَبْدُ يَسْأَلُ اللَّهَ ضَارِعًا لَدَيْهِ ، بِاسْطَايِدِهِ إِلَيْهِ ؛ فِي أَنْ يَقْبَلَ صَالِحَ
 أَدْعِيَتِهِ لِحَضْرَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا أَحَلَّهُ فِي حَمْلِهِ مِنْ رِيَاسَتِهَا ، وَأَوْقَعَهُ

في موقعه من سياستها؛ دائباً لا يئترع، وخالدا لا يرتجع؛ وأن يؤيدها فيه بما يقضى له بالإحراز والتحويل، ويُنْجِيهِ من الابتزاز والتحويل؛ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَعَالٌ لِمَا يَشَاءُ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصف الثاني - التهنئة بكفالة السلطنة :

وهذه نسخة من ذلك، كُتِبَ بها عن نائب الشام، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة، وهي بعد الألقاب :

لَا زَالَ دَائِرًا بَهَائِهِ الْفَلَكَ، مُنِيرًا بَضِيَاءَ عَدْلِهِ وَيُسْرِهِ الْحَلَاكَ؛ قَرِيرًا بِحُسْنِ كِفَالَتِهِ الْمُلُوكَ شَاهِدًا بِفَضْلِ أَسْمَائِهِ وَسِمَاتِهِ الْمَلِكِ، مَقْسُومًا بِأَمْرِ اللَّهِ نَدَاهُ وَبِأُسْهِلِيحِيَا مِنْ حَيٍّ وَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ؛ تَقْبِيلًا يُسَافَهُ بِهِ التُّرَابَ، وَيُشَاهَدُ شَرْفَ مَطْلَعِهِ عَلَى السَّحَابِ .
وَيُنْهِى قِيَامَهُ عَلَى قَدَمٍ وَلَاءٍ وَدُعَاءٍ : هَذَا يَنْزِلُ الْقَلْبَ وَهَذَا يَصْعَدُ إِلَى الْأَفْقِ، وَمُقَامَهُ عَلَى بُشْرَى وَحَمْدٍ مِنْهُمَا الْأَمْنُ يُحَلِّي بِوَصْفِهِ النُّطْقُ كَمَا تُحَلِّي الْأَعْطَافُ بِالنُّطْقِ؛
وَأَنَّهُ وَرَدَ مِثَالُ شَرِيفٍ عَلَى يَدِ فُلَانٍ يَتَضَمَّنُ الْبِشَارَةَ الْعَامَّةَ، وَالْمَسْرَةَ التَّامَّةَ، وَالنِّعْمَةَ الَّتِي يُعَوِّدُ سَنًا جَيِّينَهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَّهُ؛ وَخَبَرَ الْخَيْرِ الَّذِي حَيَّتْ أَزْهَارُهُ الْمُتَضَوِّعَةُ نَدَّ مِصْرَ فَأَوَّلُ مَا بَلَغَهُ مَنَافِسَ الشَّامِ شَامَهُ، بِأَنَّ الْمَوَاقِفَ الشَّرِيفَةَ - أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانَهَا - قَدْ فَوِّضَتْ إِلَى مَوْلَانَا كِفَالَةَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنِهِ، وَكِفَايَةَ الْمُلُوكِ بِصَالِحِ مُؤَمِّنِيهِ؛ وَنِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ وَمَا نَسَقَتْ، وَتَدْيِيرَ الْمَالِكِ وَمَا وَسَقَتْ؛ فَيَا لَهَا بُشْرَى! أَبْتَسَمَتْ لَهَا تَغَوُّرُ الْبَشَرِ، وَمَسْرَةٌ أَسْتَجَلِي سَنَاهَا مِنْ أَمْنٍ وَبُهْتٍ الَّذِي كَفَرُ، وَخَبْرًا تَلَقَّتِ الْأَسْمَاعُ بِرَيْدِهِ مَنَشْدَةً : قُلْ وَأَعِدْ بِأَطْيَبِ الْخَبَرِ؛ هُنَاكَ أَخَذَ الْمَمْلُوكُ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ بُشْرَى، وَنَصِيْبِهِ مِنْ مَسْرَةٍ حُمِدَ بِصَبَاحِ طَرِسِهَا الْمَسْرَى؛ وَحَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَقَامَ لِسُلْطَانِ الْبَسِيطَةِ مِنْ يَسْطُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ لِمَنَابِهِ، وَيَقْلَدُ رَعِيَّتَهُ

عقود النعم إذا تقلد ما وراء سريره وبابه ، ومن إذا كفل سيفه ممالك الإسلام وثقت بالمعنى والسلامه ، وإذا كتب قلبه قالت ولا سيما أخبار جند المسلمين : هكذا تكون العلّامة ؛ وجهز المملوك هذه الخدمة نائبة عنه في تقبيل الأرض ، وعرض الهناء بين يدي من يسر المملوك بولائه اليوم ويرجو أن يسر به يوم العرض ، ولو وصف المملوك ما عنده من السرور والشوق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق الوقت عن أداء القرض ؛ والله تعالى يحدّد لمولانا ثمرات الفضل الواضح ، والرأي الراجح ، والقدر الذي هو على ميزان الكواكب راجح ، ويمتدنا كافة الممالك بدولة سلطانه الذي علم البيت الشريف أنّه على الحقيقة الخلف الصالح .

وهذه نسخة تهئية لأمر جاندار بولاية إمرة جاندار ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهي بعد الألقاب :

أعلى الله منارها ومنالها ، وخلد قبورها وإقبالها ، وأجزل من الغصن الذي تناولته ثمرها وأسبغ به ظلالها ؛ ولا زال في سيفها وعصاها مارب للملك ، وفي بأسها ونداها مواقع للنجاة والهلك ؛ ولا برحت القضب من سيوف وغصون : هذه حاكمة بسعدها حكم الملك ؛ وهذه مسخرة في تجريدها تسخير الفلك ؛ تقبيل محاسن في ولائه ودعائه ، مهنًا القلب مسرور بما يتجدد من مسرات مولانا وهنائيه ؛ وينهى أنه بلغه ما أفاضته الصدقات الشريفة على مولانا من المبرات ، وما جدت له من المسرات ؛ وأنها ضاعفت مزيد الإحسان إليه ، ودعته أمير جاندار ودت العصى النجومية لو قدمت نفسها بين يديه ؛ وأنّ المواقف الشريفة قرّت به عينا وأقرّت ، وأنّ الدولة القاهرة ألفت عصاها إليه واستقرّت ؛ وكما سلمت إليه العصا في السلم سلمت إليه السيف في الحرب ، وكما قرّبت به في مواقف العدل والإحسان قرّبت به في مواقف الطعن والضرب ؛ فأخذ المملوك حظّه من البشري ، وأوجب على نفسه الفرح

وَسَجَدَ لِلَّهِ شُكْرًا ؛ وَوَدَّ لَوْ حَضَرَ يُشَافِهِ بِهَذَا الْهَنَاءِ الشَّامِلِ ، وَمَثَلُ قَائِمًا لَدَيْهِ بِحَقِّ
التَّهْنِئَةِ الْقِيَامَ الْحَقِيقَ الْكَامِلَ ؛ وَحَيْثُ بُعِدَتْ دَارُهُ ، وَنَأَتْ عَنِ الْعِيَانِ أَخْبَارُهُ ؛
فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوَاسَلَتَهُ بِالْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَالْمَوْلَاةِ وَالْحَبِيبَةِ الَّتِي يُشْهَدُ
بِهَا الْخَاطِرُ الْكَرِيمُ سِرًّا وَجَهَارًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَزِيدَ مَوْلَانَا مِنْ فَضْلِهِ ،
وَيُسِّرَهُ بِمُتَجَدِّدَاتِ الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيُمَتِّعَنَا كَافَّةً الْمَالِكِ بِدَوَامِ سُلْطَانِ هَذِهِ
الدَّوْلَةِ الَّتِي شَمِلَ بَظِلِّهَا ، وَغَنَى بِنَصْرِهَا عَنْ نَصْلِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصف الثالث - التهنية بالإمارة .

من كلام الأقدمين :

تهنية من ذلك ، أوردتها أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وهى :

وَهَذَا اللَّهُ الْأَمِيرَ مُوَافِقَهُ الْهَيْبَةَ ، وَعَطَايَاهُ السَّوِيَّةَ ؛ وَأَدَامَ تَمْكِينَهُ وَقُدْرَتَهُ ، وَثَبَّتَ
وَطْأَتَهُ ، وَحَرَسَ مَاخُولَهُ ؛ وَجَعَلَ مَا هَيَّا لَهُ مِنْ مُؤْتَفَافِ الْكَرَامَةِ أَيْمَنَ الْأُمُورِ فَاتِحَةً
وَأَسْعَدَهَا عَاقِبَهُ ؛ وَوَصَلَ أَيَّامَهُ بِأَجْمَلِ الْوِلَايَةِ ، وَأَجَلَ الْكِفَايَةِ ؛ حَتَّى يَنْتَهِيَ [مِنْ]
أَسْتِيفَاءِ سَعَادَاتِ الْحُظُوظِ وَحُوزِ الْقِسَمِ وَالْآمَالِ ، [إِلَى] الدَّرَجَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِمَا أَفْرَدَهُ
اللَّهُ بِهِ مِنَ الْكَمَالِ ، وَخَصَّهُ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي جَمِيعِ الْخِصَالِ . وَمِنْ أَفْضَلِ مَا اعْتَدَّ بِهِ
مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْأَمِيرِ وَبِجَمِيلِ رَأْيِهِ ، وَمَحَلِّ مِنْ طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ؛ أَيْ لَا أُخْلُو فِي كُلِّ
وَقْتٍ وَحَالٍ مِنْ بَهْجَةِ تَجَدُّدِ لِي ، وَمُسَرَّةِ تَصَلُّى إِلَى ، وَتَوَفُّرِ عَلَى ، بِمَا يُسَهِّلُهُ الْأَمِيرُ
عَلَى يَدِهِ مِنْ مُسْتَضْعَبِ الْأُمُورِ ، وَمُسْتَعْلَقِ الْخُطُوبِ ؛ الَّتِي تَبْعُدُ عَمَّنْ يُزَاوِلُهَا ،
وَيَجْعَلُ اللَّهُ بَطْوْلَهُ وَحَوْلَهُ لِلْأَمِيرِ الْقُدْرَةَ عَلَيْهَا ، وَيَتَوَحَّدُ بِالْكِفَايَةِ فِيهَا ؛ فَيَنْمُو بِجَمِيلِ
تَدْيِيرِهِ وَلَطِيفِ نَظَرِهِ ، وَيَطْرُدُ بِصَاعِدِ نَجْمِهِ وَيُمْنِ تَقَبُّبِهِ وَعِزِّ دَوْلَتِهِ ؛ وَذَلِكَ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ ، يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

الصنف الرابع - التهنية بولاية الحجابة .

وقد كان لها في الزمن القديم المحل الوافر في الدولة وعلو الرتبة فيها .

من كلام الأقدمين :

تهنئة من إنشاء أبي الحسين بن سعد، كتبت بها إلى أبي بكر بن ياقوت حين ولي الحجابة بعد نكبة أصابته ، وهي بعد الصدر :

وقد كانت أنفسنا معشر عبيد سيدنا وحملته إنعامه ، ومؤمل أيامه ، في هذه الأحوال التي تقد سيدنا منها فيما ابتلاه صبره ، وأبان فيه قدره ؛ وزاد العارف بفضلته نفوذا في البصيرة ، وأعاد ذوى الارتباب فيه إلى الثقة ؛ فاستوى المنازع والمسلم ، وأستوى العالم والمُعاند - نعمة منه تعالى ذكره خصه بها وصانه عن مشاكلة النظير ، ومُراحمه الأكفاء - على سبيل من الفلق والارتماض ، والسقوط والإخفاض ؛ جزا من تلك الحال الغليظة ، وإشفاقا على تلك النفس النفيسة ؛ وخوفا على معالم البر والحق ، وبقيّة العلم والحجاء ، وتاريخ الكرم والندى ؛ أن يدرس منارها ، وتطمس أنارها ؛ ولولا ما من الله به من الخلاص منها وما منح بكرمه في عاقبتها ، لأوشكت أن تأتي عليها وتُجلبها عن مواقيت آجالها ؛ لكنه عظمت الآؤه ، وتقدست أسماؤه ؛ أتى بالأمن والفرج ، بعد استيلاء الكرب والوجل ، وأثبتت أسباب الرجاء والأمل ؛ فعرف سيدنا موقع الخيرة فيما قضاه ، وميز له الخبيث من الطيب ممن عاداه وتولاه ؛ وجعل النعمة التي جددها له فيما رده أمير المؤمنين إلى تديره من أمر داره ومملكته ، وحراسة بيضة رعيته ، مشتركة النفع والفائدة ، مقسومة الخير والعائدة ؛ بين كافة الأمة فيما عم من المعدل ، وشمل من المصلحة . ولاح من تبشير الخير ، وأمارات البركة ؛ في استقامة أمور البلاد ، وصلاح أحوال العباد ؛ وأفرد الله سيدنا بحظ من

المَوْهَبَةِ وَقَانِي فِيهِ عَلَى حُظُوظِ الْأَوْلِيَاءِ، وَزَادَنِي عَلَى سِهَامِ الشُّرَكَاءِ . وَأَنَا أَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي إِسْعَادِ سَيِّدِنَا بِمَا جَدَّدَهُ لَهُ ، وَتَعْرِيفِهِ بِرَكَّةٍ مُفْتَتِحَةٍ وَمِنْ خَاتِمَتِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي مُبْتَدَأِهِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي عُقْبَاهِ ؛ وَتَبْلِيغِهِ مِنْ حَظٍّ مَأْمُولٍ ، وَخَيْرِ مَطْلُوبٍ ؛ وَحَالٍ عَلَيْهِ ، وَرُتْبَةٍ سَنِيَّةٍ ؛ أَفْضَلَ مَا بَلَغَ أَحَدًا آخِصَّهُ بِفَضْلِهِ ، وَأَصْطَفَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ مَاجِدٌ . فَإِنْ رَأَى سَيِّدُنَا أَنْ يَتَطَوَّلَ بِإِجْرَاءِ عَبْدِهِ عَلَى كَرِيمِ عَادَتِهِ فِي تَشْرِيفِهِ بِمَكَاتِبَتِهِ ، وَتَصْرِيفِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، مُحَقِّقًا بِذَلِكَ أَمَلَهُ ، وَزَائِدًا فِي نِعَمِهِ عِنْدَهُ ، فَعَلَّ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تَهْنِئَةٌ أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ ، مِنْ إِنْشَاءِ عَلَى بْنِ خَلْفٍ أَوْ رَدِّهَا فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَهِيَ :
إِنَّمَا يُهِنَّا بِالْوِلَايَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ - مَنْ
أَتَبَسَّطَتْ إِلَيْهَا يَدُهُ بَعْدَ انْقِبَاضٍ ، وَارْتَفَعَ لَهَا قَدْرُهُ مِنْ انْخِفَاضٍ ؛ وَأَوْجَدَتْهُ الطَّرِيقَ
إِلَى إِحْرَازِ جَزِيلِ الْأَجْرِ وَالْجَزَاءِ ، وَاكْتِنَازِ جَمِيلِ الْبَرَكَةِ وَالْثَنَاءِ ؛ وَأَفْضَتْ بِهِ إِلَى
أَسْنَاعِ السُّلْطَانِ ، وَانْتِفَاعِ الْأَعْوَانِ ؛ فَأَمَّا مَنْ جَعَلَ اللَّهُ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَقَدْرَهُ الْأَعْلَى ،
وَرِيَاسَتَهُ حَاصِلَةً فِي نَفْسِهِ وَجَوْهَرِهِ ، وَسَيَادَتَهُ مُجْتَنَاءَةً مِنْ سِنِّهِ وَعُضْرِهِ ؛ فَلَاؤُلَى -
إِذَا اسْتَكْنَفِي رَغْبَةً فِي إِنْصَافِهِ وَعَدْلِهِ ، وَحَاجَةً إِلَى سَدَادِهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَأَفْتَقَرَا إِلَى
فَضْلِ سِيرَتِهِ ، وَأَضْطَرَّارًا إِلَى فَاضِلِ سِيَاسَتِهِ - أَنْ تُهِنَّا الرَّعِيَّةُ بَوْلَايَتِهِ ، وَتُسَرَّ الْخَاصَّةُ
وَالْعَامَّةُ بِمَا عُدِّقَ مِنْ أُمُورِهَا بِكَفَايَتِهِ ؛ وَغَيْرُ يَدِيعٍ رِبْطُ^(١) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَاجِبِ
الْجَلِيلِ أَمْرٌ حَاجِبَتُهُ ، وَنَصْبُهُ لِلرَّحْمَةِ عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَجَعْلُهُ الْوَسِيطَ وَالسَّفِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
خَوَاصِّ دَوْلَتِهِ ، وَقَدْ وَثِقَ يُمِّنُ تَقْيِيئَتِهِ ، وَأَطْلَعَ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ ، وَسَكَنَ إِلَى صِدْقِ
طَاعَتِهِ ؛ وَعَرَفَ طَهَارَةَ جَبِيهِ ، وَسَلَامَةَ غَيْبِهِ ؛ وَصِدْقَ مُهْجَتِهِ ، وَحَصَافَةَ أَمَانَتِهِ ؛

(١) فِي الْأَصُولِ أَرِبَاطٌ وَلَمْ تَقِفْ عَلَى فِعْلِهِ فَيَا بَايَدِينَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ .

(٢) أَيْ الدَّفْعَ وَالذَّبَّ يُقَالُ زَحَمْتُهُ عَنْهُ أَيْ دَفَعْتُهُ أَنْظَرَ الْمَصْبَاحَ .

واعتِمَادَهُ لِلْحَقِّ فِيمَا يُورِدُ وَيُصْدِرُ ، وَيُنْهِي وَيُجِيبُ ، وَأَبْتَلَاهُ فَعَرَفَ طِيبَ طَعْمَتِهِ ، وَخِفَةَ وَطْأَتِهِ ؛ وَرَأَتْهُ بِالضَّعِيفِ الْمَهْضُومِ ، وَغَاطَّتْهُ عَلَى الْعُسُوفِ الظُّلُومِ ؛ [فَرَأَى] أَنْ يُجِلَّهُ مَحَلَّ مَنْ لَا يَغِيبُ عَمَّا شَهِدَهُ ، وَلَا يَرْتَابُ بِمَا سَمِعَهُ ، عَلَى أَنَّ الْمَهْنَأَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ يَجِدُّهَا اللَّهُ لَدَيْهِ ، وَسَعَادَةٍ يُسَبِّغُهَا عَلَيْهِ ؛ [وَلَوْ أَنْصَفْتُ] لَسَلَكْتُ مِنَ الصَّوَابِ سَنَنًا ، وَأَعْتَقَدْتُ جَمِيلًا حَسَنًا : لَا اسْتِشْعَارِي بِالْأَنْفَسِ مِنْ لَبُوسِ سِيَادَتِهِ ، وَتَحَلَّى بِالْأَنْصَعِ مِنْ عُقُودِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ رِعِيَّتُهُ أَجْدَرَ أَنْ تُهَنَّا بِوِلَايَتِهِ ، وَتَعْرِفَ قَدْرَ مَا لَهَا مِنَ الْخِطِّ فِي نَظَرِهِ ؛ فَأَنَا أَعْدِلُ مِنْ هُنَائِهِ إِلَى الدُّعَاءِ لَهُ بِأَنْ يَبَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِيمَا قَلَّدَهُ ، وَيُوفِّقَهُ فِيمَا وَلَّاهُ وَيُسَدِّدَهُ ؛ وَيُلْهِمَهُ أَذْخَارَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ ، وَآكْتِنَارَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ، وَالْهِدَايَةَ إِلَى سَنَنِ الْإِسْتِقَامَةِ ، وَمَا عَادَ بِمُجَبَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ ؛ وَإِنْ هَاضَمَهُ فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْعَمَلِ مِنْ طَاعَتِهِ بِمَا يُزِلُّفُ فِي الدُّنْيَا وَالْدِينِ ؛ وَاللَّهُ يُسْتَجِيبُ فِي الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ هَذَا الدُّعَاءَ وَيَسْمَعُهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ وَيَرْفَعُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الخامس - التهنية بولاية القضاء .

التهنية بذلك من كلام الأقدمين :

تهنية من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردتها في "مواد البيان" وهي :
أَوَّلُ الْمَنْحِ أَنْ يُتَفَاوَضَ شُكْرُهَا وَالتَّحَدُّثُ بِهَا ، وَيُتَقَارَضَ حُدُّهَا وَالْقِيَامُ بِوَاجِبِهَا ؛ نِعْمَةٌ شَمِلَتْ عِطَافُهَا ، وَعَمَّتْ أَطَافُهَا ؛ وَأَشْتَرَكَ النَّاسُ فِيهَا أَشْتَرَكَ الْعُومِ ، وَحَلَّتْ مِنْهُمْ فِي النِّفَعِ مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُومِ . وَهَذِهِ صُورَةُ النِّعْمَةِ فِي وِلَايَةِ قَاضِي الْقَضَاةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - لِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ إِثْبَاتِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَأَنْحِسَارِ الْجَوْرِ وَالْإِجْحَافِ ؛ وَأَعْتِلَاءِ الْحَقِّ وَظُهُورِهِ ، وَأَخْتِلَاءِ الْبَاطِلِ وَثُبُورِهِ ؛ وَعِزِّ الْمَظْلُومِ وَإِدَالَتِهِ ، وَذُلِّ الظُّلُومِ وَإِدَالَتِهِ ؛ وَتَمَكِينِ الْمَضْعُوفِ وَأَقْتِدَارِهِ ، وَأَنْخِزَالِ الْعُسُوفِ وَأَقْتِسَارِهِ .

وإن هَنَأَهُ حرس الله عَلاهَ بموهبة أتى بآرقها بجميل الثناء ، وجزيل الجزاء ؛ قد ناء
 من تحملها بياھظ الشيء ومتعبه ، وقام من سئله بكل الأدب ومنصبه ، عدلت عن
 الأمثل وضللت عن الطريقة المثلى ؛ لكنني أهنئه خصوصاً بالمواهب المختصة به
 اختصاص أطواق الحمايم بأعناقها - والمناقب المظيفة به إطفاء كواكب السماء
 بنطاقها ، في أن ألف الله القلوب المتباينة على الإقرار بفضله ، وجمع الأفئدة المتنافية
 على الاعتراف بقصور كل محل عن محله ، وجعل كل نعمة تُسبغ عليه ، ومِنّة تُسدى
 إليه ؛ موافقة الآمال والأمانى ، مُفضية للبشائر والتَّهاني ؛ لأنَّ مَنْ أَحَبَّ الحق وآثره ،
 ولبس الصِّدق واستشعره ؛ ينطق بلسان الإرادة والاختيار ، ومن تركهُما وقلاهما ،
 وخلعهما وألقاهما ، ينطق بلسان الافتقار والاضطرار - والخصائص التي هو فيها
 نسيج وحده ، وعطر يومه وغده - والمحاسن التي هي أناسي عيون الزمان ، ومصابيح
 أعيان الحسن والإحسان . ثم أعود فأهنئه عموماً بالنعم المشتركة الشُّمول ، الفُضفاضة
 الذُّيول ؛ التي أقرت القضاء في نصابه ، وأعادت الحكم إلى وطنه بعد تَجَعُّته وأَعْتَرابه ؛
 وأعلتهما في الرتبة الفاضلة ، وقَدَعَتْ بهما أنف الذروة العاليه . وأرفع يدي إلى الله تعالى
 داعياً في إمداد قاضي القضاة بتوفيق يُسَدِّد مراميه ، ويُرشد مساعيه ؛ ويهدب آراءه
 ويصِّححها ، ويبلج أحكامه ويوضحها ؛ ويخلد عليه النعمة خلودها على الشاكرين ،
 ويُبصره بحسن العقبي في الدنيا والدين ؛ وهو سبحانه يتقبل ذلك ويرفعه ،
 إن شاء الله تعالى .

التهنئة بذلك ، من كلام أهل العصر :

تهنئة من ذلك : أوردها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه "زهر الربيع
 في الترسل البديع" وهي :

(١) في الأصل ويفخمها وهي تصحيف لا يناسب المقام .

أَفْعَدَ اللهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ ، وَشَكَرَ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ؛ وَخَلَّدَهُ نَاصِرًا لِلشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
وَأَدَامَهُ ، وَجَدَّدَ سَعْدَهُ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ ؛ وَجَعَلَهُ الْمُسْتَرِشِدَ وَالْمُقْتَنِيَّ بِأَمْرِ اللهِ وَالرَّاشِدَ
وَالْمُسْتَنْجِدَ وَالْمُسْتَنْصِرَ وَالنَّاصِرَ وَالْعَاضِدَ ، وَالْحَاكِمَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللهِ (١)
مِنَ الْقَضَاءِ الثَّلَاثَةِ الْوَاحِدَ .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ تَبْرُكًا بِتَقْبِيلِهَا ، وَأَدَاءً لَوَاجِبِ تَعْظِيمِهَا وَتَجْلِيلِهَا ؛ وَيَهْتَمُّ
الْمَوْلَى بِمَا خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ مُضَاعَفَةِ نَفَازِ كَلِمَتِهِ وَرَفْعِ مِزَانِهِ ، وَإِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ
الشَّرِيفَةِ وَأَفْضِيَّتِهِ ؛ وَتَقْلِيدِهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ، وَتَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِ ؛ وَيَهْتَمُّ
بِالْمَوْلَى مَنْ رُدَّتْ أُمُورُهُ إِلَيْهِ ، وَعُوِّلَ فِي مِلَاحِظَةِ مَصَالِحِهِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ مَوْلَانَا مَازَالَ
بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَشْهُورًا ، وَسَعِيهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ سَعْيًا مُشْكُورًا ؛ وَيَقْظُهُ مَوْلَانَا
جَدِيرَةٌ بِزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ ، وَالْإِحْتِيَاطِ التَّامِ ؛ بِمِلَاحِظَةِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ وَالْمُسْتَغْنِيَيْنِ ، وَالْفُقَهَاءِ
وَالْمُدْرِسِينَ ؛ وَسَبْرِ أَحْوَالِ النَّوَابِ ، وَأَنْ لَا يَكْفِيَهُ الْإِعْتِدَادُ عَلَى حَسَنِ الْبِرَّةِ وَطَهَارَةِ
الْأَثْوَابِ ؛ بَلْ يُعْنَى فِي الْأَطْلَاعِ عَلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ النَّظَرُ ، وَيُلَاحِظُ كَلَّا مِنْهُمْ إِنْ غَابَ
عَنْ مَجْلِسِهِ أَوْ حَضَرَ ؛ فَمَنْ رَأَاهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا يَقْرَبُ
إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ مَالِ الْيَتِيمِ ؛ فَيَحَقِّقُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ أَمَلًا ، وَلَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ حَرَسَ اللهُ الْمَوْلَى وَمَتَّعَ بِحَيَاتِهِ ، وَأَعَادَ عَلَى الْكَافَّةِ بَرَكَةَ صِيَامِهِ الْمَقْبُولِ
وَصَلَاتِهِ ؛ وَنَفَعَ الْإِسْلَامَ بِمُسْتَجَابِ دَعَوَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصَّنْفُ السَّادِسُ — التَّهْنِئَةُ بِوِلَايَةِ الدَّعْوَةِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلُوكَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، بِالْأَمَارِ الْمِصْرِيَّةِ ،
ذِكْرُ مَوْضُوعِهَا وَعُلُوُّ رُتَبَتِهَا عِنْدَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا حِفْظًا لِلأَصْلِ وَلِاحْتِمَالِ وَقُوعِهَا .

(١) بَيَاضٌ بِالأَصْلِ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ وَلَعَلَّهُ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْقَضَاءِ الْخ .

تهنئةٌ من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردها في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاء داعي الدعاة لصباح من الرحمة يُبْلِجُه ، وطريق من الحكمة يُظهِرُ
 بيانه ، وليل من السنة يَنْزِعُ طَيْلَسَانَه ؛ وحرسه على الإيمان يُجَدِّدُ مَا خُلِقَ مِنْ بُرُودِه ،
 وَيُنْظِمُ مَا وَهَى مِنْ عُقُودِه ؛ وعلى المؤمنين يَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابَ الرَّشَادِ ، وَيُهَيِّمُ إِلَيْهِمْ سَمَاءَ
 الْإِفَادَةِ وَالْإِمْدَادِ . ولا زالت الحقائق مقصودةً منه بِالْمِيزَةِ الَّتِي رَسَّخَتْهُ لِحِفْظِ مَبَانِيهَا ،
 وَأَهْلَتْهُ لِلْعِبَارَةِ عَنْ مَعَانِيهَا ؛ حَتَّى يَرْقُمَهَا فِي الْأَخْلَادِ ، وَيَمْحُو بِهَا رُسُومَ الْعِنَادِ ، وَيَنْشُرُ
 بُسْرَهَا فِي الْأَفَاقِ وَالْبِلَادِ . أَنَا أَعِدُّلُ عَنْ هَنَاءِ دَاعِي الدُّعَاةِ - أطال الله بقاءه -
 بِمَاعِدِيقِ بِهِ مِنْ أَمْرِ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ الْعَلَوِيَّةِ ، وَنُصِبَ لَهُ مِنْ قَرِّ مَضَاحِكِ الْمُشْكَلاتِ
 عَنْ أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالتَّرْجُمَةِ عَنْ غَوَامِضِ الْحِكْمِ الشَّرْعِيِّ ؛ وَالتَّوْقِيفِ عَلَى
 مَوَارِدِ الْهُدَى وَمَشَارِعِهِ ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَشَارِقِ الْحَقِّ وَمَطَالِعِهِ ؛ إِلَى هَنَاءِ الدَّعْوَةِ
 وَأَهْلِهَا بِمَا قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنْ مَحَلَّةِ الرَّفِيعِ الَّذِي أَلْحَقَهُ الْعَقْلُ نَحْوَهُ هَذَا الْكَمَالِ ،
 وَوُطِّأَ لَهُ مَدَارِجُ التَّرْقِيِّ وَالْإِتِّصَالِ ؛ فَشَفَّتْ نَفْسُهُ وَشَرُفَتْ ، وَتَطَلَّعَتْ عَلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ
 وَأَشْرَفَتْ ؛ وَجَنَى بِيَدِ التَّبَصُّرَةِ ثِمَارَ الْحِكْمَةِ ، وَأَسْتَنْزَلَ بِمَنْزِلِ الْمَوَادِّ غِيُوثَ النِّعْمَةِ ؛
 وَجَرَّدَ الضَّمْصِيَاءَ مِنَ الظَّلَامِ ، تَجَرِيدَ الْأَرْوَاحِ مِنَ الْأَجْسَامِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ؛ وَأَسْتَمَدَ
 بِلطيفته مَوَائِدَ عُلُومِ عَالَمِ اللَّطَافَةِ ؛ وَأَمَدَّ بِمَرْكَبِ أَلْفَاظِهَا تَحَاكُمَ الْكَافَّةِ ، وَحَلَّ فِي الْغَبَاءِ
 مَحَلَّ الْغَرَاءِ فِي الْخَضْرَاءِ ، إِنْ أَوْضَحْتَ سَبِيلَ سَائِرٍ بِجَنْبِ طَرِيقِ جَائِرٍ تَوْصِلُ بِنَزْوَعِهَا
 غَاشِيَةَ الظَّلَامِ ، حُسِرَ عَنِ الْحَقِّ قِنَاعُ إِبْهَامٍ ، أَوْفَعَلَتْ^(١) فِي الْجَوَاهِرِ زِيَادَةَ وَثْمَةٍ (؟)
 أَخَذَتْ تَعَادِيًا (؟) فَأَدْلَتْهُ لِلْهَمِّ الْعَامِلَةِ شَرْقًا وَسُمُوًا ؛ لَمَّا أَعْلَى بِذَلِكَ مِنْ قَدَرِهَا وَقَدَرِهِمْ ،
 وَطَيَّبَ مِنْ ذِكْرِهَا وَذِكْرِهِمْ ؛ وَأَعْطَفَ إِلَى الدَّعَاءِ لِدَاعِي الدُّعَاةِ بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) كذا في الأصلين ولم نهند الى تنقيفه تأمل .

مأخوذه من هذه الرئاسة راهناً لا يُرتجع ، وما تؤله من هذه السيادة مستقراً لا يُترع ؛ وأن يؤيده بالتوفيق ، ويُعبد له مناهج التحقيق ؛ ويُطلق لسانه بالبيان ، ويُمدّه بروح منه في نُصرة الإيمان ؛ وقد حتم الله تعالى بإجابة داعيه ، ولا سيما داعي الدُّعاة [فإنه] جدير بأن يُجاب الدعاء فيه ، إن شاء الله تعالى .

قال في ” موادّ البيان “ : وإنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ ، لأن ألفاظ هذا الدّاعي يجب أن تكون مشتقة من ألفاظ الدعوة ، مناسبة لمذهبها ؛ ولولا ذلك لأغنى عنه مثال تهنئة قاضي القضاة ؛ ومن تأملهما عرف ما بينهما من الفرقان .

الصنف السابع — التهنئة بالتقدمة على الرجال .

رُقعة من ذلك :

[من حلّ] محلّ سيدي — أطال الله بقاءه — من السُّودد الناطق الشّواهد ، المتّظيم المعاقّد ، المتضارِع الطّارِف والتّالِد ، المتّقل في الولد عن الوالد — والحجِد الذي قَصُر عن مُطاولته الطّراز الأوّل ، وتطأ طأله الإنعام المحوّل ، وحاز ماحازه من شرف الرّياسه ، وفُضِّل السّياسه ، والاستقلال بحقوق ما تولاّه ، وتَسَدِيد ما تَوَلَّاه واستكفاه ؛ فتشوّفت إليه أعلى الرُّتب ، وتشوّقت إليه المنازل السّنيّة من كُتُب — خطبته العُلا سائقة عنه مَهْرَها ، وتطامنت له موطنه ظَهْرَها ؛ فلم يَكْثُرْ له أن يتقدّم على [أهل] عَصْرَه فُضْلاً عن قبيلته ، ويتأمّر على جميع نوعه فُضْلاً عن طائفته : لأنّه المقدم عليهم بالرتبة والطّبع ، لا بالأصطلاح والوَضْع ؛ فشكر المملوك الله تعالى على بُزوغ هلاله وإبراقه ، وطُلوعه لِمِقات العز وتنفّاقه ؛ وسأله أن يجعل ما أقرّ العيون من سيادته ، وحَقّق الظنون في سعادته ؛ خالداً راهناً ، ومُقيماً قاطناً ؛ وأن يزيد من السّعادة ، ويُرقِّيه كلّ يوم في درج السّيادة : لتكون هذه الرتبة على امتناع مرّقبها ، وأرتفاع

مركبها ؛ أول درجة تحطّأها ، ومترلة فرعها وعلاها ؛ ثم لا يزال راقيا فيما يتلوها حتى
يحتذى بكواكب الجوزاء ، ويطحّودارة على الحلفاء ، مهتأ غير منغص ، ومزيدا غير
منقص ؛ والله تعالى يجب هذه الأدعية الواقعة مواقعها ، والمستحقّات الموضوعّة
مواضعها .

الصف الثامن - التهنئة بولاية الديوان .

رُقعةٌ من ذلك :

ويُنهى أنّ من حلّ محلّ مولانا - أطال الله بقاءه رافلا في لبّوس السعادة ،
متحفلا بسُلوس السيادة ؛ متقللا في ربّ المجد ، متوقلا إلى غَدِنِ الجَدِّ ؛ مستَوِليا
على شِعَابِ العُلا ، متمكنا من رِقَابِ الأعداء - في الاستقلال والإِضْطِلَاع ، والمعرفة
بِحَقُوقِ الإِصْطِفَاء والأِصْطِنَاع ؛ ورفعة مذهبه على الكفاية والغناء ، والنهوض بثقل
الأعباء ؛ خطبته التصرفات حاملة عنه صداقها ، وتشفوته الولاياتُ مادةً إليه أعناقها ؛
وقد أتصل بالملوك ماجدده الله تعالى من سعادته ، وأنجزه من مواعيد سيادته ، التي
كانت واضحة في مخايل فضله ، لائحة في دلائل نبّله ، مكتوبة في صفحات الأقدار ،
مرقومة بسواد الليل على بياض النهار ؛ فجذل الملوك بذلك ، جذل الحميم المُشارك ،
وسرّ به سرور الخليل المُشايك ؛ وليس ذلك لأنّ الذي تولّاه مولانا وجد [فيه] خلا
فرقه ، ونحولا فرقه ؛ بل لأنّ الحقّ غالب الحظّ فغلبه ، والواجب سالب المُمكن
فسلبه ؛ وأناخ ركاب الرّئاسة في المحلّ الخصب الذي يحمده ويرتضيه ، والله تعالى
يتفضّل على رعيته ، المتوطنين بفاضل سياسته ، من حباؤه ولطفه ، ورأفته وعطفه ، بما
يسبغ عليهم ظلال العدل ، ويقلّص عنهم سُدُولِ الجور والحيف ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وكتبْتُ لَمَقَرَّ الْبَدْرِيِّ مُحَمَّدٍ الْكَلَسْتَانِي الشَّهِيرِ بِالسَّرَايِ مَهْنَتًا لَهُ بِاسْتِقْرَارِهِ
فِي كِتَابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالْأَيَارِ الْمَصْرِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ « بِرُقُوقٍ » فِي سُلْطَتِهِ الْأُولَى :

رَفَعْتَ لِلْمَجْدِ مُدًّا وَلَيْتَ بُنْيَانًا * وَشَدْتَ لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَهْنِ أَرْكَانًا !
وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ فِي زَهْوٍ وَمَالِكُهُ * يَمِيسُ مُعْجَبًا ، وَهَنَّا التَّخْتُ إِيوَانًا !
قَدِمْتَ مِصْرًا فَامْسَتْ مِنْكَ فِي فَرِهِ * تَهَزُّ بِالْبُشْرِ مَنْ لُقِيَاكَ أُرْدَانًا !
وَعُودِرَ النَّيْلِ مُدًّا وَقَيْتَ مُبْتَهَجًا * وَقَدْ رَمَى الصَّدُّ وَالْإِبْعَادُ جَيْحَانًا !
أَلْفَاظُكَ الْغُرُ صَارَتْ لِلرُّوَى مَثَلًا * وَكُتِبُكَ الزَّهْرُ بَعْدَ اللَّثْمِ تَيْجَانًا !
تَفُوقُ قُسًّا إِذَا تَبَدُّو فِصَاحَتُهَا * وَتَفْضُحُ الْمِصْقَعَ الْمَلَّاقَ سَحَابَانًا !
قَدْ أَخْمَتُ فِي مَجَازَاتٍ بِلَاغَتُهَا * تُرْكًا وَرُومًا وَبَعْدَ الْفُرْسِ عُربَانًا !
كُلُّ الْمَوَالِي إِذَا وَلَّوْا فَلَا أَسْفَ * إِذَا أَنْتَ بَاقٍ ، وَيُنْقِي اللَّهُ مَوْلَانَا !
مَوْلَى بِهِ قَدْ تَشَرَّفْنَا وَجَمَلْنَا * بِوَجْهِهِ ، وَلِذِكْرِ الْقَوْمِ أَنْسَانَا !

الصفحة التاسع - التهنية بولاية عمل .

أبو الفرج البغاء :

عَرَّفَ اللَّهُ سَيِّدِي بَرَكَةَ هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، بِنَبِيلِ نَظَرِهِ الْجَمِيلِ ، وَحَمِيدِ أَثَرِهِ
الْمَحْرُوسِ ؛ وَتَنَاصَّرَ سِيَاسَتُهُ الشَّرِيفَةُ بِسِمَةِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَوَفَّقَ رِعْيَتَهُ لَشُكْرِ مَا وَلِيَهَا مِنْ
فَائِضِ عَدْلِهِ وَمَحْمُودِ فِعْلِهِ ؛ فَالْأَعْمَالُ مِنْهُ - أَيْدِي اللَّهِ تَعَالَى - بِالْتَهْنَةِ أُولَى ، وَبِالْتَّطَاوُلِ
بِمَا شَمِلَهَا مِنْ بَرَكَاتٍ تَدِيرُهُ أُخْرَى ؛ وَاللَّهُ بِكَرَمِهِ يَسْمَعُ فِيهِ صَالِحَ الدَّعَاءِ ، وَيَبْلُغُهُ أَبْلَغَ
مُدَدِ الْبَقَاءِ ، فِي أَسْبَغِ نِعْمِهِ ، وَأَرْفَعِ مَنَزَلِهِ ، وَأُصْدَقِ أَمْنِيَّةٍ ، وَأُنَجِّحِ طَلِبَهُ ، بِمَنَّةٍ .

وله في مثله :

لولا ما يَشْرِكُ التَّهَانِيَّ من بركات الدُّعاء الذى أَرْجُو أَنْ يَسْمَعَ اللهُ فِىكَ صَاحِلَه ،
وَيُجِيبَ أَحْسَنَه ، لأَجَلَّتْكَ عَنِ التَّهْنِئَةِ بِمَسْجِدِ الأَعْمَالِ ، وَمَسْتَحْدَثِ الْوِلَايَاتِ ،
لِقُصُورِهَا عَنْ أَسْتِحْقَاقِكَ ، وَأَنْحَطَاطِهَا وَإِنْ جَلَّتْ عَنْ أَيْسَرِ وَاجِبَاتِكَ ؛ وَتَعَجَّلِهَا
بِأَثَرِ كِفَايَتِكَ ، وَبَرَكَاتِ نَظَرِكَ ، وَمَوَاقِعِ إِنْصَافِكَ . فَهَنَّاكَ اللهُ نِعْمَةَ الْفَضْلِ الَّتِي
الْوِلَايَةُ أَصْغَرُ آلَاتِهَا ، وَالرِّيَاسَةُ بَعْضُ صِفَاتِهَا ؛ وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ مَوْهَبَةٍ مُجَدَّدَةٍ ،
وَمِنْحَةٍ مُؤَبَّدَةٍ .

وله في مثله :

سِدى - أَيْدِ اللهُ - أَرْفَعُ قَدْرًا ، وَأَنْبَهُ ذِكْرًا ؛ وَأَعْظُمُ نَبْلًا ، وَأَشْهَرُ فَضْلًا ؛ مِنْ
أَنْ تُهْنِئَهُ بِوِلَايَةٍ وَإِنْ جَلَّ خَطَرُهَا ، وَعَظُمَ قَدْرُهَا ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ تَهْنِئَةُ الأَعْمَالِ بِفَائِضِ
عَدْلِهِ ، وَالرَّعِيَّةَ بِمَحْمُودِ فِعْلِهِ ، وَالْأَقَالِمَ بِأَثَرِ رِيَّاسَتِهِ ، وَالْوِلَايَاتِ بِسِمَاتِ سِيَاسَتِهِ ؛
فَعَرَفَهُ اللهُ يَمُنَ مَا تَوَلَّاهُ ، وَرَعَاهُ فِي سَائِرِ مَا اسْتَرْعَاهُ ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِيمَا يُعَانِيهِ ،
وَالْتَسَدِيدِ فِيمَا يُرِمُهُ وَيُمِضِيهِ .

الإجابة عن التَّهَانِيِّ بِالْوِلَايَاتِ

قال في "موادِّ البيان" : هذه الكُتُبُ إِذَا وَرَدَتْ ، وَجِبَ عَلَى الْمُجِيبِ أَنْ يَسْتَنْبِطَ
مِنْ كُلِّ كِتَابٍ مِنْهَا الْمَعْنَى الَّتِي يُجِيبُ بِهَا . قَالَ : وَالطَّرِيقَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيهَا أَنَّ كِتَابَ
الْمُجِيبِ يَجِبُ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى أَنَّ الْمَهْنَى قَسِيمٌ فِي النِّعْمَةِ الْمُتَجَدَّدَةِ ، وَشَرِيكَ فِي الْمُنْزِلَةِ
الْمُسْتَحْدَثَةِ ، وَأَنَّ الْحِظَّ الْأَوْفَرَ فِيمَا نَالَهُ الْمَهْنَى لِلْمَهْنَى وَبِرَكَّةِ دُعَائِهِ ، وَتَوَقُّعِهِ لِمَا يَرِدُ

من حاجاته وتبعاته لينفّذها ، نازلا على أخلص مخالصته ، وعاملا بشروط مودّته ؛ ونحو هذا مما يضارعه . فإن كان المحيّب رئيسا أو مرءوسا ، وجب أن يرتّب الخطاب على ما تقتضيه رتبة كلّ واحد منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وردت المشرقة الكريمة ، أتم الله على مرسلها نعمته ، وأعلى قدره ومنزلته ؛ وجعل جناح العدا مخفوضا ، وعيشه في دعة وخفض ، وقدره للتمييز مرفوعا ، وعدوه للتقصير في آخطاط وخفض ؛ فتلقاها باليمين ، وظنها الريح الجنوب لما تجلته من رقة الحنين ؛ وعلم ما أبداه فيها من تفضلاته ، وأعترف بالتقصير عن مجاراته ومجاراته ؛ فشنت سمعه بالفاظ كأتهن اللؤلؤ والمرجان ، وبيتت البون الذي بينه وبين غيره تلك الفصاحة والبيان ؛ وقابل أياديّه بشكر لسانه ، وجازاه بحسن الدعاء عن إحسانه ؛ ولا يقوم بشكر فضله اللسان ولا الجثمان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ .

فأما ما أشار إليه من الهناء بالمكان الذي تولّاه ، وأبداه من المحبة التي اوجبت عليه أن يتوالاه ؛ فالله تعالى يُعينه على ما هو بصّده ، ويعمل الحق والخير جارين على لسانه ويده ؛ ويرزقه أتباع محكم كتابه وسنة رسوله ؛ ويحصل له من الرشد غاية سؤله ومأموله ؛ فإن هذه الولاية صعبة المراس ، وجوادها كثير الشئاس ؛ لكن بركات المولى يحصل من الله الأرب ، ويسهل لأوليائه القصد والإسعاد والطلب ؛ أدام الله ظل المولى وأسعده ، وأوضح لديه طريق السعادة ومهده ؛ ومنحه من الألطاف الخفية أفضل ما عوده ؛ بمنه وكرمه .

الضرب الثاني

(التهنئة بكرامة السلطان وأجوبتها)

وفيه ثلاثة أصناف :

الصنف الاول - التهنئة بالإناعام والمزيد ولُبس الخلع وغير ذلك .

من كلام الأقدمين :

وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مَا أَهْلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ مَوْلَانَا لَهُ : من المحلِّ السَّيِّئِ ،
وَالْمَكَانِ الْعَلِيِّ ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ ، مَتَشَوِّفًا إِلَيْهِ ؛ نَافِرًا عَنْ كُلِّ خَاطِبٍ سِوَاهُ ،
جَاحِحًا عَلَى كُلِّ رَاكِبٍ إِلَّا إِيَّاهُ ؛ فَاقْتَرَأَ اللَّهُ عَيْنَ الْمَمْلُوكِ بِذَلِكَ لِصِدْقِ ظَنِّهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ
مَا أَصَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْمَتَرَلَةِ الْمُنِيفَةِ ، وَالرُّتْبَةِ الشَّرِيفَةِ ؛ مَدْرَجَةً تُفْضِي
إِلَى مَدَارِجَ ، وَمَعْرَجَةً تَنْتَهِي إِلَى مَعَارِجَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ مَعَالِيَهُ عُلُوءًا ، وَيُضَاعِفُ
مَحَلَّهُ سُمُوءًا ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه - وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ نَبَأُ الْمَوْهَبَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ لَدَيْهِ ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْتَبِغَةِ
عَلَيْهِ ؛ وَمَا أَخْتَصَّ بِهِ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ وَالْإِيثَارِ ، وَالْأَجْتِنَاءِ وَالْإِخْتِيَارِ ؛
وَتَقْدِيمِهِ لِلرُّتْبَةِ الْأَنْبَرِ ، وَالْإِنَافَةِ إِلَى الْمَتَرَلَةِ الْخَطِيرَةِ ؛ فَسَرَّ الْمَمْلُوكُ لِلرِّيَاسَةِ إِذَا أَحْلَاهَا
اللَّهُ تَعَالَى فِي مَحَلِّهَا ، وَأَنْزَلَهَا عَلَى أَهْلِهَا ؛ وَوَصَلَهَا بِكُفِّهَا وَكَافِيهَا ، وَسَلَّمَ قَوْسَهَا إِلَى رَامِيهَا ؛
وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ أَوَّلَ مِرْقَاةٍ مِنْ مَرَاقِي الْأَمَالِ ، وَمَكِينِ الرُّتَبِ الَّتِي يَقْرَعُهَا
مِنْ رُتَبِ الْجَلَالِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

أدام الله أنصاره، وجعل التقوى شعاره؛ وألبسه من الحماد أكرم حله، وتوَّله من المكارم أحمد خله؛ ولا زالت الخلع تتشرف إذا أفيضت عليه، والمدائح تُستطاب بذكره لاسمياً إذا أُثِّدت بين يديه .

الخدام يُنهي إلى علم المولى أنه اتصل به خبر أهدى إليه سُروراً، ومنحه بهجةً وجُوراً : وهو ما أنعم به المولى السلطان خلد الله سلطانه، وضاعف إحسانه : من تشريفه بخلعته ، وما أسبغه عليه من وارف ظله ووافر نعمته ، وأبداه من عنايته بالمولى ومحبتته ؛ وقد حصل له من المسرة ما أجذله ، وبسط في مضاعفة سعد المولى أمله ؛ فإنه بلغه أن هذه الخالعة كالرياض في نضارتها ، وحسن بهجتها ؛ وأنها كلما برقت برق لها البصر، وظنَّها لحسنها حديقةً وقد حدَّق إليها النظر ؛ وقد جمعت ألوان الأزهار، وأزرى ناصجها في اللطف على نسمة الأسحار ؛ وأسكنت حبها حبات القلوب التي في الصدور، وسمت عن المدح برائق المنظوم وفائق المنثور ؛ وأن ابن سليمان لو رآها، لاعترف بأن في لبسها لكل قبيح شرفاً لاريب فيه، ونسب البيت المنسوب إليه إلى أعاديه ؛ وأنه لو نظر نظرة نضارها لما جعل لها في الحسن نظيراً، ولو ألقاها على وجهه لأرتد لوقت بصيرا ؛ فلذلك أصدر هذه الخدمة مهنية، ومُعربة عما حصل له من الفرح ومنية ؛ ولجيد مدحه العاطل من مثل هذه الألفاظ تحليه ؛ توَّله الله في كل يوم مسرةً وبُشرى، وأجرى له على الألسن حمداً وشكراً ؛ وجعله لكل خير أهلاً، وشكره تفضلاً شاملاً وقضلاً ؛ ومتَّعه من العافية بلباس لا يلى ؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني - التهئة برضا السلطان بعد غضبه .

من ذلك :

وتُنهى أنه أتصل بى ماجدده الله تعالى لمولاي - أطال الله بقاءه - من حسن عاطفة مولانا أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - وأنعطافه عليه بعد أنصرافه به وإعادته إلى رتبته التي نشرته عنه دلالة ملالا، وهجرته هجر المستصلح المستعيب ، لا هجر العالي المتجنب ؛ وكيف تفلاه ، وهي لا تجد لها كفؤاً سواه ؛ ولتوقع المملوك بما وقع من هذه الحال ، وعلمه أن عودها إليه كعودة المودع [إلى مودعه ،] لا عودة المتجع إلى مربعه ؛ وأن الذي وقع من الانحراف إصلاح باديته تهذيب وتقويم ، وخافيه توقير وتعظيم : لما في عتاب أمير المؤمنين من شرف الرتبة ، والدلالة على استقرار الأثرة والقربة ؛ وحلولة محل الصقال ، من أبيض النصال ، والثفاف من العسال ؛ ولا سيما رياسته محفوظة ، وسيادته ملحوظة ؛ وهيئته في النفوس ماثلة ، وجلالته في القلوب حاصلة ؛ ولم ير المملوك أجلاً موهبةً من الله سبحانه من شكر يسترهن هذه النعمة ويخلدها ، وحمد يرتبطها ويقيدها ؛ ورغبت إلى الله سبحانه أن يجعل هذا العز الحادث لا ينشأ لا يتحول ، والسعد الطارف ما كان لا ينتقل ؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

وينهى أن من عادة الزمان أن يكف صحابه ثم يكف ، ويرف نبائه ثم يحيف ؛ ويدر حله ثم ينقطع ، ويقبل خيره ثم يرتجع ؛ إلا أنه إذا سلب النعمة من يستوجب إمرارها عليه ، وأترع الموهبة من يستحق استمرارها لديه ؛

(١) لعل الواو زائدة ويكون متعلق باللام في قوله « ولتوقع » الخ تأمل .

كَانَ كَالْغَالِطِ الَّذِي يُرَاجِعُ نَفْسَهُ فَيَنْدُمُ عَلَى مَا فَرَطَ ، وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الْغَلَطَ ؛
مُعْقِبًا نُبُوتَهُ بِإِنَانِيَّتِهِ ، مُتَعَقِّبًا هَفْوَتَهُ بِاسْتِقَالَتِهِ ؛ مَاحِيًا إِسَاءَتَهُ بِرَأْبِ مَا نَلِمَ ، وَأَسْوِ مَا كَلَّمَ ؛
وإِصْلَاحَ مَا أَفْسَدَ ، وَتَأْلِيفَ مَا شَرَّدَ . فَلَا جَرَمَ أَنَّ النُّفُوسَ بِإِقْبَالِهِ عَلَى مَنْ هَذِهِ
صِفَتُهُ وَائِقِهِ ، وَالْأَمَالَ لِإِنْصِرَافِهِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صُورَتُهُ مُتَحَقِّقَةً ؛ وَإِذَا سَلَهَا هَرَوَلُ
فِي إِيدَاعِهَا لَدَيْهِ ، وَأَخَذَ [فِي] إِفَاضَتِهَا عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ الْمَمْلُوكُ - مُدَّ عَامِلَ الزَّمَانُ مُوَلَانَا
بُسُوءِ أَدَبِهِ ، وَنَأَى عَنْهُ بِجَانِيَّتِهِ ؛ وَقَبَضَ بِنَانِهِ ، وَغَيَّرَ عَلَيْهِ سُلْطَانَهُ - عَارِفًا أَنَّ هَذِهِ الْفَعْلَةَ
فَلْتَةٌ مِنْ فَلَاتِهِ الَّتِي يَتَوَقَّى شَرَّهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى مِثْلِهَا ؛ وَأَنَّ الْإِسْتِئْصَارَ ، يَقُودُهُ
إِلَى الْإِعْتِدَارِ ، وَالْإِضْطِرَّارِ ، يَحْدُوهُ عَلَى رَدِّ مَا أَنْتَرَعَهُ بِالْإِجْبَارِ : لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مِنْ يُجَلُّ
مَحَلَّ مُوَلَانَا فِي آرْتِبَاطِهِ بِإِنْسَانِهِ ، وَتَعَهُدِهِ بِسُقَى أَغْرَاسِهِ ؛ وَقِيَامِهِ بِشُكْرِهِ ، وَتَرْكِتِهِ بِرِهِ -
مُتَوَقِّعًا لِأَن تَنْقِطَ عَيْنُهُ ، وَيَنْكَشِفَ رَيْتُهُ ؛ فَيَرَى مَا صَنَعَتْ يَدَاهُ ، وَيَبَادِرُ لِاسْتِقَالَةِ
مَاجِنَاهُ ؛ حَتَّى طَرُقَ الْبَشِيرُ بِمَا سَهَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْحِسَارِ الْكُرْبَةِ ، وَعَوْدِ مُوَلَانَا إِلَى
شَرَفِ الرَّتْبَةِ ؛ وَصَلَاحِ مَا فُسِدَ ، وَعَوْدِ السُّلْطَانِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ إِلَى مَا عَهْدَ ؛ وَرُكُونِهِ
إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَأَنْقِلَابِهِ عَنْهُ رَافِلًا فِي تَشْرِيفِهِ وَمَكْرَمَتِهِ ؛ فَكَانَ مَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكِ فِيهِ هِلَالًا
فِي السَّرَارِ فَاهْلًا ، وَجَنِينًا فِي الْحَشَا فَاسْتَهْلًا ؛ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَمْلُوكِ مِنَ السُّرُورِ مَا عَمَّ
جَوَارِحَهُ ، وَعَمَّرَ جَوَانِحَهُ ؛ وَأَطَارَ بِجَنَاحِ الْمَرْحِ ، وَالْبَسَ حُلَّةَ الْفَرَحِ ؛ إِذْ مَا جَدَّدَهُ
اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ يُحَلُّ بِهِ فِي الْعُمُومِ ، مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُومِ ؛ لِأَنَّهُ حَرَسَ اللَّهُ
عِزَّهُ لَا يَسْتَأْثِرُ بِعَوَافِرِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، وَلَا يَكْرَهُ عَلَى عَطَايَاهُ يَدَهُ ؛ بَلْ يَمْنَحُ مِمَّا مُنِحَ ؛
وَيُؤَلِّى مِمَّا تَوَلَّى ، وَلَا يَضُنُّ بِمَالٍ وَلَا جَاهٍ ، وَلَا يَقْعُدُ عَمَّنْ أَمَلَهُ وَرَجَاهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَجْعَلُ ذَلِكَ مِمَّا أَقْرَبَهُ الْعُيُونُ ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظُّنُونُ ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَهُ الْإَيَّامَ وَلَا تُبْلِيهِ ،
وَلَا تَزْوِيهِ الْحَوَادِثُ وَلَا تَوَثِّرُ فِيهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصف الثالث — التهئة بالخلاص من الاعتقال .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جَدَّدَ اللهُ سَعْدَهُ ، وَضَاعَفَ جَدَّهُ ، وَأَنْجَحَ قَصْدَهُ ، وَأَعَذَّبَ مِنْهَلَهُ وَوَرَدَهُ ؛ وَلَا أَنْفَكْتَ الْيَوْمَ زَاهِيَةً بَقَائِهِ ، وَالْأَنْفُسَ مَسْرُورَةً بِإِرْتِقَائِهِ إِلَى رُتَبِ عِلْيَانِهِ . أَصْدَرَهَا تَفْصِيحٌ عَنْ شَوْقٍ يَعْجِزُ عَنْ سَوْفِهِ الْجَنَانُ ، وَيَقْصُرُ عَنْ طُولِهِ اللِّسَانُ ؛ وَسُرُورٍ تَزِيدُ حَتَّى أَبْكَاهُ ، وَلَا عَجَبَ بِمَشَاهِدَةِ طَلْعَتِهِ السَّعِيدَةِ أَغْرَاهُ ؛ وَتُهْنِيهِ بِمَا جَدَّدَ اللهُ لَهُ بَعْدَ الْأَعْتِقَالِ مِنَ الْفَرَجِ وَالْفَرَحِ ، وَمَنْ بِهِ بَعْدَ ضَيْقِ الْخَوَاطِرِ مِنَ الْإِتْبَاهِجِ وَالْمَرْحِ ؛ فَهَذِهِ الْمَسْرُورَةُ مَاءٌ زَلَّالٌ بَرَدَ بِهَا الْأَوَّامُ ، وَإِنْعَامٌ عَامٌ ، حَمِدَ اللهُ عَلَيْهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَوَّضَهُ عَنْ مَاتَمِّ الْحُزْنِ بِمَاتَمِّ مِنَ السُّرُورِ ، وَ[عَنْ] الْهَمِّ الْمَانِعِ عَنِ الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ بِإِنْشِرَاحِ الصُّدُورِ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ شَعَفَهَا حُبُّهُ وَشَغَفَهَا ، وَضَاعَفَ لَتَعْوِيْقِهِ أَسَاَهَا وَأَسْقَهَا ؛ بِحَيْثُ أَعْتَرَى الْمَنَاطِقَ قَلْقٌ وَعَلَاهَا أَصْفِرَارٌ ، وَعُطِّلَتْ يَدُ كُلِّ غَانِيَةٍ مِنَ الْحُلِيِّ فَمَا ضَمَّتْهَا قُلُوبٌ وَلَا سِوَارٌ ؛ وَلَيْسَ الْخُطْبَاءُ حَزَنًا وَالْإِسْتِئْثَاءُ الْحَايِرُ ، وَكَادَتْ لَغَيْبَتُهُ وَفَقْدَ اسْمِهِ تَنْدُبُهُ الْجَوَامِعُ وَتَبْكِيهِ الْمَنَابِرُ ؛ خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ ، وَسَهَّلَ لَهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

الأجوبة عن التهئة بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبة هذه الرِّقَاعِ مُودَعَةً مِنَ الشَّاءِ عَلَى الْمَهْنَى - لِحَافِظَتِهِ عَلَى رُسُومِ الْمَوَدَّةِ وَقِيَامِهِ بِشُرُوطِ الْخُلَّةِ - مَا تَقْتَضِيهِ رَتَبَتُهُ وَرُتَبَةُ الْحَبِيبِ ، وَأَنَّهُ مُشَارِكٌ لَهُ فِي مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ ، مُفَاوِضٌ فِي حَدِيثِ الْمَسْرُورَةِ ؛ وَالتَّيْمُنُ بِالْإِعْدَاءِ ، وَنَحْوُ هَذَا مَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ عِنْدَ الْمُبْتَدِئِ بِالْهِنَاءِ ؛ وَيَضَعُهُ بِحَيْثُ وَضَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِمَنْ كَاتَبَهُ .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع : [جواب] هناء بخلعة :

أدام الله علاءه ، وشكر آلاءه ، وضاعف سناءه ؛ وحيد منته التي أنقلت لكل
معتف ظهراً وخففت همّاً ، وأنالت لكل ولي نصيماً من عوارفها وقسماً . المملوك
ينهى إلى العلم الكريم ورود المكتبة التي كسنتها يده حلة جمال ، والبستها ثوب
إفضال ؛ وأعدتها بكرمها ، وحسنت وجهها بلسان قلبها ؛ فأمطرته سحب جود
أربى على السحاب الهتون ، وأوقفته منها على ألفاظ كأمثال اللؤلؤ المكنون ؛ فاجتنى
ثمّار الفضائل من أغصانها ، واجتلى عروس محاسنها وإحسانها ؛ وفيهم ما أشار إليه
من التهنئة بالخلعة التي أنعم المولى بها على خادمه وتصدق ، وحقّق الأمل في مكارمه
وصدّق ، وإنعامه خلّد الله دولته ، وأعزّ نصرته ، قد كثر حتى أنجمه ، وميزه على
كثير من ممالك بيته العالی وفضله ؛ وأناله من المنزلة ما سماها على أمثاله ، ورقى بها
بعد رقة حاله ؛ فأنه يخلّد سلطانه ، ويثبت بالسعادة أركانه ؛ وهذا بسعادة مولانا
ومساعدته ، ومعاونته ومعاضدته : فإنه كان السبب في الاتّصال ببابه أولاً وآخرًا ،
ومن أغاثه بذلك وأعانه عليه باطنًا وظاهرًا .

وكل خير توخّاني الزمان به * فانت باعشه لي او مسبيه

الضرب الثالث

(من التهانى التهئة بالعود من الحج)

وهذه نسخ من ذلك يُنسخ على منوالها .

ومن ذلك :

ويُنهى أنه طرّق المملوكَ البشيرُ بعود مولانا - أطال الله بقاءه - من مقام
الطائفين ، إلى مقام المعتفين ؛ وأوتيه من كعبة الإحرام ، إلى كعبة الإكرام ؛
وتثقله من موقف الحجّاج ، إلى موقف المحتاج ؛ وحلّوله بمنزله الذى هو قبلة ذوى
الآمال ، ومحطّ الرّحال ؛ بالسّعى المشكور ، والحجّ المبرور ؛ والنسك المقبول ،
والأجر المكتوب ؛ فحمدتُ الله تعالى على موهبته ، وسألته زيادته من مكرمته ؛
وأسْتَجَحْتُ هذه المكتبة أمام ما أرومّه من مشاهدته ، وأرجوه من الاستسعاد
بملاحظته ؛ وبرد أوار الشوق بمحاضرته ، ومجدّدًا عهود التّيمّن بمبايسته ؛ فإنّ آقتضى
رأيه العالى أن يُعرّف المملوكَ جملةً من خبره فى بدّنه وعوده ؛ ومنقلبه ومتوجّهه ؛
وما تفضّل الله تعالى به من أمانٍ سبيله ، وهداية دليله ؛ وتخفيف وعناء سفره ،
وتسهيل وطّره : لأسكن إلى ذلك إلى حين التّمثّل بنظّره ، فله الفضل فى ذلك .
والله تعالى يبلغه سؤله ، ويوصله مراده ومأمّوله ؛ بمنّه وكرمه .

ومن ذلك :

ويُنهى أنّ مولانا لا يزال حاجًّا إلى كعبة الحرم ، أو كعبة الكرم ؛ وطائفًا بشعائر
الوفود ، أو بشعائر الجود ؛ وواقفًا بموقف الاستفتاح ، أو موقف السماح ؛ وناحر
البُدنِ مِنّى ، أو نائر البدر للئى ؛ فلا يرتفع فى حاي من الأحوال برّه ، ولا ينقطع عن الله

تعالى ذكُّره ؛ وَمَنْ كَانَ بِهِذِهِ الْمَثَابَةُ ، فِي إِحْرَازِ الْأَجْرِ وَالْإِنَابَةِ ؛ فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ تَعْمَرَ
بِالْتَّهَنَةِ أَوْقَاتُهُ وَأَزْمَانُهُ ، كَمَا عَمَرَهَا سَعْيُهُ وَإِحْسَانُهُ ؛ وَقَدْ عَرَفَ الْمَمْلُوكُ أَنْكَفَاءَهُ
- أَدَامَ اللَّهُ عَلْوَهُ - عَنْ مَقَامِ الطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ ، إِلَى مَقَامِ الْقَاصِدِينَ وَالْمُعْتَفِينَ ،
وَعُودَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ ؛ بَعْدَ قَضَائِهِ فَرِيضَةَ السَّعْيِ الْمَشْكُورِ ؛ فَعَدَلْتُ فِي مَخَاطَبَتِهِ
عَنِ الْهِنَاءِ إِلَى الدَّعَاءِ بِأَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى نُسْكَهَ وَيَثْقَلَ مِيزَانُهُ ، وَيُطْلِقَ فِي حَلْبَةِ
الْخَيْرَاتِ عَنَانَهُ ؛ وَيُحْيِيَهُ لِأَجْرِ يُخْرِزُهُ ، وَثَوَابٍ يَكْتَرُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِيبُ ذَلِكَ فِيهِ ،
وَيُرِيهِ فِي نَفْسِهِ وَأَحِبَّتَهُ مَا يَرْضِيهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ :

وَتُنْهِى أَنَّهُ قَدْ طَرَقَنِي الْبَشِيرُ بِأَنْكَفَاءِ مَوْلَانَا إِلَى مَقَرِّ عِلَّائِهِ ، وَأَنْفِصَالِهِ عَنْ مَلَاذِ
النُّسَاكِ وَالْعُبَادِ ، إِلَى مَعَاذِ الزُّوَارِ وَالْقُصَادِ ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّ ذَلِكَ النِّسِيمَ الْعَلِيلَ مِنْ تِلْقَائِهِ ،
وَذَلِكَ النُّورَ الصَّادِعَ مِنْ آلَائِهِ ؛ وَذَلِكَ الْإِقْتِرَارَ مِنْ أَسْرَتِهِ وَخَيَالِهِ ، وَتِلْكَ الْعُدُوبَةَ
مِنْ شِمَائِهِ وَشَمَائِلِهِ ؛ فَكَادَ الْمَمْلُوكُ يَطِيرُ - لَوْ طَارَ قَبْلِي غَيْرُ ذِي مَطَارٍ - فَرَحًا ، وَأُخْرِقُ
الْأَرْضَ وَأَبْلُغُ الْجِبَالَ لَوْ أُمِكنَ ذَلِكَ مَرَحًا ؛ وَأَنْفَتَحَ قَلْبِي حَتَّى كَادَتْ مَهْجَتُهُ تَفِيضُ
سُرُورًا ، وَطَاشَ حِلْمِي حَتَّى تَفَرَّقَ مَجْمُوعُهُ بِهَجَّةٍ وَحُبُورًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ نِعْمَهُ
مَوْصُولَةً الْجَبَلِ ، بِمَجْمُوعَةِ الشَّمْلِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْغَاءُ :

جَعَلَ اللَّهُ سَعْيَكَ مَشْكُورًا ، وَحُجَّكَ مَبْرُورًا ؛ وَنُسْكَكَ مَقْبُولًا ، وَأَجْرَكَ مَكْتُوبًا ؛
وَأَجَزَلَ مِنَ الْمُثُوبَةِ جَزَاءَكَ ، وَمِنْ عَاجِلِ الْأَجْرِ وَآجِلِهِ عَطَاءَكَ ؛ وَقَرْنَ بِالطَّاعَاتِ عَزَمَاتِكَ ،
وَبِالسَّعْيِ إِلَى الْخَيْرِ نَهَضَاتِكَ ؛ وَوَفَّقَكَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَزَكَاةِ الْأَفْعَالِ ، لِمَا يَجْمَعُ
كُلَّ خَيْرِ الدَّارَيْنِ . وَلَمَّا طَرَقَنِي الْبَشَارَةُ بِقُدُومِكَ ، بَدَأْتُ بِإِهْدَاءِ الدَّعَاءِ ، وَتَجْدِيدِ

الشكر لله تعالى والثناء ؛ وأستبنتُ في ذلك المكاتبه ، أمامَ ما أنا [عازم] عليه : من المشافهة والمخاطبة ؛ ولئن أتأخر عن حظي من المسير إليك للتيمن بالنظر إلى غُرَّتِكَ ، ومداداة ما عانيتُه من ألم الشوق بمشاهدتك .

الضرب الرابع

(من التهانى ، التهنته بالقُدوم من السفر)

من كلام المتقدمين :

على بن خلف :

ويُنهى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ خَبْرٌ تَوَجَّهَ^(١) إِلَى الناحية الفلانية ، فعَرَفَ الْمَمْلُوكُ أَنَّهُ قَصَدَهَا لِيُخَصَّ قَاطِنُهَا ، بِنَصِيبٍ مِنْ مَوَاهِبِهِ ؛ وَفِيضَ عَلَى سَاكِنِهَا ، بِسَجَالٍ مِنْ رَغَائِبِهِ ؛ وَيَسَوَّى بَيْنَهُمْ وَيُنْ مِنْ رَأْشِهِ بِجَبَانِهِ ، وَجَبْرَهُ بِنَوَافِلِهِ وَأَلَانِهِ ؛ فَسَأَلَتْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُطِيلَ عُمُرَ الْمَكَارِمِ بِإِطَالَةِ بَقَائِهِ ، وَيَجْعَلَ شَمْلَ السُّودَدِ بِدَوَامِ عِلَاقَتِهِ ؛ ثُمَّ اتَّصَلَ بِى عَوْدُهُ إِلَى مَقَرِّهِ ، خَفِيفَ الْحَقَائِبِ مِنْ وَفَرِهِ ، ثَقِيلَهَا مِنْ ثَنَائِهِ وَشُكْرِهِ ؛ فَعَمِدَ الْمَمْلُوكُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى إِسْفَارِ سَفَرِهِ عَنْ بُلُوغِ الْأَوْطَارِ ، وَأَنْخَسَارِ أَمْنِيَّتِهِ عَنْ أَذْيَالِ الْمَسَارِ ؛ وَمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ السَّيْرِ الشَّحِيجِ ، وَالسَّعَى النَّجِيجِ ؛ وَالسَّلَامَةِ الْمَفْرُوقَةِ عَلَى الْوَجْهِهِ وَالْمُنْقَلَبِ ، وَالْمَفْتَحِ وَالْمَعْتَقَبِ ؛ وَلَمَّا عَرَضَ لِلْمَمْلُوكِ مَاقَطَعُهُ عَنْ مُشَافَهَتِهِ بِالْإِدْعَاءِ ، رَفَعَ يَدَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ضَارِعًا لَدَيْهِ أَنْ يَتَوَلَّاهُ فِي هَذَا الْمَقْدَمِ الْمِيسُومِ ، بِالسَّعْدِ الْمَضْمُونِ ؛ وَإِنَالَةِ الْأَمَانِ الْمَقَرَّةِ لِلْعُيُونِ ؛ وَأَنْ يَمْنَحَهُ فِي الْحِلِّ وَالْتِرْحَالِ ، وَالْقَطْنِ وَالْإِتِّقَالِ^(٢) ، تَوْفِيقًا يَقَارِنُ وَيُصَاحِبُ ، وَيُسَايِرُ وَيُوَاكِبُ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا خَوَّلَهُ مِنْ نِعْمَةٍ رَاهِنًا خَالِدًا ، وَمَا أَوْلَاهُ مِنْ مَوَاهِبِهِ بَادِيًا عَائِدًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فى الأصل وجهته وهو تصحيف إذ الوجهة الناحية والجهة وهو غير مراد كما لا يخفى .

(٢) مصدر قطن فى كتب اللغة التى بأيدىنا على قول لا على فعل .

وله أيضا :

وَيُنْهِى أَنَّهُ طَلَعَ عَلَيْهِ الْبَشِيرُ ، طُلُوعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ ؛ مُؤْذِنًا بِمَقْدَمِ حَضْرَتِهِ ، وَمُعَلِّمًا
بِظُهُورِ طَلْعَتِهِ ؛ وَحُلُولِهِ فِي مَعَانِهِ الذِّى هُوَ مَعَانُ الْإِقْبَالِ ، وَعَوْنُ الرِّجَالِ ؛ وَقِرَارُهُ
الْأَقْيَالِ ، وَمَحْطُّ الرِّجَالِ ؛ وَقَبْلَةُ الْجُودِ ، وَمُعَرَّسُ الْوُفُودِ ؛ فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُقَيِّمَهُ
جَمَالًا لِلْأَيَّامِ ، وَثِمَالًا لِلْأَنَامِ ؛ وَعِمَادًا لِلْقُصَادِ ، وَمَرَادًا لِلرُّوَادِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِيهِ
فِي تَصَرُّفَاتِهِ ، وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكِّنَاتِهِ ؛ مِنْ سَعَى سَعِيدٍ ، وَعَيْشٍ رَغِيدٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .
أَبُو الْفَرَجِ الْبَغَّاءُ :

مَنْ كَانَتْ غَيْبَةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةً بِغَيْبَتِهِ ، وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مُوصُولَةً بِأَوْبَتِهِ ؛ سَافَرَتْ
الْأَنْفُسُ حَيْثُ كَانَ إِلَيْهِ ، وَقَدِمَتِ الْآمَالُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَالَتِ الْأَنْفُسُ
إِلَى الْأُمْنِيَّةِ بِقُرْبِهِ مَطْلَعُهُ ، وَلَوُرُودُ السُّرُورِ بِوُرُودِهِ مَتَوَقِّعُهُ ؛ إِلَى أَنْ أُنِسْتُ بَعْدَ
الْوَحْشَةِ بِإِقَائِهِ ، وَتَنَسَّيْتُ أَرْجَ مَنْنِهِ وَنِعْمَانِهِ ؛ فَوَصَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، بِأَضْعَافِ
مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَهُ مِنَ السَّلَامَةِ ؛ بِمَحْرُوسًا مِنْ طَوَارِقِ الْغَيْرِ ، مَبْلَغًا أَبْعَدَ الْعُمُرِ .
وله في مثله :

مَنْ كَانَتْ مَادَّةُ سُرُورِهِ ، بِمَغْيِيهِ وَحُضُورِهِ ؛ لَمْ يَجِدْ مَعَ بُعْدِكَ مُؤْنِسًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ ،
وَلَا عِوَضًا يَعُولُ فِي السَّلَوةِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَلَّتْ أَيَّامُ غَيْبَتِكَ - لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكَ -
بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا ، وَبِالشَّوْقِ إِلَيْكَ مُجَالِسًا ؛ الْأَقِيكَ بِالْفِكْرِ ، وَأَشَاهِدُكَ بِاتِّصَالِ الذِّكْرِ ؛
إِلَى أَنْ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَوْبَتِكَ بِمَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَجَلَّتْ لَدَى مَعِهِ الْمَوْهَبَةُ ؛
فَوَصَلَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ نَهْضَاتِكَ ، وَبِالسَّعَادَةِ حَرَكَاتِكَ ، وَبِالتَّوْفِيقِ آرَاءَكَ وَعَزَمَاتِكَ ؛
وَحَرَسَنِي بِبَقَائِكَ وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَهَنَانِي النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ بِقُرْبِكَ .

وله في مثله :

مَنْ كُنْتَ نِهَایَةً أَمْنِيَّتِهِ ، وَقُطِبَ مَسَرَّتِهِ ؛ كَانَ مِنْ نَفْسِهِ مَسْتَوْحِشًا مَعَ بَعْدِكَ ،
وَبَدَّهِرَهُ مَسْتَأْنَسًا مَعَ قُرْبِكَ ؛ وَمَا زِلْتُ مَعَكَ بِالنِّيَّةِ مُسَافِرًا ، وَبِالشَّوْقِ سَافِرًا ؛
وَبِالْفِكْرِ مَلَاقِيَا ، وَبِالْأَمَانِيِّ مُنَاجِيَا ؛ إِلَى أَنْ جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَ سُورِي بِأَوْتِكَ ،
وَسَكَنَ نَافِرَ قَلْبِي بِعَوْدَتِكَ ؛ عَلَى الْحَالِ السَّاتِرَةِ مِنْ كَمَالِ السَّلَامَةِ ، وَوُفُورِ الْكُلْفَةِ ؛
فَأَسْعَدَكَ اللَّهُ بِمَقْدَمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ بِهَا مِنَ الزَّمَانِ مُحْرُوسًا ، وَلِلْإِقْبَالِ مُقَابِلًا ،
وَبِالْأَمَانِيِّ ظَافِرًا ؛ وَلَا أَوْحِشُ اللَّهَ مِنْكَ أَوْطَانَ الْفَضْلِ ، وَعَضَّدُ إِخْوَانَكَ بِبَقَائِكَ
وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَ الْقَلْبُ يَجِدُ عَنْكَ مُنْصَرَفًا ، أَوْ يَرَى مِنْكَ فِي آكِنَسَابِ الْمَسَرَّةِ خَلْفًا ؛
لَاسْتَرَاحَ إِلَيْهِ مِنْ أَلَمِ بَعْدِكَ ، وَاسْتَنْجَدَهُ عَلَى مَرَارَةِ فِرَاقِكَ ؛ لِكِنَّكَ أَيْدِكَ اللَّهُ جَمْلَةً
مَسَرَّتِهِ ، وَنِهَایَةً أَمْنِيَّتِهِ ، فَلَيْسَ نَتَوَجَّهَ أَمَانِيَّتُهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَقِفُ آمَالُهُ إِلَّا عَلَيْكَ ؛
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْرَبَ بَقِيَّتَكَ أَعْيَنَ إِخْوَانِكَ وَأَوْدَّكَ ؛ وَافَاكَ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَوْتِكَ
أَضْعَافَ مَا أَكْتَفَيْتَكَ مِنَ الْكِفَايَةِ فِي ظَنِّكَ .

ابن أبي الخصال :

سَرَّ اللَّهُ مَوْلَايَ وَرَئِيسِي ، وَرَبَّ تَشْرِيفِي وَأَنْيَسِي ؛ بِلِقَاءِ الْأَحْبَابِ ، وَاتِّصَالِ
الْأَسْبَابِ ، وَأَوْبَةِ الْغِيَابِ ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَتَصَنَّعُ لِإِقْبَالِهِ ، وَتُقَبَّلُهُ أَوْجُهُ الْعِزِّ
فِي أَقْبَالِهِ ؛ وَتُوفِيهِ عَلَى رَغْمِ الْحَاسِدِ حَقَّ جَلَالِهِ .

البُشَيْرِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ أَعْتَازَهُ - بِمَقْدَمِ الْوَزِيرِ فُلَانٍ قَدْ أَوْضَعْتَ رِكَابَهَا ، وَاتَّصَلَ
بِالنَّفُوسِ أَعْلَاقُهَا وَأَسْبَابُهَا ؛ فَهَنِيئًا مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ بِسُبُوغِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْمِنْحَةِ

الجزيلة ؛ ولا أستوفى شكر ما به أتى مُعَظَّم قَدْرِهِ ، وَلَمْ تَرَمْ بِهِ ؛ من ثناء كَعْرِفَ الطيب
يَهْدِي ، وَمَذْهَبٌ فِي الْإِنْهَاضِ لَا يُقْضَى وَاجِبُهُ وَلَا يُوَدَّى ؛ وَلَا زَالَتْ حَيَاةُ مَوْلَايَ
تُفَدَّى ، وَأَفْعَالُ بِهِ تَتَعَدَّى ؛ وَقَدْ لَمْتُ مَوَاقِعَ أَنَامِلِهِ وَدًّا ، وَوَرَدْتُ مِنْ مَحَاسِنِ بَيَانِهِ
مَنْهَلًا عَذْبًا [وَوَرَدَا] فَامْتَعِنِي اللَّهُ بِحَيَاتِهِ الْعَزِيزَةِ الْإِيَّامَ ، الطَّيِّبَةِ الْإِلْمَامَ ، الْمَوْصُولَةِ
الْعَهْدِ وَالذَّمَامَ ؛ وَأَقْرَأُ عَلَى سَيْدِي مِنْ سَلَامِي مَا يَلِيْمُ يَدِهِ ، وَيَقْضِي حَقَّ الْيَرَاعِ [الَّذِي]
أُنْشَأَ بِهِ الْبَرُّ وَوَلَدَهُ ، وَالسَّلَامُ الْمَعَادُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِّهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَةَ عَنْ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى الْقَاضِي عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ
كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ ، بِالْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ ، عِنْدَ عَوْدِهِ مِنَ الْكَرَّكِ
إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِينَ ، مَهْنً ثَالِثَةً بَعْدَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ
بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَأَسْتَقْرَارَهُ وَعَوْدِهِ إِلَى كِتَابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ
السلطانية ، وَهِيَ :

تَقَبَّلَ الْبَاسِطَةُ الشَّرِيفَةُ - إِلَى آتَمِ الْأَقْلَابِ - لِأَزَالَتْ خَنَاصِرُ الْحَمْدِ عَلَى فَضْلِ بَنَانِهَا
مَعْقُودَةً ، وَمَا تَرَى الْبَاسَ وَالكَرَمَ لَهَا وَمِنْهَا شَاهِدَةٌ وَمَشْهُودَةٌ ، وَبَوَاتِرُ السُّيُوفِ مَسِيرَةٌ
الْقَصْدِ إِلَى مُنَاطَرَةِ أَقْلَامِهَا الْمُقْصُودَةِ ؛ تَقْبِيلًا يُوَدُّ لَوْ شَافَهُ بِشَفَاهِهِ مَوْرِدَ الْجُودِ مِنْ
الْأَنَامِلِ ، وَكَأَثَرِ بَغْرِهِ عِنْدَ الْمُثُولِ لِلتَّقْيِيلِ تُغَوِّرُ الْأَمَائِلَ ؛ فَكَانَ يُشَافُهُ بِسَوْقِهِ مَوْرِدَا
كَثِيرِ الزَّحَامِ ، وَكَانَ يُكَاثِرُ بِعَقْدِ قُبْلِهِ عَلَى يَدِ الْفَضْلِ عُقُودًا جَزِيلَةً الْإِسْتِظَامِ ، وَكَانَ
يُجَاكِمُ جَوْرَ الضَّمِيمِ إِلَى مَنْ أَبَى اللَّهُ لِحَارِ مَشَاهِدَتِهِ أَنْ يُضَامَ . وَيُنْهَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ
وَالِى الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الشُّرُورِ ، وَمَا رُفِعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِسْتِجَابِ مِنَ الشُّرُورِ ، وَمَا طُوْلِعَ
فِي أَخْبَارِ الْمَسْرَةِ مِنَ السُّطُورِ ؛ بِوُصُولِ مَوْلَانَا وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مَسَاكِنِ الْعِزِّ سَاكِنِينَ ،
وَدُخُولِهِمْ كُدُخُولِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ آمِينَ ؛ وَأَسْتَقْرَارَهُ

في أشرف مكان ومكانه، واستنصار مصر بأقلامه على العادة فإن هذه سهام وهذه مكانه؛ وإسفار غمام السفرة عن كوكب علا طاماً حرس يمينه أفق الملك وهده وزانه؛ وما كانت إلا غيبة أحمد الله عقباها، وغاية بعد من الله عز وجل وجلاها؛ وفترة ثنى الله فترتها فتنفس خناق المنصب المشتاق لوجهه الكريم، وهجرة صرف الله هجيرها فسقى طرس الإنشاء الذي أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم؛ وما محاسن مولانا إلا زينة من زين الدنيا فليها يتشاكس المتشاكسون، وما مزاج كلماته إلا من تسنيم ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

فالحمد لله على أن أقر العيون بمعاودة ظلّه الوريث، وعلى أن شفى الصدور بقربه وأولها صدر السر الشريف؛ وعلى أن أجزل الهناء وقد شمل ظلّه، وقد بكل بابن الفضل فضله؛ وقد بهر سنأوه وسناه، وقد تسعّب القريب والبعيد فإن أجدى على مصر مورده فقد جادت على الشام سماء . وقد أخذ المملوك حظّه من هذه البشرى، ووالى السجود لله شكراً؛ وجّه خدمته هذه نائبة عنه في تقبيل بنان إن سمّاه مولى الكرم بحراً، فقد سمّاه مربى الملك برأ؛ لازالت الممالك متحفة بيمين مولانا طاعناً ومقيماً، متصفاً بحمده وحيد سلفه الكريم حديثاً وقديماً؛ تالية على مهمات الملل بصحبة بيته الشريف ﴿ وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في تهنئة بقدم من سفر :

أدام الله ظلّه، ورفع محله، وشكر إناعمه وفضله؛ وأعز أنصاره، وضاعف أفتداره؛ ولا زال مؤيداً في حركاته، مسدداً في سائر فعلاته؛ مصحوباً بالسلامة في المهامه والتفار، مخصوصاً من الله تعالى بالأعوان والأنصار .

المملوك يُنهي بعد تقبيل الأرض ، والقيام بما يجب من سُنة والقرض ؛ علمه
 بحلول ركابه العالی بمغناه ، واستقرار خاطره الشريف في محله ومثواه ؛ وجمع السمل
 بالأهل بعد طول الغيبة ، وبعد القول والآوبة ؛ فتضاعف لذلك فرحه وسروره ،
 وزال عن قلبه قليل الهم وكثيره ؛ فالله يمنح المولى أطيّب المنازل ، وأسّر الرّاحل ؛
 ويعمل تجارة مجده رابحه ، وأوامر دوام عزه لائحه ، حتى تُشيد نفسه الكريمة
 قول أبي الطيّب :

أنا من جميع الناس أطيّب منزلاً * وأسّر راحلةً وأزبح مَجَرّاً !
 لازالت الأعين قريّة برؤيته ، وقلوب الإخوان قازّة بمشاهدته ؛ والأوجهُ وسميه ،
 والنعم الظاعنة مُقيمه ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالقدوم من السفر

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرّقاع ينبغي أن تُبنى على الاعتراف للهنيء
 بحقّ تعهده ، وكرم تفقّده ، وإطلاعه على الحال في السّفر ، وما أفضت إليه من
 السلامة ، والتأسّف على ما تقضى من الأيام في مُباعدته ، والتخلّف عن مُبايسته ؛
 وأنه لم يزل يدّرع الإدلاج ، ويقطع الفجاج ؛ رغبة في القدوم إليه ، والوفادة عليه ؛
 وبلى الغلة برؤيته ، وترويح النفس بمحاضرته ؛ وما يليق بهذا التّمتّ من الكلام .

الضرب الخامس

(من التهنأت التهنئة بالشهور والمواسم والأعياد)

وهي على ثمانية أصناف :

الصنف الأول - التهنئة بأول العام وغرة السنة .

من كلام المتقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء أبي مسلم محمد بن بحر :

أسعد الله سيدي بعامه ، والفضل منه وما حوى من الأعياد والأيام الخطيرة
وسائر شهوره وأيامه ، ومتصرف أحواله ، وبما يأتي ويكر عليه من زمانه ؛ سعادة
تسوق إليه حظوظ الدين والدنيا كامله ، وتجمع له فوائد الأمدين تامة وإفيه ؛
وترتبن إليه النعم فلا تزال لديه زائدة ناميه ؛ وبلغه بها الأمل ، ومد له في البقاء
إلى أنفس المهل .

ولأبي الحسين بن سعد :

عظم الله على مولاي بركة الشهر والسنة المتجددين ، وهب له فيهما وفيما يتلوها
من أيام عمره ، وأزمان دهره ، سعادة تجمع له أشات الحظوظ ، وتصل لديه مواد
المزيد ، وتيسر له بلوغ الأمل في كل ما يطالع وينازع ، والأمن من كل ما يراقب
ويحاذر .

وله في مثله :

عظم الله على سيدي بركة الشهر والسنة ، وأعاشه لأمثالها مدة اختلاف الجديدين ،
وتجاوز الفرقدين ؛ ممتعا بالنعم السابغة ، والمواهب المتردفة ؛ والسعادة والغبطة ،
والعز والمسر .

وله في معناه :

جَدَّدَ اللهُ لِسَيِّدِي فِي الْأَيَّامِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الرَّاهِنَةِ وَالْمُنْتَقِلَةِ ؛
حُظُوظًا مِنَ السَّعَادَاتِ ، وَأَقْسَامًا مِنَ الْخَيْرَاتِ ؛ لَا يُحْصَى عَدْدُهَا ، وَلَا يَنْقَضِي
مَدُّهَا .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ [عَلَى مَوْلَايَ] بَرَكَةَ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ الْمُتَجَدِّدِينَ عَلَيْهِ ، وَعَرَّفَهُ فِيهِمَا
وَفِي الْأَيَّامِ بَعْدَهُمَا مِنْ حَادِثٍ صُنِعَ ، وَلَطِيفٍ كَفَّيْتَهُ ؛ مَا تَدُومُ فِيهِ السَّعَادَةُ ،
وَتَعْظُمُ بِهِ الْمِنَّةُ ، وَتَحْسُنُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَةَ هَذَا الشَّهْرِ : الْمَاضِي [مِنْ] أَيَّامِهِ وَبَاقِيهَا ، وَهَذِهِ
السَّنَةَ ، وَجَعَلَهَا أَيْمَنَ سَنَةٍ حَالَتْ عَلَيْهِ وَأَسْعَدَهَا .
وَمِنْهُ : وَيُنْهَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ يُهَيِّئَ غُرَّةَ الْأَيَّامِ ، بَغْرَةَ الْأَنَامِ ؛ وَصَدَرَ الْعَامَ ، بِصَدْرِ
الْكَرَامِ ؛ بَلْ يَهَيِّئِ الزَّمَنَ كُلَّهُ نَعَمَ وَأَهْلَهُ بِالْحَضْرَةِ الَّتِي وَاسَتْ الْمَعَالِي .

الصَّنِيفُ الثَّانِي - التَّهْنِئَةُ بِشَهْرِ رَمَضَانَ .

من كلام المتقدمين :

لَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سَعْدٍ :

جَمَعَ اللهُ لِمَوْلَايَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ شُرُوطَ آمَالِهِ وَأَحْكَامَ آمَالِيهِ ، فِي حَاضِرِ
أَمْرِهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَعَاجِلِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ؛ وَأَبْقَاهُ لِأَمَثَالِهِ بَقَاءً لَا يَتَنَاهَى أَمَدُهُ ، فِي ظِلِّ
عَيْشِ رِضَاهُ وَيَحْمَدُهُ .

وله في مثله :

عَرَّفَ الله سِيدي بِرَكَّةَ هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ وَأَعَاشَهُ لَأَمْثَالِهِ ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ ،
وَأَخْتَلَفَ الْعَصْرَانِ ؛ مَتَمِّعًا بِسَوَائِغِ النَّعَمِ ، مُحَرِّسًا مِنْ حَوَادِثِ الْغَيْرِ ، وَهُوَ قَفَا فِي شَهْرِهِ ،
وَأَزْمَانِ دَهْرِهِ ؛ لِأَزْكَى الْأَعْمَالِ ، وَأَرْضَى الْأَحْوَالِ ؛ وَمَقْبُولًا مِنْهُ مَا يُؤَدِّيهِ مِنْ فَرَضِهِ ،
وَيَتَنَقَّلُ بِهِ قُرْبَةً إِلَى رَبِّهِ .

وله في مثله :

عَرَّفَهُ اللهُ بِرَكَّةَ إِهْلَالِهِ ، وَأَبْقَاهُ طَوِيلًا لَأَمْثَالِهِ ؛ مَوْقِفًا فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ ،
وَمُرَاعَاةِ الْحَقِّ ، وَتَأْدِيَةِ الْفَرَضِ ؛ وَالتَّنَقُّلِ بِالرَّحْمَةِ ، وَاسْتِحْقَاقِ جَزِيلِ الْمَثُوبَةِ
عَلَيْهِ ؛ مَتَمِّعًا بَعْدَهُ بِسَيِّئِ الْمَوَاهِبِ ، وَجَسِيمِ الْفَوَائِدِ ؛ مَعَ اتِّصَالِ مُدَّةِ الْعُمُرِ ، وَاجْتِمَاعِ
أُمْنِيَّاتِ الْأَمَلِ .

وله في مثله :

عَرَّفَ اللهُ مَوْلَانَا بِرَكَّةَ هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ وَأَيَّامِهِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛
وَوَصَلَ لَكَ مَا يَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ ؛ وَتَابَ لَكَ الْمَزِيدَ مِنْ مَنَاحِهِ وَأَنْعَامِهِ ؛ وَخَتَمَ
لَكَ بِالسَّعَادَةِ الْعُظْمَى بَعْدَ الْإِبْتِقَالِ [فِي الْحِلَاءِ وَالرِّيَاسَةِ إِلَى] أَعْدَدِ الْمَدَى ؛ وَفِي الْعِزِّ
وَالثَّرْوَةِ إِلَى أَقْصَى الْمُنَى .

أبو الفرج البيهقي :

جَعَلَ اللهُ مَا أَظَلَّهُ مِنْ هَذَا الصِّيَامِ مَقْرُونًا بِأَفْضَلِ قَبُولِ ، مُؤَذِّنًا بِإِدْرَاكِ الْبُغْيَةِ وَنُجْحِ
الْمَأْمُولِ ؛ وَوَفَّقَهُ فِيهِ وَفِي سَائِرِ أَيَّامِهِ ، وَمُسْتَأْنِفِ شَهْرِهِ وَأَعْوَامِهِ ؛ لِأَشْرَفِ الْأَعْمَالِ
وَأَفْضَلِهَا ، وَأَزْكَى الْأَفْعَالِ وَأَكْمَلِهَا ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنْ رَمَرٍ رَفُوعٍ ، وَدَعَاءٍ مَسْمُوعٍ ؛
وَسَعَى مُشْكُورٍ ، وَأَمْرٍ مَبْرُورٍ ؛ إِلَى أَنْ يَقْطَعَ فِي أَجْلِ غِبْطَةٍ وَأَتَمَّ مَسْرَةٍ أَمْثَالَهُ .

وله في مثله :

عَرَّفَكَ اللهُ بِرَكَّةِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُعْظَمِ قَدْرَهُ ، الْمَشْرِفِ ذِكْرُهُ ، وَوَقَّفَكَ فِيهِ لِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ ، وَزَكَّى الْأَفْعَالَ ؛ وَقَابَلَ بِالْقَبُولِ صِيَامَكَ ، وَبَتَعْظِيمِ الْمُثُوبَةِ تَهَجُّدَكَ ، وَقِيَامَكَ ،
وَلَا أَخْلَاكَ فِي سَائِرِ مَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَيَلِيهِ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالذُّهُورِ ؛ مِنْ أَجْرِ
تَذَنُّعِهِ ، وَأَثَرِ تَشْكُرِهِ .

قلت : ومما كتبتُ به تهنئةً بالصوم للمَقَرِّ الْأَشْرَفِ النَّاصِرِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَارِزِيِّ
كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ الْمُؤَيَّدِيِّ بِالْمَمْلُوكِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ نَظْمًا :

أَيَا كَاتِبَ السَّرِّ الشَّرِيفِ وَمَنْ بِهِ * تَمَيَّسُ نَوَاحِي مِضْرَتِيهَا مَعَ الشَّامِ !
وَمَنْ جَلَّتِ الْجُلَى كَتَّابُ كُتُبِهِ ، * وَمَنْ نَابَ عَنْ وَقْعِ السُّيُوفِ بِأَقْلَامِ !
تَهَنِّ بِهَذَا الصَّوْمِ وَالْعِيدِ بَعْدَهُ ، * وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْعِيدِ وَالْعَامِ فَالْعَامِ !
وَتَرُقِّ رُقَى الشَّمْسِ فِي أَوْجِ سَعْدِهَا * وَتَبْقَى بَقَاءَ الدَّهْرِ فِي فَيْضِ إِنْعَامِ !

الصفحة الثالث — مَا يَصْلُحُ تَهْنِئَةً لِكُلِّ شَهْرٍ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ .

لَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سَعْدٍ :

عَظَّمَ اللهُ بَرَكَةَ إِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْنَالِهِ ، أَطْوَلَ الْمُدَّةِ ، مُمْتَعًا بِأَدْوَمِ النِّعْمَةِ ، وَمُسْتَفْعًا (؟)
بِأَفْضَلِ الْأَمَلِ وَالْأُمْنِيَّةِ .

وله : أَسْعَدَ اللهُ سَيِّدِي بِإِنْصِرَافِهِ وَإِهْلَالِ مَا بَعْدَهُ ، وَأَبْقَاهُ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُمْتَعًا
بِالْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ؛ مُحَرَّوسًا مِنَ الْآفَاتِ الْمُخَوِّفَةِ ، وَالْحَوَادِثِ الْمُخْذُورَةِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَةَ الْمَاضِيِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ [وَالْأَعْوَامِ]
وَالذُّهُورِ ، وَوَصَلَ لَهُ السَّعَادَةَ بِاتِّصَالِهَا ، وَجَدَدَ لَهُ النِّعْمَةَ بِتَجَدُّدِهَا .

وله : عَظَّمَ اللهُ بَرَكَهَ أَنْسِلَاحِهِ ، وإِهْلَالَ مَآيَتْلُوهُ ؛ مُجَدِّدًا لَكَ بِتَجَدُّدِهِ فَوَائِدَ الْخَيْرَاتِ ، وَأَقْسَامَ الْبَرَكَاتِ ؛ تَدْوِمَ فِيهَا الْمُدَّةَ ، وَتَطْوِيلَ بِهَا النِّعْمَةَ .

وله : أَسْعَدَكَ اللهُ بِإِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَكَ أَبَدًا لِأَمْتَالِهِ ؛ مُمْتَعًا بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ، وَاجْتِمَاعِ أَسْبَابِ الرِّخَاءِ وَشُرُوطِ الْمَحَبَّةِ ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

[وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ وَمَا يَتْلُوهُ ، وَبَلَّغَهُ مَا يَحَاوِلُهُ وَيَتَحَوُّهُ ؛ فِي مَسَائِفِ الشُّهُورِ ، وَمُؤْتَفِ الدُّهُورِ ؛ مُضَاعَفًا لَهُ الْعِزَّ وَالتَّائِيدَ ، وَمَوْصُولًا لَهُ أَصْلُ النِّعْمَةِ بِحُسْنِ الْمَزِيدِ^(١) .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَهَ الشَّهْرِ ، وَأَدَامَ لَهُ سَلَامَةَ الدَّهْرِ ؛ مَوْفُورًا مِنَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ ، غَيْرَ مَذْعُورٍ بِنَوَائِبِ الزَّمَانِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالسَّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ؛ وَجَمَعَ لَهُ الْمَوَاقِبَ كَامِلَةً ، وَالْفَوَائِدَ فَاضِلَةً ؛ دِينًا وَدُنْيَا ، وَحَاضِرَةً وَعُقْبَى .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَيْكَ بَرَكَتَهُ ، وَعَرَّفَكَ يُمْنَهُ وَسَعَادَتَهُ ؛ وَجَدَّدَ لَكَ الْخَيْرَاتِ ، بِتَجْدِيدِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ؛ حَتَّى تَحُوزَ مِنْهَا أَسْنَى الْحُطُوطِ وَتَبْلُغَ مَا تَمَنَّاهُ أَفْصَى الْغَايَاتِ .

الصنف الرابع - التهنية بعيد الفطر .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ هَذَا الْعِيدِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْتَالِهِ ؛ مِنْ الْأَعْيَادِ الْمَشْهُودَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ، [فِي] أَهْنَاءِ عَيْشٍ وَأَرْغَدِهِ ، وَأَطْوَلِ مَدَى وَأَبْعَدِهِ .

(١) الزيادة في بعض النسخ .

أبو الفرج البغاء :

أَسْعَدَكَ اللهُ بِهَذَا الْفِطْرِ الْجَدِيدِ ، وَالْعِيدِ السَّعِيدِ ؛ وَوَصَلَ أَيَّامَكَ بَعْدَهُ بِأَكْمَلِ السَّعَادَاتِ ، وَأَجْمَلَ الْبَرَكَاتِ ؛ وَجَعَلَ مَا أَسْلَفَتْهُ مِنَ الدُّعَاءِ مَقْبُولًا مَسْمُوعًا ، وَمِنَ التَّهَجُّدِ زَايِكًا مَرْفُوعًا ؛ وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ نِعْمَةٍ يَحْرُسُ الشُّكْرُ مُدَّتَهَا ، وَلَا يُخْلِقُ الدَّهْرُ جَدَّتَهَا .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

المولى أَدَامَ اللهُ نِعْمَهُ ، وَحَرَسَ شَيْمَهُ ، هُوَ سَيِّدُ الْأَفْضَلِ ، وَرَبُّسُ الْأَمَائِلِ ؛ وَحَسَنَةُ الزَّمَانِ ، وَلَيْثُ الْإِقْرَانِ ؛ وَهُوَ فِي الْأَنَامِ ، كَالْأَعْيَادِ فِي الْأَيَّامِ ، فَإِنَّ الْأَنَامَ لَيْلٌ وَالْمَوْلَى الْمِصْبَاحُ بِلِ الصَّبَاحِ ، وَسَائِرُ الْأَيَّامِ أَجْسَادُ وَسَائِرُ الْأَعْيَادِ هِيَ الْأَرْوَاحُ ؛ فَإِذَا كَانَ الْمَوْلَى قَدْ رُئِيَ عَلَى أُنْبَاءِ جَنْسِهِ ، وَيَوْمُ الْعِيدِ عَلَى غَدِهِ وَأَمْسِهِ ؛ فَقَدْ صَارَ كُلُّ مَنْكَا إِلَى صَاحِبِهِ يَتَقَرَّبُ ، وَيَلْزَمُ وَيَلْزَبُ ، وَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ يُبَهَّجَهُ مَقْدَمُهُ ، وَأَنْ يُهْنَى بِيَوْمِهِ الَّذِي هُوَ مُجْمَعُ السُّرُورِ وَمَوْسِمُهُ .

وَالْخَادِمُ يَهْنَى الْمَوْلَى بِهَذَا الْعِيدِ ، وَالْيَوْمِ السَّعِيدِ ؛ فَإِنَّهُ وَافٍ فِي أَوَانِ الرَّبِّيعِ وَزَمَانِهِ ، لِيُبَاهِيَ بَعْضُنَ قَدِّهِ أَغْصَانُ بَانِهِ ؛ وَيَسْتَنْشِقَ فِي صَدْرِهِ وَوَرْدَهُ ، رَائِحَةُ رَيْحَانِهِ وَوَرْدَهُ ؛ وَيَخْتَالُ فِي رِيَاضِهِ وَحَدَائِقِهِ ، وَيُلَاحِظُ بِهِجَةَ أَزْهَارِهِ وَشَقَائِقِهِ ؛ وَالْعِيدُ وَالرَّبِّيعُ ضَيْفَانِ وَمَكَارِمُ الْمَوْلَى جَدِيرَةٌ بِأَكْرَامِ الضَّيْفِ ، وَالتَّمَتُّعُ بِالْمَلَادِّ فِيهِمَا قَبْلَ رَحِيلِهِمَا وَقُدُومِ حَرِّ الصَّيْفِ ؛ وَأَنْ يُحَسِّنَ وَجْهَ عِيدِهِ ، بِحُلُولِهِ فِي مَغْنَاهِ وَوُجُودِهِ ؛ بِمَا يُؤَلِّيه لِعُفَاتِهِ مِنْ إِنْعَامِهِ وَجُودِهِ ؛ لِأَزَالَةِ الْأَعْيَادِ تُهْنَى بَبَقَائِهِ ، وَالسَّنَةُ الْأَيَّامِ تَشْكُرُ سَوَائِغَ نِعْمَائِهِ ؛ وَتَعْمَدُ جَزِيلَ عَطَائِهِ ، وَتَنْطِقُ بِوَلَائِهِ وَشَائِهِ ، أَبَدًا ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قلت : ومما كتبتُ به مهتًا للقرّ الأشرف الناصريّ محمد بن البارزى صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية فى الدولة المؤيدية «شيخ» بعيد الفطر نظاما، بعد أن سألتُه حاجةً فقضاها، وأسنى لى الجائزة على تثرٍ كتبتُه له .

سَأَلْتُ نِظَامَ الْمَلِكِ كَاتِبَ سِرِّهِ * إِزَالَةَ ضَنْكَ أَرْهَفَ الدَّهْرُ حَذَّهُ !
فَمِنْ بَجَاهِ زَعَزَعَ الْأَرْضَ وَقَعَهُ، * وَجَادَ بِمَالٍ لَا يُرَى الْفَقْرُ بَعْدَهُ .
وَبِالْبَارِزِيِّ أَرْدَانَ وَصُفٍّ مَكَارِمٍ * فَاشْبَهَ فِي فَضْلِ أَبَاهُ وَجَدَهُ !
فِيهِنَّاهُ صَوْمٌ ثُمَّ عِيدُ مَسْرَةٍ * وَطَالِعُ إِقْبَالٍ يُقَارِنُ سَعْدَهُ !
وَرَفَعُ دُعَاءٍ لَا يُغَيِّبُ تَتَابَعًا، * وَطِيبُ ثَنَاءٍ خَامَرَ الْمِسْكَ نَدَّهُ !

الصف الخامس — التهئة بعيد الأضحى .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

كُتَابِي وَالنَّحْرُ — نَحَرَ اللَّهِ أَعْدَاءَ مَوْلَايَ وَحُسَادَ نِعْمَتِهِ ، وَأَمْتَعَهُ بِمَوَاهِبِهِ عِنْدَهُ ،
وَبَارِكْ لَهُ فِي أَعْيَادِهِ وَمَتَجَدِّدِ أَيَّامِهِ ، بَرَكَةً تَنْظِمُ السَّعَادَاتِ ، وَتُتَضَمِّنُ الْخَيْرَاتِ ؛
مُتَصِلَةً غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ ، وَرَاهِنَةً غَيْرَ فَانِيَةٍ .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

تَهَنٍّ فَأَيَّامُ السُّرُورِ أَوَاهِلُ * وَكُلُّ مَخُوفٍ عَنْ جَنَائِكَ رَاحِلُ !
وَتَجَمُّكَ مِنْ فَوْقِ الْكَوَاكِبِ طَالِعُ ، * وَنَجْمُ أَمْرِي يُشْنَأُ سُمُوكَ آفِلُ !

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّ جُودُهُ : * قَدَتِكَ الْعَوَالِي وَالْحِيَادُ الصَّوَاهِلُ !
تَمَتَّعْ بِعِيدِ النَّحْرِ ، وَافَاكَ خَاضِعًا * يُحَقِّقُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ آمِلُ !
وَدُمُ كَلِمَتِ الْأَعْدَاءِ وَأَبْقِ مُحَلَّدًا * عَلَى الْمَالِ عَالٍ ، بِالرَّيَّةِ عَادِلُ !
لَقَدْ رَاقَ مَدْحِي فِي مَعَالِيكَ مِثْلَ مَا * صَفَتْ مِنْكَ أَوْصَافُ وَرَقَتِ سَمَائِلُ !

جعلهُ الله أربك الأعياد وأسعدها ، وأيمن الأيام وأمجدها ، وأجمل الأوقات وألذها
وأزغدها ، ولا يرح مسرورا مستبشرا ، منصورا على الأعداء مقتدرا ؛ مسعودا محمودا ،
معانًا بملائكة السماء معضودا ؛ مهنا بالسعود الحديده ، والجود السعيدة ؛ والقوة
والناصر ، والعمر الطويل الوافر :

ولا زالت الأعياد لبسك بعده * [فتخلع^(١) مخروقا وتغطي مجددا ،

فذا اليوم في الأيام مثلك في الوري * كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا !

وأعاده على المولى في صحبة دائمة ، وسلامة ملازمة ؛ وأصار عيده مطيعا لأوامره
كسائر العييد ، وعييده في كل يوم من المسرة ببقائه لها كالعيد ، والأيام به ضاحكة
المباسم ، والأعوام جميلة المواسم ؛ ومتعنا بدوام حياته ، وأستجلاء جميل صفاته ،
وأستحلاء مدائحہ بأنشاد عفتاه ؛ وأراه تخر أعاديہ ، بين يديه كأضاحيه ، وأصار الحج
إلى بابه غافرا سيئات الإفلاس والإعدام ، ومبيحا لبس الخيط من إنعامه العام ؛
ألپسه الله من السعادة أجمل حلّه ، ومنحه من المكارم أحسن خلّه .

الصنف السادس — التهنة بعيد الغدير من أعياد الشيعة :

وكان لهم به اهتمام في الدولة الفاطمية بالديار المصرية . والطريق في التهنة به
على نحو غيره من الأعياد .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

ما يصلح تهنئة لكل عيد .

أبو الفرج البغاء :

لولا العادة المشهورة، والسنة الماثورة، بالإفاضة في الدعاء، والمشاهدة بالتهنئة والثناء، في مثل هذا اليوم الشريف قدره، الرفيع ذكره؛ لكان أيده الله دون رؤساء الدهر، وملوك العصر يحل عن التهنئة : إذ كانت سائر أيامه بما يودعها من أفعال الخير معظمه، وبما يبتها من المحاسن مكرمه، فبلغه الله أمثاله محروساً في نفسه ونعمته، محفوظاً في سلطانته ودولته، موفياً على أبعاد أمانيه، مذكراً غايتها فيما يؤمله ويرتجيه .

وله في مثله :

عرفك الله بمن هذا العيد وبركته، وضاعف لك إقباله وسعادته؛ وأحيالك لأمثاله في أسبغ النعم وأكملها، وأفسح المدد وأطولها؛ وأشرف الرتب وأرفعها، وأعز المنازل وأيقعها؛ وحرس منحتك من المحدثور، ووقى نعمتك من عثرات الدهور .

الصنف السابع - التهنئة بالنيروز .

وهو من أجل أعياد الفرس، على ما تقدم ذكره في الكلام على أعياد الأمم، في المقالة الأولى . وكان للكتاب به اهتمام في أوائل الدولة العباسية بالعراق، جرياً على ما كان عليه الفرس من قديم الزمان .

وفيه لأبي الحسين بن سعد :

هذا يوم شرفته العجم، ورعى ذمامه الكرم؛ وهو من أسلاف سيدي دوى النباهة، وأخلافه دوى الطهارة؛ بين منشيئ رشمه، ومؤدى حقه؛ وكاس له بقبول

أَنْتَسَاهُ إِلَيْهِ جَمَالًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ، وَحَالًا يَنْفَقُ بِهَا لَدَى الْأَنْامِ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ
بِالْتِهَانَةِ [بِهِ] مِنْ سَنَةِ آبَائِهِ ، وَشَيْدَتِهِ الْأَوْهْ ؛ فَصَارَتْ إِلَى أَوْلَيْتِهِ نِسْبَتُهُ ، وَبِكْرَمِ
سُحَيْتِهِ عِصْمَتُهُ .

وفيه له : هَذَا - أَيْدِ اللَّهِ سَيِّدِي - يَوْمٌ عَظَّمَهُ السَّافُّ مِنَ الْعَجَمِ ، وَسَيِّدِي
وَارِثُ سُنَّةِ الْكَرَمِ ؛ وَلِلْسَادَةِ عَلَى الْعَيْدِ فِي هَذَا الْيَوْمِ رَسْمٌ فِي الْإِلَاطَفِ ، وَعَلَيْهَا لَهُمْ
حَقٌّ فِي الْقَبُولِ وَالْإِسْعَافِ ؛ وَقَدْ بَعَثْتُ بِمَا حَضَرَ جَارِيًا عَلَى سُنَّةِ الْخِدْمَةِ ، وَعَادِلًا
عَنْ طَرِيقِ الْحِشْمَةِ ؛ وَمَقْتَصِرًا عَلَى مَا أَسْعَتْ لَهُ الْحَالُ ، وَمَا يُوجِبُهُ قَدْرُ سَيِّدِي
مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي الْأَحْتِفَالِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُشْرَفَ عَبْدُهُ بِالْإِحْتِمَالِ إِلَيْهِ ، وَإِجْرَائِهِ مُجْزَى
الْأُنْسِ عِنْدَهُ ، فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وفيه للكرجى :

هَذَا يَوْمٌ تَسْمُوهُ الْعَجَمُ ، وَيُسْتَعِجُ^(١) فِي الْعَرَبِ ؛ تَشْرِيفًا لَهُ ، وَأَعْتَرَاقًا بِفَضْلِهِ ،
وَأَقْنِدَاءَ بِأَهْلِهِ ؛ وَأَخْذًا بِسُنَّتِهِمْ فِيهِ ، فَلَيْسَ لِإِحْرَازِ الدَّوْلَةِ فِي الْعِزِّ [مَنْزِلًا] بِحَيْثُ لَا يُرَامُ ،
وَلَا يُضَامُ ؛ وَلَا تَرْقُى إِلَيْهِ الْأَمَانِي ، وَلَا يَطْمَعُ فِي مَسَاوَاتِهِ الْمُسَاوِي ؛ وَإِنَّهُمْ بَعْدَ تَصَرُّمِ
الدَّوْلَةِ عَلَى حِمِيدِ آثَارِهَا ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ فِيهَا ؛ أَعْلَامٌ تُضْرَبُ بِهِمُ الْأَمْشَالُ ، وَتَرْهُوُ
بِأَيَّامِهِمُ الْأَيَّامُ ؛ وَأَثَارُهُمْ تُقْتَفَى ، وَأَعْيَادُهُمْ تُنْتَظَرُ ؛ يَتَأَهَّبُ لَهَا قَبْلَ الْآوَانِ ، وَيُعْرِفُ
فِيهَا أَثَرَ الزَّمَانِ ؛ وَإِنَّكَ مِنْهُمْ فِي الدَّرَجَةِ السَّامِيَةِ ، وَالرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ ؛ وَبِحُلِّ لَاعَارٍ مَعَهُ
عَلَى حُرَّةٍ فِي الْخُشُوعِ لَكَ ، وَالتَّعَلُّقِ بِحَبْلِكَ . وَقَدْ وَجَدْتُ الْإِتْبَاعَ عِنْدَ سَادَاتِهِ فِي مِثْلِ
هَذَا الْيَوْمِ عَلَى عَادَةٍ فِي الْإِلَاطَفِ جَسَمَتَهَا ، وَسَعَرَتْ بِهَا عَلَى أَقْوَامٍ مَنَحْتَهُمْ طُهُورَ
الدَّعْوَى فِيهَا ، فَأَقْبِلْ قَائِلَهُمْ يَقُولُ : « لَوْ كَانَ بَابُ الْإِهْدَاءِ مَقْتُوحًا غَيْرَ مُسْدُودٍ ،

(١) مراده أن العرب آتبع العجم في تعظيمه تأمل . (٢) قد بلغ التحريف من هذا مبلغه

حتى لا يكاد يفهم والمراد أن دولة الفرس أحرزت من العز منزلًا بحيث الخ تأمل .

وَمُبَاحًا غَيْرُ مُمْنَعٍ ؛ لِأَتَحَفَّتْ بِالْغُرَابِ الْأَعْصَمَ ، وَالْكِبْرِيَّتِ الْأَحْمَرَ ، وَالْأَبْلَقِ الْعُقُوقَ ، وَبَيْضَ الْأَنْوَقِ . وَقَدْ بَعَثْتُ بَهْدِيَّةً لَا تُرَدُّ (يعنى الدعاء) .

وفيه : من كَانَ مَحَلَّكَ مِنَ الْعِزِّ ، وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ ، وَارْتِفَاعِ الدَّرَجَةِ ، وَعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ ، وَسَعَةِ الْبَلَدِ ، وَبُعْدِ الْأَمَدِ ؛ لَمْ يَتَقَرَّبْ مَتَحَلٍّ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ جَدِيدٍ إِلَّا بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ .

وفيه : لو أَخْرَجْنَا هَذَا آتِنْتَظَارًا لَوْجُودِ مَا تَسْتَحِقُّهُ ، لَأَتَقَضَّتْ أَيَّامُنَا ، بَلْ أَعْمَارُنَا ، قَبْلَ أَنْ نَقْضِيَ لَكَ حَقًّا ، أَوْ نُؤَدِّيَ عَنْ أَنْفُسِنَا فَرَضًا : لِإِرْتِفَاعِ قَدْرِكَ عَمَّا تَحْوِيهِ أَيْدِينَا ، وَعُلُوِّ حَالِكِ عَمَّا تَبْلُغُهُ آمَالُنَا ؛ وَقَدْ أَقْنَدَيْتُ بَسْنَةً أَخْدَمَ وَالْأَوْلِيَاءِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَأَوْصَحْتُ الْعُدْرَ فِي تَرْكِ الْاجْتِهَادِ ؛ وَبَعَثْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيْكَ أَلْفَ عَامٍ ، فِي نَمَاءٍ مِنَ الْعِزِّ ، وَعُلُوٍّ مِنَ الْقَدْرِ ، وَتَمَامٍ مِنَ السُّرُورِ ، وَمَزِيدٍ مِنَ النِّعْمَةِ

الصنف الثامن — التهنية بالمهرجانات .

وهو أحدُ أعيادِ الفُرسِ ، على ما تقدّم ذكره في المقالة الأولى ، في الكلام على أعياد الأمم . وكان للكُتّاب من الاحتفالِ بالتهنية به في أوائلِ الدولة العبّاسيّة ما لهم بالنيروز .

فيه — لأبي الحسين بن سعد :

لَسَيِّدِي عَلَى فِي الْأَعْيَادِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ؛ عَادَةً أَخْتَرَلَنِي عَنْ بَعْضِهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ ، كَلَالُ الطَّبْعِ عَنِ الْبَعْضِ ؛ وَوُقُوعُ الْخَطَرِ (٤) بِعَرَضِهِ مِنَ الثَّنَاءِ نَظْمًا وَشِئْرًا ، وَمِنَ الْإِهْدَاءِ عَرْضًا وَبَرًّا ؛ دَعَاءُ تَزِيدُ قِيمَتَهُ عَلَى الْأَعْلَاقِ الثَّمِينَةِ ، وَمَوْقِعُهُ عَلَى الذِّخَائِرِ النَّفِيسَةِ ، وَلُطْفُهُ عَلَى التُّحَفِ الْبَدِيعَةِ ؛ فَاسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدِي بِهَذَا الْيَوْمِ سَعَادَةً نَقِمَ ، وَلَا تَرِيمَ ؛ وَتَزِيدَ ، وَلَا تَيْبِدَ ؛ وَتَتَوَطَّنَ ، وَلَا تَتَطَّعَنَ ؛ وَتَجْمَعَ حَظُوظًا مِنْ

الخيرات، وفوائد من البركات، يتصل سندها، ولا ينتهي أمدها، وأبقاه في أسبغ عن
وأرفع رتبة وأرغد عيشة، مكنوفاً بحراسة تقيه [وآله] عوادي الزمان، وتصرف
عنهما طوارق الحدثنان، ما طرد الليل النهار، وطلع نجم وغار، وعلى ذلك - أيد الله
سیدی - فإن الحرص على إقامة الرسم والتطير من إضاعة الحق بعثاني على مراجعة
القرينه، واستكداد الروية، فأسعفا بما قبلته الضرورة، ولم أطع في إهدائه سلطان
الحشمه، وفضل سیدی يتسع لقبول الميسور، وتحسين القبيح، والله المعين على
تأدية حقه، والقيام بواجب فرضه .

وله فيه أيضاً، إلى من منع أن تهدى إليه فيه هدية .

لو كنت فتحت باب الإلطف، ونهجت إليه سبيلاً، لتنازع أولياؤك قصب
السبق وتنافسوا في السرف، فبان للجهد فضله، وأتمس العذر في التقصير ملتئمسه،
وعمت المنحة كآفتهم بما يظهر من مواقعهم، وينكشف من أحوالهم، ليكنك
حظرت ذلك حظراً استوى فيه الفريقان في الحكم، وأمتد فيه على ذوى الخلل
السئر، ولم تحظر الدعاء، إذ حظرت الإهداء، فأنا أهديه ضرورة واختياراً،
وإعلاناً وإسراراً، فأسعدك الله بهذا العيد الجديد، الذي زاد بك في قدره، وشرفه
بأن جعلك من أربابه وولاه أمره .

أبو الفرج البغاء :

هذا اليوم من غرر الدهور المشهورة، وفضائل الأزمنة المذكورة، معظم
في العهد الكسروي، مستظرف في العصر العربي، باعث على عمارة المودات،
مخصوص بالانسياط في الملاطفات، ولست أسترده - أيده الله - من ريوله،
ولا تطول إلى يسديه، غير إدخال في جملة من بسطته الأنسه، وثقفته المحبه،

وَتَقَرَّبْتُ مِنْهُ بِوَكِيدِ الْحِدْمَةِ ، فِي قَبُولِ مَا إِنْ شَرَّفَ بِقَبُولِهِ ، كَانَ كَثِيرًا مَعَ قَلْتِهِ ، جَلِيلًا
مَعَ نَزَارَتِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَقْوَى مِنْهُ ثِقَتِي ، وَيُقَابِلَ بِقَبُولِ مَا أَنْفَذْتُهُ رَغْبَتِي ، فَعَلَ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

قَدْ أَطَعْتُ فِي الْإِنْسِاطِ إِلَيْكَ دَوَاعِيَ الثَّقَةِ ، وَسَلَكْتُ فِي التَّحَرُّمِ بِكَ سُبُلَ
الْأَلَسَةِ ، وَتَوَصَّلْتُ بِمَلَأَظْفَنِكَ إِلَى حَسَمِ مَوَادِّ الْحِشْمَةِ ؛ فَاسْتَشْهَدْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ
فِيمَا أَنْفَذْتُهُ بِمُفَارَقَةِ الْحَقْلَةِ^(١) ، وَكَلَّفَ الْمُكَاتَرَةَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكَلَّنِي فِي تَقْبُلِهِ إِلَى سَعَةِ
أَخْلَاقِكَ ، وَتَسَلُّكَ فِي ذَلِكَ أَخْصَرَ طَرِيقِي إِلَى مَا أَخْطَبُهُ مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَأَزَاحِمُ عَلَيْهِ
فِي إِخَائِكَ ؛ فَعَلْتُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمَ - أَيْدِ اللَّهِ سِيدِي - مِنْ أَعْيَادِ الْمُرُوءَةِ ، وَمَوَاسِمِ الْفُتُوَّةِ ، وَأَوْطَانِ السَّرُورِ ،
وَمَحَاسِنِ الْأَزْمِنَةِ وَالْدُّهُورِ ؛ بَلَّغَهُ [اللَّهُ] أَمْثَالُهُ فِي أَنْضَرِ عَيْشٍ وَأَسْبَغِ سَلَامَةٍ ؛ وَأَبْسَطِ
قُدْرَةٍ ، وَأَكْمَلِ مَسَرَّةٍ ؛ وَقَدْ تَوَثَّبْتُ إِلَى الْإِقْتِدَاءِ فِيهِ بِأَدْبِهِ ، وَالْأَخْذِ بِمَعْرِفَةِ فُرُوضِهِ
بِمَدْهَبِهِ ؛ وَأَطَعْتُ فِي الْإِنْسِاطِ إِلَيْهِ دَوَاعِيَ الثَّقَةِ ، وَأَنْفَذْتُ مَا أَعْتَمَدْتُ فِي قَبُولِهِ
عَلَى مَكَانِي مِنْهُ ، عَائِذًا بِالتَّقْلِيلِ مِنْ كَلْفِ الْمُكَاتَرَةِ ، وَمُسْتَتَقِلِ الْكُلْفَةِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ
يَأْتِيَنِي فِيمَا آتَمَسْتُهُ مَا يُنَاسِبُ شَرَفَ طَبْعِهِ ، وَسَعَةَ أَخْلَاقِهِ ؛ فَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ الْمُلَاطَفَاتُ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَقَدَرِ الْمَنَازِلِ ، لَمَا آتَبَسَطْتُ قُدْرَةً وَلَا آتَسَّعَ
إِمْكَانًا لِمَا يَسْتَحِقُّهُ نُبُلُ مَحَلِّهِ ؛ وَوَاجِبَاتُ رِيَاسَتِهِ ؛ وَلَكُنْتُ مِنْ بَيْنِ خَدَمِهِ ضَعِيفُ
الْمُنَّةِ عَنْ خِدْمَتِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ ؛ بَلَّغَهُ اللَّهُ أَمْثَالَهُ فِي أَفْسَحِ أَجَلٍ ، وَأَنْجَحِ أَمَلٍ ،

بما يَخْدُمُهُ بِهِ دَوُو الخِدْمَاتِ الْوَكِيدَةِ عِنْدَهُ، الْمَكِينَةِ لَدَيْهِ ؛ غَيْرَ أَنِّي أَثِقُ مِنْهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ -
بِحُلِّ قَلِيلٍ عَلَى عِلْمِهِ بِإِخْلَاصِي فِي وِلَايَتِهِ ، وَأَنْتَسَائِي إِلَى جُمْلَتِهِ ، وَأَخْتِلَاطِي بِأَنْسَابِهِ ؛
فَإِنْ رَأَى أَنْ يُجِيرَنِي فِي قَبُولِ ذَلِكَ عَلَى سُنَّةِ أَمْثَالِهِ مِنْ ذَوِي الْجَلَالَةِ ، عِنْدَ أَمْثَالِي
مِنَ الْأَوَّلِيَاءِ وَالْخَاشِعَةِ ، فَعَلَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ الْهَدَايَا لَا تُسَقَّبَلُ مَا لَمْ تُنَاسِبْ فِي نَفَاسَةِ الْقَدَرِ ، وَجَلَالَةِ الذِّكْرِ ، مَحَلٍّ مِنْ
يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ ، وَمَنْزِلَةٍ مِنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ ، لَمَا سَمَتْ هِمَّةٌ ، وَلَا آسَعَتْ قُدْرَةٌ ،
لَمَا يَسْتَحِقُّهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - بِأَيْسَرِ وَاجِبَاتِهِ ، وَأَصْغَرِ مَقَرَّضَاتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَسَّةَ
بِتَفَضُّلِهِ ، وَالْأَعْتِدَادَ بِسَالِفِ تَطَوُّلِهِ ، وَالتَّحَقُّقَ بِخِدْمَتِهِ ، وَالْأَنْتَسَابَ إِلَى جُمْلَتِهِ ؛
بَسَطَنِي إِلَى إِنْفَازِ مَا إِنْ شَرَفَنِي بِقَبُولِهِ كَانَ مَعَ قَلَّتِهِ كَثِيرًا ، وَمَعَ نَزَارَتِهِ جَلِيلًا ؛ فَإِنْ
رَأَى أَنْ يَقْوَى بِذَلِكَ مِنْهُ نِقْيِي ، وَيَحْسِمَ مَادَّةَ أَحْتِشَامِي ، فَعَلَ .

أجوبة التهئية بالمواسم والأعياد

قال في "موادّ البيان" : هذه الكتبُ والرِّقَاعُ مضمونهاُ الهنَاءُ بِالْمَوْسِمِ الْجَدِيدِ ،
وَالِدُعَاءُ لِلْهِنَاءِ فِيهِ بِتَمَلُّيهِ . قال : وهذا المعنى مُقَاوِضٌ بَيْنَ الْمَهْنَى وَالْمَهْنَى ، وَيَنْبَغِي أَنْ
تَكُونَ أَجَوِبَتُهَا مُشْتَقَّةً مِنْهَا . ثم قال : وقد يَتَصَرَّفُ الْكُتَّابُ فِيهَا إِذَا كَاتَبُوا الرُّسُلَاءَ
تَصَرُّفًا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْحَكْمِ .

وهذه أمثلة من ذلك :

أبو الفرج البغفاء :

سَمِعَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، وَبَدَأَ فِي تَقَبُّلِ الْمَسْأَلَةِ بِكَ ؛ وَأَجْزَلَ مِنْ أَقْسَامِهِ حَظُّكَ ؛ وَبَلَّغَكَ
أَمْثَالَهِ فِي أَفْسَحِ مُدَدِ الْبَقَاءِ ، وَزَادَ فِيَا خَوْلَكَ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالنِّعَمَاءِ ؛ وَلَا أَخْلَانِي
مِنْ بَرِّكَ ، وَأَنْهَضْنِي بِوَجِيبَاتِكَ .

وله في مثله :

كُلُّ يَوْمٍ أَسْعَدُ فِيهِ بِمُشَاهَدَتِكَ ، وَأَقْطَعُهُ فِي ظِلِّ مُوَدَّتِكَ ، حَقِيقٌ بِالْإِحْمَادِ ، مُوفٍ
عَلَى مَحَاسِنِ الْأَعْيَادِ ؛ فَسَمِعَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، وَأَطَالَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ بَقَاءَكَ ؛ وَجَعَلَ سَائِرَ
أَيَّامِكَ مَقْرُونَةً بِالسَّعَادَاتِ ، مُوصُولَةً بِتَنَاصُرِ الْبَرَكَاتِ .

من زهر الربيع :

يُخْدِمُ الْمَجْلِسَ الْعَالِيَّ جَعَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَلَى الْأَقْدَارِ سَامِيَا ، وَجَزِيلَ نَوَالِهِ عَلَى مَنْ
هَامَ بِهِ مِنَ الْعُقَاةِ هَامِيَا ؛ وَنَصَرَهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، وَأَسْكَنَهُ مِنْ حِرَاسَتِهِ حِصْنًا حَصِينًا
وَرِزَا حَرِيزًا ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ حَالِيَةَ الْحَيِّدِ بِوُجُودِهِ ، وَالْأَيْدِي تَهَشُّ إِلَى تَسَاوُلِ
أَيْدِيهِ وَجُودِهِ ؛ وَأَخْبَارُ الْمَكَارِمِ عَنْهُ مَرْوِيَّةٌ وَإِلَيْهِ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَآيَاتُ فَضْلِهِ وَفَضَائِلُهُ
بِكُلِّ لِسَانٍ مُتَلَوَّةٌ .

وَيُنْهَى إِلَى عِلْمِهِ وَرُودَ مُشْرِفَتِهِ الَّتِي حَلَّتِ الْأَسْمَاعَ عِنْدَ مَا حَلَّتْ ، وَسَمَتْ عَنْ
الرِّيَاضِ لَمَّا جُلِّيَتْ عَرُوسُ فَضْلِهَا وَجَلَّتْ ؛ وَزَهَتْ عَلَى زُهُورِهَا ، بِرَقْمِ سُطُورِهَا ؛
وَطِيبَ عَرَفَهَا وَنَشَرَهَا ، بِمَا فَاحَ مِنْ طَيِّبٍ عِنْدَ نَشْرِهَا ؛ وَفَائِقَ حُسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا ، بِرَائِقِ
بَرَاعَةِ عِبَارَتِهَا ؛ وَمَعَامِلَتِهَا بِمَا يَجِبُ مِنْ فُرُوضِ إِكْرَامِهَا وَالسَّنَنِ ، وَالْمَشْيِ فِي تَجْمِيلِهَا
عَلَى الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ مِنْ مُؤَالَاتِهِ وَالسَّنَنِ ، وَعِلْمِهِ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَنَاءِ بِالْعِيدِ ،
وَالْيَوْمِ السَّعِيدِ ؛ وَقَدْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ إِحْسَانُهُ الَّذِي مَا بَرَحَ مَتَحَقِّقًا بِجَمِيلِهِ وَجَزِيلِهِ ،
وَشَاكِرًا لِكَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الْبُشْرَى ، وَالْمَسْرَةُ الْكُبْرَى ؛ لَيْسَ لِلْعِيدِ بِمُفْرَدِهِ ،
وَلَا لِهَذَا الْهَنَاءِ بِمُجَرَّدِهِ ؛ بَلْ لِبَقَاءِ الْمَوْلَى وَدَوَامِ مَسَاعِدَتِهِ ، وَتَخْلِيدِ سَيَادَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ عَيْنٌ وَلِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانٌ ، وَهُوَ رُوحٌ وَالْأَيَّامُ وَالْأَنْثَامُ جُثْمَانٌ ؛ فَالْمَلُوكُ بِبَقَائِهِ كُلِّ

يَوْمٍ يَتَجَدَّدُ لَهُ عَيْدٌ جَدِيدٌ ، وَيَتَضَاعَفُ لَهُ جَدُّ سَعِيدٍ ، حَرَسَ اللَّهُ شُرْفَهُ الرَّفِيعَ مِنَ الْأَذَى ، وَأَرَاهُ فِي عَيْنِ أَعَادِيهِ جِذْعًا نَاتِنًا وَسَلَّمَ لِحَظَّةِ الْحُرُوسِ مِنَ الْقَذَى ؛ وَأَصَارَ أَيَّامَهُ كُلَّهَا أَيَّامَ هَنَاءٍ ، وَبِدَايَةَ سَعَادَتِهِ بِغَيْرِ حَدٍّ وَآتِهَاءٍ .

الضرب السادس

(التهنئة بالزواج والتسرى)

من كلام المتقدمين :

أبو الفرج البيهقي :

وَصَلَّ اللَّهُ هَذَا الْإِتِّصَالَ السَّعِيدَ ، وَالْعَقْدَ الْحَمِيدَ ؛ بِأَحَدِ الْعَوَاقِبِ ، وَأَجْمَلِ الْمَنَحِ وَالْمَوَاهِبِ ؛ وَجَعَلَ شَمْلَ مَسَرَّتِكَ بِهِ مُلْتِمًا ، وَسَبَبَ أَنْسِكَ بِإِقْبَالِهِ مَسْتَهْطًا ؛ وَعَرَّفَكَ بِهِ تَعَجُّلَ الْبَرَكَاتِ ، وَتَنَاضُرَ الْخَيْرَاتِ ؛ وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنَ التَّهَانِي بِجُجَبَاءِ الْأَوْلَادِ ، وَكَبَتْ بِكَثْرَةِ عَدَدِكَ سَائِرَ الْحُسَادِ ؛ وَهَنَانِي النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ بِإِخْلَاكَ ، وَعَضَّدَنِي وَسَائِرَ إِخْوَانِكَ بِبَقَائِكَ .

وله في مثله :

قَرَنَ اللَّهُ بِالْخَيْرَةِ مَا عَقَدْتَ ، وَبِالسَّعَادَةِ مَا جَدَّدْتَ ، وَبِجَمِيلِ الْعَاقِبَةِ مَا أَفْدَتَ ، وَعَزَّزَكَ بِرَكَاتِ هَذَا الْإِتِّصَالِ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنْ مَوَادِّ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ ؛ وَعَضَّدَكَ بِالْبَرَّةِ مِنْ عَقَبِكَ ، وَالسَّادَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ .

وله في مثله :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُتَحِفًا بِلُحْفِ مَوَدَّتِكَ ، وَمَتَمِّسًا بِعَصَمِ أُخُوَّتِكَ ؛ أَوْلَى بِالْتَّهْنَةِ بِمَا يَحْدُثُ لَكَ مِنْ وُرُودِ نِعْمَةٍ ، وَاتِّصَالِ مَوْهِبَةٍ ؛ فَإِنِّي مَا أَجِدُ فَرَضَ الدُّعَاءِ لَكَ

ساقطاً ، ولا واجب الشكر لله تعالى على ما أولاني فيك زائلاً ؛ فعرفك الله بركة هذا
الآتصال الحميد ، والاقتران السعيد ؛ وجعله للسرور مكثرًا ، وبالين مبشراً ؛ وأحيأك
للتفاني بمثله في السادة من ولدك ، والتجباء من ذريتك .

وله في مثله :

وصل الله هذا الآتصال الميمون بأرجح البركات وأفضلها ، وأنجح الطلبات
وأكملها ؛ وأحمد بذاه وعقباه ، وبلغك الآمال في سائر ما تهواه ؛ وأحيأك للتفاني
بأمثاله في البررة من ولدك ، والتجباء من عقبك .

من كلام المتأخرين :

للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جعل الله الخيرة له فيما يذرّه ويأتيه ؛ والنجاح مقروناً بما يعيده من الأوامر ويُنْذِيهِ ،
والألْسنة شاكراً ما يؤليه من الإنعام ويُسْديهِ . صدرت هذه الخدمة مغربةً عن
ثناء تارّج عرّفه ، وولاء أعجز الألسنة شرّحه ووصّفه ؛ وتهنئة بهذه الوصلة المباركة
جعلها الله للاتصال بالسعادة سبباً ، ومحصلةً من الخيرات مرّاماً وإفراً وأرباباً ؛
وعرّفه بركة هذا العرس الذي أصبح الخيرُ بفنائهِ مُعرّساً ، ونورُ الشمس من ضياء
بهجته مقتبساً ؛ فنحمدُ الله على هذه الوصلة سرّاً وجهراً ، ونشكّره أن جعلَ بينه
وبين السعد نسباً وصهرًا ؛ منحَ الله المولى الرّقاء والبين ، والعمر الذي يُفني الأيام
والسّنين ، ورزقه إسعافاً دائماً وإسعاداً ، وأراه أولاداً أولاده آباءً بل أجداداً ؛
إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالزواج والتسرى

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تكون شكرا لله على العناية والاهتمام، و[مشملة على] الإبانة عن موقع دعائه من التبرك والتمن به ، إلا أن تكون البداية بمعنى يخرج عما هذا جوابه ، فينبغي أن يُجاب عنه بما يقتضى الإجابة عن ذلك .

الضرب السابع

(من الهاني التهئة بالأولاد، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول - التهئة بالبين .

مما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

إنه ليس من نعم الله وقرائد قسمه وإن حسن موقعها، ولطف محلها؛ نعمة تعدل النعمة في الولد، لأنها في العدد، وزيادتها في قوة العضد؛ وما يتعجل من عظيم بهجتها، ويرجى من باقي ذكرها في الخلوفا والأعقاب، ولا حق بركتها في الدعاء والاستغفار .

ومنه : إنه ليس من النعم نعمة تُشبه النعمة في الولد، لزيادتها في قوة العضد، وحسن موقعها في الخلف والعقب؛ واتصل بي خبر مولود فسرتني ماوصل الله به من العارفة إليك، وشركتك في جميل الموهبة فيه شركة من له مالك وعليه ماعليك؛ وسألت الله أن يوزعك شكر النعمة ويؤنس بهذا المولود ربك، ويكثر به عددك؛ ويعظم بركته ويمن طأره عليك، ويزيد به في النعمة كذلك، ويفعل الله ذلك، بمنه وطوله .

وفيه لابی الحسین بن سعد إلى أبی مُسلم بن بحر یهنئه باینِ حَدَثَ له :
فأما ماجدّد الله من النعمة فی القادم والموهوب لك ولداً وأنسا، ولنا سنداً
وذخراً، فقد جَلَّ قدرُ هذه الموهبة عن أن یحاط لها بوصف، أو یوفى لها بشکر.
وفیه لعلی بن خلف :

وینهی أنه أتصل بالملوك بزُورُع نجمِ سعدٍ فی مشارِقِ إقباله ، مُؤذِنٍ بالناسقِ سُمُوهِ
وجلاله ؛ فأحدث من الجلال والاستبشار بمقدّمه ، والتبرک والتمنّ بقدمه ؛
ماتلّالآت علی الملوك أنواره ، وحسنتُ عنده آثاره ؛ وسالتُ الله تعالى راغباً إلیه
فی أن یعرفه سعادة مَوْلده ، ویمَن موفّده ؛ ویجعل له شاذاً لعُضده ، ومُورِياً لزندّه ؛
ویشفعه والسادة السابقین ، بجُباة مُتلاحِقین ؛ یتبَلَّجون فی نطاقِ سعادتِه ، ویُتوسَّمون
فی آفاقِ سیادتِه ؛ ویضون سِلکهم من الانقِصام ، وشملهم من الانهدام ؛ ویقیهم
غُرراً فی وجوه الأيام ، وأقماراً فی صَفحات الظلام ؛ بمنّه وفَضله ، إن شاء الله تعالى .

وفیه له : وینهی أن الملوك یُسکّر الله تعالى علی ما أنزلهُ عند مولانا من عوارِفِه ،
وأختصّه به من لطائفه ؛ شکر من شارکَه فی النعمة المُسبَّغة علیه ، وأتتهی إلی خبر
السند المتجدّد لمولانا، فطار الملوك بخوافِ السُرور ومقادمه ، وأخذ من الإبتهاج بأوفى
قِسَمه ؛ وسأل الله تعالى أن یبارک له فی عطیّته ، ویُرِدِّفه بزیادته ؛ ویوقّر عدده ،
ویشدّ بصالح الولد عُضده ؛ ویُخِینه من هذا القادم ثمارَ المسرة ، ویری عینه منه
أقر قُروه ؛ ویشفع المنحة فی موهبته بإطالة مُدَّتِه .

وفیه : وینهی أن أفضل النعم موقِعاً ، وأشرَقها خطراً ومَوْضِعاً نعمة الله تعالى
فی الولد : لزیادتها فی العدد وقُوّة العُضد ؛ وما یُتَعَجَّل من عِظَم جَملها وزیلتها ،
ویُرجى من حُسن مآلها وعاقبتها ؛ فی حفظ النّسب والأصل ، وحُسن الخِلافة علی

الأهل ؛ وجميل الذِّكر والثَّناء ، ومتقبَّل الاستِغفارِ والدُّعاء ؛ وقد اتَّصل بالملوك بِزُوغِ
هلالِ سماءِ المَجد ، ومتعلِّق الإقبالِ والسَّغْد ؛ فأشرقَت الأيامُ بِإِشراقِهِ ، ووَقَّيتِ
الآمالُ باجتلائِهِ وأتَّساقَهُ ؛ فقامَ الملوكُ عن مولانا بِشُكْرِ هذه النعمة المتجدِّده ،
والموهبة الراهنة الخالِده ؛ وهنَّأتُ نفسِي بها ، وأخذتُ بحِطِّي منها ؛ والله تعالى يَعْرِفُهُ
يُنِّ المولودِ من أطهرِ والدَةٍ وأطيبِ والدٍ ؛ ويُعَمِّرُ به منزِلَهُ ، ويؤنِّسُ بِبقائه رَحْلَهُ ؛
ويبلِّغُ بحَبِّيهِ ، من الآمالِ فيه ، ما بَلَغَهُم في المَاجِدِ أُوْبِيهِ ؛ إن شاء الله تعالى .

وفيه : وَيُنْهِي أَنْ نِعَمَ الله تعالى وإن كانت على مولانا متظاهِره ، ولديه مُتَنَاصِرَه ؛
فقد كان الملوكُ يَرِغِبُ إلى الله تعالى في أن يُجِلَّ الأيامَ من نَسْلِهِ ، بَمَنْ يَحْفَظُ عليها
شَرَفَ أَصْلِهِ ، وَيُخَلِّفُهُ بعد العُمُرِ الطويلِ في نُبْلِهِ وَكَرَمِ فِعْلِهِ ؛ وَلَمَّا اتَّصَلَ بالملوكِ
نَبَأُ هذا الهلالِ البازِغِ في سَمائِهِ ، المُقَرَّرِ لِعُيُونِ أَوْلِيائِهِ ، الخَيِّبِ لظُنُونِ أَعْدائِهِ ؛
حَمِدَتُ الله تعالى على مَوْهِبَتِهِ ، وسألته إِقْرَارَ نِعْمَتِهِ ؛ وَأَنْ يُعَرِّفَ مولانا بِرَكةِ قَدَمِهِ ،
وَيُؤَيِّنَ مَقَدَمَهُ ؛ وَيُوَفِّرَ حَظَّهُ من زِيَادَتِهِ ، وسَعَادَةِ وَقَادَتِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ بَرًّا تَقِيًّا ، مَبَارَكًا
رَضيًّا ؛ وَيُفَسِّحَ في أَجَلِهِ ، وَيُبَلِّغَهُ فيه أَمَلَهُ ؛ إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

هُنَّتَ بِالإِسْعَافِ والإِسْعَادِ * وَنَقَّاذِ أَمْرِ في العِدَا بِنَقَادِ !
وَبَقِيَتْ مَابَقِيَ الزَّمَانُ مَهْنًا * وَوَقِيَتْ شَرَّ شِمَاتَةِ الحُسَادِ !
بِمَالِكِ الرِّقِّ الَّذِي أَضْحَى لَنَا * مِنْ جُودِهِ الأَطْوَاقُ في الأَجْيَادِ !
خَلَّدَتْ في عَيْشٍ هَيَّ أَحْضَرِ * يَسْطُو بِبَيْضِ طُبَا وَسُمُرِ صِعَادِ ،
حَتَّى يَخَاطَبَكَ الزَّمَانُ مُبَشِّرًا : * مَتَّعَ بِالإِخْوَانِ والأَوْلَادِ !

جَدَّدَ اللهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مَسْرَةً وَبُشْرَى ، وَأَطَابَ لِعُرْفِهِ عَرَفًا وَتَشْرِبًا ، وَشَدَّ لَهُ بَوْلَهُ السَّعِيدِ الطَّلَعَةِ أَزْرًا وَأَسْرًا ، وَسَرَّى بِهِ الِهْمُومَ عَنِ الْقُلُوبِ وَأَصَارَهَا لَدَيْهِ أَسْرَى ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ إِلَى سَمَاءِ الْمَعَالَى لِيُقَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي بَعْدَهُ أَسْرَى .

الْمَلُوكُ يُخْدَمُ الْمَوْلَى وَيَهْنِيهِ وَيُشْكِرُهُ ، وَيُطْلِعُهُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ لِلْسَبَبِ الَّذِي يُنْبِيهِ وَيَذْكُرُهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ قُدُومُ الْمَسَافِرِ بِلِإِسْفَارِ الْبَدْرِ ، وَظَهْوَرُ مَيُومِنِ النَّوْزَةِ الَّتِي جَاءَ لِأَهْلِهِ بِأَمَانٍ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ، وَهُوَ الْوَلَدُ الْعَزِيزُ الْمَوْفَّقُ النَّجِيبُ ، فَلَانِ ، أَبْقَاهُ اللهُ تَعَالَى لِيَحْيَا مَشْكُورًا مَحْمُودًا ، مَنْصُورًا بِسَيْفِ جَدِّهِ وَسِنَانِ سَعْدِهِ مَسْعُودًا ، وَأَدَامَ عِزَّهُ وَعُلَاهُ ، وَأَعْلَى نَجْمِهِ وَخَلَدَ شَرَفَهُ وَبَهَاءَهُ ، وَضَاعَفَ سَنَاءَهُ وَسَنَاءَهُ ، وَأَرَانَا مِنْهُ مَا أَرَانَا مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَيْمِهِ ، فَسُرُّوْا بِتَبَجِّجِ هَذِهِ النِّعْمَةِ غَايَةً الشُّرُورِ وَالْإِبْتِهَاجِ ، وَأَتَضَّحَّ لَهُ فِي شُكْرِ إِحْسَانِ الْمَوْلَى وَحُسْنِ وَلَدِهِ كُلِّ طَرِيقٍ وَمِنْهَاجٍ ، وَسَأَلَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُطَوِّلَ لَهُ عُمْرًا ، وَيَجْعَلَ لَهُ إِسْعَادَ وَالِدِهِ وَإِسْعَافَهُ ذُنُوحًا ، لِيَرْتَعََا فِي رِيَاضِ الدَّلَّةِ فِي صِحَّةٍ وَسَلَامِهِ ، وَيَجْعَلَ فِي فَنَاءِ الْعُلَا لَهَا دَارَ إِقَامَةٍ ، وَيُلْغَا مِنْ السَّعَادَةِ دَرَجَةً لَا تَرِيمُ عَالِيَةً وَلَا تُرَامُ ، وَتَخْضَعُ لَهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَيَرْشُقَاهُمَا بِسِهَامِ الصُّرُوفِ وَيَطْعَنَاهُمَا بِأَسْنَتَيْهَا ، وَيَفْهَمَا دَعَاءَ الْآيَامِ لَهَا مِنْ صُدُورِهَا وَيَسْمَعَاهَا مِنْ أَلْسِنَتَيْهَا ، مَخَاطِبَةً لِأَيْمِهِ ، وَمُنْشَدَةً لِسَائِرِ أَهْلِهِ وَمَحْيِيَةً :

مَدِّ لَكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَدًّا ، * حَتَّى تَرَى نَجْلَكَ هَذَا جَدًّا

الصنف الثاني — التهنية بالبنات .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

النِّعْمَةُ نِعْمَتَانِ : إِحْدَاهُمَا تُجْعَلُ الْأُنْسُ ، وَالْآخَرَى تَدْنِيهِ الْأَجْرُ ، وَعَلَى حَسَبِ

مَاتَلْتُ بِهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى ظَاهِرِ الْمَحْبُوبِ ، وَالتَّسْلِيمِ فِيَا يَجْرِي مَجْرَى بَعْضِ الْمَكْرُوهِ ؛
يَكُونُ الْمَتَاعُ عَاجِلًا ، وَالثَّوَابُ آجِلًا ؛ وَمَا قَدَّمْتُ الْقَوْلَ [إِلَّا] لِمَا ظَنَنْتُهُ يَغْرِضُ
لَكَ مِنَ الْوُجُومِ فِي هَذِهِ الْمَوْهَبَةِ ، فِي الْمَوْلُودَةِ الَّتِي أَرْجُو أَنْ يَعَظَّمَ اللَّهُ بَرَكَتَهَا ، وَيَجْعَلَهَا
أَيَّامَ مَوْلُودٍ فِي عَصْرَهَا ، وَدَالَّةً عَلَى سَعَادَةِ أَيْيَاهَا وَجَدَّهَا ؛ وَ[لَئِنْ] كَانَ فِي الطَّبْعِ حُبُّ
الذُّكُورِ وَالشَّغْفُ بِالْبَيْنِ ، فَإِنَّ الْبَيْنَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَهِنَّ بِالْأَيَّامِ مَعْرُوفَاتٌ ؛ وَبِالْبَرَكَاتِ
مَوْصُوفَاتٌ ، وَبِالذُّكُورِ فِي أَثَرِهِنَّ مُبَشِّرَاتٌ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ النِّعْمَةَ فِيهَا تَهْنِئَةً لَا تَنْقُضِي
سَعَادَتَهَا ، وَلَا يَعْتَرِضُ النِّقْصُ وَالتَّقْدِيرُ شَيْئًا مِنْهَا ؛ وَابْقِي هَذِهِ الصَّبِيَّةَ مُمْتَعًا أَبُوهَا بِهَا ،
وَمُنْشَأً لَهُ الْحِطُّ مِنْ حَدَاتِهَا ؛ وَبَلِّغْهَا أَفْضَلَ مَبَالِغِ الصَّالِحَاتِ الْقَانِنَاتِ مِنْ أُمَمَاتِهَا ؛
وَجْعَلْ فِي مَوْلِدِهَا أَصْدَقَ دَلِيلٍ عَلَى طُولِ عُمرِ أَيْيَاهَا وَسَعَادَةِ جَدِّهَا ، وَتَضَاعُفِ نِعَمِ اللَّهِ
عِنْدَهُ ؛ إِنَّهُ لَطِيفٌ جَوَادٌ .

أبو مسلم محمد بن بحر :

مَرْحَبًا بِبِكْرِ النِّسَاءِ ، وَبِكْرِ الْأَوْلَادِ ، وَعَقِيلَةِ الْخِلَاءِ ، وَالْمَأْمُولَةِ لِلْبَرَكَةِ ، وَالْمَشْهُورَةِ
بِالْأَيَّامِ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَاهُ فَوْجَدْنَاهُ مَعْهُودًا مَسْعُودًا ؛ وَاللَّهُ يَعْرِفُكَ أَضْعَافَ مَا عَرَفَ
مَنْ قَبْلَكَ ، وَيُبَارِكُ لَكَ فِيَا رِزْقِكَ ؛ وَيُثَنِّي لَكَ بِأَخِي لِلْمَوْلُودَةِ وَيَجْعَلُهُ رَدِيفَهَا ،
وَفِي الْخَيْرِ قَرِينَهَا وَشَرِيكَهَا .

علي بن خلف :

وَيُنْهِى أَنَّ الْمَمْلُوكَ أَنْتَصِلَ بِهِ أَرْتِمَاضُ مَوْلَانَا بِمَقْدَمِ الْكَرِيمَةِ الْوَافِدَةِ ، بِطَالِعِ
السَّعَادَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ؛ فَعِجِبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ مَوْلَانَا مَعَ كَمَالِ نُبْلِهِ ،

(١) المراد به التضييق انظر القاموس .

(٢) يريد قلقه وعدم أنبساطه .

وشرف عقله وعلمه ؛ فإنَّ الله تعالى جَلَّ اسْمُهُ يقول : ﴿ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ وإنَّ ما جَدَّه الله تعالى من مواهبه جدير أن يُتلقى بالسرور والفرح ، لا بالاستياء والترح ؛ لاسيما والدُّكْرُ إِنَّمَا يَتَفَضَّلُ عَلَى الْأُنْثَى بِنَجَابَتِهِ ، لَا بِجَلِيلَتِهِ وَصُورَتِهِ ؛ وقد يَقَعُ فِي الْإِنَاثِ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنَ الذُّكُورِ طَبْعًا ، وَأَجْزَلُ عَائِدَةً وَنَفْعًا ؛ وقد رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” إِذَا رُزِقَ الْعَبْدُ الْأُنْثَى نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْشُرُوا بِالرِّزْقِ ؛ وَإِذَا رُزِقَ ذَكَرًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْشُرُوا بِالْعِزِّ “ فَلْيَسْتَقْبِلْ مَوْلَانَا الرِّزْقَ بِالشُّكْرِ فَإِنَّ الْعِزَّ يَتَّبِعُهُ ، وَلَا يَعَارِضُ اللَّهَ تَعَالَى فِي إِرَادَتِهِ ؛ وَلَا يَسْتَقِلُّ شَيْئًا مِنْ هِبَتِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَرِّفُهُ يَمَنَ عَهْدِهَا ، وَسَعَادَةَ قُدُومِهَا ؛ وَأَنْ يَسَّرَ بَعْدَهَا بِإِخْوَةٍ مُتَّابِعِينَ مُتَلَاحِقِينَ ؛ يُؤَيِّدُونَ أَمْرَهُ ، وَيُحْيُونَ بَعْدَ الْعُمُرِ الْأَطْوَلَ ذِكْرَهُ .

أبو الفرج البغاء :

لو كان الإنسان متصرفًا في أمره بإرادته ، قَادِرًا عَلَى إِدْرَاكِ مَشِيئَتِهِ ؛ لَبَطَلَتْ دَلَائِلُ الْقُدْرَةِ ، وَاسْتَحَالَتْ حَقَائِقُ الصَّنْعَةِ ؛ وَدَرَسَتْ مُعَالِمُ الْآمَالِ ، وَتَسَاوَى النَّاسُ بِلُغَةِ الْأَحْوَالِ ؛ غَيْرَ أَنَّ الْأَمْرَ لَمَّا كَانَ بِغَيْرِ مَشِيئَتِهِ مَصْنُوعًا ، وَعَلَى مَا عَنَهُ ظَهَرَ فِي الْإِبْتِدَاءِ مَطْبُوعًا ؛ كَانَ الْمُخْرَجُ لَهُ إِلَى الْوُجُودِ مِنَ الْعَدَمِ ، فَيَأْرَتَضَاهُ لَهُ غَيْرَ مَتَّهِمٍ ؛ وَمَوْلَانَا - أَيْدَهُ اللَّهُ - مَعَ كَيْلِ فَضْلِهِ ، وَتَنَاهَى عَقْلَهُ ؛ وَحِدَّةِ فِطْنَتِهِ ، وَثَاقِبِ مَعْرِفَتِهِ ؛ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَجْهَلَ مَوَاقِعَ النِّعَمِ الْوَارِدَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، أَوْ يَتَسَخَّطَ مَوَاهِبَهُ الصَّادِرَةَ إِلَيْهِ ؛ فَيَرْمُقَهَا بِنَوَاطِرِ الْكُفْرِ ، وَيُسْلِكَ بِهَا غَيْرَ مَذَاهِبِ الشُّكْرِ .

وقد اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ خَبَرُ الْمَوْلُودَةِ كَرَّمَ اللَّهُ غُرَّتَهَا ، وَأَطَالَ مُدَّتَهَا ؛ وَعَرَّفَ مَوْلَانَا الْبَرَكَتَ بِهَا ، وَبَلَّغَهُ أَمَلَهُ فِيهَا ؛ وَمَا كَانَ مِنْ تَغْيِيرِهِ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْخَبَرِ ، وَإِنْكَارِ مَا أَخْتَارَهُ

له سابقُ القَدَرِ؛ فمَجِبَ المملوكُ من ذلك واستنكره، من مولانا وأنكره؛ لضيق العُدْرِ في مثله عليه . وقد علمَ مولانا أنَّهم أقربُ إلى القُلُوبِ ، وأنَّ الله تعالى بدأ بهم في الترتيب فقال جلَّ من قائل : ((يَهَبْ لِي نِشَاءً إِنَّا هَبَّ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ)) وما سَمَّاهُ الله هبةً فهو بالشكر أَوْلَى، وبِحُسْنِ التَّجَبُّلِ أَحْرَى ؛ وَلَكَمْ نَسِبَ أَفْدَنُ ، وشَرَفَ اسْتَحْدَثُنْ ؛ من طُرُقِ الأَصْهارِ ، والاتِّصَالِ بِالْأَخْيَارِ . والمَلْتَمَسُ من الذِّكْرِ نَجَابَتُهُ ، لِأَصُورَتِهِ وَوِلَادَتِهِ ؛ وَلَكَمْ ذِكْرُ الْإِثْنِ أَكْرَمُ مِنْهُ طَبْعًا ، وَأَظْهَرُ مِنْهُ نَفْعًا ؛ فمولانا يُصَوِّرُ الحَالِ بِصُورَتِهَا ، وَيَجِدُّ الشُّكْرَ عَلَى مَا وَهَبَ مِنْهَا ؛ وَيَسْتَأْنِفُ الاعْتِرَافَ لَهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِبَصِيرَتِهِ ، وَالْأَوْلَى بِمَثَلِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث - التهنية بالتَّوَم .

أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ مِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ وُلِدَ لَهُ ذَكَرٌ وَاثْنَانِ مِنْ جَارِيَةِ سَوْدَاءَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَحْصَكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهَا بَتَوَمَ * وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ تُسْتَخْرِجُ الدَّرَرَ !
وَاركَ أَضْحَى وَإِنَّا عِلْمُ جَارٍ * فَأَعْطَاكَ مِنَ الْقَابَةِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ !

الأجوبة عن التهنية بالأولاد

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرَّقَاعِ يَجِبُ أَنْ تُبْنَى عَلَى شُكْرِ أَهْتَامِ الْمُهْنِيِّ وَرِعَايَتِهِ ، وَالْاعْتِدَادِ بِعِنَايَتِهِ ؛ وَأَنَّ الزِّيَادَةَ فِي تَجَدُّدِ الْمُهْنِيِّ [به] زِيَادَةٌ فِي عَدَدِهِ ، وَأَنَّ نَصِيْبَهُ مِنْ تَحْرُكِ السَّرُورِ فِيمَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَاهِبِ كَنْصِيْبِهِ : لِتَنَاسُيْهِمَا فِي الْإِخَاءِ ، وَتَوَافِيهِمَا فِي الصَّفَاءِ ، وَأَنَّ تَرَاعَى مَعَ ذَلِكَ مَرْتَبَةُ الْمُهْنِيِّ وَالْمُهْنَى ، وَبَيْنِي الْخَطَابُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ كُلُّ مِنْهُمَا .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وَيُنْهَى رُودَ الْكَتَابِ الَّذِي تَشْرَفُ الْمَمْلُوكُ بِوُرُودِهِ ، وَأَشْرَقَتِ الْأَيَّامُ بِكَالِ
سُعُودِهِ ، وَأَرْغَمَ بِلَاغَتِهِ مَعْطَسَ مُنَاوِيهِ وَحُسُودِهِ ؛ فَشَكَرَ أَيَادِي مَنْ أَنْعَمَ بِإِرْسَالِهِ ،
وَأَكْتَسَى بِالْوُقُوفِ عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ حُلَلِ نَخْرِهِ وَجَمَالِهِ ؛ وَبَالَعَ فِي إِكْمَالِهِ ، حَتَّى وَقَفَ
إِجْلَالًا لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ تَلَا آيَاتِ حُسْنِهِ عَلَى أُذُنَيْهِ ؛ فَوَجَدَهُ مَشْتَمِلًا عَلَى إِحْسَانٍ
لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ ، وَمِنْ أَوْدَعِهَا فِيهِ فَلَا يُحْصِيهَا حَضَرٌ وَلَا عَدَدٌ ؛ فَهَيَّجَ بِوُرُودِهِ
رَسِيسَ الْأَشْوَاقِ ، وَتَقَلَّدَ بِإِنْعَامِ مُرْسَلِهِ كَمَا قُلَّدَتِ الْحَمَائِمُ بِالْأَطْوَاقِ ، وَوَجَدَ لَوْعَةً
لَا يُحْسِنُ وَصْفَهَا لِسَانُ الْيَرَاعِ فِي الْأَوْرَاقِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَوْلَى مِنَ التَّهْنِئَةِ
بِالْوَلَدِ الْجَدِيدِ ، بَلْ بِأَصْغَرَ الْخَدَمِ وَالْعِيْدِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ لِمِيلَادِهِ ، وَأَظْهَرَهُ
مِنَ التَّفَضُّلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ آبَائِهِ الْكَرَامِ وَأَجْدَادِهِ ؛ وَلَمْ لَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ
وَالْوَالِدُ مَمْلُوكُهُ ، وَهُوَ مَمْلُوكُ السَّادَةِ الْأَجْلَاءِ أَوْلَادِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ مَجْدَهُ وَتَتَبَعَ بِثُوبِ
مَكَارِمِهِ ، وَخَفَضَ قَدْرَ مُحَارِبِهِ وَرَفَعَ كَلِمَةَ مُسَالِمِهِ ؛ وَلَا زَالَ مَمَالِكُهُ تَتَرَدَّدُ تَرَدُّدَ
الْأَيَّامِ ، وَسَعَادَتُهُ بَاقِيَةٌ بَقَاءَ الْأَعْوَامِ ، وَعَيْنُ الْعَنَاءَةِ تَحْرُسُهُ فِي حَالَتِي السَّفَرِ وَالْمَقَامِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثامن

(من التهاني التهنئة بالإبلاال من المَرَضِ والعافية من السَّقَمِ)

فمن ذلك :

وَيُنْهَى أَنَّهُ مَازَالَتْ أَجْسَامُ أَهْلِ التَّصَافِي ، تَشْتَرِكُ فِي الْأَسْقَامِ وَالْعَوَافِي ، كَمَا تَشْتَرِكُ
أَنْفُسُهُمْ فِي التَّخَالُصِ وَالتَّوَافِي ؛ وَلَمَّا أَلَمَ بِمَوْلَانَا هَذَا الْأَمُّ الَّذِي تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى

بإماطته ، ومن فيه على السُّودد بحراسة مولانا وحياطته ؛ فرأيتُه حالاً في جوارحي ،
مُحرقاً لجوانيحي ؛ مازجاً لأعضائي ، ممتلكاً لأنوائِي^(١) ؛ ولئن كنت قد تحملت من ذلك
عباً ، وأرتقيت من تحمله مرَّتقي صعباً ؛ فلقد نَحَرْتُ بمأسَّته ، وأحمدتُ طبعي على
مُساكنته ؛ وشكرتُ الله تعالى إذ جعلني شُعبة من سرحته ، وجيلة من طينته ؛ وعلى
ماسرِّبه من إقالتِه وإنعاشِه ، ومُصافاتِه وإنشاشِه ؛ وسألتُ الله تعالى أن يبقية نُورا
يُوضِّح مغربَ الدهر ومشرقَه ، ودراً يرصع قودَ المجد ومفرقه ؛ ويُحسن الدِّفاع عن
حَوْبائه ، وهو سبحانه يُجيب ذلك ويتقبَّله ، ويرفعه ويسمعه ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

المملوكُ يَهْنِيُّ مولاهُ خاصَّةً إذ جعله الله تعالى من صفوةِ أوليائه ، وخالصةِ أحبائه ؛
الذين يتبليهم اختباراً ، ويتنابهم اختياراً : ليجمع لهم بين تمحيصِ وزرهم ، ومضاعفةِ
أجرهم ؛ والحضِّ على طاعته ، والإِصرافِ عن معصيته ؛ ويَهْنِيُّ الكافَّةَ عامَّةً بالمُوهبةِ
في نُوره المُطلعةِ لآملِ الإقبال ، المُرويةِ لِمَاحِلِ الآمال ؛ ثم أعطفُ على حَمْدِ الله
على مآمنٍ به من إبلالِه ، ويسره من استِقلالِه ؛ والرَّغبةِ إليه في أن يمنحه صحَّةً مُخلِّدَةً
وتُقيم ، وعافية تَرَهَنَ ولا تَرِيم ؛ وأن يَجِيه من عوارضِ الأسقام ، ويصُونه من حوادثِ
الأيَّام ؛ بفضله وجُوده ، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغواء :

أفضلُ ما يَفْزَعُ إليه العبدُ المُخلص ، والمولى المتخصِّص ؛ فيما ينوبُ سيِّدهُ ويهمُّ
وَلِيَّ نِعْمَتِه ، الدعاءُ المُقترِنُ بصدقِ النية ، وصَفَاءِ الطَّويَّةِ [فالحمد لله الذي من بالصَّحَّةِ]
وتصدَّق بالإقالة ، وتداركِ بجِميلِ المُدافعة ؛ وعمَّ سائرَ خَدَمِه أيَّده الله بالنِّعمة ، وأعادَه

(١) كذا في الأصل ولعله لأحشائي أو نحو ذلك .

إلى أجمل عاداته من السلامة والصحة ، فائزاً بمدخر الأجر ، متعبداً بمستأنف الشكر ؛
فلا أخلاه الله من زيادة فيما يؤليه ، ولا قصداً بسماع سوء فيه ؛ وحرس من الغير
مُهتجته ، ومن المحذور نِعْمته .

وله في مثله :

ما كنتُ أعلم أنَّ عافيتي مقرونةٌ بعافيتك ، ولا سلامتي مضافةٌ لسلامتك ؛
إلى أن تحققت ذلك من مشاركتي إياك في حالتي الألم والصحة ، والمرض والمحنة ؛
فالحمد لله الذي شرف طبعي بمناسبتك ، وجمّل خلقي بملأمتك ؛ فيما ساء وسرّ ، وإياه
تعالى أشكر على ماخصني به من كمال عافيتك ، وسُبوغ سلامتك وسُرعة إقبالتيك ؛
وبه - جلّ اسمه - أتيقن في مزيدك من تظاهر النعم ، وتوفر القسم .

وله في مثله :

ولولا أنَّ متضمن كتابك قرَن ذكر المرض الهاجم عليك ، بذكر ما وهبه الله لك
من عود السلامة إليك ؛ لما اقتصر بي القلق على [ما] دون المسير نحوك ، والمبادرة
لمشاهدتك ؛ غير أنَّ السكون إلى ما أدّاه كتابك سابق الجزع ، والطمأنينة إلى ما وهبه الله
من كفايتك حالت دون الهلع ؛ فالحمد لله الذي من بالإقالة ، وتصدق بالسلامة وعم
بالكفاية ؛ وهو ولي حراستك وحراستي فيك .

وله في مثله :

سيدنا في سائر ما يدركه الله من هجوم ألم مؤذن بصحة ، واعتراض مخنة مؤدية إلى
منحه ؛ مرئوق بالعافية ، محروس من الله جلّ اسمه بالحفظ والكلاءة ؛ فهو مع العلة
فائزٌ بذخائر الأجر ، ومع العافية موفقٌ لاستعادة الشكر ؛ فالحمد لله الذي عقد الكرم
ببقائه ، وشفى مرض الآمال بشفائه ؛ وكفاه اعتراض الخوف ، وعوارض الصروف .

وله في مثله :

مَا أَتَفَرَّدَ جِسْمُكَ بِالْعِلَّةِ دُونَ قَلْبِي ، وَلَا أَخْتَصَّصْتُ نَفْسَكَ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى -
بِعُانَةِ الْمَرَضِ دُونَ نَفْسِي ؛ وَلَمْ أَزَلْ بِالْقَلْبِ تَالِيًا ، وَفِي سَائِرِ مَا شَكُوهُ بِالنِّيَّةِ مُسَاوِيًا ؛
إِلَى أَنْ كَشَفَ اللَّهُ الْغُمَّهَ ، وَأَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَنَفَسَ الْكُرْبَةَ ؛ وَمَنْنَ بِالسَّلَامَةِ ، وَتَصَدَّقَ
بِالْكِفَايَةِ ؛ وَأَوْجَبَ بِالْعَافِيَةِ عَلَيْنَا جَمِيعًا فُرُوضَ الشُّكْرِ ، بَعْدَ مَا أَدَّخَرَ لَكَ بِالْأَلَمِ مِنْ
كَثْرَةِ الْأَجْرِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا يُؤَدِّي إِلَى حِرَاسَةِ مَا خَوَّلَكَ ، وَيُؤْذِنُ بِالْمَزِيدِ
فِيَا مَنِّكَ .

ومن كلام المتأخرين :

أَعْلَى اللَّهِ قَدَرَ الْجَنَابِ الْقَلَانِي ، وَلَا زَالَتْ شُمُوسُ أَيَامِهِ لِاتِّخَافِ كُسُوفِهَا وَلَا أَقُولَا ،
وَأَقَامَرُ لِيَالِيهِ تَغْرِسٌ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَمَحْيِيهِ فُرُوعًا وَأَصُولًا .

الْمَمْلُوكُ يَخْدُمُ خِدْمَةً مَنْ تَحْمِلُ جَمِيلًا ، وَنَالَ مِنْ تَفَضُّلِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ جَزِيلًا .

وَيُنْهِى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الشُّرُورِ بِعَافِيَةِ مَوْلَانَا ، فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا جَدَّدَ مِنَ النِّعْمَةِ
التَّامَّةِ ، وَتَمَحَّجَّ بِهَ مِنَ الْكَرَامَةِ الْعَامَّةِ ؛ حِينَ أَعَادَ الْبَدْرَ إِلَى كَمَالِهِ ، وَالشُّرُورَ إِلَى أُمْتِّ
أَحْوَالِهِ ؛ وَمَا كَانَتْ إِلَّا غَلْطَةً مِنَ الدَّهْرِ فَاسْتَدْرَكَهَا ، وَصَفْقَةً خَارِجَةً عَنْ يَدِهِ فَمَلَّكَهَا ؛
فَقَرَّرَتْ بِذَلِكَ الْعُيُونُ ، وَتَحَقَّقَتْ فِي بُلُوغِ الْأَمَلِ الظُّنُونُ ؛ وَانْجَبَرَ قَلْبُهُ بَعْدَمَا وَهَنَ ،
وَعَادَ جَفْنُهُ بَعْدَ الْأَرَقِّ إِلَى الْوَسَنِ ؛ وَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ .
وَلَقَدْ كَانَ يَتَنَّى الْمَمْلُوكُ لَوْ فَازَ مِنَ الرُّؤْيَةِ الشَّرِيفَةِ بِحِطِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَتَمَلَّى بِمُشَاهَدَةِ
وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ فِيهِ الْبُغْيَةَ وَالْوَطَرَ .

وَالْمَمْلُوكُ فَمَا يُعَدُّ نَفْسَهُ إِلَّا مِنَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ يَذُلُّوا نُفُوسَهُمْ لِحُبِّهِ وَأَعَدُّوْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُسِّرُ الْأَوْلِيَاءَ بِتَضَاعُفِ سُعُودِهِ ، وَيُدِيمُ بِهِجَةَ الْأَيَّامِ بِمَيْمُونِ وَجُودِهِ ؛ وَيُطِيلُ

في مدته ويحرسها من الغير، ويحرس أحوال مزاجه الكريم على القائلون المعتبر،
ويكفي أولياءه ومحبيه فيه كل مكروه وحذر، إن شاء الله تعالى .

من زهر الربيع :

ولما شَكُوتَ، أَشْكِي كُلَّ مَا * عَلَى الْأَرْضِ وَأَهْتَزُّ شَرْقًا وَغَرْبًا !

لَأَنَّكَ قَلْبٌ لِحُجْمِ الزَّمَانِ * وَمَا صَحَّ حِجْمٌ إِذَا أَعْتَلَّ قَلْبٌ !

حرس الله جنابه، وأسبل عليه رداء السعد وأثوابه، ومنعه يرود العافية وجلبابها،
وفتح له إلى نيل السعادة سائر أبوابها، ومنحه الكفاية والأمن في سريه، والعافية
في جسمه من قلق كل مرض وكربه، وجمع له بين الثواب والأجر، وجازاه بجزيل
الغفران عن جميل الصبر .

المملوك يبشر نفسه ومولاه بما من الله به من صحة مزاجه الكريم، والإبلال من
مرض كاد يدير كئوس الحمام على كل صديق حميم، ويحمد الله على عافيته حمداً
جزيلًا، ويشكره عليها بكرة وأصيلًا، فإنه قد عوفي لعافيته المجد والكرم، وزال عنه إلى
أعدائه الألم، فالمولى حفظ الله صحته من السقم، وحماه من ألم ألم، وجعل سعادته
تتراد على ممر الأنفاس، وجسده سالمًا من الأذى كسلامة عرضه من الأذناس،
إن شاء الله تعالى .

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وقى الله من الأسواء شخصه الكريم، وشمله النظيم، وقلب محبه الذي هو في كل
وادي من أودية الإشفاق بهم .

ولا زالتِ الصَّحَّةُ قَرِينَهُ حَتَّى لَا يَعْتَلَّ فِي مَنَازِلِهِ غَيْرُ مُرُورِ النَّسِيمِ . وَيَصِفُ شَوْقًا
يَزِيدُ بِالْأَنْفَاسِ وَقْدًا ، وَيَجِدُّ لِلْأَحْشَاءِ وَجْدًا ، وَيَبَاشِرُ الْقَلْبَ الْمُغْرَمَ فَيَمُدُّ لَهُ مِنْ
عَذَابِ الْإِنْتِظَارِ مَدًّا .

وَيَنْهَى أَنَّهُ جَهَّزَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ نَائِبَةً عَنْهُ فِي اسْتِجْلَاءِ وَجْهِ أَكْرَمِ الْأَحِبَّةِ ، وَتُصَاخِ
الْيَدِ الَّتِي أَقْلَامُ كُتُبِهَا فِي شَكْوَى الْبِعَادِ أَطْبَعُ ، مَبْدِيَةً إِلَى الْعِلْمِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ مَعَ مَا كَانَ
يَكَايِدُهُ مِنَ الْأَشْوَاقِ ، وَيَعَالِجُهُ مِنْ خَوَاطِرِ الْإِشْقَاقِ ، بَلَّغَهُ ضَعْفُ الْجَسَدِ الْمَوْقُ ،
وَعَارِضُ الْأَلَمِ الَّذِي اسْتَطَارَ مِنْ جَوَانِحِ الْحَيِّينِ بَرَقًا ؛ فَلَا يَسْأَلُ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ عَنْ
قَلْبٍ تَأَلَّمَ ، وَصَدْرٍ صَامَتٍ بِالْهُمُومِ وَلَكِنَّهُ بِجِرَاحِ الْأَشْجَانِ تَكَلَّمَ ، وَلِسَانٍ أَنْشَدَ :

أَلَا لَيْتَنِي حُمِلْتُ مَا يَكُ مِنْ ضَنْئِي * عَلَى أَنَّ لِي مِنْهُ الْأَذَى وَلَكَ الْأَجْرُ !

ثُمَّ لَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَجَّلَ خَبَرَ الْعَافِيَةِ الْمَأْمُولَةِ ، وَالصَّحَّةِ الْمُقْبِلَةِ عَقِيبَ الدَّعَوَاتِ
الْمَقْبُولَةِ ؛ فَيَا هَذَا مَسْرَّةَ شَمِلَتْ ، وَمَبْرَّةَ كَلَّتْ ؛ وَتَهْنِئَةَ جَمَعَتْ قُلُوبَ الْأَوْدَاءِ وَجَمَلَتْ ،
وَأَعْضَاءَ فَدَتْهَا عُيُونُ الْمَهَامَا فَتَقَلَّتْ عَنْهَا صِفَاتِ السَّقَامِ وَحَمَلَتْ ؛ وَعَافِيَةً حَوَّلَتْ إِلَى
قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ الْمَرَضِ ، وَجَوْهَرِ جَسَدٍ طَاهِرٍ زَالَ [عَنْهُ] بِأَسِّ الْعَرَضِ ؛ فَهَنِيئًا لَهُ
بِهَذِهِ الصَّحَّةِ الْمُتَوَافِرَةِ الْوَاقِيَةِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّ جَمْعَ بَيْنِ حُصُولِ الْأَجْرِ
وَوُصُولِ الْعَافِيَةِ ، وَعَلَى أَنَّ حِفْظَ ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ وَحِفْظُهَا هُوَ الْمَقْدَمَةُ الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ :

وَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْمَسْرَّةَ بَيْنَهُمْ * قَسَمًا فَكَانَ أَجْلُهُمْ قَسَمًا أَنَا !

وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَبِّحُ عَلَيْهِ ظِلَالُ نِعَمِهِ ، وَيَحْفَظُهُ حَيْثُ كَانَ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَدَمِهِ ؛
وَكَمَا سَرَّ الْأَحْبَابَ بِجَبْرِ عَافِيَتِهِ كَذَلِكَ يُسَرُّهُمْ بِعِيَانِ مَقْدَمِهِ .

أجوبة التهئة بالإبلال من المرض والعافية

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرّقاع يجب أن تكون مبنية على وصف الألم وصورته وما تفضل الله تعالى به من إماتته ، وشكر المهني بأهتمامه وعنايته .

وهذه أمثلة من ذلك :

من زهر الربيع :

أدام الله نعمته ، وشكر مته ، وأدال دولته ؛ وأعلى قدره وكلمته ، وحتم على الألسنة شكره والقلوب محبته . ولا زالت التهانى من جهته وإفده ، والبشائر وإرده .

ويُنهى ورود الكتاب الذى أعدته يد المعالى فعاد كريما ، وشاهد حسن منظره فصار وجهه وسما ، وأنه وقف عليه ، وأحاط علما بكل ما أشار المولى إليه ؛ فذكره أنسا كان بخدمته لم ينسه ، وجدد له وجدا ما زال يجد في قلبه ونفسه عينه ونفسه ؛ ونشر من مآثره الماثورة ، وفضائله المرقومة في صفائح الصحائف المسطورة ؛ ماشف به وشرف ، وشوق إلى لقائه وشوف ؛ وأقام البرهان على ذكي فطنته ، وزكي فطرته ؛ وعلم ما أنعم به وتفضل ، وأحسن وتطول : من تهئة المملوك بالإبلال من مرضه ، والبراء من سقمه ، والتخلص من يدى وجعه وألمه ؛ وسرور ورود كريم مشرقته ، أعظم من سروره بلباس ثوب عافيته ؛ وبدوام مجده وسعادته ، أكثر من صحته مزاجه وأستقامته : فإن مكارم المولى كالحدايق الناضرة ، وميزته أعز في القلوب من الأحداق الناطرة .

فالحمد لله الذى من بالعافية من ذلك المرض ، والداء الذى ألم بعرضه فاحتوى منهما على الجوهر والعرض ؛ وطال حتى أسامه من نفسه وعواده ، وآيسه من الحياة

لولا لطفُ الله واللهُ لطيفٌ بعباده ؛ وهذا ببركةِ المولى ودعائه الذى كان يرفعه ،
والخواطرُ والأسماعُ مع بُعدِ الشُّقَّةِ تشهدُ به وتسمعه ؛ جعل الله التهانى مع الأبد
واردةً منه وإليه ، وشكرُ إنعامه وأتمَّ نعمته عليه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وكتبتُ للمقرِّ العلائى علاء الدين الكرِّكى وهو يومئذ كاتبُ السرِّ الشريف
فى الدولة الظاهرية « برقوق » فى سلطته الثانية ، وقد برأ من مرض نظما :

أَفَدِيهِ مِنْ جَسَدٍ قَدْ صَحَّ مِنْ سَقَمٍ * فَبَاتَ جَوْهَرُهُ خَالٍ مِنَ الْعَرَضِ !
فَاسْتَبَشَّرْتُ بَعْلَى الْقَوْمِ شَيْعَتَهُ * وَمَاتَ حَاسِدُهُ بِالسَّقَمِ وَالْمَرَضِ !

الضرب التاسع (التهنئة بقرب المزار)

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

قَرَّبَ اللهُ مَزَارَهُ ، وَأَذْنَى جَوَارِهِ ، وَأَعَانَ أَعْوَانَهُ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ . وَلَا زَالَتْ
الْأَنْفُسُ لِقُرْبِهِ مَسْرُورَةً ، وَرَايَاتُ مُجْدِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَأَحْزَابِ الْإِسْلَامِ بِهَيْبَتِهِ عَلَى
أَعْدَاءِ الدِّينِ مَنصُورَةً .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْبَاسِطَةَ الْعَالِيَةَ بِسَطِّ اللَّهِ ظِلِّهَا ، وَشَكَرَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ فَضْلَهَا . وَيُنْهِى أَنَّهُ
أَتَّصَلَ بِهِ طَيِّبَ أَخْبَارِهِ ؛ وَقُرْبُ مَزَارِهِ ؛ فَتَضَاعَفَ شَوْقُهُ ، وَتَرَايَدَ تَوَقُّعُهُ ؛ وَهَيَّجَتْ
صَبَابَتُهُ لِأَعْيُنِهِ ، وَسَهَّلَتْ إِلَى نَيْلِ الْمَسَرَّةِ طُرُقَهُ وَمَنَاجِحَهُ :

وَأَبْرَحَ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا * إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَاوِ !

فَاللهُ يُقَرِّبُ مِنْ أَمَدِ التَّلَاقِ بَعِيدًا ، وَيَجْعَلُ رِذَاءَ الْإِجْتِمَاعِ بِخِدْمَتِهِ قَشِيْبًا جَدِيدًا .

الضرب العاشر

(التهنئة بنزول المنازل المستجدة)

فمن ذلك [من إنشاء] علي بن خلف :

أشرف المنازل رُفَعه ، وأترفها بُقَعه ، وأرفعها رَفَعه ، ما آتخذهُ مولانا لنفسه
موطناً ، وجعله بنزوله فيه حرماً آمناً ، وصيرهُ بِخِصْبِ مكارمه للعفاة مَرَاداً ومَقْصِداً ،
وبمُعَذِّبِ نوافله للظَّامة مَشْرَعاً ومَوْرِداً ، وللسَّوْدَدِ بِجَدِّه مَعْقِلاً ، وللرَّياسة بِشَرَفِهِ
مَتَرِلاً ، والله تعالى يجعل هذه الدَّارَ التي تديرها وحلَّها ، وحطَّ بها رحلَهُ ونزلها ، مأهولةً
ببقائه ، آسنةً بِسُبوغِ نعمائه ، عامرةً بِسعادته ، مَشِيدَةً بِتناصرِ عزِّهِ وزيادته ، لا تُخْطِئُها
حوائمُ الآمالِ ، ولا تُنْخَطِّها دِيمُ الإقبالِ ، ويُعرِّفُهُ من بركتها ، ويُمَيِّنُ عَتَبَتِها ، ما يقضى
بامتدادِ الاجلِ ، وأنفِساسِ الأملِ ، وبلوغِ الأمانِ ، وأتصالِ التَّهاني ، بِمنِّهِ وكرمه ،
إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهي أنه قد اتصل بالملوك تحوُّلُ مولانا إلى المنزل المنشأ الجديد ، ذى الطالع
السَّعيدِ ، والطائر الحميد ، فسألتُ الله تعالى أن يُيوِّثَهُ منه المَبوَأَ الكَرِيمَ ، ويمتعه فيه
بالدَّعةِ والنَّعيمِ ، والتماءِ والمزِيدِ ، والعيشِ الرِّغيدِ ، ويجعله واصلاً لحبله ، مأهولاً
بأهله ، ويعرفه بركة عَتَبَتِهِ ، ويملكه بيَّهاةِ ونِصَّارته ، وحصل للملوك السُّرورُ بأن بلغه
الله الوَطْرَ ، في سُكنى ما عَمَرَ ، وأناله الأملُ والالتذاذ بِخِدْمَتِهِ ، والسُّرورُ بِانْفِصاضِ
عُدَّتِهِ ، إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

مولانا - أمتع الله بوجوده - غنى عن الهناءِ بِمَنْزِلِ يَنْزِلُهُ ومَحَلِّ يَحُلُّهُ ، إذ الله
سبَّحانَهُ وتعالى قد كَثَّرَ أوطانه وأدْرَهُ ، وبلغه في تمامِ عِمَارَتِها وأنفِساسِها وطَرَهُ ،

وخصه بأفضلها معانا ، وأشرفها مكانا ؛ والمستوجب في الحقيقة للهائه هو الموضع الذي اختاره دارا ، وأرتضاه مستقرا ؛ وعرف المملوك أنتقاله - لازل يتنقل في بروج السعد ، ويأوي إلى ظل ظليل من المجد - إلى الدار الفلانية لازالت جامعة لشمله ، مانوسة بأهله ؛ فعدل عن خدمته بالهائه ، إلى إخلاص الدعاء ، بأن يعرفه الله تعالى بمنها وبركتها ، ويريه إقبالها وسعادتها ؛ ويقرن تحوله إليها بأعين طائر ، وأبرك طالع ؛ فإن للحركات أوقانا محمودة ومدمومة : فإذا أعنى الله تعالى بعبد من عبيده ، وفرض له نصيبا من تأييده ؛ وفقه للحركة في الزمن السعيد ، والوقت الحميد ؛ لتكون مصايه مشاكلة لمباده ، وأعجازه مشابهة لهواده ؛ والله تعالى يجعل بابها محطا للقصا ، ومناحا للوفاد ؛ ومزارا للعفا ، وملاذا ^(١) [للغنا] ويصل بها حبله ، وينشئ بها طفله ؛ ويضاعف باستيطانها أنسه ، ويسر بنبوئها نفسه ؛ إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغاء :

أسعد المنازل وأشرف المواطن ما استوطنه أيده الله وتبواه ، وتحير نفسه وأرتضاه ؛ فعدا بشخصه وطن الإقبال ، وبفائض كرمه حرم الآمال ؛ وبشرفه للسودد معقلا ، وبنبيله للرياسة منزلا ؛ فعرفه الله بمن هذه الدار المعمورة بحلول البركات ، المحفوفة بتناصر السعادات ؛ وجعلها وكل ربع يقطنه ، ومحل يسكنه ؛ مبشرا بامتداد بقاءه ، وأهلا بالزيادة في نعمائه .

وله في مثله :

كل وطن يحله - أيده الله - ويقطنه ، ومحل يتحيره ويسكنه ؛ مقصود بالشكر والثناء ، أهل بالحمد والدعاء ؛ لا يتخطاه متوارد الآمال ، ولا تنقطع عنه مواد الإقبال ؛

ولذلك صار هذا المنزل السعيد من فضائل الأرض ومحاسنها، وتجمع الآمال ومعادنها؛
فعرّفه الله يمينه وبركته، وإقباله وسعادته؛ وقرن انتقاله إليه بأسبغ نعمة، وأكمل
سلامة وأبسط قدرة وأعلى رتبة .

وله في مثله :

عرّفه الله [من] بركة هذا المنزل المورود، والفناء المقصود، ما يؤي على سالف
ما أولاه من تكامل البركات، وتناصُر السعادات؛ وجعل مستقره فيه مقروناً بمؤ
الحال، ونتابع الإقبال؛ في أفصح المدد وأطولها، وأنجح المطالب وأفضلها؛ وعمر
أوطان المكارم بإقباله^(١)، وعصّد الأمانى بالتساع نعمائه .

أجوبة التهئة بقرب المزار، ونزول المنازل المستجدة

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تُبنى على الاعتداد للهني
بتعهده، والشكر له على تودده؛ والابتهاج بهنائه، والتبرك بدعائه؛ وأن المستجد غير
مباين لمنزله، ولا خارج عن أحكام محله؛ وأن تمام بركته، أن يؤنس فيه زيارته؛
وما يشابه هذا .

الضرب الحادى عشر

(نَوَادِرُ التَّهَانِي، وهى خمسة أصناف)

الصفى الأول - تهئة الذمى بإسلامه .

فن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد فى ترسله ، وهو :

وما زالتْ حالك ممثلةً لنا جميل ما وهبَ اللهُ فيك حتى كأنك لم تزلْ بالإسلام
مَوْسُوماً، وإن كنتَ على غيرهِ مُقيماً، وقد كُنا مؤمِلين لما صرْتَ إليه، ومُشفقين لك

(١) لعله ببقائه ليناسب السجع الذى بعده .

مَّا كُنْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَادَ إِشْفَاؤُنَا يَسْتَعْلَى عَلَى رَجَائِنَا ، أَتَتِ السَّعَادَةُ فَيْكَ بِمَا لَمْ تَزَلِ
الْأَنْفُسُ تَعُدُّ مِنْكَ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الَّذِي تَوَرَّكَ فِي رَأْيِكَ ، وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رُشْدِكَ ،
أَنْ يُوَهِّلَكَ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ يُؤْتِيَكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَيَقِيَكَ عَذَابَ النَّارِ .

ومن ذلك ، من كلام أَبِي الْعَيْنَاءِ :

وَلَتَهْنِئَكَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أَخَوَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ؛
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَوَّزَ قَدْحَكَ [وَأ] عَلَى كَعْبِكَ ، وَأَنْقَذَ مِنَ النَّارِ شِلُوكَ ، وَخَلَّصَكَ مِنْ لَبْسِ
الشَّكِّ ، وَحَيْرَةِ الشَّرْكِ ؛ فَأَصْبَحْتَ قَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْيَارِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْآحَادِ الْجُمُعَ ؛
وَبِقِبْلَةِ الشَّامِ ، الْبَيْتَ الْحَرَامَ ؛ وَبِتَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ ، صِحَّةَ التَّنْزِيلِ ؛ وَبِأَوْنَانِ
الْمُشْرِكِينَ ، قِبْلَةَ الْمُوَحِّدِينَ ؛ وَبِحُكْمِ الْأُسُقُفِّ رَأْسِ الْمُتَلَحِّدِينَ [حَكَمَ] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ مَا نَعْمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَذَكَرَكَ شُكْرَهُ ،
وَزَادَكَ بِالشُّكْرِ مِنْ فَضْلِهِ .

أَجْوِبَةُ التَّهْنِئَةِ بِإِسْلَامِ ذِمِّيٍّ

قال في "موادِّ البيان" : أجوبة هذه الرِّقَاعِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَبْنِيَّةً عَلَى شُكْرِ الْمُهَنْئِ
لِلْهُنَى ، وَاعْتِرَافِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَهُ ، وَابْتِهَاجِهِ بِمَازَجَتِهِ فِي الدِّينِ ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ
أَهْلَهُ إِخْوَانًا مُتَصَافِينَ ، وَخُلَائِفًا مُتَوَافِينَ ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَبِإِمَاطَةِ الْحَسَائِفِ مِنْ
قُلُوبِهِمْ ، وَنَحْوِ هَذَا .

الصَّنْفُ الثَّانِي — التَّهْنِئَةُ بِالْإِحْتِنَانِ وَخُرُوجِ الْحَيَّةِ .

فمن ذلك تهنئةٌ لِأَمِيرِ بَخْتَانَ وَلَدَيْنِ لَهُ :

فمن خصائص ما حَبَّاهُ اللَّهُ بَعْدَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فِي نَفْسِهِ — نَفْسُ اللَّهِ مُدَّتْهَا ؛ وَوَسَّعَ
لَهُ مُهْلَتَهَا ، وَأَفْنَى الْأَعْدَادَ دُونَ فَنَائِهَا ، وَالْأَعْمَارَ دُونَ تَصَرُّمِهَا وَأَتَهَائِهَا : [من] الْفَضَائِلِ

(١) الحسائِف جمع حسيقة وهي الضغينة والسخيمة أنظر اللسان في ج ١٠ مادة ح س ف .

المشهوره، والمحاسن المذكوره؛ والمناقب الماثوره، وأقسام الفضل الذى ينقضى
دونَ تصرُّم (?) منازلَه وصفُ الواصف إذا أفرط، ويتهى دونَ أيسرها أملُ الآملِ
إذا اشتط - ما وهبَ الله له من أولادٍ سادَةِ فضلهم فى الأخلاق والصُّور، وأكلهم
فى الأجسام والمِرَب؛ وقدمهم فى العُقول والأفهام؛ والقرائح والألباب، ولم يجعل
للعُياب فيهم سيمه، ولا للإناث بينهم شركه؛ حتى يكون مسلماتهم قصبَ العُلا
والمفانخر، وصدورَ الأسرَة والمنابر؛ من غير منازع، ولا مقارع، ولا مُساهم،
ولا مُقاسم، وزادهم من الثناء فى النشء والبركة واليمن بما يؤذن الحاضرُ منه بالغابر،
ويدلُّ البادى على الآخر؛ وعدًا من الله تعالى ذكره لهم بأوفى السعادات، وأكمل
الخيرات وأعلى الدَّرجات؛ أرجو أن يجعل الله التَّجَجَّ قرينه، والنجاة ذريعته؛
وما أولاه فيهم فى هذه الحال الحادثة التى يَعدُق الله بها أداءَ الفريضة، وكِمالِ
الشريعة؛ ويقع التطيرُ بالختان، الذى جعله الله من شروط الإيمان، وفرضه على
جميع الأديان : من السَّلامة على عِظَم الخطر، وشِدَّة الغرر؛ فى إمضاء الحديد على
أعضاءِ ناعمه، وإيصال الألم إلى قلوبٍ وادعة، لم تُقَارِعَ نصبا، ولم تُعانِ وصبا؛
وآجتماع فيه إلى رِقَّة الصِّبا، وضعف الأسر والقوى؛ أعتياد الرحمة، ومخالفة الترفه
والتثقل بين الشهوات؛ على أن كلَّ واحد من الأميرين شهد المعركة أعزَلَ حاسرا،
وباشر الحرب مغرَّرا مُخاطرا؛ فثبت لوقع السَّلاح، وصبر على ألمِ الجراح؛ وأبلى
بلاءَ الفارس المُدَجَّج، والكبى المَقَّع؛ ثم خرج خُروجَ شبلِ اللَّيث، وفرخ العقاب،
كالقذح المَعلى والشَّهاب الساطع، والنَّجم الناقب؛ وكان فلان أكثرهما تغيرا فى وجه
قرنه، وسطوة على مُنازلِه؛ وكلُّ قد حصَّل فوق الحِصْل، وحوى فضيلة السَّبق؛
وَأَسْتَحَقَّ أَسَمَ البأس والشَّده، وخلية البسالة والنَّجده .

ومن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد في كتابه :

الحمد لله الذي كَسَاكَ بِاللَّيْلِ حُلَّةَ الْوَقَارِ ، وَرَدَّكَ رِدَاءَ ذِي السَّمْتِ مِنَ الْأَبْرَارِ
وَالْأَخْيَارِ ؛ وَصَانَكَ عَنْ مَيْسَمِ الصَّبَا ، وَمَطَامَعَ أَهْلِ الْهَوَى ؛ بِمَا جَلَّلَكَ مِنَ اللَّحْيَةِ
الْبَيْهَةِ ، وَأَلْبَسَكَ مِنْ لِبَاسِ ذَوِي الْأَلْبِ وَالرَّوْيَةِ ؛ وَأَلْحَقَكَ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِ بِمَنْ يَسْتَقِيلُ
بِنَفْسِهِ سَاعِيَا ، وَيَسْتَفْنِي عَمَّنْ صَحْبِهِ حَافِظًا ؛ وَجَعَلَ مَا جَمَّلَ مِنْ صُورَتِكَ ، وَكُلَّ مِنْ
أَدَاتِكَ وَآلَتِكَ ؛ قِرْنًا لِمَنْ جَاذَبَكَ ، وَخَصْمًا لِمَنْ نَازَعَكَ ؛ وَفَنَى عَنْكَ ذِلَّةَ الْإِحْتِقَارِ ، مِنْ
أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالْأَخْطَارِ ؛ تَسْتَوِي [بِهِمْ] فِي الْمَجَالِسِ الْحَافِلَةِ ، وَتَجْرِي مَجْرَاهُمْ فِي الْمَشَاهِدِ
الْجَامِعَةِ ؛ مَسْمُوعًا قَوْلُكَ إِذَا قُلْتَ ، وَمُضْنَى إِلَيْكَ إِذَا نَطَقْتَ ؛ آمِنًا مِنْ أَنْصِرَافِ
الْأَبْصَارِ عَنْكَ لِقُرْبِ وَلَادِكَ ، وَمِنْ [عَدَمِ] الْاسْتِمَاعِ لِحَدِيثِكَ لِقَلَّةِ الثَّقَةِ بِسَدَادِكَ ؛
وَجَارِيًا تَجْرِي كَلِمَةُ الرِّجَالِ عَلَى الْجُمْلَةِ ، إِلَى أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ حُجَابَكَ بِالْمَحْنَةِ ؛ وَتُعْطَى
الْمَهَابَةُ مِنَ الدَّاعِرِ الْعَادِي ، وَمِنْ السَّبْعِ الضَّارِي ؛ وَلَوْ كَانَ عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْكُسُوفَةِ
الشَّرِيفَةِ ، وَالْحَلِيَةِ الْمَلْحُوظَةِ ؛ لَسِيقَتْ إِلَى الْإِزْدِرَاءِ بِالْأَعْيُنِ ، وَالْإِسْتِصْغَارِ بِالْقُلُوبِ
وَالْإِنْسُنِ ؛ أَصْنَافُ الْحَيَوَانِ : مِنَ الْبَيْهَةِ وَالْإِنْسَانِ ؛ ثُمَّ لَا يُحْسِنُ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً عَلَى
الدَّفْعِ عَنْهَا ، وَلَا مِنْ صَرَعَتِهِ ثَبَاتًا (؟) عَلَى يَدِهَا فِيهِ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَبَاكَ
بِمَرْتَبَتِهَا فِي جَمَالِ عَشَاكَ^(١) ، وَكَيْلِ أَتَاكَ ؛ فَلْيَصْدَقْ بِهَا أَعْتَرَاكَ وَشُكْرُكَ ، وَلْيَحْسُنْ شَاوُكَ
وَنَشْرُكَ ؛ قَضَاءً لِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَاسْتِذْرَارًا فِي الْمَزِيدِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ .

الصنف الثالث — التهئية بالمرض .

أبو الفرج البغواء :

فِي ذِكْرِ اللَّهِ سَيِّدِي هَذَا الْعَارِضِ — أَمَا طَهُ اللَّهُ وَصَرَفَهُ ، وَجَعَلَ صَحَّةَ الْأَبَدِ خَلْفَهُ —
مَادَّلَ عَلَى مَلَاخِظَتِهِ إِيَّاهُ بِالْعَنَاءِ ، إِيقَظًا لَهُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ ؛ إِذْ كَانَ تَعَالَى لَا يُدْكِرُ

(١) غشى فلان فلانا أناه كغشاه بفشوه . قاموس .

بَطْرُوقِ الآلَامِ ، وَتَبْيِيهِ الْعِظَاتِ ، غَيْرَ الصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِهِ ، الْخَيْرَةِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ؛ فَهَنَاهُ
 اللَّهُ الْفَوْزَ بِأَنْجَرِ مَائِعَانِيهِ ، وَحَمَلَ عَنْهُ بِالْطَّافَةِ ثِقْلَ مَا هُوَ فِيهِ ؛ وَأَعْقَبَ مَا اخْتَصَّصَهُ
 مِنْ ذَخَائِرِ الْمُثُوبَةِ وَالْأَنْجَرِ بِعَافِيَةٍ تَقْتَضِيهِ ؛ وَلَا سَلَبَ الدُّنْيَا جَمَالَ بَقَائِهِ ، وَلَا نَقْلَ ظِلِّهِ
 عَنْ كَافَّةِ خَدَمِهِ وَأَوْلِيَائِهِ .

الصفيف الرابع — التهنئة بالصَّرف عن الولاية .

أبو الفرج البغواء :

مَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ — أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى — مِنْ رُتَبِ الرِّيَاسَةِ وَالثَّبَلِ ، كَانَ مَعْظَمًا فِي حَالَتِي
 الْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ ؛ لَا يَقْدَحُ فِي قَدْرِهِ تَغْيِيرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَنْقُلُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ مِنَ الْفَضْلِ
 تَقَعُّلُ الْأَعْمَالِ ؛ إِذْ كَانَ أَسْتِيحَاشَهَا لِلْفَائِتِ مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ ، بِحَسَبِ أَنْسَاهَا كَانَ
 بِمَا أَفَادَتْهُ مِنْ مَجْمُودِ أَثَرِهِ . فَهَنَاهُ اللَّهُ نِعْمَةَ الْكِفَايَةِ ، وَأَوْزَعَهُ شُكْرَ مَا أَحْتَازَهُ مِنْ
 التَّزَاهَةِ وَالصِّيَانَةِ ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ مَتَسَرِّفَاتِهِ ، وَالْخَيْرَةِ الضَّامِنَةِ
 لِعَوَاقِبِ إِرَادَاتِهِ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ لِمُسْتَحْدَثِ الْأَعْمَالِ وَمُسْتَجِدِّ الْوِلَايَاتِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا اخْتَصَّصَكَ بِهِ
 مِنْ كِمَالِ الْفَضْلِ ، وَمَأْثُورِ الثَّبَلِ ، لِحَازِنَا أَنْتَقَالَ ذَلِكَ بِأَنْتَقَالِ مَا كُنْتَ نَتَوَلَّاهُ بِمَجْمُودِ
 كِفَايَتِكَ ، وَتَحَوُّطِهِ بِنَوَاطِرِ تَزَاهِيَتِكَ وَصِيَانَتِكَ ؛ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَكَ بِالْفَضْلِ
 مَتَقَمِّصًا ، وَبِالْمَحَامِدِ مَتَخَصِّصًا ؛ فَلَا أَسْفُ فِيمَا تَنْظُرُ فِيهِ عَلَيْكَ لَا مِنْكَ ، وَالْفَائِدَةُ فِيمَا
 تَنْقَلِّدُهُ بِكَ لَالِكٌ ؛ وَلِذَلِكَ كُنْتَ بِالصَّرفِ مَهْنًا مُسْرُورًا ، كَمَا كُنْتَ فِي الْوِلَايَةِ مَجْمُودًا
 مُشْكُورًا ؛ فَلَا أَخْلَاكَ اللَّهُ مِنْ تَوَاصُلِ آلَائِهِ ، وَتَظَاهُرِ نِعْمَائِهِ ؛ فِي سَائِرِ مَا يُبْرِمُهُ
 وَمُخْصِيهِ ، وَتَعْتَمِدُهُ وَتَرْتَبِيهِ .

أبو الحسين بن سعد - عَمَّنْ تَوَلَّى عَمَلًا إِلَى مِنْ صُرِفَ عَنْهُ :
 قَدْ قَلَّدْتُ الْعَمَلَ بِنَاحِيَتِكَ ، فَهَنَّاكَ اللَّهُ تَجْدِيدَ وَلَايَتِكَ ، وَأَنْفَذْتُ خَلِيقِي لِحَلَاقَتِكَ ؛
 فَلَا تُخْلِهِ مِنْ تَبْصِيرِكَ وَهَدَايَتِكَ ، إِلَى أَنْ يُؤَيِّنَ اللَّهُ بِزِيَارَتِكَ .

تهنئة بصرف عن ولاية :

لو كانت رِياسَةُ سَيِّدِي مَجْنِيَّةً مِنْ عُرُوشِ الْوِلَايَاتِ ، وَسِيَادَتُهُ خَارِجَةً عَنْ سَانِحِ
 التَّصَرُّفَاتِ ، لَأَشْفَقَ أَوْلِيَاؤُهُ مِنْ زَوَالِهَا بِمَزَالَتَيْهِمَا ، وَحَذَرُوا مِنْ أَنْتِقَالِهَا بِنَقْلَيْهِمَا ؛ لَكِنْ
 مَا وَسِمَ بِهِ مِنَ الْكَمَالِ ، وَعَلَا بِهِ مِنْ رُتَبِ الْجَلَالِ ؛ مَوْجُودٌ فِي غَيْرِزَتِهِ وَجُودَ الْفِرْدُ
 فِي السَّيْفِ الْمَأْتُورِ ، وَاللَّأَلَاءِ فِي النُّورِ ؛ وَإِذَا تَصَرَّفَ ، أَوْرَدَ اللَّهُ الرِّعْيَةَ مِنْ مَشَارِعِهَا
 نِطَافًا ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ ظِلِّهَا عِطَافًا ؛ وَإِذَا أَنْصَرَفَ خَيْرَ مَسْبِلٍ تَقَلَّصَ ، وَعَيْشٌ
 رَائِعٌ تَغَصَّ ؛ وَالْأَسْفُ عَلَى الْعَمَلِ السَّالِبِ مِنْ حُلِّ سِيَاسَتِهِ الْفَاضِلَةِ ، الْعَاطِلِ
 مِنْ حِلِّي سِيرَتِهِ الْعَادِلَةِ ؛ وَلِهَذَا أَصْبَحَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - بِالْعَزْلِ مَبْتَهَجًا مُسْرُورًا ، كَمَا كَانَ
 فِي الْوِلَايَةِ مَحْمُودًا مُشْكُورًا ؛ وَأَنْطَلَقْتُ أَلْسِنَةُ أَوْلِيَائِهِ ، فِي هَنَائِهِ ، بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ الرَّفَاقَةِ
 وَالِدَّعَةِ ، وَحَطَّه عَنْهُ مِنَ الْأَثْقَالِ الْمُقْلِقَةِ ؛ وَلَا سِيَّما وَقَدْ عِلِمَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ أَنَّ الْأَعْمَالَ
 إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ ، وَعُورِلَ فِيهَا عَلَيْهِ ؛ تَسَلَّمَ الْمُدَوِّعَ وَدِيعَتَهُ ، وَالنَّاشِدُ ضَالَّتَهُ ؛ وَإِذَا عُدِلَ
 فِيهَا إِلَى غَيْرِهِ تَنَاقَلَتِ الْغَاصِبُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا اسْتِبْلَاءُ السَّالِبِ ؛ فَلَا تَزَالُ نَازِعَةً
 إِلَى رَبِّهَا ، مُتَطَلِّعَةً إِلَى خِطْبِهَا ؛ حَتَّى تَعُودَ إِلَى مَحَلِّهَا ، وَتُرْجَعَ إِلَى نَصْلِهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
 أَسْأَلُ أَنْ يَقْضِيَ لِمَوْلَانَا بُلُوغَ الْأَوْتَارِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أجوبة التهنئة بالصرف عن الولاية والخدمة

قال في "موادّ البيان" : يجب أن تكون أجوبتها مبنية على شكر الاهتمام والاعتداد
 بالمشاورة في الأحوال ، مع وقوع ما ورد من الخطاب الموقّع اللطيف ، وما ينتظم
 في هذا السلك .

جواب مَنْ ورد عليه كَآبُ من وَلِي مكانه في معنى ذلك .

فمن ذلك :

ما أَنْصَرَفْتُ عَنِّي نِعْمَةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيْكَ ، وَلَا خَلَوْتُ مِنْ كَرَامَةٍ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْكَ ؛ وَإِنِّي لِأَجِدُ صَرْفِي بِكَ وَلَايَةً ثَانِيَةً ، وَحُلَّةً مِنَ الْوِزْرِ وَاقِيَةً لِمَا أَمَلُهُ بِمَكَانِكَ مِنْ حَمِيدِ الْعَاقِبَةِ وَحُسْنِ الْخَاتِمَةِ .

الصنف الخامس — تهنئة من تزوجت أمه بزواجها .

قد تقدم في أول المقالة الأولى في حكاية حائك الكلام مع عمرو بن مسعدة وزير المأمون^(١) ، أنه قال يُكْتَبُ إليه :

أما بعدُ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي عَلَى خِلَافِ مَحَابِّ الْمَخْلُوقِينَ [وَاللَّهُ يُخْتَارُ لِعِبَادِهِ] ، نِفَارَ اللَّهِ لَكَ فِي قَبْضِهَا [إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْقُبُورَ أَكْرَمَ الْأَكْفَاءِ] وَالسَّلَامَ .^(٢)

أبو الفرج البغاء : وقد أمره سيف الدولة أَبُو حَمْدَانَ بِالْكَتَابَةِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ أَمْتَحَانًا لَهُ : مَنْ سَلَكَ إِلَيْكَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — سَبِيلَ الْإِتِّسَاطِ ، لَمْ يَسْتَوْعِرْ مَسْلَكَ مِنَ الْمَخَاطَبَةِ فِيمَا يَحْسُنُ الْإِتِّقَابُضُ عَنْ ذِكْرِ مِثْلِهِ . وَاتَّصَلَ بِي مَا كَانَ مِنْ خَيْرِ الْوَاجِبَةِ الْحَقِّ عَلَيْكَ ، الْمُنْسُوبَةِ بَعْدَ نِسْبَتِكَ إِلَيْهَا إِلَيْكَ — وَقَرَّ اللَّهُ صِيَانَتَهَا — فِي اخْتِيَارِهَا مَا لَوْلَا أَنَّ الْأَنْفُسَ تَتَنَازَرُ ، وَشَرَعَ الْمُرُوءَةُ يَحْظُرُهُ ؛ لَكُنْتُ فِي مِثْلِهِ بِالرَّضَا أَوْلَى ، وَبِالْإِعْتِدَادِ بِمَا جَدَّدَهُ اللَّهُ فِي صِيَانَتِهَا أُخْرَى ؛ فَلَا يُسَخِّطُكَ مِنْ ذَلِكَ مَارِضِيَّةٌ وَجُوبُ الشَّرْعِ ، وَحُسْنُهُ أَدَبُ الدِّيَانَةِ ؛ وَمُبَاحٌ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ لَمَّا عَدِمَ اخْتِيَارُهُ تَسَخُّطَ اخْتِيَارِ الْقَدَرِ لَهُ ، وَالسَّلَامَ .

(١) تقدم في ج ١ ص ١٤٢ "وزير المنعم" .

(٢) الزيادة مما تقدم في ج ١ ص ١٤٥ .

النوع الثاني

(من مقاصد المكاتبات التعازي)

قال في "موادّ البيان" : المكاتبَةُ في التعزية بالأحداث العارضة في هذه الدنيا واسعة المجال : لما تتضمنه من الإرشاد إلى الصبر، والتسليم إلى الله جلّت قدرته، وتسليّة المعزى عما يُسلبه بمشاركة السابقين فيه، ووعدّه بحُسن العوّض في الجزاء عنه، إلى غير ذلك مما ينتظم في هذا المعنى . قال : والكاتب إذا كان جيّد الغريزة حسن التأتّي فيها، بلغ المراد . ثم قال : وحكمها حكم التّهاني من الرئيس إلى المرعوس ومن المرعوس إلى الرئيس ومن النظر إلى النظر .

ثم التعزية على أضرب :

الضرب الأول

(التعزية بالأبن)

أبلغ ما كُتب به في ذلك ما كتب به النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى معاذ بن جبل، معزيّاً له بابن له مات، فيما ذكره أبو الحسين بن سعد في ترسله، وأبو جعفر النحاس في صناعة الكُتاب، وهو :

«من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل :

«سلام عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو»

«أما بعد، فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك»

«الشكر . ثم إن أنفسنا وأهلينا ومواليّنا من مواهب الله السنية، وعوارِفُه»^(١)

(١) في أصولنا بالفناء ورواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية .

«المستودعة ، تمتع بها إلى أجلٍ معدود ، وتُقبَضُ لوقتٍ معلوم ؛
 «ثم اقترَض علينا الشُّكرَ إذا أعطى ، والصبرَ إذا ابتلى ؛ وكان أبْنُكَ من»
 «مَوَاهِبِ اللَّهِ الهِنِيَّةِ ، وعَوَارِفِهِ المستودعة ؛ متَّعَكَ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ»
 «وَقَبْضِهِ مِنْكَ بِأَجْرِ كَثِيرٍ : الصَّلَاةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْهُدَى إِنْ صَبَرْتَ»
 «وَأَحْتَسَبْتَ ؛ فَلَا تَنْجَعَنَّ عَلَيْكَ يَامُعَاذُ خَصَلَتَيْنِ إِنْ يُحِيطُ جَزْعُكَ»
 «صَبْرَكَ فَتَنْدَمَ عَلَى مَا فَاتَكَ ؛ فَلَوْ قَدِمْتَ عَلَى ثَوَابِ مُصِيبَتِكَ قَدْ أَطَعْتَ»
 «رَبَّكَ وَتَجَزَّتْ مَوْعُودُهُ ، عَرَفْتَ أَنَّ الْمُصِيبَةَ قَدْ قَصُرَتْ عَنْهُ . وَاعْلَمْ»
 «أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ مِيتًا ، وَلَا يَدْفَعُ حَزَنًا ؛ فَأَحْسِنِ الْجَزَاءَ وَتَجَزَّزِ الْمَوْعُودَ ؛»
 «وَلْيُذْهِبْ أَسَفُكَ مَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ فَكَأَنَّ قَدْ . »

من كلام المتأخرين :

تعزية بولد . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن بُنَّانَةَ ، وهى بعد الألقاب .

وأَحْسَنَ عَزَاءَهُ بِأَعَزِّ فَقِيدٍ ، وَأَحَبَّ حَبِيبٍ وَوَلِيدٍ ؛ وَعَوَّضَ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ جَوَانِحَهُ
 الَّتِي سُئِلْتَ عَنْ الْأَسَى فَقَالَتْ : ثَابِتٌ وَيَزِيدٌ . صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَقَاوِضُ تُهْدَى إِلَيْهِ
 سَلَامًا يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُتَّبَعَ بِالتَّعْزِيَةِ ، وَثَاءً يَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَطَارِحَ حَمَائِمَ تَجْعَلُهُ الْمُطْرَبَةَ
 بِجَاهِ السَّجْوِ الْمُبْكِيَةِ الْمُنْكِيَةِ ؛ وَتَوْضُّحَ لَعَلِمِهِ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ الْمُؤَلَّةِ ، فَوْقَ قُنَا عَلَيْهَا إِلَّا أَنَّ
 الدَّمْعَةَ مَا وَقَفَتْ ، وَخَوَاطِرَ الْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ عِنْدَهُ طَفَتْ حُرْقُهَا وَمَا أَنْطَفَتْ ؛

(١) فى أصولنا بالفاء ورواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية .

(٢) أى فقد الثواب وفقد الولد . وإليه يشير من عزى عمر بن عبد العزيز بابه فقال :

وعوّضت أجرا من فقيد فلا يكن * فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب

وعلمنا ماشرحه ولم يشرح الصدر على العادة - من وفاة الولد فلان، سقى الله عهده
 ولحده، ونضر وجهه وتغمّد بالرضوان خاله وحده، وما بقى إلا التمسك بأسباب
 الصبر، والتفويض إلى من له الأمر؛ والدنيا طريق والآخرة دارٌ ودهليزها القبر؛
 وللمرء من تثبته وازع، والاجتماع بالأحبة الراحلين واقع؛ إن لم يصبروا إلينا صرنا
 إليهم، وإن لم يقدموا في الدار الفانية علينا قدمنا في الدار الباقية عليهم؛ نسأل الله
 تعالى أن يجمعنا في مستقر رحمته، ويحضرنا مع الأطفال أومع المتطقلين ولائم جنته؛
 والله تعالى يدارك بالصبر الجميل قلبه، ولا يجمع عليه فقد الثواب وفقد الأحبة .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

رزقه الله تعالى ثباتاً على رزيته وصبراً، وجعل له مع كل عسر يسراً؛ وأبقاه
 مفدى بالأنفس والنفائس، وكان له أعظم حافظ من نوب الدهر وأجل حارس .
 المملوك يُنهي علمه بهذه النازلة التي فتت القلوب والأكباد، وكادت أن تفرق
 بين الأرواح والأجساد؛ وأذالت ذخائر العيون، وأبتذلت من المدايع كل مصون؛
 وأذابت المهج تحرقاً وتلهباً، وجعلت كل قلب في نارٍ الأسى والأسف متقلباً؛
 وهى وفاة ولده الذى صغر سنه، وتزايد لفقده هم المملوك وحرته :

ونجلك لا يئسكى على قدر سنه * ولكن على قدر المخيلة والأصل !

وكان الأمل يحدث بأنه يشد للولى أزره، ويشرح بیره صدره؛ ويؤثل مجده،
 ويُنقى الذكر الجميل بعده؛ ففقد من بين أترابه، وذوى عند ما أئنع غصن شبابه؛
 وغيب منظره الوسيم في لحده وترابه؛ وسيدنا يعلم أن الموت منهل لا بد من ورده،
 وابن آدم زرع لا بد من حصده؛ وأن المنية تشمل الصغير والكبير، والجليل والحقير،

والغنيَّ والفقير؛ فينبغي له استعمال صبره ، والاستبشار بمضاعفة أجره ؛ والله يمتعه بأهله وطول عمره .

وله :

لَهْفِي وَمَا لَهْفِي عَلَيْكَ بِنَافِعِ ! * كَلَّا وَلَا وَجَدِي وَلَا حُرْقَاتِي !
يَا مَنْ قَضَى قَفْضِي سُرُورِي بَعْدَهُ * وَتَحَدَّرَتْ أَسْفًا لَهُ عِبْرَاتِي !
عُقْدَ التَّجَلُّدِ حَلَّهَا فَرَطُ الْأُسَى * وَالْقَلْبُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحَسَرَاتِ !
لَوْ كُنْتُ مَنْ يُشْتَرَى أَوْ يُقْتَدَى * لَفُيْدَتْ بِالْأَرْوَاحِ وَالْمَهْجَاتِ !
كُنْتُ الْمُدَّ لِنُصْرَتِي فِي شِدَّتِي * فَقَضَى الْجَمَامُ بِفُرْقَةٍ وَشَتَاتِ !
وَاللَّهِ لَا أُنْسِيْتُ نَذْبَكَ وَالْبُكََا * أَبَدًا مَدَى الْأَنْفَاسِ وَاللَّحْظَاتِ !
وَيَسْؤُنِي أَنْ عِشْتُ بَعْدَكَ سَاعَةً * أَسْفًا لَفَقْدِكَ مَيِّتًا وَحَيَاتِي .

أعظم الله أجر مولانا ومنحه صبرا جميلا ، وأجرا جزيلا ، وشاء عريض الشقة لثباته على هذه الفادحة طويلا ؛ وجعل هذه الرزية خاتمة الرزايا ، ومحصاة جميع الذنوب والخطايا ؛ ولا بفعه بعدها في قرة عين ، ولا أورد محبوبا شغف به قلبه الكريم منهل الحمام ولا سقاه كأس الحين .

الملوك يقبل اليساط الذي مافئ لنشر المعدلة مبسوطا ، وكل أمل يره منوطا .
وينهى إلى العلم الشريف علمه بهذه المصيبة التي أصابت فؤاد كل محب فاصمته ، وطرفت سمع كل ولي فاصمته ؛ وولجت كل قلب فأحرقته صبابه وحزنا ، ومررت على الصلاد فصددته ولو كان حزنا ؛ وهي وفاة فلان سقى الله عهدته ، وأسكن الرحمة ثراه ولحدته ؛ فشق أسفا على المفقود جيب كل جنان وطوى الأجداد على جراحها ، وحسر الأجساد على أرواحها :

وَمَا هِيَ إِلَّا نَكْبَةٌ أَوْ نَكْبَةٌ * أَهَاجَتْ سَعِيرًا فِي الْحَشَا يَتَلَهَّبُ !
 فَلَا جِسْمَ إِلَّا بِالتَّحَرُّقِ ذَائِبٌ * وَلَا قَلْبَ إِلَّا فِي الْأَسَى يَتَقَلَّبُ !
 بَكَى كُلَّ جَفْنٍ مَضْرَعِ السِّيفِ فَأَغْتَدَّتْ * عَيُونٌَ عَلَيْهِ فِي الْأَبَاطِحِ تَسْكُبُ !
 لَقَدْ هَالُ عُدَالِي بُكَائِي تَعَجُّبًا * وَإِنَّ بُكَائِي بَعْدَ فَقْدِهِ عَجَبُ !
 فَلَوْرَامَ قُسٍّ وَصَفَ حُزْنِي وَلَوْعَتِي * لَقَصَّرَ فِي أَوْصَافِهِ حِينَ يُسَهِّبُ !
 فَوَاللَّهِ لَا جَفَّتْ جُفُونِي مِنَ الْبُكَاءِ * وَإِنْ زَادَ عُدَالِي الْعَنَابَ وَأَطْنَبُوا !

ولهذا أصدر المملوك هذه المطالعة يدعو لمولانا فيها ويعزيه، ويندب فقيده باللسنة
 الأقلام ويبيّنه ؛ ويُدشّره بما وعد الله الصابرين على مثل هذه الرزية ويسلّيه ؛
 فيها نازلةٌ فُجعت بغضن رطيب، وقير يرفل من الشيبية في ثوب قشيب، وصدعت
 القلوب بفقد حبيب وأى حبيب :

والموت نقاد على كفه * جواهر يختار منها الحياد !

وبعد، فللمملوك في هذه الرزية مشاركة كادت تبين بين رُوحه والجسد،
 وهو المصيب لهذه المصيبة ما تجده الوالهة على فقد الولد؛ لا يستقرُّ به قرار، ولا يُنجيه
 من يد الحزن فرار؛ دأبه البكاء والعيول، وحزنه العريض الطويل؛ فواضعفاه
 عن حمل هذا المصاب، ووا أسفاه على مُسافرٍ لا ينتظر له قدوم ولا إياب؛ ووا عجباه
 ليضدين اجتماعا لوالده الكريم الخناب !

تخونُ المنايا عهدَه في سَلِيلِهِ * وتُضمره بين الفؤارس والرجل !

وعلى كل حال فهو أجدر من استعان على هذه الحادثة بصبره، وشرح لما قد قدر
 فسبح صدره، وشكر الله على حلو القضاء ومُره؛ فما كان إلا أحد العُمَرين فقد
 خلفه عُمر، وثاني القمَرين أفل فقام مقامه هلالٌ قدم من سَفَر؛ وفي بقاء المولى

ما يُوجب التسليم للقَدَر والقَضَاء ، والشكر لله تعالى في حالتي الشِدَّة والرِّخَاء ؛ جعله الله في حِرْز لا يزال حَرِيْزاً مَكِيْناً ، وَحِصْنٌ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ حَصِيْناً .
وله : أعْظَمَ اللهُ أَجْرَهُ ، وَأَطَالَ عُمُرَهُ ؛ وَشَرَحَ صَدْرَهُ ، وَأَجَزَلَ صَبْرَهُ ، وَسَخَّرَ لَهُ دَهْرَهُ .

المملوك يُنْهِى أَنَّهُ أَتَّصَلَ بِهِ خَبْرٌ صَدَعَ قَلْبَهُ ، وَسَرَقَ رُقَادَهُ وَلُبَّهُ ، وَضَاعَفَ أَسْفَهُ وَكَرَّهَهُ ؛ وَهُوَ [موت] فَلَان تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَهْمَى عَلَيْهِ سَحَابٌ مَغْفَرَتِهِ ؛ وَعَامَلَهُ بِلُطْفِهِ ، وَجَعَلَ الْخَيْرَةَ لَهُ فِي حَتْفِهِ ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ قَلْبَهُ وَعَظَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَارَبَ لَشَدِيدِ حُرْنِهِ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَاوَصِلِ الْمَرْحُومِ إِلَيْهِ ؛ لَكِنَّهُ ثَبَّتَ نَفْسَهُ وَثَبَّتْهَا ، وَرَفَعَ يَدَهُ بِالْدَّعَاءِ لِلْوَلَى وَبَسَطَهَا ؛ وَسَالِ اللهُ أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَهُ ، وَيُحَسِّنَ عَرَائِهِ ، وَيَحْرُسَهُ مِنْ أَزْمَاتِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَلِمَ كَانَ النَّاسُ فِي السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ ؛ وَيَجْعَلُهُ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ عَوَضًا ، كَمَا أَصَارَهُ جَوْهَرًا وَجَعَلَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنَامِ عَرَضًا ؛ وَلَقَدْ جَلَّتْ هَذِهِ الرِّزْيَةُ عَلَى كُلِّ جَنَابٍ ، وَدَخَلَ حُرْنُهَا إِلَى كُلِّ قَلْبٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ ؛ جَعَلَ اللهُ أَجْرَهُ لِلْوَلَى مِنْ أَعْظَمِ الدَّخَائِرِ ، وَمَنْحَهُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ الَّتِي لَا تَنْتَهِي إِلَى أَمَدٍ وَلَا آخِرٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(التعزية بالبنات)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال المغربي :

الشيخ فلان عَزَاهُ اللهُ عَلَى أَحْسَابِهِ ، وَجَعَلَ الثَّوَابَ الْمُرْتَقَبَ أَفْضَلَ أَقْتَنَاءِهِ وَأَكْتِسَابِهِ . مُعْزِيَهُ عَنْ فِلْدَةٍ كَبِدَةٍ ، وَمَسَاهِمُهُ فِي أَرْقِهِ وَسَهْدِهِ ، وَالْفَاتُ فِي عَضْدِ صَبْرِهِ الْجَمِيلِ وَجَلَدِهِ ؛ فَلَان . فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ خَيْرًا يُذْهِبُ جَزَعَكُمْ ،

وَحَسَنَ مَنَاجَاكُمْ بِالتَّفْدَى الْجَمِيلِ وَمَتَرَعَكُمْ - عِنْدَ مَا وَصَلَنِي وَفَاةُ آبَتِكُمْ الْمَرْحُومَةِ نَفْعَهَا اللَّهُ بِإِيمَانِهَا، وَتَلَقَّاهَا بِرُوحِ الْجَنَّةِ وَرَيَّحَانِهَا؛ وَهِيَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - وَإِنْ أَلَمَّكَ فَقَدْهَا، وَأَوْجَعَكَ أَنْ أَسْأَثَرَهَا لِحُدُّهَا؛ فَلْيَعَزَّكَ عَنْهَا مُصَابُنَا بِنِينَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلِمُكَ بِأَنَّا جَمِيعًا بِمَدْرَجَةِ الْحِمَامِ؛ أَتَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ خَالِدًا، وَقَدِيمًا نَكُنَّا وَلِيدًا نَحْيَا وَوَالِدًا، فَمَنْ خُلِقَ لِلْفَنَاءِ، وَأَخْتَلَسَ بِمَرِّ السَّاعَاتِ وَالْآثَاءِ، جَدِيرٌ أَنْ يَتَّعِظَ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْزَنَ لَذَهَابِ مَنْ ذَهَبَ مِنْ دَوَى أُنْسِهِ؛ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَجَحْتَ مِيزَانَكَ، وَضَمِنْتَ لَكَ يَوْمَ الْمَعَادِ جَنَّتَكَ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا أَحْتِسَابًا جَمِيلًا وَصَبْرًا، وَيُؤْنِسُكَ وَقَدْ آخْتَارَكَ الصَّهْرَ قَبْرًا، وَيَعْظُمُ لَكَ ثَوَابًا جَزِيلًا عَلَى مُصَابِكَ وَأَجْرًا؛ وَيُعِمْ فَقِيدَتَكَ بِالرَّحْمَى، وَيَسْكُبُ عَلَى جَدَّتْهَا مَزْنَهَا الْأَوْكَفَ الْأَنْهَى، وَيُؤْوِيكَ إِلَى كَنَفِهِ الْأَعْظَمِ الْأَنْحَى، بِمَنَّةٍ وَرَحْمَةٍ، لَا رَبَّ غَيْرَهُ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

الضرب الثالث

(التعزية بالأب)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال معزيا بوزير :

يَا سَيِّدِي وَوَاحِدِي، وَحَلَّ الْإِبْنُ الْمُبْرُورُ، وَالْأَخُ الْمَشْكُورُ، عِنْدِي؛ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى، وَرَضَّاكَ بِمَا قَضَى، وَأَمَدَّكَ بِالنُّعْمَى، وَشَمَلَكَ بِالْحُسْنَى؛ كَتَبْتَهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمُ بِمَا نَفَذَ بِهِ الْقَدَرُ الَّذِي هُوَ فِي الْعِبَادِ حَتْمٌ، وَلَهُ فِي كُلِّ عُنُقٍ خَتْمٌ؛ فِي الْوَزِيرِ الْفَقِيهِ الشَّهِيدِ أَبِيكَ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَنُوَاهُ، وَجَعَلَ الْحُسْنَى الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ مَقَرَّهُ وَمَأْوَاهُ؛ فَاسْفُتْ كُلَّ الْأَسْفِ لِإِفْقَدَانِهِ، وَقَدْ كَانَ عَيْنَ زَمَانِهِ،

وَعُمْدَةَ إِخْوَانِهِ ؛ تَعَمُّدَهُ اللَّهُ بِفُقْرَانِهِ ، وَنَقْلَهُ إِلَى رِضْوَانِهِ ؛ وَتِلْكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ -
 غَايَةُ الْأَحْيَاءِ ، وَسَبِيلُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَحْبَاءِ ؛ كَانَ عَلَى رَبِّنَا - جَلَّ وَعَلَا - حَتْمًا مُقْضِيًّا ،
 وَوَعْدًا مَأْتِيًّا ، وَالْأَسْوَدُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي غَمْرِهِ الْفَضْفَاضُ ، وَبِرِّهِ الْفَيَاضُ ، وَأَنَّهُ خُتِمَ لَهُ
 بِالْخَيْرِ وَالْإِتْقَانِ ؛ وَكَانَ آخِرَ ذَلِكَ [الْحَسْبُ] الْقَدِيمِ ، وَالْجَلِيلِ الْكَرِيمِ ؛ وَقَدْ أَمَرَكَ الْخَيْرُ
 فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ وَكُنْ كَمَا ظَنَنْتُكَ وَقَدَّرْتُكَ وَتَرَكْتُكَ ؛ وَإِنَّكَ بِفَضْلِ اللَّهِ تُسَدُّ مَسَدَهُ ،
 وَتُبْلَغُ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ حُضْرَهُ السَّابِقِ وَشَدَّهُ ، وَتُعَدُّ لِلْأَيَّامِ مِنَ الْجَدِّ وَالْإِعْتِرَافِ مَا أَعَدَّهُ ؛
 وَإِخْوَتُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَكَ أَظْهَارُ وَأَعْضَادُ ، وَفِيهِمْ غَزْوٌ وَمُضَادُ ؛ فَاشْتَمِلْ
 عَلَيْهِمْ ، وَارْفُقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يُتْرَكُونَ مِثْلَةَ آبِيهِمْ ، وَتَجِدُ أَخْلَاقَهُ وَعَوْنَهُ فِيهِمْ ؛ وَأَمَّا
 مَا أَعْتَقَدُهُ مِنْ تَكْرِيمِكَ ، وَأَرَاهُ مِنْ تَفْضِيلِكَ وَتَقْدِيمِكَ ؛ فَشَيْءٌ تَشْهَدُ بِهِ نَفْسُكَ ،
 وَيُذَكِّرُكَ يَقِينُكَ وَحَدُسُكَ ؛ أَشَدُّ بِهِ أَعْتَاءً ، وَأَجْمَلُ لَهُ أَسْتَوَاءً ، وَأَوْفَى عَنْكَ رَدَاءُ
 وَغَنَاءُ ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُتَحَايِينَ فِي خِلَالِهِ ، وَالْمُتَقَلِّبِينَ فِي ظِلَالِهِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الزَّمَانِ
 وَآخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَالسَّلَامِ .

الضرب الرابع

(التعمية بالأم)

أبو محمد بن عبد البر المغربي :

مَا مَاتَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَهُ خَلْفٌ * وَالْكُلُّ فِي الْبَعْضِ غَيْرُ مُتَمَنِّعٍ !

كُتِبَ عَبْدُهُ الْقَيْنُ ، مِنَ الْأَسَى لِأَجَلِهِ بَعْضُ مَا يُجِنُّ ؛ الْمُتَنَطِّوِي عَلَى قَلْبٍ تَطْمَنُّ
 الْقُلُوبُ سُلُوءًا وَلَا يَطْمَنُّ ؛ فَلَان : بَعْدَ وَصُولِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِصَدِّعٍ يُضْمِي الْقُلُوبَ ،
 وَيَقْدُّ أَقْوِيَاءَ الْجُيُوبِ ، وَيَتْرُكُ الْأَحْبَابَ مَصْرَعِينَ عَلَى الْجُنُوبِ ، فَوَقَّفَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ
 مَتَرَفِقَ الْمَدَامِعِ ، مَتَحَرِّقَ الْأَصَالِعِ ، رَائِيًّا سَامِعًا تَجَا الْأَبْصَارِ وَأَسَى الْمَسَامِعِ ؛ فَيَأْسِفِي

لَخَطْبَ ضَعُضَ رُكْنِ الْجِدِّ وَكَانَ وَثِيقًا ، وَصَوَّحَ رَوْضَ الْفَضْلِ وَكَانَ وَرِيقًا ؛
وَنَقَّصَ حَسَنَ الصَّبْرِ وَلَمْ يَزَلْ صَدِيقًا ، وَتَرَكَ الْعَبْدَ خَلِيقًا بِهَذَا الْقَوْلِ وَمِثْلِهِ مَعَهُ حَقِيقًا ؛
فَإِهِ لِدَيْنٍ وَمَرُوءَةٍ فَقِدَا فِي قَرْنٍ ، وَعَلَى صَوْنٍ وَعَقَافٍ أُدْرِجَا فِي كَفْنٍ ، وَحَصَانٍ رَزَانٍ
لَا تُعْرِفُ بَوْصِمَةَ وَلَا تُزَنِّ ؛ لَقَدْ أَصَمَّ بِهَا النَّسَائِيَّ وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَ ، وَأَرَقَّ مَا شَاءَ الْفُؤَادُ
وَأَرَأَى الْمُدْمَعُ ؛ وَلَمْ يُبْقِ قَلْبًا لِلصَّبْرِ إِلَّا صَدْعَهُ ، وَلَا أَنْفًا لِلسُّلُوقِ إِلَّا جَدْعَهُ ؛ وَلَا بَابًا لِلتَّعَزُّيِ
إِلَّا أَرْتَجَهُ ، وَلَا عَقِيمًا لِلنَّاسُفِ إِلَّا أَنْتَجَهُ ؛ وَلَوْ قُبِلَ فِي الْمَوْتِ فِدَاءً وَصَحَّ أَنْ يُؤْخَذَ
فِيهِ فِدَاءً لَمَا خَلَصَ إِلَيْكُمْ وَلَا أَلَمَ ، وَلَا عَدَاكُمْ فِي صُرُوفِ الْمَنَائِيَا الْخَفِيَةِ سَلَمَ ؛
لَكِنْ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَعْمَ الْحَرْفَةُ ، وَتَسْتَوِي عَلَى الْوَقْتِ الْفَرْفَةُ .

الضرب الخامس

(التعزية بالأخ)

أبو محمد بن عبد البر :

وَكَتَبْتُ وَالْأَنْفُسَ مَرْتَمِضَهُ ، وَالْعَيْنُ غَيْرُ مَعْتَمِضَةٍ ؛ وَالْأَنْفَاسُ تَتَصَعَّدُ ، وَالْأَحْزَانُ
تَتَأَكَّدُ ؛ أَسَفًا لِلصَّابِ الذِي عَمَّ وَغَمَّ ، وَأَسْمَعَ نَعِيَهُ فَاصَمَّ ؛ وَقَالَ لِلْفَرَحِ : كُفَّ مِنْ
عِنَانِكَ ، وَلِلتَّرَجِّ أَنْتَظِرْ لِأَوَانِكَ ؛ بِوَفَاةِ [الْفَرْدِ] الذِي فِي رَأْسِهِ نُورٌ ، وَسَدَادُ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ
وَسَدَادُ الثُّغُورِ ؛ وَالْفِدَّ الذِي شَهِدَ الرِّجَالَ بِفَضْلِهِ ؛ وَعَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا تَجِيءُ بِمِثْلِهِ ؛
أَبِي فَلَانِ صُنُوكُمْ ، السَّابِقِ الذِي لَا يُجَارَى ، وَالشَّارِقِ الذِي لَا يُسَارَى ؛ وَالغَيْثِ الذِي
عَمَّ الْمُنَيْلَ وَالْمُسْتَنْبِلَ ، وَاللَّيْثِ الذِي وَرَدَ الْفُرَاتَ زَيْبُهُ وَالنَّيْلَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ! تَسْلِيًا لِلْقَدَرِ وَإِنْ سَاءَ ، وَشِمْلًا لِلْمَرْءِ وَسَيْنَ وَالرُّؤْسَاءِ ؛ فَيَالَهُ مُصَابًا تَرَكَ كُلَّ رَأْسٍ
أَمِيًّا ، وَأَوْدَعَ صَمِيمَ كُلِّ فُؤَادٍ مُكَلًّا صَمِيمًا ؛ لَقَدْ أَنْصَلَ السُّمَرَ اللَّاهِمَ ، وَأَغْمَدَ الْبَيْضَ
الصَّوَارِمَ ؛ وَعَطَّلَ الْكُتَّابَ وَالْمَقَاتِبَ ، وَأَوْحَشَ الْمَفَاوِزَ وَالسَّبَاسِبَ ؛ وَلَمْ يُبْقِ مَشِيدَةَ

عَلَّا إِلَّا هَدَّهْ ، وَلَا مَدِيدَ ثَاءٍ إِلَّا صَدَّهْ ؛ وَلَمْ لَا وَهُوَ الشَّخْصُ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ ،
وَيَبْكِيهِ قَلَمٌ وَحُسامٌ وَمِنْهُرٌ وَسَرِيرٌ ؛ وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَرِبُهُ جَمِيعًا ، وَنُوسِعُهُ بِمَحْضِ الصَّفَاءِ
وَصَفْوِ الثَّاءِ تَوْبَعًا وَتَشْيِيعًا ، وَتَفَارِقُهُ فِرَاقَ الصَّدْرِ خَلْدُهُ ، وَالْمُصَابِ جَلْدُهُ ؛ فَوَأْسِنِي
لِرُزْنِهِ مَا أَفْظَعَهُ مَوْقِعًا ! وَوَارِبًا لِيَوْمِهِ مَا أَظْلَمَهُ مَطْلَعًا ! وَوَاخِرًا لِنَعْيِهِ مَا أَشْنَعَهُ
مَرَأًى وَمُسْمَعًا !! فَتَنْ جَرَّتِ الدَّمُوعُ لَهُ دِمَا ، وَأَضْمَرَتْ الضُّلُوعُ بِهِ مُضْطَرَمًا ؛
لِمَا أَدَّتْ حَقَّهُ وَلَا كَرَبَتْ ، وَلَا دَانَتْ بَعْضَ الْوَاجِبِ فِيهِ وَلَا أَقْتَرَبَتْ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ
الْمِنِيَّةَ مَنَهْلٌ لَا يُحْلَأُ وَارِدُهُ ، وَمَعْلَمٌ يَهْدِي إِلَى أهدى سَمْتٍ مُبَاعِدُهُ ؛ لَمْ يَبْقَ
فِي أَنْسٍ مَطْمَعٌ ، وَلَا لَحْزَنٌ مُسْتَدْفِعٌ ، وَلَكِنْ التَّاكُلُ غَيْرَ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ ؛ وَمَا أْتَمَّ
أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَكْرَمُ مِنْ يُنَبِّهَ عَلَى ذُنُوحِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، يَكْتَسِبُهُ ، وَصَبْرٌ فِي الرُّزْءِ
الْفَادِحِ ، يَحْتَسِبُهُ ، فَصَبْرًا فَالْمُنُونُ غَايَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُصْبِحِينَ ، وَالنَّبَأُ الَّذِي يُعْلَمُ ذَوْقًا
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ؛ وَهُوَ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرْقَعَ بِمَكَانِكُمْ هَذَا الْخَرَقَ الْمَتَّعِ ، وَيَصِلَ
بِحَبَابِكُمْ ذَلِكَ الشَّمْلَ الْمُنْصَدِعَ .

ابن أبي الخصال :

الشَّيْخُ فَلَانٌ أَبَقَاهُ اللَّهُ يَتَلَقَّى الْأَرْزَاءَ بِخُسْنِ الصَّبْرِ ، وَجَمِيلِ الْإِحْتِسَابِ ، وَيَتَقَاضَى
بِالتَّعْزَى مَرْتَقَبِ الْأَجْرِ ، وَمُتَنَظَّرِ الثَّوَابِ ، مُعْزِيهِ فِي أَخِيهِ الْكَرِيمِ عَلَيْنَا ، الْعَظِيمِ مُصَابِهِ
الْفَادِحِ لَدَيْنَا ؛ فَلَانٌ : فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صَبْرًا تَجِدُونُ ذُنُوحَهُ ، وَأَوْجِبَ
لَكُمْ عَزَاءَ تَحْمَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَأْنَهُ وَأَمْرَهُ - عِنْدَ مَا وَصَلَ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي فَلَانٍ
أَخِيكُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ وَتَغَصَّه ، وَجَشَّمَ جُرْعَ الْحِمَامِ الْمَقْطُوعَةَ وَغُصَصَه ؛
فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !! أَسْتَسْلِمًا لِقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ ، وَأَخْذًا فِيمَا يُدْنِي وَيَقْرُبُ
مِنْ إِرْضَائِهِ ؛ وَمَا نَحْنُ إِلَّا بَنُو الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ دَرَجُوا ، وَسَخَّرُجُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا
قَبَلْنَا نَحْرَجُوا ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ جَمِيعًا مَنْ يَنْظُرُ لِمَعَادِهِ ، وَيَجْعَلُ التَّقْوَى خَيْرَ مَا أَوْعَاهُ بِجَدَادِهِ ؛

وسلكَ بنا نَهْجَ هِدَايَتِهِ وطَرِيقَ رَشَادِهِ . وهو جَلٌّ وَعَلَا يُخْزِلُ لَكُمْ عَلَى مُصَابِكُمْ نَوَابَا عَمِيًّا مَوْفُورًا، وَيَجْعَلُ قَعِيدَكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نُورًا؛ وَيُلْقِيهِ فِي دَارِ الْفِرْدَوْسِ مُلْكًا كَبِيرًا وَحُبُورًا؛ وَلَوْلَا كَذَا لَسَرْتُ إِلَيْكُمْ لِأَعَزِّيْكُمْ شِفَاهَا ، وَأَحَدْتُكُمْ عَنْ ضُلُوعِ أَحْرَقَ هَذَا الْمَصَابُ حَشَاهَا؛ لَكِنْ أَمْتَثَلُ أَمْرَهُ الْمُطَاعَ، حَمَلَ عَلَى الْبِدَارِ إِلَى مَا أَمَرَبَهُ وَالْإِسْرَاعَ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُدِيمُ لَنَا بِكُمْ الْإِمْتِنَاعَ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ، وَالسَّلَامَ .

الضرب السادس

(التعزية بالزوجة)

من كلام المتقدمين :

أبو محمد بن عبد البر :

وقد تَقَرَّرَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَثَبَتَ ثُبُوتًا لَا يَعْلَلُ بِالْإِرْتِيَابِ، أَنَّ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ دَائِرَةٌ، وَمَعْبَرَةٌ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّ سَاكِنَهَا وَإِنْ طَالَ عُمرُهُ، وَطَارَ فِي الْخَافِقِينَ أَمْرُهُ، لَدَيْغٍ سَمَّهَا؛ وَصَرِيحٍ سَمَّيَهَا، فَمَا تَضَحِكُ إِلَّا لَتُبْكِي، وَلَا تُؤْنِسُ إِلَّا لَتُنْكِي؛ وَقَدْ نَفَذَ الْقَدْرُ الَّذِي مَالَهُ رَدٌّ، وَلَا مِنْهُ بُدٌّ بِوَفَاةِ فَلَانَةٍ أَحَقَّقَهَا اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَأَسْكَنَهَا بِفَضْلِهِ الْمَرْجُوَّ جَنَانَهُ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ!! تَأْسِيًّا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَتَسْلِيًّا عَنْ مَاءِ الدَّمْعِ السَّالِخِ، وَزَنْدِ الْقَلْبِ الْقَادِخِ . وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهَا عَقِيلَةً مَعْدُومَةَ الْمَثِيلِ، مَفْقُودَةَ الدِّينِ وَالْعِقَّةِ فِي هَذَا الْحَيْلِ؛ مَتَحَلِيَّةً مِنْ دُعَاءِ الْفُقَرَاءِ، وَثَنَاءِ الصُّلَحَاءِ، بِالْغُرَّةِ الشَّادِخَةِ وَالتَّخَجِيلِ؛ لَقَدْ ذَهَبَ لَذَاهَابِهَا الرِّفْقُ وَالْحَنَانُ، وَعُدِمَ لَعَدَمِهَا الشَّيْمُ الْبَرَّةُ وَالْأَخْلَاقُ الْحَسَنَانُ؛ وَإِنَّ فَقْدَهَا نَحْرَقُ لَا يُرْفَعُ، وَغُلَّةٌ لَا تُنْقَعُ؛ وَخَطْبٌ لَا يَزَالُ الدَّهْرُ يُتَذَكَّرُ فَيُصَدَّعُ، وَلَوْلَا الْعِلْمُ أَنَّ اللَّهَ قَائِمٌ بِهَا أَمْرٌ كَائِنٌ، وَأَنَّ الْمُخَلَّفَ فِي الدُّنْيَا لَا مَحَالَةَ عَنْهَا

بائِن ، وَأَنْ التَّنْقِلَ لِلْآخِرَةِ مَا لَنْتَفِكَ نَسْمَعُهُ وَنُعَايِنُ ، لَمَّا بَقِيَتْ صُبَابَةٌ دُمْعَ
إِلَّا أَرْفَضْتُ ، وَلَا دِعَامَةٌ صَبْرٌ إِلَّا أَتَقَضَّتْ ؛ وَلَكَانَ الْحُزْنَ غَيْرَ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى ، وَالْوَجْدُ
فَوْقَ مَا يُعِيرَى وَجَرَى ، لَكِنْ لَا مَعْنَى لِحُزْنٍ لَمَّا يَقَعُ فِيهِ الْأَشْتِرَاكُ ، وَلَا وَجْهَ لَأَسْفَ
عَلَى مَا لَا يَصِحُّ فِيهِ الْأَسْتِدْرَاكُ . وَمَا أَتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ يُدَكِّرُ بِمَا هُوَ فِيهِ أَذْكَرُ ،
وَلَا مِنْ يُنَبِّهَ عَلَى مَا هُوَ بِالْتَنْبِيهِ عَلَيْهِ أَخْلَقُ وَأَجْدَرُ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ التَّعَاذِيَّ بِمَا أَطْرَدَ بِهِ
الْعَمَلُ ، وَسَنَنَهُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ ، لَمَّا سُلِكَ سَبِيلُهُ مَعَكُمْ وَأَتَمَّ مِنْ قَدَرِ الْأُمُورِ
قَدَرَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَوْ طَالَتْ فَالْمَوْتُ أَثَرُهَا ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بَدْءٌ ، وَلَمْ يَمْنَعْ
مِنْهُ صَدٌّ وَلَا سَدٌّ ؛ فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْجَزَعِ ، وَأَدْلُّ عَلَى كَرَمِ الْمُنْحَى وَالْمُتَرَعِّعِ ، وَأَحْرَى
بِأَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ جَزِيلًا ، وَالْجَزَاءُ حَسَنًا جَمِيلًا ؛ وَاللَّهُ يَبْقِيَكُمْ أَتَمَّ الْبَقَاءِ ، وَيَرْقِيكُمْ
أَتَمَّ الْارْتِقَاءِ .

ابن أبي الخصال :

الشيخ الأجلُّ فلان - آنَسَ اللَّهُ وَحْشَتَهُ ، وَجَدَّدَ عَلَى فَقِيدَتِهِ رَحْمَتَهُ . مَعَزَّيْهِ عَنْ
أَهْلِهِ الْهَالِكَةِ وَسَكَنِهِ ؛ وَمَسَاهِمُهُ بِأَوْجِبِ حُزْنٍ فِي الْقُلُوبِ وَأَسْكَنِهِ . فَلَانُ :
فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ عَنْ دُمُوعِ تَصُوبٍ وَتَنْسَرِبِ ، وَضُلُوعِ تَحْقُقٍ مِنْ وَجِيبِهَا وَتَضْطَرِبِ ،
وَأَنْسَ يَشْرُدُ مِنَّا وَيَحْتَجِبُ ، بِمَوْتِ فَلَانَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ الَّتِي أَوْدَعَتْ فِي جَوَانِحِنَا مِنَ الثُّكُلِ
مَا أَوْدَعَتْ ، وَرَضَتْ أَكْبَادَنَا بِمُصَابِهَا وَصَدَعَتْ ، عَزَّأَنَا اللَّهُ جَمِيعًا فِيهَا ، وَأَوْلَاهَا نَعِيمًا
فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَتَرْفِيهَا ، وَأَعْقَبَنَا مِنَ الْوَحْشَةِ أَنْسَا ، وَعَمَّرَ بِالرُّحْمَى جَدْنًا مَبَارَكَا
وَرَمَسَا ؛ وَجَعَلْنَا كُلًّا مِنْ يَرْدَعُ عَنِ الْإِنْحِطَاطِ إِلَى الدُّنْيَا نَفْسًا ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

لَمَّا عَلمَ مملوكُ المجلس السامى أطلالَ الله بقاءه ، وأعظمَ أجره وأحسنَ عزاءه ، وفاةَ السيدة المرحومة سقَى الله عهدَها عهداً يبُلُّ الثرى ، وجعل الرحمةَ لمن نزلتْ به لها القرى ؛ تَأَلَّمَ لفقْدها غايةَ الألم ، ووجد حُرقةَ كسْته ثوبى ضنى وسقم ؛ وحزناً لا يعبر عنه بعبارة بيانه ، ولا يستوعب وصفه بلسان قلبه وبنانه :

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا * لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ !

والمولى أولى من عزى نفسه ، وأستحسن رداء الصبر وليس به ؛ وعلم أن الموت غريم لا يُنجى منه كثرة المطال ، ولا يُدافع بالأطلاب والأبطال ؛ وأنه إذا طالب بذمة كان الدَّ الحِصام ، وإذا حارب فعل بيده مالا تفعله الكُماةُ بجَدِّ الحِسام .

الضرب السابع

(التعازي المطلقة مما يصلح إيراده في كلِّ صنف)

من ذلك ، من ترسل أبى الحسين بن سعد :

مَنْ صَحِبَ الأيامَ وتقلَّبَ في آنائها ، أَعْتَوَرَتْهُ أحداتُها ، وأختَلَفَتْ عليه أحكامُها ؛
بين مَسْرَةٍ ومَسَاءَةٍ يعقِّبان ، وفرحةٍ وترحةٍ يتناوبان [وكان] فيما تأتية من محبوبها على
غير ثقةٍ من دوامه واتصاله ، ولا أَمْنٍ من تغيره وانتقاله ؛ حتى تعقَّب السلامةَ حَسْرَةً ،
وتستحيلُ النعمةَ مُحْزنةً ؛ والسعيدُ مَنْ وَفَّقَ في كلِّ حالٍ لحظه ، وأعين على ما فيه
سلامةٌ دينه : من الشُّكرِ على الموهبة ، والصبرِ على النازلة ، وتقديم حقِّ الله تعالى

في حال الغبطة والرزية . ولم تكن بالجميع به مفردا عني وإن كان النسب يقربه منك ، والرحم تصله بك : لما كنت أوجب من حقه ، وأرعاه من مودته ، وأختصه بالاعتداد فيه دون أداني أهلي والثقة من إخواني ، فمضى رحمه الله أقوى ما كان الأمل فيه ، وأكل ما كان عليه في لبه وأدبه ، واجتماع فهمه وكمال هديه ، وانتظام أسباب الخير وأدوات الفضل فيه .

ومنه : لا ينكر للعبد أن يتناول مولاة عند وقوع المحنة في أهل خاصته ، وتكون ريب المنون من حاشيته ، بالتعزية عن مصيبته ، والإخبار عما يخصه من ألم فيعته وعظم رزيته ، لاسيما إذا كان بحيث لا يرى شخصه في الباكين ، ولا تسمع صرخته بين المتفجعين ، ولو سعت على حدقي .
ومن ذلك :

إن الله تعالى أمر أهل طاعته ، بتزيل هذه الدنيا بمنزلتها من إهانتها ، وسوى بين البر والفاجر في رغائبها ومصائبها ، ولم يجعل العطية دليلا على رضا ، ولا الرزية دليلا على سُخطه ، ولكنه ألزم كل واحد من أهل الرضا والسخط من نعمها بنصيب ، وسقام من حوادثها بذنوب : ليتلى أهل رضا في أهون الدارين عليه ، ويحسن لهم الجزاء في أكرمهما لديه ، ولذلك حُب إليهم الزهادة في زهيد فائدتها ، ومُنوح زهرتها ، وسماها لعبا ولها : لئلا يعنقوا بخطاياها ، وينغمسوا في آثامها ، وختمها بالموت الذي كتبه على خليفته ، وسوى بينهم في سكرته : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ . ويقربهم بدار يقنى الموت ويقون فيها بعده ، كما فنوا في هذه الدار وبق الموت بعدهم ؛ فإن تأخر الأجل فإلى غايه ، وإن تطاول الأمد فإلى نهايه ؛ ولابد أن يلحق التالي الماضي ، والآنف بالسالف ، وهذه حال نصب الأفكار ، وتلقاء الأبصار ، لاحتجاج أن يرتاض الصبر على آلامها ،

والتحمل لمُعْضَلَاتِ سِهَامِهَا ، والجَزَعُ عند وَقُوعِهَا قَادِحٌ فِي البَصَائِرِ وَالْأَفْهَامِ ، دَالٌّ عَلَى الجَهْلِ بِاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ؛ وقد طَرَقَ المَمْلُوكَ نَاعِي فلَان فَهَدَّ جَلَدِي ، وَفَتَّتَ كَيْدِي ، لَا أَرْتِيَا عَا لِحَادِثَةِ : لِأَنَّهَا لَوْلَمْ تُكُنْ فِيهِ لَكَانَتْ فِي المَمْلُوكِ ، وَلَوْ لَمْ تَنْطَرُقْ إِلَيْهِ لَنْتَرَقْتَ إِلَى المَدْرَكِ (؟) وَلَكِنْ الْأَسْفُ عَلَى عَطَلِ الزَّمَانِ مِنْ حِلْيَةِ فَضْلِهِ ؛ وَتَعَزْيِهِ مِنْ حُلَّةِ نُبْلِهِ ، وَخُلُوعِ رَا صِهِ مِنَ الْأُنْسِ بِمَثَلِهِ ، وَمَا نَالَ سَيِّدِي لِفَقْدِهِ ، وَتَجَمَّلَهُ مِنْ بُعْدِهِ ؛ وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَرْغَبُ المَمْلُوكُ أَنْ يَرْبُطَ عَلَى قَلْبِهِ بِالصَّبْرِ ، وَيُوقِّعَهُ لِنَتِجْزَ مَا وَعَدَ بِهِ الصَّابِرِينَ مِنَ الْأَجْرِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

على بن خلف :

رُقْعَةٌ : لَيْسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - خَيْرٌ مِنَ التَّسْلِيمِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّضَا بِقَضَائِهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى بَلَائِهِ ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَدَحَ الصَّابِرِينَ فِي كِتَابِهِ ، وَوَعَدَهُمْ بِصَلَوَاتِهِ . فَقَالَ جَل قَائِلًا : ﴿ أَيَّدِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ . وَقَالَ جَل قَائِلًا : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ . وَلَمْ تَزَلِ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْقَدَمَاءِ يَحْضُونَ عَلَى الصَّبْرِ وَهُمْ لَا يَرْجُونَ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَيَتَوَنَّوْنَ عَنِ الْجَزَعِ وَلَا يَخَافُونَ عَلَيْهِ عِقَابًا ؛ وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ وَتَدَاوُلَهَا ، وَالْأَحْوَالَ وَتَحَوُّلَهَا ، وَسَعَ صَدْرَهُ لِلنَّوَائِبِ ، وَصَبَرَ عَلَى تَجَرُّعِ الْمَصَائِبِ ، وَمَنْ أَغْتَرَبَ بِطَوْلِ السَّلَامَةِ ، وَطَمِعَ فِي الْأَسْتِمْرَارِ وَالْإِقَامَةِ .

رُقْعَةٌ : وَقَدْ اتَّصَلَ بِالمَمْلُوكِ خَبَرُ الفَجِيعَةِ بِفلَانِ ، فَأَفِضَتِ المَدَامُ ، وَتَضَعَّضَتِ الْأَصَالِعُ ؛ وَزَفَرَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَهَمَدَتِ الْحَوَاسُ ؛ وَأَذَابَ الطَّرْفُ

(١) لَمْ يَذْكُرْ فِي الْأَصْلِ لِهَذَا الشَّرْطِ جَوَابًا وَيَمْلِكُنْ أَخْذَهُ مِنَ الْمَقَامِ أَيْ «فَقَدْ حَاوَلَ مُحَالًا ، وَضَلَّ فِي سَبِيلِهِ ضَلَالًا» أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .

سَوَادُهُ عَلَى الْوَجَنَاتِ بَدَلًا مِنَ الْأَنْقَاسِ ، وَخَلَعَتِ الْقُلُوبُ سُودَاءَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ ،
عَوَضًا عَنْ جَلَايِبِ الْحِدَادِ ؛ وَعُضَّتِ الْأَنَامِلُ جَزَعًا ، وَمَزَّقَتِ الثِّيَابُ تَفَجُّعًا
وَتَوَجُّعًا ، وَكُلُّ هَذَا وَإِنْ فَارَقَ حَمِيدَ التَّمَاسُكِ ، وَوَافَقَ ذَمِيمَ التَّهَالُكِ ، غَيْرُ مُؤَيِّدٍ بِحَقِّ
ذَلِكَ الدَّارِجِ الَّذِي بَلَغَ الْمَعَالِي وَهُوَ فِي مَهْدِهِ ، وَشَدَّ دَعَائِمَ الْفَضْلِ وَلَمْ يَبْلُغْ أَوَانَ
رُشْدِهِ ؛ وَعَلِمَ سَيِّدِي أَنَّ غَايَةَ الْجَزَاعِ وَإِنْ صَدَعَتِ الْمُصِيبَةُ قَلْبَهُ ، وَأَطَاشَتِ
الْفَجِيعَةُ لُبَّهُ ، الصَّبْرُ وَالسُّلُوكُ ، وَأَنَّ نِهَايَةَ الْقَاقِ وَإِنْ هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْحُرْقَةُ بِمَا لَا تَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ
الْأَضَالِيعُ ، وَلَا تَتَمَسَّكَ مَعَهُ الْمَدَامِيعُ ، الْقَرَارُ وَالْهُدُوءُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيهِ بَعْدَ هَذَا
الرُّزْءَ رُزْءًا بِنَفَائِهِ ، وَيَنْقُلُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَى حَاسِدِيهِ وَأَعْدَائِهِ .

رقعة : مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْأَقْصِيَّةَ لَا تُحْطَى سِهَامُهَا ، وَالْإِفْدَارَ لَا تُرَدُّ أَحْكَامُهَا ، سَلَّمَ
الْأَمْرَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَرَضِيَ بِمَا مَنَاهُ فِي الْبَلَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ ؛ وَلَا سِيَّامًا فِي مُصِيبَةِ
الْمَوْتِ الَّتِي سَوَى بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِي تَجْرِيعِ صَاحِبِهَا ، وَأَقْتِحَامِ عِقَابِهَا ؛ وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ
خَبَرُ الْحَادِثِ الْفَاصِمِ لَعْنَى الْجَلَدِ ، الْبَارِحِ فِي الْجَلْدِ ^(١) . فَاسْتَحَالَتْ فِي عَيْنِ الْمَمْلُوكِ
الْأَحْوَالُ ، وَمَالَتْ عَنْهُ الْأَمَالُ ، وَرَأَى السَّمَاءَ وَقَدْ تَكَدَّرَ جَوْهَا ، وَالشَّمْسَ وَقَدْ تَعَكَّرَ
ضَوْهَا ، وَالسَّحَابَ وَقَدْ أَخْلَفَ نُوْهَا ، وَالنَّهَارَ وَقَدْ أَظْلَمَ ، وَاللَّيْلَ وَقَدْ أَدْلَهَمَ ، وَالنَّسِيمَ
وَقَدْ رَكَدَ ، وَالْمَعِينَ وَقَدْ جَمَدَ ، وَالزَّمَانَ وَقَدْ سُهَمَتْ وَجْهَتُهُ ، وَسُلِبَتْ حِلْيَتُهُ ،
وَأَفْرَجَتْ قَبْضَتُهُ عَنِ التَّمَاسُكِ ، وَقَبَضَتْ عَلَى التَّهَالُكِ ، وَعَدَلَتْ عَنِ التَّجَلُّدِ ، إِلَى
التَّبَلُّدِ ؛ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةٍ فِجَاعَتِهِ ، وَهَيَّبَ سِنَةَ رَوِيَّتِهِ ، فَسَلَّمَ لِلَّهِ رَاضِيًا بِأَقْصِيَّتِهِ ،
رَاغِبًا فِي مَثْوِيَّتِهِ .

أبو الفرج البيهقي :

إذا كان أيده الله أهدي في النعم إلى سبل الشكر، وأعرف في المحن بطرق الصبر؛ فكيف نحاذر عليه من المصائب، ونذكره التسليم لمحتوم التوائب؛ والمصيبة بفلان أعظم من أن نهتدي فيها إلى سلوة غير مستفادة منه، أو تقتدي في العزاء بغير مانأخذه عنه؛ إذ كانت قلوبنا تبع قلبه - سره الله - في طروق السراء والضراء، وحالاتي الشدة والرخاء . وأحسن [الله] عن الفجيرة عزاءه، وأجزل من المثوبة عطاءه؛ ولا شغله عن حلاوة شكر النعم بمرارة الصبر على ورود المحن، وجعل مانقل الماضي إليه، أنفع له ولسيدي من الجزع عليه .

وله في مثله :

أتصل بي خبر المصيبة فجدد الحسره، وسكب العبره، وأضرم الحرقه، وضاعف اللوعة، وكان الأسف عليه، بقدر تشوف الآمال كانت إليه : فإننا لله وإننا إليه راجعون !! أخذنا بأمره، وتسلياً لحكمه، ورضاً بمواقع أقضيته، وأحسن الله في العزاء هدايته، وحرس من فتن المصائب بصيرته، وحمل عن قلبه ما أظله من ثقل المصيبة وعظم الرزية .

ولا أزال على جملة من القلق إلى أن يرد على كتابه - أيده الله - بما أكون فيه بأديه مقتدياً، وبهداياته إلى سبيل العزاء والصبر مهتدياً؛ فإن رأى إجرائي من تشريفه بذلك على مشكور العادة، فعل، إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

أشترك القلوب فيما ألم بقلب سيدي بحسب تساويها في المسرة بما سره، إذ كان لا يختص دون أوليائه بنعمه، ولا ينفرد دون مؤلميه بحلول موهبه، والمصيبة بفلان

- وإن جَلَّ موقعُها وعُظُمَت الفَجيعةُ [بها] - جَلَلٌ مع سُقُوطِ الأقدارِ دُونَهُ ،
وتجاوزِها عنه ، ومُسامَحَتِها به ، فلا شَغَلَ اللهُ قلبه بَعْدَها بِمَرارةِ الصبرِ عَمَّا تُوجِبُهُ النِّعمُ
من حلاوةِ الشُّكرِ ، ولا جاوره بِرِزِيَّةٍ في حِمِّ ولا نعمة .

وله في مثله :

بصيرتُكَ إلى العِزِّاءِ تَهْدِيكَ ، وأَغْبَاطُكَ بِثَوَابِ اللهِ يُسَلِّيكَ ، وعِلْمُكَ بِقِلَّةِ الغِنَاءِ
عن الجَزَعِ يَنْثِيكَ ، وجمْعُنَا بِكَ في الصبرِ مُقْتَدُونَ ، ولِرَأْيِكَ في الرِّضَا بِمَا آخَرَهُ اللهُ
تعالى مُتَّبِعُونَ ؛ فحَمَلَ اللهُ عَنْ قَلْبِكَ ثِقَلَ المِصْيبَةِ ، وحَرَسَ يَقِينَكَ من أَعْتَرَضَ
الشُّبهة ، وأَحْسَنَ إلى جَمِيلِ الصبرِ هِدَايَتَكَ ، وتَوَلَّى من قِتْنِ المِحْنِ رِعَايَتَكَ ، وجعل
مَاتَقِلَ المَاضِي إِلَيْهِ ، أَنْفَعَ لَكَ وَلَهُ مِنَ الأَسْفِ عَلَيْهِ .

وله في مثله :

اتَّصَلْ بِي خَبْرُ المِصْيبَةِ فَأُضْرِمَ الحَسْرَةَ ، وَسَكَبَ العَبْرَةَ ، وَقَدَحَ اللُّوْعَةَ ، وَأَمْتَرَى^(٢)
الدَّمْعَةَ ، وَكَانَتْ مُشَارِكَتِي إِيَّاكَ فِي المِصْيبَةِ بِهِ ، وَالفَجِيعَةِ لِفَقْدِهِ ، بِحَسَبِ اخْتِصَاصِي
بِمَوَاهِبِ اللهِ عِنْدَكَ ، وَأَغْتَابِطِي بِمَنْحِهِ لَدَيْكَ ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !! تَسْلِيًّا
لَأَمْرِهِ ، وَأَنْقِيَادًا لِحُكْمِهِ ، وَرِضًا بِمَوَاقِعِ أَقْدَارِهِ ، وَأَحْسَنَ اللهُ عَلَى العِزِّاءِ تَوْفِيقَكَ ،
وإِلَى السَّلَوةِ إِرْشَادَكَ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيمَا تَطَرَّقَكَ بِهِ مِصْيبَةٌ مِنْ مِصَاحِبَةِ الصبرِ ،
وَفِيمَا تَقَدَّ بِهِ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ مِنَ الاستِرَادَةِ بِالشُّكْرِ ؛ وَحَرَسَكَ فِي نَفْسِكَ وَأَحْيَيْتَكَ ، وَذَوَى
عَنَّا يَتِكَ وَنِعْمَتِكَ .

(١) أى يسير هين على حد قول امرئ القيس لما قتل أبوه :

بقتل بنى أسد ربههم * ألاكل شيء سواه جل

(٢) فى القاموس « ومرى الشيء استخرجه كامتراه » .

وله في مثله :

قدرك أكبر ، وبصيرتك أنور ؛ وثقتك بالله تعالى أعظم من اعتراض الشُّكوك عليك فيما يطُرقك من عِظاته بالحوادث وإن عظمت ، والحنّ وإن جلت ؛ اختيارا بالمصائب لصبرك ، وبما يُظهره عليك من النعم لشُكرك ، ومثلك أيّدك الله من قابل الفجیعة بفلان - إذ كانت من الواجب المحتوم - بأحسن عزاءٍ وأفضل تسليم ، غير مرتاب بما اختاره الله له ولك فيه ، فعظم الله به أجرك وحرّسك وحرّس فيك .

الأجوبة عن التعازي

قال في "موادّ اليان" : أجوبة التعازي يجب أن تُبنى على وقوف المعزّي على كتاب المعزّي ، وأنّ إرشاده نفع غلّته ، وعظمه نفع علّته ، وتبصيره سكن أوّاره ، وتذكيره أحمد ناره ، وتبنيه أيقظ منه بحسن العزاء غافلا ، وهدى إلى الصبر ذاهلا ، وحسن عنده الرزية بعد جهامتها ، ودمت نفسه للمصيبة بعد فدّامتها ، فسلم الله تعالى متادبا بأدبه ، وعمل بالحكم مقتديا بمذهبه ، وغالب الرّزء بالعزم ، وأخذ فيه بالحزم ، وسأل الله تعالى أن يُحسن له العوض في ردّه ، ويجعله له خلفا ممن أصيب بفقدّه ، ونحو هذا مما ينخرط في سلكه .

جواب عن تعزية : من زهر الربيع :

أعزّ الله سيدنا وأسعدّه ، وسهّل له طريق المسرة ومهدّه ، وصان عن حوادث الأيام حجابّه ، وعن طوارق الحداث جنابه ؛ وجعله في جمّي عن عوارض الغير والغرر ، وأصار أيامه محسنةً لوجوه الأيام كالغرر .

ورد الكتاب الذي أنعم بإرساله ، بل المشرف الذي كسنته اليد العالية حلة من حلل جماله ، فوقف عليه وفهمه وتذكر به إحسانه الذي لا ينساه ، وتفضله الذي لا يعرف سواه ؛ فأما التعزية بفلان ، فإنه رد بعذب لفظها قوته ، وبلى بماء حسنها غلته ؛ وضبره على حادثته بفلان بعد أن عز عليه العزاء وأعوزه ، وطلب وعده من صبره فما أنجزه : لأنه كان وجد لموت المذكور حزنا ما استطاع له تركا ، وفقد لموته خلا مثله يناخ عليه ويئس ؛ وفي بقاء مولانا مسرة تطرد كل حزن ، وفي بهاء طلعه عوض عن كل منظر حسن ، جعله الله ساميا على أثرابه ، مقدما على أضرابه ؛ ماسمت الأسماء على الأفعال ، وتقدم الحال على الاستقبال .

آخر : ضاعف الله بقاءه وأطال عمره ، وشرح لإسداء المكارم صدره ؛ وأنفذ نبيه وأمره ، ولا زال إلى أوليائه محسنا ، وفضله يحصل لمحبيه غاية السؤل والمنى ؛ ورد مشرقه المعزى بوفاة فلان سقى الله عهدَه عهداً رضوانه ، وأسكنه في عُرف عُقرانه ؛ فخر مصابا ، وفتح إلى الصبر أبوابا ؛ وهدى إلى طريق الخير وقال صوابا ؛ وسكن نفسه ، وذكره إحسانه الذي لم ينسه ، وأزال الوحشة وزاد أنسه ، بعد أن كان فقد المذكور قد هدد ركنه وقت عضده ، وأوصله إلى أمد الحزن وضاعف على الأيام أمدَه ؛ وألبسه رداء الأكتاف ، على تربته الذي أصبح تحت التراب ، وصديقه الموصوف بالصدق ، الذي فاق سناء ذلك الأفق ؛ جعله الله أصلا في تحصيل المسرة إذا ذوت الفروع ، وسيقا يقهر به وليه الحوادث التي تروع ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر : جعل الله أجره عظيما كقدره ، والقلوب مجمعة على حبه كاجماع الألسنة على شكره .

المملوك يُعلمه بُرُود كتابه الكريم المعزى بفلان - قدس الله رُوحه، وأمطر سحاب الرحمة ضريحه - عليه، وعنده من شديد الحزن، ما أعدمه لَذِيذُ الوَسْنِ ؛ ومن زائد الأكتئاب، ما كاد يحرمه التقمص بثوب الثواب ؛ بحيث إنه عوض بالزمن الأسود عن العيش الأخضر، وذاق من موجب لبس الأبيض طعم الموت الأجمر، وأنه ضمّه إليه ضمّ المحبوب، وأبتهج به أبتهج من ظفر بغاية السؤل والمطلوب ؛ فاعمدت الكابّة خوفاً من قلعه سيفها، وأزالت الدنيا الدنية عنه حيفها ؛ وعزى نفسه وسلاها، وشغله إحسانه عن محاسن محا الموت سناها ؛ فرفض من توجهه ما فرضته حادثته، وسلك منهاج غير المنهج الذي فتتت فيه حشاؤه ومهجته ؛ فالله تعالى يكفينا ما نحاذره في المجلس ويحرس سناؤه، ويديم سعده وعلاؤه .

النوع الثالث

(من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة)

قال في "موادّ البيان" : رِقَاعُ التهادى يجب أن تُودع من الألفاظ المستحسنة ما يمهّد لقبول الملاطفة والمبرة التي تميز في المودة . قال : وينبغي أن يُطريف الكاتب إذا كان مُهدياً أو مستهدياً ؛ وقد جرت العادة أن تُودع هذه الرقاع من أوصاف الشيء المُهدى ما يحسّنه في نفس المُهدى إليه . قال : وينبغي لمن ذهب هذا المذهب أن لا يعتمد تفخيم هديته، ولا الإشارة إلى جلاله خطرهما، فإنّ ذلك يُخلّ بشروط المروءة ويتحاماها الكرماء .

ثم هي على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(ما يُكْتَب مع التّقدّم إلى المُلوك من أهل مملكتهم

إلى القائمين بإيصال التّقديمة إلى المَلِك وكتاب السّرّ ونحوهما)

الشيخ جمال الدين بن نباتة : إلى كاتب السّرّ بالأبواب السلطانية صحبة تقدمة
من نائب الشام إلى السلطان :

لا زالت أعلامها لتتأجج الفضل مُقدّمه ، ولمّا كض الكرم والبأس جباداً مُسوّمه ؛
ولكاتب الملك من كتبه أعلاماً بشعارها العباسيّ معلّمه ، وفي يد صاحبها من أصحاب
الميمنة ، والذين كفروا بآيات الله ونعيمها من أصحاب المشامة ؛ تقبيل محبّ لا تُفسخ
عقود ولائه المحكمه ، ولا تُنسخ إلا في الكتب عقود شانه المنظمه ، ولا تطوف
الأشواق بيت قلبه إلا وهى من ملابس السلوان المحرم مُحرمه .

ويُنهى أنه قد اختار من عناية مولانا بمقاصده أحسن الخير ، وبورك له
في قصدها (ومن بورك له في شيء فليزمه) كما جاء الخبر ؛ وقد جهّز فلانا إلى الأبواب
الشريفة خلد الله سلطانها بتقدمته على العادة في كلّ سنة ، وأتبع سفارة مولانا بين
يدي المواقف الشريفة فاتّبع من القول أحسنه ؛ وسأل حُسن نظر مولانا الذى إذا
لاحظ قصداً أعلنه وسعدا عينه ، وقد جهّز الملوك برسم مولانا ماهو بمقتضى الورقة
المجهّزة عطفها ، المؤمّلة وإن كانت ورقة قطفها ، وسأل مقابلتها بالخبر الذى يحسب
الأمل حسابه ، ويستفتح ببنان القلم بابه ، والإصغاء لما يُملئ من رسائل الشوق
فإنها من رسائل إخوان الصفا المستطابة ، لا يرح القاصدون مَرِحِينَ بأيام مولانا
وحقّ لهم أن يَمْرَحُوا ، تالين نسبة بيته ورُحمى الله على يده : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ .

وله إليه أيضا مع الجَهَّاز الشريف السلطاني :

أمتعها الله من خيرى الدنيا والآخرة بكم الأمرين ، وبشرف الذكرين ، وسرها بما يجهز في الثناء والثواب من الوفرين ، وأعلى منارها المحقق إلى السماء على وكر النسرين . ولا زالت الآمال لا تبزح حتى تبلغ من تلك اليدين مجمع البحرين ؛ بتقيل مخلص في الولاء والدعاء ، مستشهد بالخواطر الكريمة على ثبوت الأدعاء ، واردة لموارد النعم قبل صدور بل قبل ورود الرعاء .

وينهى أنه ليس للملوك فيما يومه ويتأمله ، ويفصله من عقود المطالب ويجهله ؛ غير إحسان مولانا الذى لا يمل على طول الإيناس والإلباس ، وعوارف بيته المستجدة تالية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وقد جهز الملوك الولد فلانا بالجهاز المبارك إلى الأبواب الشريفة خلد الله سلطانها ، وملا به جواهر جبات القلوب وريحانها ، وهو على قدر الملوك ومقداره ، لا على قدر مراده واختياره ؛ ولو أن المراد مما يجهله العبد إلى سيده ، ويقدمه من سبد الحال ولبده ، على قدر المحمول إليه ، والمقدم بين يديه ، لضعفت قوى أكثر العبيد عن ذلك ، ويس من الرضوان جهدهم المسالك ؛ وإنما على العبيد أن تنصب على قدرتها الحال ، وعلى الساديات أن تصرف بعوامل الخبر مستقبل الأفعال . وعلم مولانا الكريم محيط بتثقل المحمل في هذه السنين من بلد إلى بلد ، ومن أمد كلفه إلى أمد ، وبما حصل في ذلك من التمتع في إقطاعات كاد أن يُخني عليها الذى أخنى على لبد . وكان الملوك يود لو كان هذا المحمول من الجهاز من جواهر النجوم المنشورة ، وأخية السعود الماثورة ، وجميع ما زين للناس من الشهوات المذكورة ، أضعاف أضعافه الآن ، بل أضعاف أضعاف ما حمل الأولون من فلان وفلان ؛ كالحسن بن سهل مع الجهة المأموينية التى حلا ذكرها ، وابن طولون مع المعتضدية التى كثر هذا الغيث قطرها ، والساماني

وما أدراك، والسَّاجُوقِ وما أسراك، وجميع ما تضمَّنته التواريخ التي لو عاينت تاريخ هذه الدولة الشريفة عنت في الحال لمجده، وكان كلُّ مجلد منها يموت للهبة في جلده : لما خلده أيامها الشريفة من أخبار حكمها وخيرها، وكرمها وبرها، وعطفها على ممالك بيتها الشريف : تتقبل منسورهم، وتكفل سرورهم ؛ وعلأ يجيوش الإنشراح صدورهم ، وتبلغهم من همم مطلوبهم ؛ وتُقيل على زاهرات نجاياهم ورياحين قلوبهم :

ولو لم تُطعهِ نيات القلوب * لما قيل الله أعمالها.

والمملوك يسأل من إحسان مولانا الذي ألفه، ومعروفه الذي عرفه، ملاحظة الولد فلان بين يدي المواقف الشريفة خلَّد الله سلطانها، وإقامة عذر المملوك بعباريته التي أحلَّ الله سحرها وبيانها ؛ فإلى المملوك في مقاصده مثل مودة مولانا الوافية المتوافية ، ومقدمة عبارته الكافية الشافية ؛ والله تعالى يعين على شكر منته، والقيام بفرائض حمده وسننه ؛ والنهوض بأوصاف أياديه التي يغزدها قلم الكتاب كما يغرد القمرى على فننه .

الضرب الثاني

(ما يكتب مع الهدية عند بعثها)

وهو على عشرة أصناف :

الصنف الأول — ما يكتب مع إهداء الخيل .

على بن خلف : في إهداء جوادٍ أدَّهم أغرَّ محجل .

وقد خدم المملوك ركابه الأكرم ، بجوادٍ أدَّهم مطَّهم ، قد سلب الليل غياهبه وكواكبه ، فأشتمل بأديمه ، وتحلَّى بجُجومه ، وأطلع من غمرته الساذجة قرأ متصلا

بالمجرَّة ، وتحلَّى من رُمَّتِهِ بالثَّريَّا أو النَّثَرِ ، صافِي القَمِيصِ ، مُحْوِضُ الفُصُوصِ ،
 حديد النَّاظِرِ ، صليب الحافِرِ ، وثيق القَصَبِ ، نقيَّ العَصَبِ ، قَصِيرُ المَطَّاءِ ، جَعَدَ
 النَّسَا ، كَأَنَّمَا أَتَعَلَّتْ بِالرِّياحِ الأَرْبَعِ أَرْبَعُهُ ، وَأَصْغَى لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ مَسْمَعُهُ ،
 إِنْ تَرِكَ سَارَ ، وَإِنْ عُمَزَ طَارَ ، وَإِنْ تُنِيَ أَحْرَفَ ، وَإِنْ آسْتَوْقِفَ وَقَفَ ، أَدِيبٌ
 نَجِيبٌ ، مَتِينٌ صَلِيبٌ ، صَبُورٌ شُكُورٌ ، وَاللهُ تَعَالَى يَجْعَلُ السَّعَادَةَ مَطْلَعَ غُرَّتِهِ ، وَالْإِقْبَالَ
 مَعْقَدَ نَاصِيَتِهِ .

من كلام المتأخرين :

كتاب عن نائب الشام إلى الملك الصالح : شمس الدين صاحب ماردين قرين خيل
 مُنَمِّعٌ بِهَا إِلَيْهِ ، عن السلطان الملك الصالح : عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد
 ابن قلاوون - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب .

وَأَجْرَى بِالنَّصْرِ جِيَادَهُ ، وَبِالظَّفَرِ مُرَادَهُ ، وَعَلَى عَوَائِدِ السَّعْدِ مَطَالِعَ شَمْسِهِ الَّتِي
 يُسَمِّيهَا عُرْفَ الْمَلِكَةِ بِلَادَهُ ، وَلَا زَالَتْ مُنِيرَةً بِسَعَادَةِ شَمْسِهِ الْأَحْلَاكَ ، نَظِيمَةً بِدُرِّ
 حَمَامِدِهِ الْأَسْلَاكِ ، مَائِلَةً خِيُولُ سَعْدِهِ حَتَّى حُمِرَ السَّوَابِقُ مِنَ الْبُرُوقِ وَالشُّهُبِ السَّوَاخِ
 فِي الْأَفْلَاكِ .

المملوك يقبل اليد التي إذا بسطت فلأن تجود وتسلم ، وإذا قبضت فعلى سيف
 أوقلم .

ويُنْهَى بِعَدَوْلَةٍ وَتَنَاءٍ لِلْإِخْلَاصِ شَارِحِينَ ، وَفِي الضَّمَائِرِ وَالْآفَاقِ سَانِحِينَ ، وَأَشْتِيَاقٍ
 وَعَهْدٍ كَانَا أَحَقَّ بِالْإِتْمَاءِ لِأَسْمِهِ وَنِعْتِهِ وَكَانَ أَبُوَاهُمَا صَالِحِينَ ؛ أَنَّ الْمَرْسُومَ الشَّرِيفَ
 زَادَهُ اللهُ تَعَالَى شَرَفًا ، وَرَدَّ يَتَضَمَّنُ تَشْرِيفَ مَوْلَانَا عَلَى الْعَادَةِ وَإِعْظَامَهُ ، وَأَسْتَقْرَارَ
 مَكَانَتِهِ مِنَ الْخَوَاطِرِ الشَّرِيفَةِ فِي دَارِ مَقَامِهِ ؛ وَأَسْتِمْرَارَ كَرَامَتِهِ مِنَ الْآرَاءِ الْمُعْظَمَةِ

ولا يُنكرين الصالح والصالح استمرار الكرامة ، وأن الصدقات الشريفة أنعمت على مولانا بثلاثة أروس من الخيل كثلاثة الراح ، إلا أن حباها عرق سبقها ، وثلاثة الشجر (١) كما قال الطائي تساوى شرف ثمرها وزهرها وعرفها ؛ مامنها إلا من تقصر الرياح أن تسلك بغيه ، والبروق أن تتبع نهجه . ومن تود الثريا أن تكون لحامه والهلأل أن يكون سرجه . ومن يخطر كالغمام ويركض كالسلي . ومن تكلمت جلده وليس حلة الفخار فشئ على الخاليتين في الخلتين مسيل الذيل . ومن عقد بناصيته كل الخير وعقد له لواء الفخار على كل الخيل : من كل خضراء معجبة فهي على المجاز حديقه ، وكل أحمر سابق فهو البرق على الحقيقة ، وكل أصفر شفق إلا أن الرياح من مجاراته على نفسها شفيقه . وكيف لا يُسبّه بالشفق وهو من الأصيل ، وكيف لا يفتخر العسكرى بهذه الخيل وخصاير عددها في الحسن أوائل ، قد صرقت وجوهها المقبلة ، لباب مولانا أحسن المصارف ، وكتبت عوارف الفضل في معارفه المسبلة ، فناهيك منها بكتاب عوارف المعارف ، ووصل لمولانا بذلك مثال شريف ، ورسم للملوك تجهيزها مع من يراه ، وقد جهز الملوك لخدمة مولانا الخيل المذكورة مع المثال الشريف صلبة فلان ، ومولانا أدرى بنفحات رياض الحمد بهذه الدائم المطلبه ، وبالتقيل في الأرض التي هي سماء حوافر هذه الخيل التي هي أهله ، وأولى أن يشرف الملوك بمهماته ، ويؤنس لحظه بطيف اليقظة من مشرقاته ، والله تعالى يجتد لمعالیه في كل قصص مجحا ، ويعلى لمجده في كل حال قدحاً ، ويروّع الأعداء

(١) كذا في الأصل باستعمال من في غير الغافل .

(٢) في الأصل يخطر كالغمام ولعله مضحك عما أبتناه يقال تمطرت الخيل إذا جاءت مسرعة يسبق

بعضها بعضاً تأمل .

(٣) في الأصل وجاد مجده تأمل .

من خَطَوَات خَيْلِهِ فِي بِلَادِهِم بِالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ، وَمِنْ خَطَرَاتِ ذِكْرِهِ فِي قُلُوبِهِم
بِالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا .

وَفِي مَعْنَاهُ :

يَقْبَلُ الْبَاسِطَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَى اللَّهِ شَأْنَهَا ، وَجَمَلُ بَقَائِهَا زَمَانَهَا ، وَضَاعَفَ عَلَى
الْأَوْلِيَاءِ بِرَّهَا وَإِحْسَانَهَا .

وَيَنْهَى : أَنَّهُ آتِنَاعُ جَوَادًا أَعْجَبَهُ ، وَطَرَفًا آتَنَجَبَهُ ، وَقَدْ قَدَّمَهُ لَوْلَى نِعْمَتِهِ ، وَمَالِكُ
عَهْدَتِهِ : لِأَنَّ الْكِرَامَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِ الْكِرَامِ ، وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْوَلَى عَلَى الْعَبْدِ
حَرَامٌ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ ضِيَاءَ غُرَّتِهِ ، وَائْتِمْنَ مَعْقِدَ نَاصِيَتِهِ ، وَالْإِقْبَالَ تَحْجِيلَ
أَوْظَفَتِهِ ، وَالسَّعَادَةَ مَوْضِعَ الْجُلُوسِ مِنْ صَهْوَتِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يُسَالُ الْإِنْعَامَ بِقَبُولِهِ ، وَ[أَنْ]
يَبْلُغَهُ مِنْ ذَلِكَ [غَايَةَ] مَأْمُولِهِ ؛ مُضَافًا إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ سَابِقُ إِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ ، وَفَضْلِهِ
الْجَسِيمِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ بَعِينُهُ الَّتِي لَا تَتَّامُ ، آمِينَ .

الْأَجُوبَةُ بِوَصُولِ الْخَيْلِ

جَوَابٌ عَنْ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى أَمِيرِ اخُورِ بِالْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، عَنْ وَصُولِ خَيْلٍ
إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْعَامِ الشَّرِيفِ - مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نَبَاتَةَ ، وَهُوَ بَعْدَ
الْأَلْقَابِ :

لَا زَالَتْ مَبْشَرَةً بِأَعْظَمِ الْخَيْرِ وَكَرَامِ الْخَيْلِ ، مَيَّسَرَةً لِلنَّعْمَاءِ بِسَوَائِقِ السَّيْرِ كَدَوَافِقِ
السَّيْلِ ؛ مُسْفِرَةً عَنْ إِيجَادِ سَوَائِحِ إِلَّا أَنَهَا فِي الْفَخَّارِ وَالشَّيَةِ ضَافِيَةُ الدَّيْلِ ، سَفِيرَةٌ
فِي الْجَوَادِ بِكُلِّ جَوَادٍ تَبْتَسِمُ غُرَّتُهُ أَبْتَسَامَ النَّهَارِ وَيُدْرِكُ طَلَبَهُ إِدْرَاكَ اللَّيْلِ ؛ تَقْيِيلًا
يَسْتَبِقُ أَسْتَبَاقَ الْجِيَادِ ؛ وَيَتَسَّقُ عَلَى الدَّرَجِ أَسَاقَ الْعُقُودِ عَلَى الْأَجْيَادِ .

(١) النِّعْمُ وَالنِّعْمَةُ وَالنِّعْمَى وَالنَّعْمَاءُ مَا يَنْبَغُ بِهِ فِعْلُ الصَّوَابِ الْإِنْعَامِ .

وَيُنْهَى بعد ثناءٍ وولاءٍ : هذا يهيمُ في كلِّ وادٍ ، وهذا يهيمُ بمثله كلُّ وادٍ ؛ وَرُودَ
 مشرفةِ مولانا الكريمةِ بما ملأ القلبَ مسره ، والعينَ قره ، ودرجَ عامِ الفيلِ من نُجُبِ
 الخيلِ السيارةِ مستهلَّ وغرَّه ؛ فقابلها المملوكُ بتقييله ، وقام لها على قَدَمِ تبجيله ؛
 ثم قام إلى الخيلِ الشريفةِ المنعمِ بها عليه فقبَّل من حوافرها أهلاً ثم من غررها
 نُجوماً ، وتأملَ شياتها البرقيةَ واستمطر من السُّعودِ غيوماً ؛ فأدنت له من الإقبالِ أمدَ
 قاصيها ، وظلَّ بمنزله الخيرُ المعقودُ بنواصيها ؛ وتضاعفت أدعيته الصالحةُ لهذه الدولةِ
 القاهرةِ الصالحيةِ زادها الله من فضله ، والوقتِ الذي ملأ الدنيا بسحابِ جوده
 ورياحِ جِاده ورياضِ عدله ؛ والمملكِ الذي لا يبنِّي لأحدٍ من بعده ، ولولا شهودُ
 العهدِ الشهيديِّ لقال ولا لأحدٍ من قبله ؛ وأعدَّ المملوكُ هذه الثلاثةَ من الخيلِ ليُفنيَ
 عليها بالقتالِ أهلَ التعطيلِ والتثليثِ ، ويستخفَّ بها آجالَ الأعداءِ بين يديْ
 مالِكِه : فإنها من ذواتِ العزِّ والعزمِ الحثيثِ ؛ وما هي إلَّا كواكبٌ سعدت مددها أَسْتَبَّها
 الوقَّادُ ، وزهراتٌ حسن حَيْثُ بها على البُعدِ سفارتهُ المعتابه ؛ لأبرح مولانا يقلِّدُ
 بعنايته وإعانتِهِ المِنَّةَ الحسامِ ، وينصُرُ بعزائمه القاطعةَ ، وكيف لا ينصُرُ ويقطعُ
 وهو الحُسامُ ؟ .

وله في جوابِ وُصُولِ أكديش وبازٍ [وكوهية] :

لا زالَ جزيلاً سَمَّاحُهُ ، بحملاً من الحمدِ رَبَّاحُهُ ، جليلاً يرُّه الذي يشهد به طائرُ
 الخيرِ ويمنه وطائرُ الخيلِ ونَجَّاحُهُ . هذه المفاوضةُ تُهْدِي إليه سلاماً يَحْفَقُ جَنَاحُهُ ،
 وثناءٌ تُشْرِقُ غُرَّه وأوضاحُهُ ؛ وتوضِّحُ لعلمه الكريمِ ورودَ مكاتبتِهِ سريعةِ الإِحْتِثَاتِ ،
 طائرةٌ يُمْنُ طُرْسُها وهديَّتُها بأجنيحةٍ مَنَى وثلاث ؛ فحصل الوقوفُ عليها ، وتجددُ
 عهدِ الأَرْتِياحِ لديْها ، وفهمنا ما لم نزلْ نفهمُهُ من ودِّ الجَنابِ العالی ، وِرِّهِ المُتعالی ؛

وفاء عهده الذى تتلقاه المحامد بأمالى المحب لا بأمالى القالى؛ ووصل الأكديش الايكر
 ظاهراً حسنه، سافراً عن وفق المراد يمتنه؛ نتجمل به الموائب، وثمانية الرياح
 وبعضها من خلفه جنائب؛ وكذلك وصل البازى والكوهية، وكلاهما بديع
 الأوصاف، سريع الإقنطاف لأزاهير الطير والإقنطاف، يسبق الطرف بجناحه
 اللامع، ويستعجل من الأفق وإرد الرزق المنوح؛ ويواصل الخير والمير إلى المطبخ،
 فكأن حوائج كاش تغدو إليه وتروح؛ لا برح إحسان الجناح العالى وإصلا، وذكره
 فى ضمير الإعتداد حاصلاً؛ وحكم سماحته وشجاعته باستحقاق الثناء فاصلاً .

جواب بوصول جوارح :

كتب به عن نائب الشام، جواباً لمطالعة وردت على نائب الشام من الصالح
 صاحب مريد من بقايا بنى أرتق، صفة سناقر، هدية للصالح إسماعيل بن الناصر
 محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأيد همه السوايح، ونعمه السواخ، وشيمه التى تنتظم منها عليه دُرر المحامد
 والمناح، وشكر هداياه التى منها جوارح طير تحفّق لقرط استحسناتها الجوارح .
 ولا زال من أجنحة نصره حتى السماك الراح؛ ومن جنود سعده للأولياء سعد
 السعد، وفى الأعداء سعد الذابح؛ ومن جياذ ركابه الشهب إلا أنها شهب الأفلاك
 السوايح؛ ولا برح سلطان البسيطة مكافئاً عمل قلبه الوفى، ولا ينكر العمل بالقلوب
 بين الصالح والصالح .

المملوك يقبل الأرض التى تستمد السحب من سمائها، وتستعد منازل الأنجم للتعلم
 من أنوائها؛ تقيلاً يودع ورق الرسائل أزاهره، ويطلع فى ليالى السطور زواهره،
 وينتجرف فى أيدي الحروف إلى أن تصل إلى أجياد المنابر جواهره .

وَيُنْهِى - بعد دعاءٍ صالح، إذا جُددَ تجدد، وولاءٍ نأج، إذا آنعطف تأكد، وثناءٍ
سانح، إذا سرى لا يتوقف إلا أن نسيمة في الآفاق يتردد، وأرتياح لما يرد من
أخبار دياره السائرة إذا شافه سروره سمع الولي شهيد وسمع الحاسد تشهد، حيث
يتلقى ببلاده النجح والمقاصد، وصلات البر والعوائد، ووفود الآمال من كل أوب:
فديار بكر ديار زيد وعمرو و خالد - ورود المشرف الكريم، بل الغيث السائر يخضب
المقيم، على يد فلان ونعم اليد العائلة لأيدى البر العميم، ونعم المشرف الوارد عن
مقر: هذا للأمل كهف وهذا للتأمل رقيم؛ ففضه المملوك عن علامة أسم لحسنها
وسوم، ولها رسوم، وأستجلى مواقع تلك الأنامل المضية وأقسم على فضلها بمواقع
النجوم؛ وأتتهى إلى الإشارات العالیه، وعلم ما كان القلب يعلمه من ضمائر الود
الحالية لا الخالية، وقابل كل أمرٍ حسنٍ بما يجب من مذاهب الود المتواليه،
ووصلت السناقر المنير سنا فضلها، المير في معارك الصيد شبا نضلها، القائمة
في كواسر الطير مقام الملوک الأکسرة إلا في حكمها وعدلها؛ لا جرم أنها إذا
دخلت آفاق طير أفسدتها وجعلت أعزّة أهلها أدله؛ وإذا آنقضت على سرب
وخش جذبتها من دم الأوردة بأرسانٍ حيث كستها من قوادم الأجحة أجله؛
لأيسأل كاسرها في الطيور بأى ذنب قتلت، ولا يحلها جانب الطير والوحش إذا
عاندته فيا عجباً لها على أيدي البشر كيف حملت؛ تظل الصيد فلا عجب أن يفزع بها
من ظله، وتكتبُ علائم الثين والظفر بما في لونها من شبه الخط وشكله، نعم
الجالبة للخير والمير، والسائرة بما يخيف المتصيدات وكيف لا؟ وعلى رؤوسها
الطير، أزاهر حُسنٍ لا يدع أن يكون لها كآئم، وبوارق العزم لا جرم أن أجنتها
غمائم؛ ونواقل البأس والكرم عن مُرسِلها فهما جمعت الشجاعة فرقت المكارم.
استجلاها المملوك بعد ألفاظ المشرف الكريم فقال: (تلك الرياض وهذه السحب،

وتلك الأنوار الهادية وهذه في أفق مطارها الشهب) ؛ وجَهَر المملوك المطالعة المحضرة
للأبواب الشريفة أعلاها الله وشرفها على يد فلان المذكور فقُوِيلَ بالإكرام والكرم،
ومثل بالمواقف الشريفة مثولاً رقبته إلى الكواكب لا جرم ؛ وذَكَرَ بصالح
بيت الارتقاء صالح بيت أرتق حتى أنشد :

فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ * مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ !

وقد عاد معلماً من البشر بما يراه مولانا عليه ، معلماً بما تقدم من نجوى الإنعام
بين يديه ؛ حاملاً من كريم وجاه يُعَدَّان للأولياء في يوم نزل وللأعداء في يوم نزال ، قائلاً
برجاء سعيه المؤمن : (يَا صَالِحٌ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) ولن نزال ؛ والله تعالى
يُجْرِي كَرَمَ مولانا على عوائد إسعاده ، ويَحْرُسُ بعينه وملائكته نَفَاسَةَ نَفْسِهِ وِلاَدِهِ ؛
ويُدْخِلُهُ بِأَسْمِهِ وَمُسَمَّاهُ لَدَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ .

وله جوابٌ بوصولِ بَازِيَيْنِ :

ولا زَالَتْ بُرَاةُ كَرَمِهِ عَلَى الْحَمْدِ مُطْلََّةً ، وَسَحَابُهُ مُسْتَقِلَّةً ، وَهَيْمُهُ مُسْتَقِلَّةٌ بِأَعْيَاءِ
المكارم وإن كانت لكثير ما يَهْدِيهِ مُسْتَقِلَّةً . هذه المفاوضة تُهْدِي إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ
أَجَلَهُ ، وَتَوْضِّحُ لِعَلَمِهِ الْكَرِيمِ وَصُولَ مَكَاتِبَتِهِ الْعَالِيَةِ فَوْقُنَا عَلَيْهَا ، وَعَوْدُنَا بِكَلِمَاتِ
الثناء التامة من خلقها ومن بين يديها ؛ وعلمنا ما لم نزل نعلمه من مولاته وآلاته
المُسْتَنَدَةِ فِي الشُّكْرِ عَنْهَا وَالْمُسْتَنَدَةِ فِي الْوَلَاءِ إِلَيْهَا ؛ وَوَصَلَ كَلَا الْبَازِيَيْنِ الْحَسَنِينِ الْمُحْسِنِينَ
كَأَنَّهُمَا فَرَقَدَا سَمَاءً قَدْ اجْتَمَعَا ، وَقَرَأَ حُسَيْنٌ طَلْعًا ، وَعَلَى مُحَاسِنِ الصَّيْدِ أَطْلَعًا ؛ يَسْرَانِ
القلوب والأبصار ، وَيَحْمِلُ كُلُّ مَنَّهُمَا عَلَى الْيَمِينِ فَيَحْصُلُ بِهِ الْيَسَارُ ؛ وَمَا هُمَا بِأَوَّلِ
إِحْسَانِهِ الْأَسْنَى ، وَرَّهْ الْأَهْنَى ؛ وَأَيَادِيهِ الَّتِي أَبِي الْكَرَمُ إِلَّا أَنْ تَرِدَ مَثْنَى مَثْنَى . وَعِلْمُ
أَعْتِدَارِهِ عَنِ الْكُوْهِيَّةِ الَّتِي كَانَ أَدْنَحَهَا فَبَقَّتْ ، وَلَوْ أُقِيمَتْ بِهَا أَسْوَاقُ الصَّيْدِ

نَفَقَتْ ، وأرسل بروايتها تحقيقاً لدَعْوَى المكارم التي من زمانٍ تحَقَّقَتْ ، والله تعالى
يُشْكِرُهُ ، ويملاً بِذِكْرِهِ بحرَ الثناء وبرّه .

وله جوابٌ بوصول كوهيتين على يد شخصٍ أسَمَهُ بأشَق :

لازالَت المحامدُ من مَصَائِدِ إنعامه ، وفوائدِ أيامه ؛ وثمراتُ البأسِ والكرَم من
قُضْبِ سُيوفه وأَقلامِهِ ؛ تَقْيِيلُ معترفٍ بإحسانها ، مغتَرِفٍ من مَوارِدِ آمِنَتِناها ؛ متَحِفٍ
منها بعالي تُحْفٍ تَدُلُّ على مكانِها في الفضل وإمكانِها .

وَبُنِي وَرُودَ مشرفٍ مولانا الكريم على يدِ الولدِ « بأشَق » فياله بأشَقُّ جاء
بِكُوهيتين جميلتين ، وطار للسرعة وهو حاملٌ مِتينِ جليتين ؛ وقد وصلتا و [كُننا] هما
حسنةُ الخبر والخبر ، حميدةُ الوردِ والصدر ، يُحَسِّنُ مَسْرَى كُلِّ منهما وسيره ؛ وَيَتَجَمَّلُ بهما
بابُ الشكرِ خاناه وصدرُها ويكثرُ خيرُ المطبخِ وميره ، فمدَّ المملوكُ إليهما اليدَ المتحملةَ
الحاملةَ ، وإلى المشرفِ الكريمِ اليدَ المتولِّيةَ التناولة ؛ وعلم ماتضمنته من الحُسْنِ
والإحسان ، وذكُرِ المِوالاة التي يحكُمُ بها القلبُ العالمُ قبلَ شهادةِ اللسان ؛ وأعتذارِ
مولانا عن تعذُّرِ وجودِ الشاهين ؛ وكلِّ إحسانِ مولانا شَيْءٍ كافٍ ، وكلِّ مَوارِدِ
نِعَمِهِ هَنِيٍّ صافي ؛ ومافاتٍ مَقْصِدُ وإنعامِ مولانا وراءَ طَلَبِهِ وإن طال الأمدُ ، ولا فَرَّ
مطلوبٌ حتَّى يَأْتِيَ به سَعْدُ مولانا مَقْرُونًا في صَفَدٍ ؛ والله تعالى يُشْكِرُ عوائدَ فضله ،
ولا يَضْحِي الآمالُ المتجنِّةُ [إليه] من ظِلِّهِ .

جواب بوصول طيور، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وشكَّرَ هداياه المتقبَّله ، وسجَّاه التي هي بأفواه المحامد مُقبَّله ، ولا زال بدرَ سعادته
المأمولةِ وطائرَ هديته المتأملِ .

صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالى تُهدى إليه من السلام أتمه، ومن الشاء أتمه؛ وتوضَّح لعلمه الكريم ورود مكاتبة الكريمه، ومكارمه العيمه؛ وطُيور هديته التى كل منها فى الحُسْن بدرتيم، وظهرت ظُهور البدر لتمامه فأبت محاسنها أن تنكتم، لحُسْن ورودها، ورعى بفضل اللطف والتودد مقصودها؛ وأقبلت تلك الطيور التميّة تامّة الإناعام، دالّةً يمين طائرها على بركة عامّة وكيف لا؟ وقد جاءت ببضاء عدد شهور العام؛ والله تعالى يزيده من فضله، ويُجْرى الأقدار بالسعود الشاملة لجمعه الجامعة لشمّله؛ إن شاء الله تعالى .

جواب فى المعنى، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا :

لازال الجوارح شاهدةً بيرة، والجوانح حائمة الجناح على شريف ذكره؛ والحمد من مصاديد أقلامه ورماحه فى السلم والحرب : فأما بقوادم سمره، وإما بمناسر سمره؛ تقيلاً بيعته على أجنحة أوراق الرسائل، ويتصيد به على البعد مشافهة تلك الأنامل الجلائل .

ويُنهى بعد دعاء، تُخلّق إلى السماء كلماته الحسنه، وولاءٍ وشاء : هذا تحفيق بتشوقه أجنحة القلوب، وهذا تحفيق بذكره أجنحة الألسنه - أنّ كتاب مولانا ورد على المملوك فأورد عليه المسار؛ و[ملا] يده بالمبار، ومصاديده بالمير، ومنازله بالخير؛ وآماله بأمالى الكرم لذى السرحات المنشرح بأية ((وعلمنا منطق الطير)) فقابله المملوك بتقبيله؛ وواصل فضل الاعتداد بتفضيله، وحصل من هداياها وهداها على جملة الإحسان وتفصيله؛ وأتتهى إلى الإشارات العالية التى زكت على العيان وتأمله وأربت على الجنان وتأمله .

فَأَمَّا الْإِنْعَامُ بِالْكُوْهِتَيْنِ اللَّتَيْنِ مَاقَذَفَ الْبَحْرُ إِلَى السَّاحِلِ أَهْبَى مِنْ دُرِّهِمَا
الْمَكْنُونَةِ ، وَأَزْهَرَ مِنْ وَجْهِهِمَا الْمُبَارَكَةِ الْمَيْمُونَةِ ، فَقَدْ وَصَلَ كِلَا الطَّائِرَيْنِ يُمْنُهُ ،
وَالسَّابِقَيْنِ بِمَنَّةٍ ، وَالْعَائِيَيْنِ فِي جَوْ السَّمَاءِ الْآتِيَيْنِ مِنَ الصُّيُودِ بِأَوْفَى مِنْ قَطَرَاتِ مَوْنِهِ ،
وَأَسْتَقْبَلَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُمَا وَجْهَهُ أَمْسَارًا ، وَحَمَلَتْ يَمِينُهُ الثَّرْوَةَ وَحَمَلَتْ عَلَى الْيَسَارِ ؛
وَتَنَاوَلَتْ يَدُهُ يَدَيَّ إِحْسَانٍ يَسُرُّ النَّاظِرِينَ وَالسَّامِعِينَ ؛ وَأَسْتُخْدِمَا لِلشُّكْرِ خَانَاهُ وَلِحِفْظِ
مَطْبَخِ بِلَاءِ عِيُونَ الْمُشْبَعِينَ وَالْجَائِعِينَ ؛ وَقَالَ صَنَعَ اللَّهُ لِصِنَاعَتِهِمَا : اثْنِيَا بِصُيُودِ السَّمَاءِ
طَوْعًا أَوْ كَرْهًا (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) . قَدْ كَتَبَتْ بِالْيَمْنِ فِي مَطَاوِي رِيشِهَا أَشْبَاهَ الْحُرُوفِ ؛
وَقَضَى الْجُودُ لِنَلْكَ الْأَحْرَفُ أَنْ تَقْرَى مَا تَقْتَرَى عَوَاصِي الطَّيْرِ لَهُ بِطَاقَةِ تَقْيِيدِ السَّابِغِ
فِي طَلْقِهِ ، وَيَعُودُ مُطْلِقُهَا وَقَدْ أَلْزَمَ نَجَاحَ الطَّيْرِ طَائِرُهُ فِي عُقْبِهِ ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانَ
مَوْلَانَا الَّذِي أَلْخَفَ الْأَمَلَ جَنَاحَهُ ، وَالْقَصْدَ نَجَاحَهُ ؛ وَبَرَّ الَّذِي أَحْمَدُ فِي سَوَانِحِ
الطَّيْرِ وَبَوَارِحِهِ مَسَاءَهُ وَصَبَاحَهُ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ فِي أَمْرِ فُلَانٍ وَأَمْرُهُ عِلْمُ
اللَّهِ تَعَالَى فِي الْخَاطِرِ حَاضِرًا ، وَمَا يُؤَخَّرُ شُغْلُهُ عَنْ إِهْمَالٍ وَعَائِبُ الْإِهْمَالِ غَادِرًا ؛
وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ فُلَانٍ أَمِيرِ شَكَارِهِ وَأَمِيرِ شُكْرِ الْمَمْلُوكِ ، وَتَقَدَّمَ بِخَلَاصِ حَقِّهِ ،
وَأَسْتَنْزَلَ بِهَدِيَّتِهِ قَضَاءَ الشُّغْلِ مِنْ أَفْقِهِ ؛ لِأَبْرَحَ مَوْلَانَا مِمْتَلِّ الْأَوَامِرِ ، هَامِي سُحْبِ
الْبِرِّ الْهَوَامِرِ ، مُجَدِّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ نُعْمَى ، مَالَتًا بِهَدَايَاهِ قُلُوبَ مُحِبِّيهِ وَبُيُوتَهُمْ شَجْمًا وَلَحْمًا ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله جواب في وُصُولِ طُيُورِ الْعَقَقِ :

لَا زَالَتْ مَتَّصِلَةً مِنْ إِرْفَاقِهَا وَإِرْفَاقِهَا ، نَازِلَةً عَلَى حُكْمِهَا [الْأَشْيَاءُ] حَتَّى
الطَّيْرُ الْعَاقَّةُ مِنْ آفَاقِهَا ؛ خَافَقَةُ أَعْلَامٍ نَصَرَهَا بِالْأَجْنَحَةِ مُؤَنَّةٌ لَطُنُونَ الْقَاصِدِينَ مِنْ

إخفاقها، تقبيل مُطْلِقِ لِسَانِ الحَمْدِ عَلَى عَوَائِدِ إِطْلَاقِهَا، مُجْتَنِّ لَثَرَاتِ الإِحْسَانِ مِنْ غُصُونِ أَقْلَامِهَا وَغُصُونِ أَوْرَاقِهَا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مُشْرِفِ مولانا العالى عَلَى يَدِ الْوَلَدِ فَلَانٍ فَوْقَ الْمَمْلُوكِ عَلَيْهِ، وَعِلْمِ مِنْ جَمِيلِ الْإِحْتِفَالِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ مَوْقِعٌ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ طُيُورِ الْعُقُوقِ فَأَوْقَعَهَا مِنْ مَطَارِهَا، وَأَسْتَنْزَلَهَا مِنْ أَوْكَارِ أَفْقِهَا وَأَفْقِ أَوْكَارِهَا، وَأَرْسَلَهَا قَرِينَ مُشْرِفَهُ الْكَرِيمَ، وَقَدْ عُنُقَ الْأَمَلِ بِعَقْدِهَا النَّظِيمِ؛ وَوَصَلَتْ سَبْعَةً كَعَدَدِ أَيَّامِ الْجُمُعَةِ الْكَامِلَةِ، وَالْكَوَاكِبِ الْمَائِلَةِ؛ وَالسَّمَوَاتِ لِاجْرَمِ أَنْ تُسْحَبَ يَمْنَهَا هَامِلَةً، حَسَنَةُ الشَّكْلِ الْمُوصُوفِ وَالْوَصْفِ وَإِنْ كَانَ مَعَ عُقُوقِهِ الْمَأْلُوفِ، طَائِعَةً لِأَوَامِرِ تَوْقِيعِهِ فَاعْتَقَ مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرَ تَضَعُّفِ آسِمِهَا الْمَعْرُوفِ، لِابْرِحَ إِحْسَانُ مولانا مَتْنَوْدًا، وَبَرَهُ الْجَزِيلُ مَتَبَّرَعًا، وَغُصْنُ قَلَمِهِ بِأَنْوَاعِ الْمَكَارِمِ مَتَفَرِّعًا .

وله جواب بوصول تِمَاتٍ، وإوزِ صِنِيِّ، وطلبِ إمْرَةِ عَشْرَةِ :

حَمْدُ اللَّهِ تِلْكَ النِّعْمَةُ مِنَ الْغَيْرِ، وَأُطْلِعَهَا عَلَيْهِ بِأَيْمَنِ الْغُرَرِ، وَلَا بَرِحَ طَائِرُ مَنْهَ كُوصِفِهِ أَبْيَضَ الْخُبْرِ وَالْخَبَرِ . هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا يَشْوِقُ الصَّبَاحَ، وَثَنَاءَ خَفَاقِ الْجَنَاحِ؛ وَتَوْضُّعَ لَعْلَمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبَتِهِ الْكَرِيمَةِ جَمِيلَةَ الْفَوَائِدِ، جَلِيلَةَ الْمَصَائِدِ، تِمِّيةَ الْبُذُورِ الْمُتَنَازِلَةِ مِنْ مَنَالِ الْفَرَاقِ، فَوْقُنَا بِالْأَشْوَاقِ عَلَيْهَا، وَعَظْفُنَا عَلَى الْعَادَةِ بِتَأْكِيدِ الْوَلَاءِ إِلَيْهَا؛ وَوَصَلَتْ تِلْكَ التَّمَاتُ وَاضِحَةً الْأَنْوَارِ، لَا تُحِثُّ كِبْيَاضَ الثَّوَارِ، تَامَّةً تَمَامَ مِيقَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنَّهَا لِيَبَاضِهَا كَارِبِينَ نَهَارٍ؛ وَكَذَلِكَ الْبَطُّ الصِّينِيُّ كَأَيَّامِ الْحَجِّ عَشْرَةً كَامِلَةً، مَقْتَرَضًا عَلَى عَشْرَتِهَا وَلَاءُ الْقُلُوبِ الْمُتَمَائِلَةِ الْإِمْلَةِ؛ صَيِّئَةً مَمْلُوءَةً بِحَاسِنِ الْأَلْوَانِ الَّتِي هِيَ بِغَيْرِ مَثَلٍ مَائِلَةٍ؛ وَحَصَلَ الْإِعْتِدَادُ بِرِهِ، وَالْإِزْدِيَادُ لِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، وَفَهْمُنَا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إمْرَةِ الْعَشْرَةِ الَّتِي آنَحَلَّتْ

عن فلان ، وقد طالعتنا بأمرها ، وعجلنا بذكريها ، ونرجو أن يعجل بأمانيتها المنتظرة ،
وأن يقابل بحوافق أعلامها حوافق بطشه فتقابل عشرة بعشرة ، والله تعالى يعجل
لمعالیه الصعود ، ويؤكد لمساعيه السُّعود ؛ إن شاء الله تعالى .

الأجوبة عن وصول الصيود ولحومها

جواب عن نائب الشام إلى نائب حلب بوصول [لحم] طير صيد قديد وصحبته
بطيخ أخضر ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة . وهو بعد الألقاب :

لا زالت تُقتنص المحامد بغطاياه المكره ، وأوايد الصيد برماياه المقررة ، ورقاب
الإنس والوحش : إما بسهام نعمة المتواترة ، وإما بسهام قسيه المؤثره ؛ ولا برحت
تفحات مكارمه ، تشهد أن المسك بعض دم الغزال ، وسرحات عزائمه ، تمتد
في صيد الوحش لقرى نزيل أو في صيد الأعداء لتقرير نزال ؛ تقيلاً تعطف أجياد
الطبأ لمحاولة عقوده ، وتزدحم أفواه الأولياء على مشافهة وروده .

وينهى بعد ولأ تقوم الخواطر الكريمة في دَعْوَاه مقام شهوده ، وشوق لا تزال
النِّمَاتُ الشَّمَالِيَّةُ قاضيةً باستمرار وفوده - أن مشرف مولانا الكريم ورد على المملوك
على يد فلان وصحبته الإنعام المتجدد ، وإن كان قديماً في المعنى ، واللحم القديد ،
وإن كان أطرى من الروض النضير حسناً ، والسَّمين المحبوب وإن كان كحال عده
الذين تُقدِّدُ جُسُومَهُمْ في الحياة قبل الممات خُزناً ، فقابل المملوك المشرف الكريم ،
بتقيل أحرفه ، والإنعام العميم ، بقبول مُسْعِدِهِ ومُسْعِفِهِ ؛ وعانقتهما بجوانح آماله ،
وأخذ الكتاب والبركا يقال بيمينه وشماله ، فيألفهما من طبأ تُعَشِّقُ وإن بليت
محاسنها ، وغزلان تُغازل وإن بادت عيونها إلا أنه ماباد حب من يعاينها ، وصيود
توصف وإن قصدها قصد السَّهام بطعن ، ويتق بقرونها القتال والقسى تالية :

(كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) . سَلَكْتَ خِيُولَ مَوْلَانَا لِقَنْصِهَا الْمَصَاعِبَ
وَأَتَّخَذَهَا الْآكِلُونَ سَهْلًا ، وَتَصَيَّدَهَا مِنَ الْفَلَاةِ وَأَصْطَادَهَا الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمَقْلَى ؛
وَوَصَلَ مَعَهُ الْبَطِيخُ الْأَخْضَرُ فَشَبَّهَ بِثَارِ الْجَنَّةِ الْمَشْبُوهُونَ ؛ وَقِيلَ : هَكَذَا تَرْتِيبُ مَا كُلَّ
الْجَنَّةِ لَهُمْ فِيهَا فَافْكُهُ وَلَحْمُ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ؛ لَا زَالَتْ مِنْ مَوْلَانَا مَشْرُوحَةً
مَشْرُوعَةً ، وَثَمَرَاتُ نِعَمِهِ مِنَ الدُّنْيَا كَثِمَرَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مُمْنُوعَةٍ ؛
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أَجْوِبَةُ هَدَايَا الْفَوَاكِهِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

جَوَابُ وَصُولِ شَمِشِ لَوْلُؤِيٍّ وَدَغْمِيشِيٍّ مِنْ حِمَاةٍ .

بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهَا وَنَدَّاهَا ، وَأَطْلَعَ بِالْيَمَنِ نُجُومَ هَدْيِهَا وَهَدَّاهَا ؛ وَلَا زَالَتْ مَوَاهِبُ
بَحْرِهَا لَوْلُؤِيَّهِ ، وَشَوَاهِدُ يَمِينِهَا كَوَكِيلِيَّهِ ، وَثَمَرَاتُ جُودِهَا فَضِيَّةَ الْأَعْيَانِ ذَهَبِيَّهِ ، تَقْبِيلًا
حَلَّتْ مَوَاقِعُهُ ، وَجَلَّتْ مَطَالِعُهُ .

وَيَنْهَى بَعْدَ وِلَاءٍ وَحَمْدٍ : هَذَا قَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ شَرِيعَتُهُ وَهَذَا قَدْ عَذَّبَتْ
فِي السَّمْعِ مِشَارِعَهُ ، أَنَّ مَشْرِفَةَ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةِ وَرَدَتْ عَلَى الْمَمْلُوكِ نَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ
وَالْإِحْسَانَ ، وَيَمِينُ الْبِرِّ الشَّامِلِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ؛ وَعَهْدَ الْحُبَّةِ الَّتِي حَكَمَتْ فِيهِ بِعِلْمِهَا
الْقُلُوبَ فَمَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ لِسَانٍ ؛ فَقَابَلَهَا الْمَمْلُوكُ مُقْبِلًا ، وَأَسْتَجْلَى وَجْهَ الْوُدِّ وَالْإِحْسَانِ
مُقْبِلًا ؛ وَوَصَلَ الْمِشْمِشُ الَّذِي شَفَى لَوْلُؤِيَّهَ نَظَرَ النَّاطِرِينَ ، وَنَوَعَهُ الْآخِرُ الدَّغْمِيشِيَّ
الَّذِي هُوَ الشَّهْدُ بِحَسَنِهِ وَلَا يُدْغَمُشُ بِاسْمِهِ عَلَى الْحَاضِرِينَ ، فَتَنَاوَلَ الْمَمْلُوكُ عَوَارِفَ
بِرِّهِ الْمَعْرُوفِ وَالْمُبْتَكَرِ ، وَأَسْتَضَاءَ نُجُومَهُ الْمَتَرَدَّةَ مُنْشِدًا قَوْلَ الْمَعْرَى : (كَمْ دُرٌّ ،
وَكَمْ يُرْنَ هَذِهِ الْأَكْرُ) ، وَقَالَ : شَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْمِنَّةَ الْحُلُوءَةَ الثَّمَرَاتِ ، الْمُتَّصِلَةَ

الخطرات ؛ وهذه المجاني التي طابت أصولها وفروعها فلا أبعدهن الله من شجرات ،
وحياً حمة وما جلبت ، وجنبايت ذلك الوادي وما أنجيت ؛ وحدائق ذلك العاصي
الذي أطاع ببركة مولانا فأنبت أحلى وأحل ما نبت ؛ وقد جهز المملوك هذه الخدمة
منطوية على وظائف الحمد المستجاده ، ولطائف الحب المستفاده ؛ وحمد المن التي
لا تزال من مولانا عادة ومن المحبين شهاده . لا برحت يد مولانا الكريمة إن بسطت
فيعوائد إنعامها ، وإن قبضت فعلى سيوفها لمصالح الدول وأقلامها ، وإن زهت^(١)
فروع المكارم ، تساقطت ثمرات برها من زهرات أكميها .

جواب بوصول مِشمِش وبِطِخِ حليّ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة .

ويُنمى بعد ولاء وثناء : لهذا في الأسماع أزهى وأزهر ثمره ، ولهذا في القلوب
أرسى وأرسخ شجره . ورود المشرف الكريم على يد فلان بما ملأ السمع من أخبار
مولانا المرتقة سرورا ، والعين من آثار يده الكريمة نورا ؛ والفم من هدايا المِشمِش
الحموي كئوس لذة كان مزاجها كأفورا ؛ فقبل المملوك أسطره مستحلياً مواقع
رشفاته ، وقبله بعوائد الحماد مستحلياً عوائد أفقاداته وصلاحاته ؛ ومد يده وفكره
فالتقط النجوم المشرقة من هداياه وكلماته ، وتقلد جواهر المبرات الحسنة المحسنة ،
والثمرات التي جاءت بدريّة القدوم وإن كانت نجوميّة الهيئات المكونة ؛ وأستصوب
نتائج الغيث فقال : لعل هذه بنادق قوس السماء الملوّنة ، وصفا وطاب ظاهرها
وقلبها وكذا تكون صفات ذوى القلوب المؤمنة ؛ والمؤمن حلوى لاجرم ، والحموي
على عجمه الخراساني أولى بفصاحة الفخار والكرم ؛ لا زالت فعلات من مولانا
مستجاده ، ونعمة لاسيما المِشمِشية مستزاده ؛ وأفقاداته المشهورة لدى ممالكه

(١) لعل الصواب وان هزت ، كما لا يخفى .

ومحبته منه عادةً ومنهم شهادته؛ وجاءت فاكهة البطيخ الحلبي وقد رضع حلب النعام
فأنجب، وأستوى باطنه وظاهره في الحسن فأعجب من حين أعشب؛ وأستطاب
الذوق والشم مطعمه وأنفاسه، ووصف بالرؤوس فضمه كل متلق وقبل راسه؛
وقال: نعم الهدية السرية، والفاكهة التي طاعت حرز [ها] هلاية وثمرتها بذريه.

جواب عن وصول بطيخ حلبي، من إنشائه أيضاً، [وهو] بعد الألقاب:

وشكر سجاياه التي تلت، وهداياه التي تكررت خلّت، وأفتقاداته التي طاب ظاهرها
وباطنها فكانها من أخلاقه الجميلة نُقلت؛ أصدرناها تُهدى إليه سلاماً يتقدم
كهديته نسيمة العاطر، وثناء يتنج أطيب الثمر مقدمات غيثه الماطر، وتوضح لعلمه
الكريم أن مكاتبته الكريمة وردت حسنت بالود مشافهتها، وأقرت في الأسماع فاكهتها
ومفاكهتها؛ ووصل البطيخ لله در حلبة ودر جلبيه، لقد حسنت في ملاذ المطاعم
طريقته المرضية، ولقد أشبه القناديل بتكوينه وفتيلة عرقه فلا جرم أن قناديله
عند الشكر مضية، ولقد ملأ خبره وخبره عين البصر وأذن المصباح، ولقد خلق دواء
للأجسام حتى صح قول الحلبيين للأرمد: دواؤك البطيخ؛ فشكر الله إحسان الجنب
للعالى، ويره المتوالى؛ وعلى الوالد والولد ومن عندهما سلام المحب المتغالى، والله
تعالى يحفظ عليهم من الفضل ما وهب، ويرزقهم بغير حساب ويرزق الظن فيهم
ما حسب؛ إن شاء الله تعالى.

وله أيضاً جواب بوصول بطيخ حلبي، وهو بعد الألقاب:

وشكر إحسانه الذى حلا مذاقه، وزكت أعراقه، وحيا على البعد تحية طيبة
فتحت بها أزهار الكتاب وأثمرت أوراقه؛ هذه المناوضة تُهدى إليه سلاماً طيباً
كهديته، وثناء زائجا كطويته، وتوضح لعلمه الكريم ورود مكاتبته الجامعة حسن

الأقوال والأفعال، المطلعة بورِدِ غَمَامها أطيَبَ الثمر في الحال؛ فأحيَتْ ولَاءَ حاشيْ
لوجوده من العَدَم ، وجَدَدَت عهد البشر - وما بالعهد من قَدَم - ووصل اليَطِيخ
الحلبيْ أصله ، الحمويْ فصله ، الدمشقيْ ضمه وشمه وأكله ، الفلَكيْ ولا سِيَّما من الأهلة
المجتمعة شَكْله ؛ فكَرَّم مَطْلَعا ، وحَسَنَ من الأفواه مَوْقعا ؛ وعمَ الحاضرين نَوَالا ،
وأَشْتَلهم بعَطْف الإحسان أَشْتِيالا ، وأخذ الغلامُ السَّكِين :

فقطَّعَ بالبرقِ شمسَ الضحى * وناولَ كُلَّ هلالٍ هلالًا

لابَلْ أهلةٌ كَثُرَ تعدادُها ، وكرَّرَ تردادُها ، ورصد قُرْبها ولا نقول كما يقول أصحابُ
الهيئة أبعادها ؛ فشَكَر الله إِحسانَ الجَناب العالی حاضِرًا وغائِبًا ، وبَرَّه الذي يُطْلِع
كُلَّ وقت من هَدَاياه وكُتِبَه أهلةٌ وكواكبُها ، ومَرَباه الذي نقلَ عن ملوكِ كانت
منازلُهم لِلحامد رَوْضا وكانت أَيْديهم لِلكرم سَحائبًا ؛ إن شاء الله تعالى .

وله جوابٌ بوصولِ قَصَب سُرٍّ وأُتْرُجٍّ وقُلُقاس :

لازالَتْ أوصافُ شَيْمِها ، تُطرب كما يُطرب القَصَب ، وأطافُ كَرَمِها ، مما يَغْدِي
الجسدَ ويُغَشِّ الروحَ وَيَشْفِي الوَصَب ، وأصنافُ نَعَمِها من الحُلُو إلى الحامض
مما يُعْدِي الأيديَ المتناوِلةَ فِهي على الأعداء تَنْصِب ؛ تقبيلَ حُبِّ حَلَّتْ له المِنَّةُ
فتناوَلها ، ومواقِعُ اللَّثمِ فجاجٌ إليها وعاجِلها .

وَيُنْهِي ورودَ مشرفِ مولانا الكريم ، على يَدِ فلانٍ يتضمَّنُ الحُسْنَ والإحسان ،
والبرِّ المأثورَ بكلِّ فَمِ المشكورِ بكلِّ لسان ، فقابله المملوكُ بما يجب من الخِدمة لمثلِه ،
ولاقاه بعوائدَ تَحْمَد عوائدَ فضله ، ووصل قَرينَه الإنعامَ الذي تنوعَ فُنونا وأفنانا ،
وملأ فَمَ الشرابِ خاناه سُرًّا ويدَ المِطْبَخِ إحسانا ؛ وذكرَ نَبأه الطرابُلسيْ عهودَ الديارِ
المصريه ، وأوقاتَ الأُنسِ بخِدمة مولانا السَّنيَّة ؛ سَقِيَّا لها من أوقاتِ وعُهود ، وشُكْرا

لجُودِ مولانا الذى هو فى كُلِّ وادٍ موجود ؛ ولتديره الشمسى الذى احيا الله به على
عباده عناصرَ هذا الوجود، ولا برِحتْ مكارمُه متنوعه، ونعم أياديه متفرعه : فمنها
ما حَلَا فرعُه فأصبح لكلِّ حُلُو أصلا ؛ ومنها ما طاب رِيحه وطعمُه فكان للمؤمن
مثلا ؛ ومنها ما لَدَّ طعامُه الشهى فما هو مما يُهَجِّر وإن كان مما يُقِلُّ .

وله جواب بوصول بالذكورة خيار وملوخية :

لا زالت تشرح بمكارمها الصدور، وتفتح بركات الأعوام والشهور؛ وتمنح من
لطائف منها كل جماعة السرور، وتمنح فى هداياها المستبقة إلى الأولياء خيار
الأمور؛ تقييل حُبِّ لا تغير ولاءه الدهور، ماش من طريق المصافاة والموافاة
فى نور على نور .

ويُنهى ورود مشرفة مولانا على يد فلان تتضمن المعهود من ولائه وآلائه ؛
والمشهود المشهور من إحسان نداءه قبل ندائه ؛ فقابلها المملوك مقابلة الشيق إلى قرب
الديار، الممضى فى المحبة قلبه لمولاه قبل شرط الخيار، ووصلت لطائف هديته
الخضرة النضرة، وطرائف الفضل الباكرة كمعاني اللفظ المبكرة ؛ فتنجز المملوك
الفاكهة قبل أوانها البديع، ورصد من أفلاك العلب فى ذى الحجة غرة ربيع ؛
وتفاعل بالهدية الم جمعة الأحباب فى أن يعود السمل وهو جمع ؛ وقد عاد فلان حاملا
من رسائل الشوق والشكر ما يؤديه بين أيدي مولانا الكريمة، ويحدد بذكره عهود
الأسس القديمه ؛ لا برح مولانا سابق الكرم، محضر المراع يبيض النعم .

قلت : وكتبت جوابا لبعض الأصحاب وقد أهدى لى سمكا :

أهدى لنا سمكا قد طاب مطعمه * أكرم به سمكا لم يسكن البركا !
لا شك أن له بالبحر شاكلة * والبحر عادته أن يهدى السمكا !

الضرب الثاني

(من كُتِبَ التهادى الاستهداء)

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يُكْتَبُ مَعَ إِهْدَائِهِ قَدْ يُكْتَبُ مَعَ اسْتِهْدَائِهِ ، إِلَّا أَنَّ الْغَالِبَ مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْكُتَّابِ فِي الْاسْتِهْدَاءِ طَلَبُ الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَظَرَّةِ الْخَفِيفَةِ الْمِنَّةِ دُونَ مَا يَعْظُمُ خَطَرُهُ ، أَلَلْهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْاسْتِهْدَاءُ مِنَ الْمُلُوكِ وَنَحْوِهِمْ فَيُطْلَبُ فِيهِ مَا جَلَّ وَعَظُمَ .

والذى جرت عادة الكُتَّابِ بالكُتَّابَةِ فِي اسْتِهْدَائِهِ عَلَى أَصْنَافٍ :

الصنف الأول - آلات الكتابة : من الأدوية^(١) والمِدَادِ والأَقْلَامِ :

مما تقدّم ذكره في الإهداء .

أبو الفرج البَغَّاءُ فِي اسْتِهْدَاءِ دَوَاةٍ :

أَنْفُسُ الذَّخَائِرِ وَأَشْرَفُ الْأَمَالِ مَا كَانَ لِلْفَضْلِ نَسَبًا ، وَلِلصَّنَاعَةِ وَالْحُظْوَةِ سَبَبًا ، وَبِالدَّوِيِّ تَجَنُّى ثَمَرَةُ الصَّنَاعَةِ ، وَيَحْتَلِبُ دَرَّ الْكُتَّابَةِ ، وَقَدْ أَوْحَشَ الْمُلُوكُ الدَّهْرُ مِمَّا كُنْتُ أَقْتَنِيهِ مِنْ نَفَائِسِهَا ، وَضَائِقَهُ فِي وُجُودِ الرِّضَى عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا ، فَإِنْ رَأَى مُوَلَانَا أَنْ يُحِيطَ بِبَعْضِ مَا يُسْتَعْمَدُ مِنْ حَالِيهَا أَوْ عَاطِلِهَا سِمَةً عُظْلَةً الْمُلُوكِ ، وَيَسْمَحَ بِإِهْدَائِهَا إِلَى أَهْلِ تَصْرِيفِهِ وَيَقَابِلِ الثَّجِيجِ وَالتَّقَبُّلِ رَغْبَتَهُ ، فَعَلَّ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله فِي اسْتِهْدَاءِ مِدَادٍ :

التَّنَافُسُ - أَيْدِكَ اللَّهُ - فِي أَدَوَاتِ الْكُتَّابَةِ وَآلَاتِ الصَّنَاعَةِ بِحَسَبِ التَّفَاضُلِ فِي ظُهُورِ النِّعْمَةِ ، وَالتَّخْيِيرِ لِبَيَانِ الْإِمْكَانِ وَالْقُدْرَةِ ، وَإِلَّا فَسَائِرُ الدَّوِيِّ سَوَاءٌ فِيمَا تُصْدِرُهُ

(١) لعل الصواب من الدوى انظر القاموس .

الأفلام عنها ، وتسمّده بطون الكتب منها ؛ وأولى آلاتها بأن تتوفّر العناية عليه ،
وينصرف التّخير بالضرورة إليه ؛ المداد الذى هو ينبوع الآداب ، وعتاد الكُتّاب ،
ومادّة الأفهام ، وشرب الأفلام ؛ فجعلها الله بواجب القضيّة والحكم ، فى حيز وصفه
من الحمد والذّم ، ومازلت لنفائس الأخلاق موطنًا ، ولتجع الإخوان فى المحلّ معدنًا ؛
ولا معدّل بى عن استمّاحة خزائنك عمرها الله الممّكن من جيده ، فإن رأيت أن تستنقذ
دوائى من نحول العطلّة ، وتزّه قلبى عن ظمإ الغلّة ، وتكشّف عنها سمة النقّصان
والخلّة ، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

على بن خلف ، فى مثله :

أولى ما أنبسط فى استهدائه ، وتسمّح [نفسى] فى استمّاحته واستجدائه ، ما كان
ناقعًا لغلّة الأفلام ، مقيّدًا لشوارد الأفهام ، محبّرًا لبرود البيان ، حاليًا فى معارض
الحسن والإحسان ، وكتبت هذه الشكوى أطلال الله بقاء سيدى :

الصنف الثانى - الشراب .

فى استهداء مشروب .

أبو الفرج البغاء :

أنا - أيد الله سيّدى - ومن ساعحنى الدهر بزيارته من إخوانى وأوليائه ، عضد الله
جمعنا ببقائه ، وقوف بحيث يقف بنا اختياره : من القبول والإنسباط ، ويرتضيه لنا
إيثاره : من الهمّ والسرور ، لأنّ الأمر فى ذلك مما يؤلّيناه من المساعدة بالممكن من
المشروب إليه ، والاعتماد دون كلّ أحد فى اجتماع شمل المسرة لنا به عليه ، فإن رأى
أن يكلّنى إلى أولى الظنين به وأحقّهما بما نور قوّته ، فعل .

وله في مثله :

الطَّفُ الْمَنِّ مَوْضِعًا ، وَأَجْلُهَا مِنَ الْأَنْفُسِ مَوْعِدًا ، مَا عَمَّرَ أَوْطَانِ الْمَسْرَةِ ، وَطَرَدَ
عَوَارِضَ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ ؛ وَجَمَعَ شَمْلَ الْمَوَدَّةِ وَالْأُلْفَةِ ، وَأَدَّى إِلَى اجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ اللَّذَّةِ ؛
وَبَذَخَائِكَ مِنَ الْمَشْرُوبِ مَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ [مَا] يَسْتَرِيقُ حُرَّ الشُّكْرِ ، وَيُحْرِزُ قَصَبَ
السَّبْقِ إِلَى الثَّنَاءِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجِدَ بِالْمِثْلِ مِنْهُ مُرُوتِي ، عَلَى قَضَاءِ
حَقٍّ مِنْ أَوْجِبَ الْمَنَّةَ عَلَى بِيَارَتِي ؛ فَعَلْتَ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَ لِلْفَضْلِ نَسَبًا ، وَلِفَلَكَ الْفُتُوَّةَ قُطْبًا ، لَمْ تَفْزَعْ الْقُلُوبُ مِنَ الْهَمِّ إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَلَمْ تُعَوِّلِ الْأَنْفُسُ فِي اسْتِمَاحَةِ الْمَسَارِ إِلَّا عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ طَرَفَنِي مِنْ إِخْوَانِي مَنْ كَانَ
الدَّهْرُ يُمَاطِلُنِي بِزِيَارَتِهِ ، وَيَنْفَسُ^(١) عَلَيَّ بِقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ ؛ فَصَادَفَنِي مِنَ الْمَشْرُوبِ
مُعْسِرًا ، وَوَجَدْتُ الْإِنْسَاطَ فِي اتِّمَاسِهِ مِنْ غَيْرِكَ عَلَى مُتَعَدِّدًا ، وَإِلَى تَفْضُلِكَ
تَفْزَعُ مُرُوتِي فِي الْإِسْعَافِ مِنْهُ بِمَا يَلُمُّ شَعْتَ الْأُلْفَةِ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَ الْمَسْرَةِ ؛ وَيَجْعَلُنَا
لَكَ فِي رِقِّ الْأَعْتِدَادِ بِالْمَنَّةِ ، وَيَقْضِي عَنْ تَفْضُلِكَ حَقُوقَ الْمَوَدَّةِ .

على بن خلف :

قَدْ أُنْتَظِمَ لَنَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - مَجْلَسٌ وَاقِفٌ بَيْنَ النَّشَاطِ وَالْقُتُورِ ، وَالْكَاتِبَةِ
وَالسُّرُورِ : لُغْرُوبُ نُجُومِ الْخَمْرِ عَنْ سَمَائِهِ ، وَعَطْلُهُ مِنْ حُلِيِّ نُورِهِ وَلَا لَائِهِ ؛ وَقَدْ عَوَّلْنَا
فِي إِطْلَاقِهِ إِلَى إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَا زِمَامَهُ بِيَدَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُرَوِّحَ أَفْكَارَنَا
بَشْيٍ مِنْ رَاحَةِ الْمُشَابَهَةِ عَبْقًا وَعِثْقًا لِأَخْلَاقِهِ وَأَعْرَاقِهِ ؛ فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في "القاموس" مادة ن ف س « ونفس به كفرح ضن وعليه بخير حسد » .

وله في مثله :

أَفْضَلُ مَا أُهْدِي سَيِّدِي مَا أُهْدِي السُّرُورَ إِلَى أَحِبَّتِهِ ، وَنَظَمَ سَمَلُ الْمُتَحَقِّقِينَ بِخِدْمَتِهِ ؛
وَحَسَمَ عَنْهُمْ هَوَاجِسَ الْفِكْرِ ، وَأَعْدَاهُمْ عَلَى الدَّهْرِ ؛ وَقَدْ جَمَعَنَا مَجْلَسٌ وَهَبْنَا لِلشَّاءِ
عَلَيْهِ ، وَزُقَتْ عِرَائِسُ الْخَمْرِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى إِيْثَارَنَا بِمَا يُكَلِّ نَشَاطُنَا ، وَيَتِمُّ
أَنْبِسَاطُنَا ، فَلْيَعْقِرْ هُمُونَنَا بِشَيْءٍ مِنْ عُقَارِهِ ، وَيَنْظِمِ [جَمَعَنَا] فِي سِلْكِ أَيْدِيهِ وَمَبَارِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الرابع (الشِّفَاعَاتُ وَالْعِنَايَاتُ)

قال في "موادِّ البيان" : وهذه الكتب إنما تصدر عن ذَوِي الرُّتَبِ والأَخْطَارِ ،
وَالْمَنَازِلِ والأَقْدَارِ ، الَّذِينَ يُتَوَسَّلُ بِجَاهِهِمْ إِلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ وَدَرْكِ الرِّغَابِ .

قال : وَالْمُتَمَسِّسُ فِيهَا مِنْ تُتَفَقَّدُ إِلَيْهِ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ : إِمَّا بَذْلَ مَالِهِ وَلَا يَسْتَدِلُّ
مَالَهُ إِلَّا ذُو مَرُوءَةٍ يَفْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا فِيهِ لِقَاصِدِيهِ ؛ وَإِمَّا بَذْلَ جَاهِهِ وَفِي بَذْلِ
الْجَاهِ إِرَاقَةُ مَاءِ الْوَجْهِ وَالتَّعَرُّضُ لِمَوْقِفِ الرَّدِّ ؛ وَإِمَّا الْأَسْتِزَالُ عَنْ سَخِيمَةٍ وَمَوْجِدَةٍ
فِي التَّزُولِ عَنْهُمَا كَفَّ حَدَّ الْغَضَبِ وَغَضُّ طَرْفِ الْحَقِّقِ ، وَهُمَا صَعْبَانِ إِلَّا عَلَى مَنْ
فَضَّلَ حِلَّهُ ، وَلَطَّفَ فَهْمُهُ .

ثم قال : وَالكَاتِبُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّلَطُّفِ فِيهِمَا وَإِدَاعِهِمَا مِنْ الْخِطَابِ مَا يَخْرُجُ بِهِ
الشَّافِعُ عَنْ صُورَةِ الْمُثْقَلِ عَلَى الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ بِمَا كَلَّفَهُ إِيَّاهُ ، وَيُؤَدِّي إِلَى بُلُوغِ غَرَضِ
الْمَشْفُوعِ لَهُ وَنَجَاحِ مَطْلَبِهِ ؛ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ أَنْ قَالَ : وَسَبِيلُ مَا كَانَ فِي آسَمَاحَةِ الْمَالِ ،
أَنْ يُبْنَى عَلَى الْإِبَانَةِ عَنْ مَوْقِعِ الْإِفْضَالِ ، وَفَضِيلَةِ النَّوَالِ ؛ وَأَعْتِنَا فَرِصَ الْإِقْتِدَارِ ،

في مَعُونَةِ الْأَحْزَارِ ، وما جارى هذا - وسبيل ما كان منهما في طَلَبِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْجَاهِ
أَنْ يُبْنَى عَلَى هَرِّ الْأُرْيَحِيَّةِ لِاصْطِنَاعِ الصَّنَاعِ ، وتَحْمِلِ الْمَشَاقِّ فِي تَقْلِيدِ الْمِنَنِ ، وَآدْخَارِ
الْفِعْلِ الْحَسَنِ ، وَاعْتِنَامِ الْأَجْرِ وَالشُّكْرِ - وسبيل ما كان منهما في الْإِسْتِزَالِ عَنْ
السَّخَائِمِ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْمَلَاظَمَةِ ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى فَضِيلَةِ الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْخِلَاطِيِّ ،
وما في ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّمْعَةِ فِي الْعَاجِلِ ، وَمَتَوَقُّفِ الْمَثُوبَةِ فِي الْآجِلِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وذكر أن أحسن ما قصد في هذا الفن مَسَلَكُ الْإِيْجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ ، وَأَنْ يُسَلَّكَ بِهِ
مَسَلَكُ الرَّفَاعِ الْقَصَارِ الْمَجْمَلِ ؛ لِأَلْكَتِبِ الطُّوَالَ الْمُفَصَّلَةِ ؛ وَأَنْ يُرْجَعَ فِيمَا يُودَعُهُ إِلَى
قَدْرِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ فِيهِ ، وَالكَاتِبُ إِذَا كَانَ مُرْتَضَا مَاهِرًا لَمْ يَضِلَّ عَنْ تَنْزِيلِ كُلِّ
شَيْءٍ [فِي] مَنْزِلَتِهِ ، وَتَرْتِيبِهِ فِي مَرْتَبَتِهِ .

قلتُ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَطَائِقُ هَذَا النُّوعَ مَا رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ الْمَصْنُفَاتِ : أَنَّ عَمْرُو
أَبْنَ مَسْعُودَةَ وَزِيرَ الْمَأْمُونِ كَتَبَ إِلَى الْمَأْمُونِ فِي رُقْعَةٍ :

أما بعدُ ، فَإِنَّ فَلَانًا سَأَلَنِي أَنْ أَشْفَعَ لَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي لَمْ أُبَلِّغْ عِنْدَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَبْلَغَ الشَّفَاعَةِ - فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَعَ عَلَيْهَا بَخْطُهُ :
قَدْ قَهَمْنَا تَصْرِيحَكَ بِهِ وَتَعْرِضُكَ بِنَفْسِكَ ، وَأَجْبَنَّاكَ إِلَيْهِمَا وَأَتَحَفْنَاكَ بِهِمَا .

من كلام المتقدمين :

الحسن بن سهل :

كُتِبَ إِلَيْكَ كِتَابٌ مَعْتَنٍ بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ ، وَلَنْ يَضِيعَ حَامِلُهُ
بَيْنَ عَنَاءِ وَثِقَةٍ ، وَالسَّلَامِ .

أبو الحسين بن سعد :

وقد توجه إليك فلان بقصد فيه مستجمع ، وأمل فيما قبلك مُنْبَسِط ، وليس بعد إصابتك عنده مَوْضِعاً وعندنا متحملاً للبد الحسنَة إلا أقترأ ذلك منه ومناً في أمره على يُسْرِفي حاجته ، وتخفيف من مَؤُونته ؛ فإن رأيت أن تأتي في ذلك بما يشبه أمله وظنه ، وتوجب عليه الحق به ، ونشكر لك منه ما يبقى عندنا ، بأنك بحيث تأتي الفضل وتوئح الصلّة ؛ [فعلت] إن شاء الله تعالى .

آخر : مغرقي بأنك لا تنجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب ، تتجلى على مُسْأَلَتِكَ ما أنت موجب له والدّ كرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كتابي عنه ؛ فإن كان ذنبه صغيراً فالصغير يُخْرِجه من حبسه ، وإن كان كبيراً فالعفو يسّعه . وكتابي متقاض لك تقديم العفو على العقوبة ، والحسنة على السيئة ، والّا استصلاح على القوة في التأديب .

طفال بن شبة :

وأحق من يعطف على أهل البيوتات ، ويؤود لهم بما يبقى ذكره ، ويحسن به ذكره ، مثلك ؛ وقد وجهت إليك فلانا ، وهو من ذوى قراباتي ، وذوى الهيئة من أسرتي ، وعرضته لمعروفك ، وأحببت أن تلبسه نعمتك وتصرفه إلى وقد أودعني وإياه ما تجده باقياً على البشر الجميل في الغيب والخضر .

ولغيره :

وقد جعلك الله غنياً ، وجعل عندك لمؤمليك وراجي رفدك ، أبلغ ذريعة من كرمك وفضلك ؛ وقد أصبحت مفرع كل ذي هم ، وملجأ كل ذي أرب ، وموضع كل أمل ، وأصبحت ملتقى السبل ، ومجمع الأصناف المختلفة ، والطوائف المتصرفة .

أبو مسلم محمد بن بحر :

قد شَهِرْتَنِي بِاصْطِنَاعِكَ [حَتَّى] تَكْفَأَ فِي مَعْرِفَةِ خَبَرِهَا أَهْلُ بُلْدَانِ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . وَالَّذِينَ عَرَفُونِي فَصَدِيقٍ مِنْهُمْ مَغْتَبِطٌ بِذَلِكَ لِي ، وَشَرِيكٌ فِي النِّعْمَةِ بِهِ
عَلَيَّ ، وَقَوِيُّ الظَّهْرِ بِمَا مَتَّحَنِيهِ اللَّهُ مِنْ رَأْيِكَ ؛ وَإِذَا نَابَتْ بَعْضُهُمْ نَائِبَةٌ يَرْجُوكَ
لِكُشْفِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَيْكَ طَرِيقٌ يُدْنِيهِ وَلَا حَرَمَةٌ تَقْرِبُهُ وَتَعْطِفُكَ عَلَيْهِ ، سَأَلَنِي
الْشَّفَاعَةَ لَهُ إِلَيْكَ ؛ فَقَعَلْتُ ذَلِكَ مُدَلًّا بِمَا أَعْتَقَدُهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِكَ عِنْدِي ،
وَالْإِخْلَاصِ فِي طَاعَتِكَ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيَّ ؛ وَاثْقًا بِتَسْوِيفِكَ إِيَّائِي مَا رُقِيتُ إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَةٍ
الشَّافِعِ لغيرِهِ ، وَالسَّائِلِ (؟) فِي طَرِيقِهِ وَذَوِي الْحَقِّ عَلَيْهِ : لَتَكُونَ قَدْ أَكْمَلْتَ
عَلَيَّ النِّعْمَةَ ، وَوَكَّدْتَ لَدَيَّ الْعَارِفَةَ ، وَاسْتَمَمْتَ عِنْدِي الصَّبِيحَةَ .

أبو الخطَّاب بن الصَّابِي :

أَبْسَطُ الشَّفَاعَةِ وَجْهًا ، وَأَقْرَبُهَا نَجْحًا ، وَأَوْقَعُهَا فِي الْقُلُوبِ ، وَأَسْرَعُهَا إِلَى الْقَبُولِ ،
مَبُوقِعٌ مِنْ أَقْسَامِ ثَلَاثَةِ : مِنْ إِدْلَالِ السَّائِلِ بِحُسْنِ الظَّنِّ ، وَآرْتِيَاكِ الْمَسْئُولِ إِلَى فِعْلِ
الْخَيْرِ ، وَاسْتِحْقَاقِ الْمَسْئُولِ فِيهِ لِقَضَاءِ الْحَقِّ ؛ فَإِذَا اجْتَمَعَ لَهَا ذَلِكَ كَانَتْ الثَّقَةُ بِهَا
زَائِدَةً ، وَالْقُوَّةُ لَهَا زَائِدَةً ، وَالْفَضْلُ عَلَيْهَا قَائِمًا ، وَالتَّجَنُّعُ بِهَا قَادِمًا ؛ وَكَانَ الشُّكْرُ
مِنْ أَقَلِّ مَوْجُودَاتِهَا ، وَالْمِنَّةُ مِنْ أَجَلِّ مَذْخُورَاتِهَا .

وَلَهُ : إِنْ دَلَّ الْمَمْلُوكُ فَبِصَدْقِ الْمَوَدَّةِ ، أَوْ عَوَّلَ فَعَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ ، أَوْ اسْتَظْهَرَ
فَبِقَدِيمِ الْحَرَمَةِ ، أَوْ اسْتَنْصَرَ بِكَرِيمِ الرَّعَايَةِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ هَمَّةٌ مِنْ مَوْلَانَا بَعِيدَةُ الْمَرَامِيِّ ،
طَوِيلَةُ الْمَسَاعِي ، شَاغِغَةُ الْأَنْفِ ، سَابِقَةُ الطَّرْفِ ، تُوجِدُ الْأَمَالَ سِرَاحًا ، وَتُوسِّعُهَا
نَجَاحًا ، وَتَأْخُذُهَا نَحَاصًا ، وَتُرَدُّهَا بَطَانًا ، وَتُورِدُّهَا هَزَالًا وَتُصْدِرُهَا سَمَانًا ؛ وَثِقَةٌ مَنِيَّ
(١)

(١) لم يرد هذا الجمع في كتب اللغة التي بأيدينا والقياس على بطلان وسمان لا ياباه .

قد أحكم عقدها الزمان، وأوثق شدّها الإمتحان، فصارت لأعراض المملوك رائده، وفي قوّة نفسه زائده؛ فالمملوك من آتّماع هذه الأقسام، ووجوب ما تقتضيه من الأحكام، بين ظنّ جميل لا مجال للشكّ عليه، ويقين صحيح لا وُصول للارتياب إليه .

آخر : ولئن كان المملوك أسرف في مجارى التثقيّل على مولانا، فإنّ المملوك لم يردّ بعضا من دواعي الأمل فيه، فإنّ المظنون من قوّة مولانا رائد الثقة بجميل نيّته، ولن يعدّم النجاح من أعتمد على القوّة والثقة .

آخر : وينهى أنّ المملوك إن أدلّ، فيحقّق لدى مولانا أكّده، أو أسرّسل، فيفضّل منه عوّده، وبين الدالّة من المملوك والعادة من مولانا موضع لتجاح الحاجة، وبلوغ الإفادة، وقد فعل المملوك ما تعلق به واثقا بالكرم من مولانا؛ فليفعل مولانا ما يتعلق به محققا للأمل فيه .

آخر : وينهى أنّ المملوك إن أنيسط، فبدّل بالحرمة الوكيّدة، ومعوّل على النية الكريمة، أو أنقبض، فلهيّة الإقدام على مولانا ومراعاة التخفيف عنه، ولفضله فيما بين ذلك مسلك وغلبة تسلّط يدعوان إلى حسن الظن بمولانا، ويوثقان من وجود النجاح لديه .

آخر : بدّل الجاه في إعانة الضعيف، وإغاثة المهفوف، والترويج عن المضغوط، والتفريح عن المكروب المكود؛ كبذل المال في إسعاف المعسر، وإسعاد المقتر، ومواساة المحروم، والتعطّف على المرحوم، وما في الحالتين إلّا مالدّيّانة له ضامنّه، والمروءة له قائّمة؛ والحقّ به مستوجب، والأجر به مكتسب، والصنيعة به معتقده، والمثوبة به مدّخره .

آخر : وينهى أن حرمة الحوار من أوجب الحرمات حقاً ، وأحكامها عقداً ، وأخصها بالعناية ، وأحقها بالرعاية ، وما رعاها إلا ذو قدر عظيم ، وحلوق كريم ، وأصل عريق ، وعهد وثيق . وفلان ممن يضرب بدألتها ، ويمت بوسيلتها ، ويتخفف بذمتها ، ويتعلق بعصمتها ، ويعتدها وزراً مانعاً ، وذخراً نافعا ، وعدة موجودة عند الحاجة ؛ وله أمر يذكره مشافهةً ، فإن رأى مولانا أن يحقق من ظنه ما كان جميلاً ، ويصدق من أمله ما كان فضلاً مولانا إليه سبيلاً ، فهو المعهود من إحسانه ، والمؤمل من فضله .

آخر : من سافر إلى سيدي بأمله ورغبته ، ومث إلى حضرته بوفادته وهجرته ، فقد استغنى عن الشافع ، وكفى أمر الوسائل والذرائع ؛ وحامل كتابي هذا قد تجشم القدوم إليه ، وتمسك بذمام الوفاة^(١) عليه ؛ مع ما يتحقق به من حق المشاركة في الصناعة ، ويستوجب به فضيلة الكفاية والأمانة ؛ وإنما أصدر المملوك هذه الخدمة على يده ممهدة لأئسه ، ومقوية لنفسه ؛ وإذا مثل بحضرته ، ونظره بعين نبأته ؛ فقد غنى عن الشفاعة وبلغ الإرادة .

آخر : وينهى أن ما يفرضه مولانا لمن أمه بالرجاء ، ومث له بإخلاص الحمد والثناء : من إدرار أخلاف الإفضال ، وتحقيق الرغبات والآمال ، يغني قاصديه عن الشفاعات والوسائل ، ويكفي آمليه تحمل الذرائع والمسائل ؛ والواصل إليه بهذه الرقعة فلان ؛ ومولانا يعرف حقه على المملوك وماله من الموات لديه ؛ وقد توجه إلى حضرته ، راجياً أن يلحفه من ظل سعادته ما يتكفل بمصلحته ، ويقضي على الزمن بإعدائه ومعونته ؛ ومولانا أحق من تولاه بحسن خلافته فيه ، والتفضل على المملوك بتحقيق ما يرجيه .

(١) الذمام بالذال المعجمة الحق والحرمة .

آخر في معتقل : عِلْمُ المملوكِ بأنَّ مولانا لا يتعدى في العقاب موضع الإصلاح والتأديب ، ولا يتجاوزُ في الغَضَبِ موقعَ التَّقْوِيمِ والتَّهْذِيبِ ؛ عملاً بِالْعَدْلِ ، وتمسكاً بِالْفَضْلِ ؛ يبعثه على تنبيهه لما أغفله ، وأتقاده لما أصَّله ؛ وفلانٌ قد تطاولَ اعتقاله : فإن كان جُرمه صغيراً فقد ظلم في القصاص ، وإن كان كبيراً فقد استحقَّ الخِلاصَ ؛ والمسئول من إحسانه أن يُعاوِدَ جميلَ عادته ، ويُراجِعَ كريمَ شيمته ؛ فيعملَ في أمره بِالْعَدْلِ ، إذا لم يره أهلاً للفضل ؛ وإن كانت حقوقه متأكَّده ، وحرمة مؤكَّده ؛ فلا يحسن أن يُضَاعَ ويُخَفَّرَ ، ولا ينبغي أن يُجَحَدَ ويُنكَرَ ؛ وهو حَرِيٌّ أن يَحَقِّقَ الظنَّ فيه ، ويقابل هذا السُّؤال بما يقتضيه .

آخر : على حَسَبِ أخطار الودائع يكونُ الإشفاقُ عليها ، والشكر من صرف رعايته إليها ؛ وقد كان المملوكُ أودَعَ كَنَفَ مِرْءِيَّةٍ ، وفَاءَ هِمَّةٍ ، وفلانٌ ؛ وهو دُرَّةُ المحاسن الفريدة ، ونادِرَةُ الدَّهْرِ الشريده ؛ والجامعُ لأسبابِ الحمادِ بفضائله ومناقبه ، والناظمُ لثَنارِ المآثرِ بِحُلُقِهِ وأدبه ؛ مع ماخُصَّ به من المعرفة بِقَدْرِ الصَّنِيعَةِ ، والتعويضُ بالشكرِ عن قليلِ العارفة ؛ والمملوكُ يرجو أن يكونَ مولانا قد أَحَسَّنَ خِلاقَتَهُ فيه ، ونَزَّلَهُ من حياطته وتوَلَّيَهُ ، بما يُوجِبُهُ مكانُهُ من المملوكِ ويقتضيه ؛ متعوضاً من شكر المملوكِ وشُكْرِهِ بما هو خَلِيقٌ أن يَطُوقَ أَجْيَادَ مَعَالِيهِ ، وينتِظِمَ في سِلَكِ مَسَاعِيهِ .

رقعة — وينهى أن الأيام ، إذا قعدتْ بِالْكَرَامِ ، فأنزلتهم بعد السَّعة ضيقاً ، أوجدتهم إلى التثقلِ على من يمتون إليه بِسَالِفِ الخِدمة طَرِيقاً ؛ ومن تحدَّاه الزمنُ بِنَكَدِهِ ، وعوضَه بِبُوسِهِ من رَغَدِهِ ، فلانٌ ؛ وكان قد قَرَعَ إلى جماعة من الخُلَّانِ ، واثقاً منهم بِالْإِحْسَانِ ، فالفى وَعْدًا جَمِيلاً ، ومَطْلًا طَوِيلاً ؛ فعدَّلَ عنهم

إلى سيدى وعزل عنهم إليه، وتوجه إليه معتمداً بعد الله فى مقصده عليه ؛ ثقةً
بفضل غيره، وحسن أثره؛ وتحمل عبودية المملوك هذه ذريعةً تنسبط له من مولانا
محيّاه، وتوصله إلى ما يرجوه من معرفته ونداه . وما أولى مولانا بأن يحقق ظن
المملوك وظنه، ويحوز شكره وشكره؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة — وينهى أن رغبة سيدى فى إسداء المعروف ، وغوث الملهوف ،
تبعث على السفر إليه ، والتقدم بالرغبات عليه ؛ والله تعالى يواصل المنح لديه ،
كما وصلها من يديه ؛ وقد سبقت له عوارف لا ينساها المملوك ، ولا يؤمل جزاءها
إلا برفوع الدعاء ، وكريم الثناء ؛ حتى تقتضى ضرائرها ، وتستدعى نظائرها ، وحامل
عبوديتى هذه ، فلان ؛ والمملوك يرضى لمولانا لسان شكره ، كما يرضاه لتحمل بره ؛
وقد ركض ظهر الأمل إلى حضرة ، ووثق ببلوغ الوطر من جهته ؛ وأن ينظم
فى سلك من أسيغت عليه عوارفه ، وعمته لطائفه ؛ وعزز ذلك باستصحاب كتاب
المملوك إلى بابه ، وتقديمه ذريعة فى التزام حقه وإيجابه .

رقعة — من كان سيدى شافعه أنبسط فى المني ، ولم يرض بغير العلا ؛ وقد علم
مولانا أن للشفاعة أحوالاً ثلاثاً ؛ حالاً تخص الشافع ، وحالاً تخص المستشفع ؛
وحالاً تخص [المشفوع إليه] ولكلٍّ حدّ يجب الاتهاء إليه ، ولا يجوز التقصير فيه ؛
فعلى المستشفع آرتياد أخصب جناب ، وأسكب سحاب ، وقصد الجهة التى لا تصدّ
عن البغية سائلاً ، ولا ترد عن الأمل آملاً ، وأن ينهض بالشكر على العارفة ، ويحدث
بالنعم عنه فى الأحوال الطارفة ؛ وعلى الشافع أن يهريق ماء وجهه فى السؤال ،

(١) غار الرجل يغوره ويغيره نفعه فالمراد بفضل نفعه تأمل .

(٢) فى الاصل الشفيح وهو غير مناسب .

وَيَجُودُ رَغْبَتُهُ فِي تَسْهِيلِ الْمَنَالِ ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الدِّينِ الْمُفْتَرَضِ ، وَالَّذِينَ الْمُفْتَرَضُ ، وَيَتَكَفَّلُ بِالْقِيَامِ بِمَا يَسْتَدْعِي مِنْهُ مِنَ الْمَكَافَاهِ ، وَيُلْتَمَسُ مِنَ الْعَوْضِ وَالْمُجَازَاةِ . وَعَلَى الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الشَّافِعَ وَالْمُسْتَشْفِعَ مَا قَصَدَاهُ إِلَّا بَعْدَ الثَّقَةِ بِأَحَدِيَّتِهِ ، وَلَا اعْتِمَادَهُ إِلَّا بَعْدَ السُّكُونِ إِلَى أَرْحِيَّتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْسِرَ مَتَجَرِّهَمَا ، وَلَا يُضَيِّعَ سَفَرَهُمَا ، وَقَدْ أَجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثُ لِلرَّئِيسِ الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ ، وَلِسَيِّدِي الشَّافِعِ ، وَلِخَادِمِهِ الْمُسْتَشْفِعِ بِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَزَمَةٌ مِنْهُ تَهْزُ أَفْنَانَ الْإِقْبَالِ فَتَسَاقُطُ أَثْمَارُهَا ، وَتُنْشِئُ عَوَارِضَ الْأَمَالِ فَيَتَهَابُ قَطَارُهَا .

أَبُو الْفَرَجِ الْبِغَاءُ :

وَمُوصَّلُ كِتَابِي هَذَا غَنَى عَنْ شِفَاعَتِي لَهُ بِمَا يُمُتُّ مِنْ حُرُمَاتِ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ ، وَالْوُقُوفِ دُونَ كُلِّ مَقْصِدٍ عَلَيْكَ ، وَبِمَا يَشْفَعُ ذَلِكَ مِنَ التَّقَدُّمِ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَالتَّوَصُّلِ بِوَجْهِهِ الْكَفَايَةِ ، وَإِنَّمَا زَوَّدْتُهُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ لِأَفْتَحَ لَهُ بَابَ الْأَنْسَةِ ، وَأُسَهِّلَ السُّبُلَ إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْخُلَّةِ ، وَأَدُلَّ بِهَا عَلَى مَا تَكْشِفُ مِنْهُ الْمُطَاوَلَةَ وَالْخَيْرَةَ ، وَأَنْتَ أَيَّدَكَ اللَّهُ وَلِيَّ التَّطَوُّلِ بِالتَّقَدُّمِ فِي إِيْنَانِهِ وَبَسْطِهِ فِي الْخِدْمَةِ بِمَا يَسْتَرِيدُ لَهُ مَجُودُ الْأَثْرِ فِيهَا مِنْ حُسْنِ النَّظَرِ وَجَمِيلِ الرَّأْيِ .

وَلَهُ فِي مِثْلِهِ :

وَمُوصَّلُ كِتَابِي فِيمَا يُؤَمِّلُهُ مِنْكَ وَيُلْغُهُ بِكَ مَتَمَسِّكَ مِنْ رَجَائِكَ بِأَوْكِدِ ذِمَّةً ، وَمِنْ شِفَاعَتِي بِأَوْجِبِ حُرْمَةٍ ، وَمَهْمَا مَتَّ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ظُهُورِ كَفَايَةٍ أَوْ تَقَدُّمٍ فِي صِنَاعَةٍ كَانَ غَيْرَ ضَائِعٍ عِنْدَ رِعَايَتِكَ ، وَلَا مَجْهُولٍ مَعَ تَيَقُّظِ عِنَايَتِكَ ، وَأَرْجُو أَنْ يُحِلَّ مِنْ تَقَبُّلِكَ ، بِحَيْثُ أَحَلَّهُ حُسْنُ النَّظَرِ تَطَوُّلَكَ .

وله في مثله :

وفي عليك ما أخذ به نفسى ، وأروض به أخلاقى : من الانقباض عن التسرع إلى مسألة ، والاحتشام من الانبساط في حاجة ، مادلك على موضع فلان ومكانه من إيثارى بواجبات حقوقه ، وسالف مواته ؛ ولذلك سمحت بالكتاب له إليك ؛ وفارقت رسمى بالثقل في قضاء حقه عليك ؛ وقد قصد نحوك بأمله ، واختارك لرجائه ؛ وقدر بك بلوغ البغية ، واختصر بشفاعتى إلى تفضلك السبيل إلى إدراك المحبة^(١) ؛ فإن رأيت أن تأتى فى باب ما يشيه فضلك ، ويناسب وكيد نقته بك ؛ وأنى أشركه فى الشكر وأسأله فى الاعتداد ، فعلت .

آخر :

رَأَيْتُ الْمَسَاكِينَ قَدْ أَجْعُوا * عَلَى أَنْكَ الْوَزْرُ الْمُعْتَمِد !

فَأَنْتَ لِطِفْلِهِمْ وَالِدٌ * وَأَنْتَ لِشَيْخِهِمْ كَالْوَلَد !

السلام العمى ورحمة الله وبركاته على من جعله الله للمسكين ظلاً يقيهم ، وطلاً يسقيهم ، ونعمة تعمهم ، ورحمة تضمهم ؛ أبوفلان ، أبقاه الله فى عزرة تالدة طارفه ، وسعادة لاتزال طارقة بكل عارفه .

من أقامه الله مقامك أيها الشيخ المبرور بالترقى بالفقراء ، والإحسان إلى الضعفاء ، لم يعد مريضاً يقصده فى الشفاء ، ولا يعدم فيضاً يعتمد على اكتفاء ، لاسيما إذا توسل وحده ، وتسفع بمن لا يضيع عمل عامل عنده ، ومتحملها فلان قص الفقر جناحه ، وأخى عليه الدهر وأجتاحه ؛ ولما رأى الفقراء ببركم مرتفقين ، وعلى

شكركم متففين ؛ أممكم حسن الظن بالمن ، ولم يقدم شفيعا دنيويا ، ولا طريقا واضحا
سويا ؛ وأنتم أيها الشيخ الموقر تنزلونه منزلة سواه ، ممن توى مثواه ؛ وتوى فيكم
من الأجر والشكر ما نواه ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام الكريم العميم ، يخص جنابكم
ورحمة الله وبركاته :

فالله سبحانه يُبْقِيكَ في دَعَا * وَحُسْنِ حَالٍ وَتَيْسِيرٍ وَإِقْبَالٍ !

مُقَدَّمُ الْمَجْدِ في عِزٍّ وَفِي كَرَمٍ * مُؤَمَّلُ النِّفَعِ من جَاهٍ ومن مَالٍ !

الشفاعات من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

شفاعة في استخدام كاتب درج :

جعل الله تعالى دُورَه رَحْبَةً العِراض ، وسعادته في الإِزدياد وأُعاديَه في الإِنتِقاص ؛
والدعاء لإحسانه مقرونا بِبِصْدَقِ النِّبَّةِ والإِخلاص :

وهذا دعاء لو سَكَتَ كُفَيْتُهُ * فَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ فَيْكَ وَقَدْ فَعَلَ !

صدرت هذه الخدمة تستمطر سحاب كرمه ، وهامى ديمه ، وتسأل جميل شيمه ،
في معنى ' مملوك المولى وداعيه ، والشاكر لأَياديهِ ، والملازم على ' رواية أخبار فضائله
وبثها ؛ ونشر تفضلاته وثبها ؛ فإنه من بيت كريم التجار ، زائد الفخار ؛ وله على
مولانا حق خدمة ؛ وهويئت بسالف معرفة ؛ ومحبة المملوك له شديده ، والصُّحبة
بينهما قديمة وشقة المودة جديده ؛ ولولا ذلك ما تنقل على خدمته ، وتهجم على المولى
بمكاتبته ، وقد توجه إلى بابه العالى مهاجرا ، وناداه لسان جوده فلباه وأجابه مبادرا ؛
وغرضه أن يكون كاتباً بين يديه ، ومملوكاً تقع عين العناية عليه ؛ وهو من الكرام

الكتابين، والراغبين في الانتظام في سلك خدَمِه والمؤثرين، وصِفَاتُه بالجميل موصوفه،
وفصاحته معروفة، وقلبه الذي يَقْلِمُ ظُفْرَ المِهْمَاتِ وَيُكْفِ كَفَّ الحَدَثَانِ، ولسانه
الذي يُغْنِي بِشَبَابَتِهِ عن حَدِّ السَّنَانِ؛ ورأيه المَقْدَّمُ في الهَيْجَاءِ على شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ؛
فإذا أَنْعَمَ المولى بِاسْتِخْدَامِهِ، وتحقيق مَرَامِهِ، كَانَ قد وَضَعَ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ، وصنع
المعروفَ مع أَهْلِهِ؛ وبَيَّضَ وَجْهَ المملوكِ وشفاعته، وصدقَ الأَمَلَ في إِحْسَانِهِ
ومُرُوءَتِهِ، ورأيه العَالِي؛ إِنْ شَاءَ الله تعالى .

وله شفاعَة في آسْتِخْدَامِ جُنْدِيٍّ :

لَا زَالَ بِرُّهُ مَطْلُوبًا، وَجُودُهُ مَخْطُوبًا؛ وَذِكْرُ إِحْسَانِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَكْتُوبًا؛ وَلَا
بَرَحَتْ رِيَاضُ جُودِهِ أَزْهَرَ وَأَنْضَرَ مِنْ رَوْضِ الرُّبَا، وَيَدُّ الْبَيْضَاءُ تَرْقُمُ لَهُ فِي سَوَادِ
الْقُلُوبِ سُطُورَ حَمْدٍ أَحْسَنَ مِنْ نَوْرِ تَفْجِئَةِ الصَّبَا. هَذِهِ الْخِدْمَةُ صَدَرَتْ عَلَى يَدِ فُلَانٍ
تُهْدَى إِلَى الْمَوْلَى سَلَامَ الْمَمْلُوكِ وَتَحِيَّتهِ، ودُعَاةِ الصَّالِحِ الَّذِي أَخْلَصَ فِيهِ نِيَّتَهُ؛ وَتَشَفَّعَ
إِلَيْهِ فِي تَنْزِيلِهِ فِي الْحَلَقَةِ الْمَنْصُورَةِ وَاسْتِخْدَامِهِ، وَتَرْتِيبِهِ فِي سَلَكِ جَيْشِهِ الْمُؤَيَّدِ
وَأَنْتِظَامِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْأَجْنَادِ الْحَيَادِ، وَذَوِي الْجَلَدِ عَلَى الْجَلَادِ؛ وَهُوَ الْغَشْمَشَمُ الَّذِي
لَا يُرَدُّ، وَالشَّمَمُ الَّذِي لَا يُصَدُّ؛ وَبِالْبَاسِلِ الَّذِي لَا تُخَصَّرُ بِسَائَتِهِ بِوصفٍ وَلَا تُخَدَّ،
وَالنَّقِيبُ الْمَيْمُونُ الْغُرَّةَ وَالنَّقِيبِ، الْمَوْصُوفُ فِي الْهَيْجَاءِ بِحُزْمِ الْكُهُولِ وَجَهْلِ ذَوِي
الشَّيْبَةِ . وَالْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَى مُسَاعَدَةٍ، وَلَا مُفْتَقِرٍ إِلَى مُعَايَدَةٍ؛
فَإِنَّ أَسْنَتَهُ لَا تَحْتَجِبُ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبٍ، وَنَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ تَقُومُ وَحْدَهَا يَوْمَ الْكِفَاحِ
مَقَامَ عَسْكَرٍ لِحَبِّ؛ وَقَلْبَهُ يُغْنِيهِ عَنِ الْأَطْلَابِ وَالْأَبْطَالِ، وَجِيُوشِ سَطَوِيَّتِهِ لَا تَكْلِفُهُ
الْمُقَامَ فِي مَنَازِلِ التَّرَالِ؛ فَإِنَّ الْمَمْلُوكَ يَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ تَهْوِي تَرِيدَ عَسْكَرِهِ وَجُنْدِهِ،
وَتَرْغُو حَرَمَةَ قَاصِدِهِ وَقَصْدَهُ، فَلِهَذَا تَوْسَّلُ بِشَفْعِ وَثَرِ الشَّفَاعَةِ؛ وَتَوْصِّلُ إِلَى إِزَالَةِ

ضَرَعَ حاله بكَثْرَةِ الضَّرَاعِ ؛ فإذا أَنعمَ المولى بِقَبُولِ شِفاعَةِ المملوكِ فيه ، وَحَقَّقَ له من العِناية ما يُؤمِّلُه وَيَرْجِيهِ ؛ كان قد شَدَّ للشارِ إليه ما أَضعَفَتِ العُطْلَةُ من مُتَّه ، وَقَدَّ المملوكَ للمولى جَمِيلَ مِتَّه .

شِفاعَةُ في رَدِّ معزولٍ إلى وِلايَتِهِ :

يَقْبَلُ اليَدَ العالِيَةَ لِأَزالتِ مَقْبَلِهِ ، وَلِإِسداءِ الخَيْرِ إلى أَهلِهِ مُؤَهِّلُهُ ، وبِأَيادِيها على الكافَّةِ مُتَفَضِّلُهُ .

وَيَنْهَى ملازِمَتَهُ على شُكْرِ مَواهِبِهِ ، ونَشْرِ فُضائلِهِ الجَسِمةِ وَمَنافِقِهِ ؛ وَحَمْدِهِ كَرِيمِ شَيْمِهِ ، وَالاعتذارِ من تَثْقِيلِهِ على خِدْمَةِ المولى بِخِدْمِهِ ، وَسؤالِ إِنْعامِهِ بِوُجُوهِ مَكَاتِبَتِهِ وَلِسانِ قَلَمِهِ ؛ وما ذاكَ إِلَّا لِما يَتَحَقَّقُهُ من كَرِيمِ نِجارِهِ ، وَشَدَّةِ تَطَلُّبِهِ لِإِسداءِ العَوَافِرِ وإِثْثارِهِ ؛ والمُوجِبُ لِهذِهِ الوَسِيلَةِ وَسؤالِ مَكارِمِهِ ، وَاسْتِمْطارِ سَحَابِ مَراحِمِهِ ، ما بَلَغَهُ من عَزَلِ مَمْلوكِ المولى وَعَبْدِهِ ، وَواصِفِ جَمِيلِ أوصافِهِ بِلِسانِ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ، فِلانَ ؛ أَفاضَ اللهُ عَلَيهِ إِحسانَ المولى وَإِنْعامَهُ ، وَخَلَدَ لَنَا وَلَهُ دَوْلَتُهُ وَأَيَّامُهُ ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ المَمْلوكِ وَصَدِيقُهُ ، وَشَرِيكُهُ في الدُّعَاءِ لِمَوْلانا وَرَفِيقُهُ ؛ وَهُوَ مِنَ العُذُولِ الأُمْناءِ ، وَالثِّقاتِ الأَتقياءِ ؛ وَهُوَ قَلِيلُ الجِدَّةِ كَثِيرُ العِيالِ ، لا يَجِدُ حِيلَةً إِذا بَطَلَ بِخِلافِ ما يُحْكِي عن البَطالِ ؛ وَقَدْ تَشَفَّعَ بِالمَمْلوكِ وَمَكَاتِبَتِهِ في مَلاحِظَةِ المولى لَهُ بَعينِ عِنايَتِهِ ، وَالتَّقَدُّمِ بِرَدِّهِ إلى جِهَةِ وِلايَتِهِ ؛ فَلهذا كَتَبَ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ في مَعْناءِ السُّؤالِ ، وَعَلَّقَ بِتَحْصِيلِ أَمَلِهِ الأَمالِ ؛ يَعْلَمُ ذَلِكَ مَوْقِعًا .

شِفاعَةُ في خِلاصِ مَسْجُونٍ :

فَسَّحَ اللهُ في مُدَّتِهِ ، وَسَهَّلَ أَداءَ ما يَجِبُ من شُكْرِ نِعْمَتِهِ ؛ وَأَلْزَمَ الأَلْسِنَةَ بِمُجْدِهِ وَالْقُلُوبَ بِمُحَبَّتِهِ ؛ وَجَعَلَهُ مَفْرَجًا كُلِّ كَرْبٍ ، وَسَهَّلًا من المَقاصِدِ كُلِّ صَعَبٍ .

وبعد، فإنَّ كَافَّةَ الأُمَّةِ قد تحقَّقت رحمة قلبِ المولى ورأفته، وتيقَّنت إحسانه ومُروءته، وأنه يُؤثِّرُ إغاثةَ كُلِّ عانٍ وإغاثةَ كُلِّ ملهُوفٍ، وأنه لا يُمسِكُ إلَّا بالإحسانِ ولا يُسرحُ إلَّا بالمُروءِ، بحيثُ سارت بحُسنِ سِيرَتِهِ الرِّكَّابُ عوضًا عن الرُّجُانِ، ودرأت مكارِمُهُ عن الأولياءِ نُوبَ الزَّمانِ؛ وعَلَا على حاتمٍ فلو تشبَّه بكَرمِهِ لقلنا له: (مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ). وللملوكِ من إحسانِهِ أوفرُ نصيبٍ، وهو يرْفُلُ من جُودِهِ في نُوبِ قَشِيبٍ؛ وقد أَشْتَهَرَ ما يُعاملُ به من الإكرامِ، وأنَّ قِسْمَهُ من العِنايةِ أوفرُ الأقسامِ؛ وكان يُعدُّ من جملةِ العبيدِ فأصبحَ مُضَافًا إلى الأَئِمَّةِ؛ وهذا مما يُوجبُ على المملوكِ أن يَتَهَيَّأَ إلى الله في تخليدِ دَوْلَتِهِ ويتَضَرَّعَ، وعلى حِلْمٍ مولانا أنه إذا شَفَعَ إليه في مُذنبٍ أن يُسَفِّعَ؛ وهو يُشَفِّعُ إليه في مملوكِهِ وعَبْدِهِ، والملازمِ على رُفْعِ راياتِ مجده وتِلَاوَةِ آياتِ حَمْدِهِ، فلان؛ رزقه اللهُ رضا الخواطرِ الشريفةِ، وأسبَلَ عليه حِلَّةَ عفوه المنيقةِ على الحُلَلِ بِظِلَالِها الكَثيفةِ؛ فإنه قد طالَتْ مدَّةُ حَبْسِهِ، وأَعترفُ بأنه الجاني على نَفْسِهِ؛ والمُعترفُ بِذَنْبِهِ كمن لا أَذنبَ، والمُعترفُ من بحرِ جُودِهِ يَروى دُونَ أن يَشْرَبَ؛ والطالِبُ لِربِّهِ ينالُ سُؤْلَهُ والمَطْلَبُ؛ فإنَّ حَسَنَ في رأيهِ العالى زادَهُ اللهُ عَلاءً، وضاعَفَ له سَواءَ، المشى على منارِ جُودِهِ ومِنهاجِهِ، وبرُوزُ أمرِهِ المُطاعِ بإِطلاقه وإِخراجِهِ، أَغْتَمَ أَجرَهُ، وجَبَرَ كَسْرَهُ، ورَجَّحَ في هذا الشهرِ المباركِ دُعاءَهُ الصالحِ وشُكرَهُ؛ وكان قد أنعمَ على المملوكِ بقبُولِ شفاعتِهِ إليه، وفعلَ ما يُوجبُ على كُلِّ مسلمِ الثناءَ عليه؛ واللهُ الموفقُ.

شفاعة بسبب خلاص حق :

يخدمُ المجلسَ السامى لآقِيَّ بالتحياتِ مَحْدُوماً، وحبلُ سَعْدِهِ مَبْرُوماً، ودُرُّ المَدائِحِ لِجَيدِ جُودِهِ مَنْظُوماً، وعدلُهُ بين الأَخْصامِ قاضِياً فما يتركُ ظالِماً ولا مَظْلُوماً.

(١) في الأصلين «ودارت مكارمه على الأولياء» ويظهر أنه تصحيف من النسخ.

ولا زالت الآمال متعلقة بهيمته ، منوطة بسعيد عزمته ؛ راجية خلاص كل حق من هو في جهته . وتوضح لعلمه أن فلانا أدام الله سعادته ، وخلد سيادته ، ذكر أن له ديناً في جهة غريم مُساطِلِ مدافع ، وخَصْمِ مُمانع ؛ وقد جعل هذه الخدمة ذريعة إلى خلاص حقه ، وخالفاً إلى الوصول إلى عناية المولى أقرب طرقه ؛ وهو جدير بالتقدم بإحضار غريمه ومحاقيقته ، وأخذ المملوك في ذمته ، وأن لا يُفسح له في تأخيرهِ ؛ ولا يُسمح بقليل الصبر ولا كثيره ؛ فإنه يعلم أن المولى المشار إليه واجب الخدمة ، وإفرا الحرمة ؛ وقد تعلق أمله في خلاص حقه بالمولى ، ولا يُجَوبُ عن هذه الخدمة بلو ولولا ، بل يَسْدُلُ جُهدَه ، ويُطَلِّقُ في تحصيل الغرض لسان الاجتهاد ويده ؛ ويعتمد من الإهتمام ما يليق بأمثاله ، ويبيض وجه الشافع وسؤاله ، موقفاً . شعر :

ولو كان [لى] فى حاجتى ألف شافع * لما كان فيهم مثل جودك شافع

شفاعة فيمن أسمه سراج الدين إلى من أسمه جمال الدين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وينهى بعد ولاء يحكم على القلوب شافع جماله ، وثناء يحرق على أحكام الزهر فضل أذيله : أن العلوم الكريمة محيطة بإيجاب حق من هاجر إلى بابها ، وشكا غلة الفاقة إلى منهل منهل سحابها ؛ وأن المائل بهذه الخدمة ، فلان ؛ ذكر احتياجه إلى عاطفة من عواطف مولانا التي شملت ، وعارفة من عوارفه التي لو آسمتت من غررها الليالى لما أظلمت ولا ظلمت ؛ وأن بيده وظيفة شهادة بيت لحم بتواقيع شريفة نظرت في حاله ، ونشرت حال عياله وأطفاله ، وأن ثم من ينارعه في جهته المعتاده ،

(١) وَيَقْصِدُ نَزْعَهُ وَالتَّرْعَ عَنْ تِلْكَ الشَّهَادَةِ الْمُسْطَرَّةِ أَخْفَ مِنْ نَزْعِ الشَّهَادَةِ ، وَمَوْلَانَا أَوْلَى مَنْ رَحِمَ مِنْهُ ضَعْفًا ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَطْفًا ؛ وَدَارَكَ بِكَرَمِهِ هَذَا السَّرَاجَ قَبْلَ أَنْ يُطْفِئَ ؛ وَرَعَى سِيرَةَ مَبَاشَرَتِهِ الْحُسْنَى الْآثَارَ ، وَاعْتَمَدَ أَدْعِيَتَهُ وَأَدْعِيَةَ أَوْلَادِهِ الَّذِينَ هُمْ كَقِطْعِ الشَّطْرِ نَجْجٍ صِغَارٌ وَبِكَارٍ ؛ وَكَفَّ يَدَ التَّعَرُّضِ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ عَدْلِهِ فَإِنَّمَا أَيَّامٌ لَا ضَرَرَ فِيهَا وَلَا ضَرَارَ ؛ وَعَلَى الْجَمْلَةِ فَقَدْ تَرَكْتَهُ الْإَيَّامَ قِطْعَةً لَحْمٍ ، فَمَبَاشَرَةً بَيْتِ لَحْمٍ أَوْلَى بِهِ ، وَرِجَالُهُ فِرْجَانِيَّةٌ وَأَخْوَانُهَا أَحَقُّ أَنْ يَتَعَلَّقَ سَبَبُهَا بِأَسْبَابِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْرِئُ بَيْنَ مَوْلَانَا أحوَالِ الْمَضْرُورِينَ فَإِنَّمَا ظَلَامٌ ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإَيَّامِ بِسُيُوفِهِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامٌ ، وَيَتَمَتَّعُ بِأَيَّامِ عَدْلِهِ وَلِحَسَانِهِ الَّتِي تُتَنَافَسُ فِيهَا أَعْمَارُ الرِّعَايَا فَإِنَّهُمْ يُتَبِعُونَ أَيَّامًا بِأَعْوَامٍ .
وله إلى شخص اسمه شمس الدين :

وَيُنْهِى بَعْدَ قِيَامِ بوظائفٍ ثناءً يَتَسَكَّ بِنَفَحَاتِهِ [المتواليه] ، وَلَوْلَا يَتَسَكَّ بِجِبَالِهِ الْمُتَيْنَةِ وَمَا كُلُّ شَمْسٍ حَبَالُهَا وَاهِيهِ : أَنَّهُ يَرْتَادُ الْأَوْقَاتَ لِخَطَابِ مَوْلَانَا بِالْأَقْلَامِ ، حَيْثُ حَبَسَ الْبَعْدُ خِطَابَ الْكَلَامِ ، وَيَتَخَيَّرُ حَمَلَةَ رِسَائِلِ الشُّوقِ ، وَإِنْ أَضْعَفَ عَطْفُ النَّسِيمِ رِسَائِلَ السَّلَامِ . وَلَمَّا حَضَرَ مِنْ مَكَانٍ كَذَا ، عَارِضَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ فَلَانَ ، وَذَكَرَ تَوَجُّهَهُ إِلَى حِمَى حِمَاةِ الْحُرُوسِ ، وَقَصِدَ كِتَابًا يَكُونُ فِي وَحْشَةِ الْإِغْتِرَابِ أَيْبَسَهُ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ غَرَضَ الْمَمْلُوكِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ مُرَادِهِ وَلَا يُتَكَّرُ مِنْ جِهَةِ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ السُّلُوكِ ، فَاعْلَمْتَهُ أَنَّ الْمَكَارِمَ الْحَمَادِيَّةَ لَا تَحْتَاجُ غَيْرَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ شَافِعًا إِلَيْهَا ، وَالْمَنَازِلَ الشَّمْسِيَّةَ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ يَنْبَغُ عَلَيْهَا ، وَطَالَمَا جَمَعْتُ لِقَاصِدِهَا الْفَعْلَ وَالْقَوْلَ السَّخِيَّ ، وَطَالَمَا قَالَ يُوسُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخُو مَوْلَانَا أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْقَاصِدِ :
أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَنِي ، وَلَكِنَّ الْمَمْلُوكَ يَذْكُرُ الْخَاطَرَ الْكَرِيمَ بِهَذَا الْقَادِمِ فَإِنَّهُ مِنْ

أهله ، ويلقاه قبل ذلك بالبشر المنشد * أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ *
 فإنه من أصحاب ولي الله طالما فاض ولي معروفه ، واستفاضت نسبته المرشدية
 فكان وليا مرشدا قامت صفته مقام موصوفه ؛ وإن آثار هذه البركات على هذا
 القادم لأخيه ، وإن على يده تجارة ذكر وأجروهي في سوق هيم مولانا تجارة رابحه ،
 والله تعالى يجعل له في كل ثناء وثواب نصيبا ، ويديم قلبه الكريم مقصد رفد وجاه
 (فطورا رشاء وطورا قليلا) .

وله : عن نائب الشام إلى نائب حماة شفاعته في شخص اسمه شهاب الدين ، وهو
 بعد الألقاب :

لا زالت الأقدار تُسعيدُه ، والملائكة تُنحده ، ومواطن النصر تجردُ حدَّ بأسه ومواطنُ
 الحلم تُغمدُه ، والجنّة تلوذُ بظله : فأى جاني ذنب ما يعفو عنه ، وأى جاني برٍّ ما يرقُّ
 عليه ويرفده ، تقيلاً يترادف مدده ، ولا تنتهي في القرب والبعد مدده .

وينهى بعد ولاء وثناء : هذا لا يبلُ جديده وهذا لا تخفى جده ؛ وشوق
 وأرتياح كلاهما يروى عن ابن شهاب توقده ، ويحمل على يد شهاب سنده : أن
 العلوم الكريمة محيطة بمقدار الحلم وفضله ، والعفو ومحله ، والتجاوز عن هفوات
 المخطئين من القوم ، وطلب العفو من الله غداً بالعفو عن عباده اليوم ، قال الله تعالى :
 ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ . ولما سمع الصديق رضي الله
 عنه هذه الآية ، قال : (ياي والله إنني لأحب أن يغفر الله لي) ثم عفا عن نزلت
 بسببه ، ومملوك مولانا أعز الله أنصاره فلان ، قد أعترف بهفوة بدت منه ، وزلة
 نقلت عنه ؛ ما يسعها إلا عفو مولانا ومراحه ؛ وقدم على المملوك فكأنه مانح من
 ظل مولانا ولا فارقه معاملة ؛ وسأل سؤال مولانا أن يسلمه بالعفو ، ويتجاوز له

عن السهو؛ ويرحم كبر سنه وكبر جفله؛ ويرعى قديم هجرته لخدمة هذا الباب الذى نسا عمرًا طويلا فى ظله، أهلا لأن تشمله عواطف أهله؛ وهو - كما عرف المملوك وأطلع عليه حيث كان فى نياحة حبة - مشكور السيرة بالإعتبار، ناهض الخدمة بالإختبار؛ ملازم لثرى الباب بعزم ما عليه غبار؛ وله على المملوك بالأمن حق خدمة وباليوم حق سؤال يشفع بهما فى القلوب وهى كبر؛ والمسئول من صدقات مولانا تجاوزه عن هفوته، وردّه إلى أمنه ووظيفته؛ وإجراؤه على عادة إقطاعه، وحاشاه فى أيام مولانا أن يقطع، بل حاشى المذكور أن لا يستخبر وأن لا يقطع؛ وأستقرأه فى مكان خدمته، وإجابته سؤال المملوك فى كل ما يتعلق بنجاح هجرته وعزيمته؛ لأبرح مولانا مأمول المنة الغائبة والحاضرة، والمقيمة والسائرة؛ مأهول الخواطر برفع ذكره وقدره فى الدنيا والآخرة.

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

لا زالت المحامد يذكرها متوجهة، ومقدمات الفضل والفضائل من تلقاء شيمها منتجة؛ ومطالع الكرم والإكرام هادية إلى حرمة من آتجه بتقيل مواظب على الدعاء يرفعه، والولاء يجمعه؛ والثناء يقول بضاع أرجه لا مما نضيعه بل مما نضوعه؛ [وينبى] أن عارض هذه الخدمة على عارض كرم مولانا المظطر، وبابه الذى هو لكيد الحاسد وفم الوارد مظطر، فلان؛ لقضاء تعلقات له أولها التعلق بجبل رجائه المخلص، وأتمائه المرصد، والتجمل بقصد باب مولانا الذى هو المهيئ المقدم على كل مقصد؛ وهو من الفضلاء الذين يعرفهم انتقاد مولانا معرفة الخير، وله اتصال بالأكابر الذين سلم منهم زمام المفاحر كل كبير؛ وقصد من المملوك هذه الخدمة لمولانا تؤس اعتباره، وتنشد المقر الذى ماقرع سن الندامة من قرع بابه :

يَا غَرِيبَ الصِّفَاتِ حَقٌّ لِمَنْ كَا * نَ غَرِيباً أَنْ يَرْحَمَ الْغُرَبَاءُ !
 والمملوكُ يسأل من إحسان مولانا ملاحظة المذكور بعين عناية التي ما أغفَتْ
 عن القاصدين ولا غفلتْ ، وعَوَاطِفِهِ التي طالماً فَتَحَتْ أبوابَهَا فَأَنْتَ عليها الرُّكَّابُ
 التي قَفَلَتْ ؛ والله تعالى يُدِيمُ تَقْلِيدَ الْأَعْنَاقِ بِكَلِمَةٍ وَبِرٍّ ، وَيَمْتَعُ الْمَالِكَ السَّاحِلِيَّةَ
 بِمَا قَذَفَ لَهَا مِنْ دُرَرٍ بِحَرِّهِ .

النوع الخامس

(التشوق)

قال في "مواد البيان" : وينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره ، ويُطهر فيها صناعته ،
 ويأخذ في نظمها مأخذاً من اللطافة والرقّة يدل على تمازج الأرواح ، وأتلاف
 القلوب ، وما يجري هذا المجرى ؛ وأن يستخدم لها أَدَبَ لَفْظٍ وألطف معنى ؛
 ويذهب فيها مذهب الإيجاز والإختصار ، ويعدل عن سُبُل الإطناب والإكثار ؛
 لئلا يستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب فيمِلُّ ويضجر ، وينتظم في سلك الملق والتكلف
 اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البغاء :

شوقُ المملوكِ إلى مولانا بحسب مكانه من تفضله ، وحظّه من جميل نظره ،
 وأختصاصه بإنعامه ، وأغتيابته بشرف خدمته ، ومكانه من إيثاره ؛ والله يجمع للمملوك
 شَمْلَ السَّعَادَةِ بِمُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ ، وسابَه من الدَّهْرِ بالنظر إلى غُرَّتِهِ ، على الحال
 السَّارَةِ فِيهِ وَبِهِ .

(١) كذا في الأصلين بإهمال النقط والمراد أنه يتمتع بالنظر الخ تأمل .

وله : شَوْقُ المملوكِ إليه شَوْقُ الظَّمآنِ إلى القَطْرِ، والسَّارَى إلى غُرَّةِ الفَجْرِ .

وله : شَوْقِي إليه شَوْقٌ مَنْ لَمْ يَجِدْ مع بَعْدِهِ عَوْضًا مِنْهُ ، فَتَقَوَّدُهُ الزِّيَادَةُ إلى الانْصِرَافِ بالرَّغْبَةِ عَنْهُ .

وله : شَوْقِي إليه شَوْقٌ مَنْ فَقَدَ بالكُرْهِ سَكَنَهُ ، وَفَارَقَ بالضَّرُورَةِ وَطَنَهُ .

وله : لو كَانَ مَا يُصْدِرُهُ مِنْ خِطَابٍ ، وَيُنَاجِيهِ بِهِ مِنْ مَتَمِّمٍ كِتَابٍ ؛ بِقَدْرِ مَا أَعَانِيهِ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ إلى غُرَّتِهِ ، وَمَضَضِ الْفَائِتِ مِنْ مَشَاهِدَتِهِ ، لَمَا أَحَاطَتْ بِذِكْرِهِ بَسْطَةُ لِسَانٍ ، وَلَا نَابَ فِي إِثْبَاتِهِ اسْتِخْدَامُ بَنَانٍ .

وله : أَمَّا الدهرُ فَمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِبْعَادِ المملوكِ عَنْهُ عَتْبًا ، وَلَا يُعَدُّ مَا جَنَاهُ مِنْ ذَلِكَ ذَنْبًا ؛ إِذْ كَانَ إِنَّمَا نَقَلَ مِنْ حِشْمَةِ الْمُخَاطَبَةِ ، إِلَى أَنْبِطِاسِ الْمُكَاتَبَةِ .

وله : وَقَدَرَهُ - أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَرْتَفِعُ عَنْ ذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ ، فَالْمَمْلُوكُ يَعْبُرُ عَنْهُ بِذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَى مَا فَارَقَهُ مِنْ تَفَضُّلِهِ ؛ وَبَعْدَ عَنْهُ مِنْ أَوْطَانِ تَطَوُّلِهِ .

وله : وَلَوْلَا أَنَّ المملوكَ يُجِدُّ نَارَ الْإِسْتِثْيَاقِ ، وَيَبِيدُ أَوَارِ الْفِرَاقِ ، بِالتَّخِيلِ الْمَثَلِ لَمَنْ نَأَتْ مَحَلَّتُهُ ، وَالتَّفَكُّرِ الْمَصُورِ لَمَنْ بَعْدَتْ شُقَّتُهُ ، لَأُلْهِبَتْ أَنْفَاسُهُ ، وَأُسْعِرَتْ حَوَاسُّهُ ، وَهَمَّتْ دُمُوعُهُ ، وَأَنْقَضَتْ ضُلُوعُهُ ؛ وَاللَّهُ الْمُحْمَدُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنْ تَمَازُجِ الْأَرْوَاحِ ، عِنْدَ تَبَايُنِ الْأَشْبَاحِ .

وله : وَلَا بُدَّ أَنْ يَكْفَى بِالْمُكَاتَبَاتِ ، مِنْ غَرَبِ الْإِسْتِثْيَاقِ ، وَيَسْتَعِينَ بِأَنْسِ الْمُرَاسَلَاتِ ، عَلَى وَحْشَةِ الْفِرَاقِ ؛ فَإِنَّمَا أَلْسُنُ نَاطِقَةٍ ، وَعُيُونٌ عَلَى الْبُعْدِ رَامِقَةٍ .

وله : عِنْدَ المملوكِ لِمَوْلَانَا خَيَالٌ مُقِيمٌ ، لَا يَبْرَحُ وَلَا يَرِيمُ ؛ يَخْلُو عَلَيْهِ صُورَتَهُ ، وَيُطْلِعُ عَلَى عَيْنِ فِكْرَتِهِ طَلْعَتَهُ ، إِنْ سَهَرَ المملوكُ سَامِرًا مُعِينًا عَلَى الشَّهَادِ ، أَوْ رَقَدَ

تَصَوِّرُ مُعَذِّبًا طَعْمَ الرِّقَادِ ، لَا يَمُطُّهُ بَزِيَارَتُهُ ، وَلَا يُوحِشُهُ بَغِيْبَتُهُ ، كَأَنَّمَا تَصَوِّرُ بِصُورَتِهِ فِي الْوَفَاءِ ، وَتَخْلُقُ بِخُلُقِهِ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْإِخَاءِ .

وله : إِنْ تَزَايَلَتِ الْأَشْبَاحُ ، فَقَدْ تَوَاصَلَتِ الْأَرْوَاحُ ؛ وَإِنْ نَزَحَتِ الْأَنْشَاصُ وَبُعِدَتْ ، فَقَدْ دَنَتِ الْأَنْفُسُ وَتَقَارَبَتْ ؛ فَلَا تُمِضُ الْفُرْقَةُ وَتُؤَلِّمُ ، وَتُسْغِصُ النَّوَى وَتَنْكَلِمُ ؛ وَقَدْ يُنَالُ بِنَاجِي الضَّمَائِرِ ، وَتَحَاوِرِ السَّرَائِرِ ، مَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ ، وَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ ؛ إِذَا الْأَنْفُسُ الْبَسِيطَةُ أَرَقَّتْ مَسْرًى ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ مَرْمًى .

التشوق من كلام المتأخرين :

نسخة كتاب من ذلك ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ؛ وهو بعد الصدر :

لَا زَالَ الدَّهْرُ يَقْضِي خِدْمَتَهُ ، وَيُمِضِي رَأْيَهُ وَسَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ، وَيَرْضَى الدُّوْلَ الشَّاكِرَةَ تَقْدِيمَهُ فِيهَا وَقَدَمَهُ ؛ وَلَا بَرَحَتْ الْأَقْدَارُ الْمُعْرِبَةُ تُجْزِمُ أَمْرَهُ وَتَكْسِرُ ضِدَّهُ وَتَرْفَعُ عِلْمَهُ ؛ تَقْبِيلًا إِذَا لَمْ التُّرْبَ التَّثْمَةَ ، وَإِذَا أُوْدِعَ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ التُّرْبِ خَتَمَهُ .

وَيُنْهِى مُوَاطَبَتَهُ عَلَى 'وَلَا' لَا يَنْسَخُ الْبُعْدُ مُحْكَمَهُ ، وَدُعَاءُ يَقَابِلُ النُّجُومَ وَلَا تَقْطِيعَ مِنَ الْقَبُولِ إِدْرَارَاتُهُ الْمُنْجَمَةَ .

وَيُنْهِى أَنَّهُ سَطَّرَهَا عَنْ شَوْقٍ يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُنُوبَ فِيهِ سَعْيُ الْقَلَمِ ، عَنْ سَعْيِ الْقَدَمِ ، وَأُرْتِيَاجِ إِلَى الْقُرْبِ الَّذِي بَأَنَسَهُ يُؤَسِّسُهُ أَنْوَارًا عَلَى أَعْلَى عِلْمٍ ؛ وَتَطْلُعُ لِمَعَاوِدَةِ الْأَخْبَارِ أَوْفَى مِنْ تَطْلُعِ الْعَامِرَى إِلَى مُعَاوِدَةِ أَيَّامِ ذِي سَلَمٍ ، وَتَعْلَلُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

بَعَثْتُ لَكُمْ سَوَادًا فِي بَيَاضٍ * لِأَنْظُرَكُمْ بَشْيَءٍ مِثْلَ عَيْنِي !

وهيأت ! أَيْنَ نَظَرَاتُ الْحُرُوفِ الْمَرْقُومَةِ مِنْ نَظَرَاتِ الْعُيُونِ الرَّامِقَةِ ، وَأَيْنَ مَنَالُ السُّلُوكِ مِنْ شَجْوِيْقِيَّةِ : * أَعِيْذُهَا نَظَرَاتُ مِنْكَ صَادَقَهُ *

ما يَحْسُبُ المملوكُ من النظرِ إلَّا ما يَمَلَأُ العينَ من ذلك الوجهِ الكريمِ ، ولا يَلْبَسُ من خَلَعِ الأيامِ إلَّا ما يَحِيطُ الأهدابُ على شَبَابِ ذلك القُربِ الرِّقِمِ ؛ وعلى ذلك فقد جَهَّزَهَا المملوكُ على يَدِ فلانٍ ، وحَمَلَهُ من رسائلِ الشُّوقِ ما يَرْجُو أَنْ يَنْهَضَ فيه بأعْياءِ الرِّسالةِ ، وَيَسْأَلُ الإصْغَاءَ والمُلاحَظَةَ فيما تَوَجَّهَ فيه وإنْ أدَّتِ الأُماليُ إلى المَلالَةِ ؛ واللهُ تعالى المُسئولُ أنْ يَبْلُغَ في آمِتدادِها مولانا الأُمْنِيَّةَ ، وَيَنْمَعَ الدُّوَلُ منه بهذه البَقِيَّةِ النِّقِيَّةِ ، إن شاء الله تعالى .

نسخة كتاب في المعنى عن نائب الشام ، إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله ؛ كاتب السِّرِّ بالأبواب السلطانية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ؛ وهو بعد الألقاب .

لا زال قَلَمُها مِفْتَاحَ الرِّزْقِ لطالِبِهِ ، واجْهَهُ لكَاسِيهِ ، وَالظَّفَرِ لِمُسْتَنِيبِ كُتُبِها عن كُتُبِهِ ، والنُّجُجِ لرائِدِ مُطالِبَةِ الدَّهْرِ بعد المُطالِبِ به ، ولا بَرَحِ البأسِ والكَرَمِ يَتَحَدَّثَانِ عن بَحْرِها ولا حَرَجَ عن تَجائِبِهِ ؛ تَقْيِيلًا تَغِيظُهُ في مَرابعِها ، تُغَوِّرُ الأَزاهِرَ ، لا بَلِ تَحْسُدُهُ في مَطالِعِها ، تُغَوِّرُ الزَّواهِرَ .

وَيَنْهَى بَعْدَ دَعاءٍ أَحسَنَتْ فيه الألسنةُ وأَخْلَصَتْ الضَّمائرُ ؛ وولاءٍ وثناءٍ لهما مَصاعِدُ التَّجْمِينِ إلَّا أَنَّ هَذَا في القُلُوبِ واقعٌ وهذا في الآفاقِ طائرٌ - أَنَّهُ جَهَّزَ هَذِهِ الخِدْمَةَ مُعْرِبَةً عن شوقٍ يَتَجَدَّدُ ، وأَرْتِياحٍ لا يَتَعَدَّى ولا يَتَعَدَّدُ ، ساعيةً عنه بِخَطواتِ الأَفْلامِ ، أَنْ مَنَعَ الوَقْتَ خَطواتِ الأَقْدامِ ، نائِبَةً في تَقْيِيلِ الأَنامِلِ التي تُسْتَسْقَى دِيْمُها على القُربِ والبُعدِ ولا كَيْدَ ولا كَرامَةَ للغَمامِ ؛ وجَهَّزَهَا على يَدِ فلانٍ بَعْدَ أَنْ حَمَلَهُ من رسائلِ الشُّوقِ ما إِنَّ حِلْمَنا من إِحسانِهِ لِيُنْضِيَ عَقُودَ الأَنْجُمِ لو تَعَدَّدَتْ ، ومَفاتيحَ أبوابِها لَتَنوَّعَ بالعُصْبَةِ أُولَى القُوَّةِ لو تَجَسَّدَتْ ؛ وهو بين يَدَيْهِ يَقْدُمُ بِجَواها ، وَيَسْتَشْهِدُ

بالخاطر الكريم قبل حضور دَعَوَها ، والمسئول إصغاء السَّمع الكريم إليه ،
 والملاحظة فيما توجّه فيه متكلّلاً على الله وعليه ؛ وإذا عاد مشمولاً بعناية مولانا
 المعهوده ، مكفولاً برعايته المقصورة على نَجْح الآمال الممدودة ، فليُنعم على المملوك من
 المشرفات الكريمة بما يسكن على جور البعد خواطره الدهشه ، ويُعينه على الوحشة
 التي حرّكها نحوه البعاد فهي الوحشه ، والله تعالى يشكرهم مولانا غائباً وحاضراً ؛
 وشافِعاً لرسائل خدمه وناظرًا ؛ ويخصّ بابه العلوى بسلام كسلام سقيط الطل عن
 ورق الغصن ناضراً .

آخر من كلامه : كتب به إلى بعض رؤساء مصر .

ويُنهى أنه سَطَرها مُعْرِبَةً عن شوقٍ مُقيم ، وعهدٍ لا يُبرح على صراطه المستقيم ؛
 وأرتياح لجنايه ، أو لكتابه ، ليتلو أنصابت شجوه : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَالرَّقِيمِ » . متطلّعاً لما يرد من أخبار مولانا السارة البازة ، مرتقباً لأنبائه أرتقاب
 الرّهية الفاغرة إلى ضرع الغمام الدّارّه ، ولو أنّ كلّ ما يمتّئ المرء يدرّكه ، وكلّ ما يقرّح
 على الدهر يملكه ، لغنى بقرب مخاطبه ، عن بُعد المكاتبه ، وأسجلى كوكب الجمال
 المُشرق وأقصر في ليلي الانتظار عن المراقبه . وقد جهّزها على يد فلان ، وحمله من
 رسائل الشوق أوفى وأوفر من رسائل الصّفا ، وسأل الإصغاء والملاحظة من مولى
 بكاره النيل معروف المنافع والوفاء ؛ ولآمال المملوك بمشرفاته وأوامره جمال حين يُريح
 وحين يسرح ، وحين يقتصر على مقترحات الأيام حين يشرح ؛ فينعم مولانا بمواصلتها
 على هذه المقدّمه ، ويجعل ذلك من إدرارات صلاته المنجّمه ؛ والله تعالى لا يُعدم
 المملوك في حال كرمه : إما أن يُقيض في القرب بحره وإما أن يبعث على البعد ديمه .

وله إلى كاتب السر :

أعلى الله أمرَ قلمها على الأقلام ، وأدام بفيض أنامله عليه بسط كلمة الإسلام ،
وراع بكتائب كتبه العدا إذا أنتبهوا ، فإذا أغفوا «سَلَّتْ عليهم سيوفها الأحلام» .

ولا زالت تلك الأقلامُ العالية في تلك اليدِ الكريمة إن لم تكن من المنشآت
فإنها من المنشآت في البحر كالأعلام ؛ تقيل مواظب على دعاء يطلع طلوع طرة
الصبح تحت ذلك الظلام ، وولاء إذا اعتبر الخاطر الكريم مسعاه وخدمته :
(قال يا بشرى هذا غلام) .

وينهى أنه جهَّز هذه الخدمة مقصورةً على وصف الأشواق الممدودة ، وجوانح
الشَّجْو المعهودة ؛ وأنفاس التذكُّر التي لولا شرف مذكورها لم تكن عنده من
الأنفاس المَعْدُودَة ؛ فيألفها مقصورةً على شوق ما فيها غير طيور الجوانح خفاقة الجناح ،
سبَّاقة الأرياح ؛ ويألفها أنفاس ذكر أغنت منادمتها عن كَيْس كَأْسٍ وأقتراح
وقت راح ؛ ويألفها ورقة فازت بمشافهة لثم اليد الشريفة فكُرمَتْ وصفا ، ونأت
عن نخار الروض عطفاً ؛ وأستطابت بشفاه السُّطور على تلك البنان رشفاً :
وسَطَّرتها والجِسمُ أنحل ما يرى * فياليتني أصبحت في طيها حرفاً

واصلةً إلى الباب الكريم بسلام وصل عبقه قبل ماوصلت ، واردةً على يد فلان
وقد حمل من رسائل الصفاء والود مثل ما حملت ، وحصلت على القرب ويا أسفى
على ما حصل وحصلت . والملوك يسأل الإصغاء إليها وإليه بفضل النظر والسمع ،
والإنعام على الحبِّ المفارق بمشرفات تجلُّو عليه أيام جمع ؛ وتعينه على أوقات وحشة
إذا وصفها المشتاقون وأقلامهم ولَّوا وأعينهم تفيض من الدمع ؛ لا بريح ذكر مولانا
علياً ، وبره بملء الآمال ملياً ، ووصفه بالتقى وسحاب الجود على الحالين ولياً :



يَا مُنِيَّةَ النَّفْسِ وَيَا مَا لِي * مُذْ غَبَتْ عَنِّي لَمْ تَنْمِ مُقْلِي !
 إِنَّ نَيْتَ عَيْنِي بَرَعْنِي فَقَدْ * سَكَنْتَ فِي قَلْبِي وَفِي مُهَجَّتِي !
 لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَلَا أَخْلَى مِنْ كَرِيمِ مَسَاعِدَتِهِ ، وَجَعَّ شَمْلُ الْأُنْسِ
 بِخُدْمَتِهِ .

المملوك يشكو من المولى فراقاً أوجب له على نفسه فراقاً ، وجيش صدود منحه
 من العزائم طوائف وفراقاً ، وداء صباية كلباً تربى الإفران^(١) منه ازداد تلهاً وحرقة ،
 ووجوب قلب تحتم لغيبته ووجب ، ودمع عين يحومها عبر عنه لسان قلمه
 أو كتب ، وقد أطل الهجر تألمه وعته ، وأطارسيته ولبه ، مذ وصل المولى غيره
 وقطع عنه كنبه ، والمولى يعلم أن المملوك لفظ والمولى معناه ، وسعده شخص وأنت
 وجهه الميمون ويمناه ، فيواتر إرسال مكاتباته ، ويخف بما ثوره ولباتاته ، ويعطر
 بذكره الجميل الأماكن ويُسَنِّف المسماع ، كما شرف بحلولة فيها الأضالع ، والله
 يديمه ويمده بالإسعاف والإسعاد ، وينصره على الأضداد والحساد :



أُقَاسِي مِنْ بَعَادِكَ مَا أُقَاسِي * وَقَلْبُكَ رَاحِمٌ وَعَلَى قَاسِي !
 وَأَحْمِلُ مِنْ نَوَاكَ بَضْعِ نَفْسٍ * عَنَاءٌ يُعْجِزُ الشَّمَّ الرَّوَاسِي !
 وَتُبْعِدُنِي وَأَمْرُكَ إِنْ أَتَانِي * جَعَلْتُ مَحَلَّهُ عَيْنِي وَرَاسِي !

(١) أى البرء مصدر أفرق العليل إفرافاً إذا برأ من علته . انظر اللسان ج ١٢ مادة ف رق .

قَرَّبَ اللهُ أُوْبَتَهُ، وَجَمَّلَ رُؤْيَتَهُ، وَحَرَسَ نَفْسَهُ مِنَ الْغَيْرِ وَالْحَادِثَاتِ، وَصَانَ حِجَابَهُ الْمُنِيعَ عَنِ الْمَلَمَّاتِ الْمُؤَلِمَاتِ؛ وَجَمَّلَ الْأَيَّامَ بِوُجُودِهِ، وَالْأَنَامَ بِوُجُودِهِ. وَلَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ يَجْمَلُهُ، وَأَعْنَاقُ أَسْنَانِهَا لِمَنْتِهِ مَتَحَمِّلُهُ.

صَدَرَتْ هَذِهِ الْخِدْمَةُ إِلَى خِدْمَتِهِ مَتَضَمِّنَةً إِهْدَاءَ سَلَامِهِ، وَشَاكِيَةً لَغَيْبَتِهِ جَوْرَ أَيَّامِهِ؛ وَمُنْهِيَةً شِدَّةَ أَشْوَاقِهِ الَّتِي أَفْنَتْ بِالصَّبَابَةِ قَلْبَهُ، وَأَذْهَبَتْ حُشَاشَتَهُ وَلُبَّهُ؛ وَهِيَ فِي ذَلِكَ نَائِبَةٌ مَنَابَ سَائِرِ الْخِدْمِ، وَمَعْبَرَةٌ عَنِ أَلْسِنَةِ الْأَقَالِمِ بِلِسَانِ الْقَلَمِ؛ فَإِنَّ الْأَعْيْنَ مَتَطَّلَعَةٌ إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَالْقُلُوبُ مَتَعَطِّشَةٌ إِلَى قُفُولِهِ وَرَجْعَتِهِ؛ كَمَا تَتَطَّلَعُ إِلَى السَّمَاءِ عُيُونُ النَّجْمِ، وَتَتَعَطِّشُ الرِّيَاضُ إِلَى الْوَابِلِ الْقَدَقِ بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُحَرِّ الْمُشْمِسِ؛ فَالْمَوْلَى يَجْعَلُ مَوَاصِلَتَهُ بِأَخْبَارِهِ فَرَضًا لِإِزْمَا، وَيَمْتَنِعُ مِنْ إِغْفَالِهِ كَمَا يَمْتَنِعُ مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ إِذَا كَانَ صَائِمًا؛ فَإِنَّ الْمَوْلَى هُوَ صُورَةُ الْجُودِ وَمَعْنَاهُ، وَبَيْتُهُ الْكَرِيمُ فَنَاءُ الْخَيْرِ وَمَعْنَاهُ؛ وَالنَّاسُ مَالِمٌ يَرُوكَ أَشْبَاهَهُ، حَرَسَهُ اللهُ وَتَوَلَّاهُ، وَضَاعَفَ عُلَاهُ، وَالسَّلَامُ.



يَا أَجْمَلَ النَّاسِ سَنَاءً وَسَنًا * جَفَتْ جُفُونِي لِحَفَاكَ الْوَسَنَا!

نِمَارَ آلَامِ الْإِلَامِ أَجْتَنِي؟ * يَا لَيْتَنِي أَعْلَمُ خَطِي مَا جَنَا؟

وَأَتُمُّ يَا أَهْلَ بَابِ لَعْلَعٍ * مُدُّ يَدَيْكُمْ لَمْ أَرِ شَيْئًا حَسَنًا!

أَقُمُّ بِمُنْحَنِ أَضَالِعِي * وَسِرُّمُ يَا أَهْلَ وَادِي الْمُتَحَنَّا!

فِي بُعْدِكُمْ مَتَيْتِي لَا تَتَّبِعُوا * وَقُرْبِكُمْ غَايَةُ سُؤْلِي وَالْمُنَا!

خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ إِرَادَتَهُ؛ وَأَثَّلَ نَجْدَهُ، وَأَدَامَ سَعْدَهُ؛ وَأَعَذَّبَ مَنْهَلَهُ وَرَدَّهُ.

المملوكُ يَتَشَوَّقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَى أَنْبَاءِهِ، وَيُصِفُ شَدِيدَ أَشْوَاقِهِ وَصَبَابَتِهِ، وَحَيْنَهُ إِلَى مَشَاهِدَةِ الْمَوْلَى وَمَشَافَهَتِهِ، وَمَا يَجِدُهُ لَذْلِكَ مِنْ أَلَمٍ فِي جَوَارِحِهِ الْجَرِيحَةِ، وَسَقَمٍ فِي جَوَانِحِهِ الصَّحِيحَةِ، وَيَلْتَمِسُ مَوَاصِلَتَهُ بِكُتْبِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَأَخْبَارِهِ السَّارَةِ لِيَتَضَاعَفَ لَهُ مَزِيدُ الْإِسْتِشَارَةِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ بَنَارُ الصَّبَابَةِ قَدْ وَقَدَّ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَلَى [بَعْدِهِ] فَقَدْ فَقَدَ؛ وَمَتَى وَرَدَ كِتَابُ الْمَوْلَى شَفَى الْغَيْلَ، وَأَبْلَّ الْعَلِيلَ، وَنَجَّى طَعْمَ الْحَيَاةِ وَنَجَحَ التَّامِيلَ؛ فَلْيَصَيِّرْ وَثَرُ مَكَاتِبَاتِهِ شَفْعًا، وَلَا يَجْعَلْ لَوْصِلِهِنَّ قِطْعًا؛ وَاللَّهِ يَمْنَحُ عَيْشَهُ خَفْضًا وَمَكَانَهُ رَفْعًا، وَالسَّلَامَ.



شعر في معنى التشوق :

قَدْ كَانَ لِي شَرَفٌ يَصْفُو بِرُؤْيَيْكُمْ * فَكَدَّرْتَهُ يَدُ الْأَيَّامِ حِينَ صَفَا

غيره :

كَبَبْتُ^(١) لِلْكَتَابِ مَجَلَّدٌ * عَلَى أَنَّهُ قَبْلِي بَلْقِيَاكَ يَسْعَدُ

النوع السادس

(فِي الْإِسْتِرَارَةِ)

قال في "موادّ البيان" : رِقَاعُ الْإِسْتِرَارَةِ إِنَّمَا تَشْتَمِلُ عَلَى وَصْفِ حَالَاتِ الْأَنْسِ وَمَجَالِسِ اللَّذَّاتِ، وَمَشَاهِدِ الْمَسَرَّاتِ . قال : وَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُودِعَهَا حُلُوَ الْأَلْفَاظِ، وَمُؤَنَقَ الْمَعَانِي وَبَارِعَ التَّشْبِيهَاتِ، وَيُبالِغُ فِي تَشْوِيقِ الْمَسْتَرَارِ إِلَى الْحُضُورِ، وَيَتَلَطَّفُ فِيهِ أَحْسَنَ تَلَطُّفٍ .

(١) بياض في الاصل ولعلله "وشوق للكتاب الخ" .

(٢) لعله مجالات كما لا يخفى .

وهذه نسخ من ذلك :

على بن خلف :

رُفِعْتِ - أطل الله بقاء سيدي - ومجلسي بمن حله من خدمه ، ونزله من صنائع
كرمه ؛ فلك مزين بأنجبه ، فإن رأى أن يُطْلَع فيه بدرًا بطلوعه وينقل قدمه إليهم ،
ويكمل نقصهم بتمامه ؛ ويضيف ذلك إلى تليد إنعامه ، فعل ؛ إن شاء الله تعالى .
وله في مثله :

قد انتظم لنا - أطل الله بقاء سيدي - مجلس رقت حواشيه ، وتبسمت راحه
عن حجب ، كالأني على ذهب ، وقامت فيه سوق السرور ، لا يكسدها إلا تخلفه
عن الحضور ؛ فإن رأى أن يكمل جدلنا بإطلاع طلعت علينا ، ويصدق ظننا بنقل
قدمه إلينا ؛ سر وأبهج ، وتتم من الإحسان ما أجدج ؛ إن شاء الله تعالى .

وله : هذا - أطل الله بقاء مولانا - يوم صفيق الظل ، رقيق غلالة الطل ؛
قد ترفعت شمسُه يبرج أنسه ، وأقر جدلا عن مضاحك برقه ، وترنم طربا بزجج
رعدِه ؛ ووشّت مدارج نسيمه ، بأرج شميمه ، وقام على منابر السرور يخطب أبنه
الكرم لأبناء الكرام ، وينادي بأعلى صوته : حي على المدام ؛ فقد وجب على كل
موفٍ لاجتماع ثمار السرور ، والتحف عطف الجبور ؛ أن يلبي دعوته ، ويتنزه
فرصته ؛ ويعوضه من شمس الآفله ، براج لإظهار ما أخفى من شعاعها كافله ؛
ويقفه على التمل بالكَاس والنَّدمان ، ويجعله سلكا ينتظم فيه الإخوان . ورُفِعْتِ
هذه صادرة إلى مولاي وقد تهيا لنا مجلس من مجالس الأئس ، يسط تجعد النفس

(١)

فيه بَغْمٌ وَنَغْمٌ ، وَمِزْهَرٌ وَزَهْرٌ ، وَخُلَّانٌ قَدْ تَرَضَّعُوا لِإِنِّ الْعُقَارِ ، وَتَسَاهَمُوا تَقَلَّ
الْوَقَارِ ، وَتَجْعُمُوا فِي مَعَارِكِ الْخَمَارِ ، وَأُدْمِنُوا عَلَى الْمُسَاسَةِ وَالْإِيْتِكَارِ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا
الْمَجْلِسَ مَعَ تَمَامِهِ مُخَدَّجٌ ، وَعَلَى كَيْلِهِ مُخْتَلَجٌ ؛ لُبْعُدُ مَوْلَايَ الْحَالَّ مِنْهُ حَلَّ الْوَاسِطَةِ
مِنَ النَّظَامِ ، وَالْأَرْوَاحُ مِنَ الْأَجْسَامِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُكْجَلَّ مِنْهُ مَانَقَصٌ ، وَيُمِيطُ عَنْهُ
[مَانَقَصٌ] فَلْيَجْمَلْنَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْنَا ، وَالطُّلُوعِ عَلَيْنَا ؛ وَإِعْفَانِنَا مِنْ إِخْجَارِ الْإِنْتِظَارِ ،
مَعْتَدًا بِذَلِكَ فِي كَرِيمِ الْأَيَادِي وَالْمَبَازِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - يَوْمٌ أَعْرَسَ فِيهِ الْخَلْقُ بِالْجَارِيَةِ الْبَيْضَاءِ
تَفَدَّرَهَا ، وَحَجَّجَهَا بِسَجْفِ الْغَامِ وَسَتَرَهَا ؛ وَأَخْتَالَ أَخْيَالُ الْمَعْرَسِ فِي مَعْرَسِهِ ، بِمُصَنَّدِهِ
وَمُسَكِّهِ وَمُورِسِهِ ؛ وَاتَّخَذَ مِنْ ذَهَبِ الْبَوَارِقِ نِتَارًا ، وَأَسْتَنْطَقَ مِنْ زُنَارِ الرُّوَاعِدِ
أَوْتَارًا ؛ وَدَعَا إِلَى حُضُورِ لَيْتِهِ ، وَالسَّرُورِ بِسَرَّتِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَلْبِي طَلِبَ هَذَا الْيَوْمِ^(٢)
الصَّفِيقِ ، وَيَتَمَتَّعَ بِعَيْشِهِ الرَّافِعِ الرَّفِيقِ ؛ فَلْيُطْلِعْ عَلَيْنَا طَلْعَتَهُ الَّتِي تَبْهَرُ الْقَمَرَ الْمُزْهِرَ ،
وَتَصْدَعُ اللَّيْلَ الْمُعْتَكِرَ : لِيُنْهِضَ غُرَّةَ الْإِصْبَاحِ ، بِغُرَّةِ الرَّاحِ ، وَيَقْطِفَ ثِمَارَ الْأَنْسِ
وَالْمَحَاضِرِ ، وَيَتَمَلَّى بِالسَّمَاعِ وَالْمَذَاكِرِ ؛ وَيَأْخُذَ بِحِطِّ مَنْ لَذَاذَةِ الْفَيْحَةِ الشَّبِيهِةِ بِشَائِلِهِ ،
وَيُعَدَّ ذَلِكَ مِنْ مَبَارِهِ وَفَوَاضِلِهِ ؛ [فَعِلْ] إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في الاسترارة في بُسْتَانِ :

كَتَبْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - وَقَدْ غَدَوْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ [إِلَى] بُسْتَانِي وَالطَّيْرِ
فِي الْأَوْكَارِ ، وَالْأَنْدَاءِ تَهَيَّطُ كَالْتِّيَارِ ؛ وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الصَّبَاحِ ، أَشْتَمَالُ الْأَدْهَمِ

(١) هو بالفتح وبالفهم وبالتحريك ما يتناقل به على الشراب . أنظر اللسان ج ١٤ .

(٢) في الأصل « أبطل » ولعله من تصحيف النسخ .

على الأوضح؛ عازماً على مشاركته ومُشارفة ما استمددت من عمارته، لا للخلوة فيه
بمعاطة المدام، ومؤانسة الندام؛ فحين سرحت الطرف في ميادينه وجدأوله، وأقبلت
على تصفح حلاه وحلله؛ رأيت مناظره تتعلق القلوب أعتلاق الأشرار، وتعتاق
المستوفز عن الحرار؛ وتقيم قاعد المزاج والنشاط، وتوقظ هاجد الفرح والأنيساط:
فمن أشجار كالأوانس، في ريحاني الملبس؛ حالية من مؤشع الزهر والثمر، بأنصع
من الياقوت والجوهر؛ كأنما تحفلت لاجتلاء عروس، أو معاطة كئوس؛ ما بين
تحليل قد نشرت عذب السندس على ذراها، وأطلعت طلعا كأنها جرح غشياً صدها؛
ونارنج يحل أكبر العقيان، أو وجنات القيان؛ وأترج قد استعار ثمرة أشواق العشاق،
إذا صالت عليهم يد الفراق. ومن ريسان زاهية بنشرها، وقضبها مختالة في ملبس
زهرها؛ وترجسها كمين محب حذق إلى الحبيب؛ وثنى جيده خوف الرقيب، إذا
عبث به النسيم جمع بين كل قضيب وإلفه، وسعى بالاعتناق من شوقه وكلفه؛
ووردها كبداهن ياقوت فيها نضار، وشقيقها كدلمات عقيق فيها صوار؛ وبفسجها
نغد تمضي فيه من القرص آثار؛ أو جام بلحين عليه من الندى نثار. ومن أنهار قدت
حافاتها قد الأديم، وحذت على صراط مستقيم؛ ببحر مسجوره، كالسيوف المشهورة
أو المهارق المنشورة؛ إذا نحمشها الهوى خلع عليها متون المبارد، أو سلوخ الأسود؛
يتحرق ذلك كله نسيم رقيق الغلائل، حلو الشائل؛ يسعى بالنسيم، في المعاطس
والشميم؛ انصببت إلى مجلس فسيح البناء، ضيق الأقاء؛ مؤش الجدران والسماء،
في صدره شاذر وإن يرعى بكسر البلور، وفي وسطه نهر يسلب مأوه أنسياب

(١) الريضان والرياض جمع الروضة .

(٢) الصوار والصوار «أى بالضم والكسر» الرائحة الطيبة والقليل من المسك أنظر ج ٦ - ص ١٤٧

الشَّجَاعَ الْمَذْذُورَ ، وَتَوَسَّطُهُ بِرُكَّةٍ مَمْنَمَةٍ يَنْصَبُ الْمَاءَ إِلَيْهَا بِالدَّوَالِي إِلَى أَرْبَعِ شَاذِرَوَانَاتٍ ، وَيُخْرِجُ عَنْهَا مِنْ أَرْبَعِ فَطِيمَاتٍ ؛ يَحْتَفُّهَا كُلُّ شَجَرٍ مُثْمَرٍ ، وَرَوْضٍ مُزْهِرٍ .
 فَقُلْتُ : هَذَا الْمَرَادُ الَّذِي يُحِطُّ بِهِ الرَّائِدُ رَحَلَهُ ، وَيُوفِدُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ؛ وَيَدْعُو إِلَى اخْتِيَارِ مَنْ يَهْبُ إِلَى الشَّرُورِ ، وَيُسَاعِدُ عَلَى الْحُضُورِ ، لِلشَّارِكَةِ فِي التَّمَلُّيِّ بِهَيْجَتِهِ ، وَالتَّمَتُّعِ بِنَضْرَتِهِ ؛ فَكَانَ مَوْلَايَ أَوَّلَ مَنْ جَرَى إِلَيْهِ ذِكْرِي ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ طَرْفُ فِكْرِي :
 لِأَنَّهُ السَّاكِنُ فِي قُودَادِي ، الْحَالُ فِي مَحَلِّ رُقَادِي ؛ فَإِنْ رَأَى أَرَاهُ اللَّهُ مَا يُقِرُّ الْعَيْنَ أَنَّ يَكْمُلُ مَسَرَّتِي بِقَوْلِ قَدَمِهِ إِلَيَّ ، وَإِطْلَاعِ سَعْدِ طَلْعَتِهِ عَلَيَّ : لِيَتِمَّ مُحَاسِنَ مَا وَصَفْتُهُ ، وَيَكْمُلَ الْإِلْتِذَاذُ بِمَا شَرَحْتُهُ ؛ فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَجُوبَةُ رِقَاعِ الْأَسْتِزَارَةِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : لَا يَخْلُو الْمُسْتَرَارُّ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى الْحُضُورِ أَوْ التَّنَاقُلِ عَنْهُ ، فَإِنْ حَضَرَ عَلَى الْقَوْرِ ، فَلَا جَوَابَ لِمَا نَفَذَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ وَعَدَ الْحُضُورَ وَتَأَوَّمْ لِقَضِيَّ شُغْلًا وَيَحْضُرُ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى سُورِهِ بِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْهُ ؛ وَأَنْ تَلُومَهُ لِلْعَائِقِ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ حُضُورَهُ يَشْفَعُ رُفْعَتَهُ . وَإِنْ آيَسَ مِنَ الْحُضُورِ ، وَجَبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى مَا يَمْهَدُ عُذْرَهُ ، وَيَقَرَّرُ فِي نَفْسِ مُسْتَرِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَتَأَنَّ عَنْ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى الْأَنْسِ إِلَّا لِقَوَاعِ صِدَّتْ عَنْهُ ، يَعْلَمُ الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ صَحَّتْهَا لِيَحْرُسَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَوَدَّةِ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مَا تَنْفَاسِدُ الْخُلَاقُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ .

النوع السابع

(في آخِطاب المَوَدَّة وافتتاح المكاتبَة)

قال في " مواد البيان " : الرَّقاع الدائرة بين الإخوان في آخِطاب المعاشرة ، وأنتماء المكاثرة ، وطلب الخُلطة والمؤانسة ، يجب أن يقدَّر الخطابُ فيها على أن يصل المرغوبُ في عشرته إلى الانخراط في سلك أجبائه ، والانهياز إلى أهل ولآئه ، ويبعث على قصده ، في الالتحاق بؤده ، ويدل على المحاصه ، والصِّفاء والمخالصه ، وما جرى هذا المجرى مما يتعامل به أخلاء الصِّدق ، ويجعلونه مَهْرًا لما يَلْتَمِسُونَهُ من الممازجه ، ويرومونه من الاختلاط والمواشجه .

قال : وينبغي أن يذهب الكاتب في هذه الرَّقاع مذهبًا لطيفًا ، ويحسن التوصل إلى الإفصاح عن أغراضها : ليأخذ بجامع القلوب ، ويعين على نيل المطلوب .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة : وينهى أن المملوك لم يزل مُدْ وَقِعَ طَرْفُهُ على صورته ، ووجَّ سَمْعَهُ بعدُ شِمْتِهِ ، يُناجِي نَفْسَهُ بافتتاح مكاتبتِهِ ومراسلتِهِ ؛ وآخِطاب مِمَّا زَجَّتْهُ ومواصلتِهِ ؛ رغبةً في الاعتقاد بإخائه ، وإلّا لارتشاف من مَشَارِعِ صَفَائِهِ ، والمقاديرُ تَطْوِي الطَّوِيَّةَ على ما فيها ، والعوائقُ تَحْطُلُ النِّيَّةَ بِنَجَازِ مَاتَوِيهِ وتَلْوِيها ، إلى أن أذن الله تعالى بإعراض الأعراض ، وأتقباض أسباب الاتقباض ؛ فأظهر المملوكُ ما في القُوَّةِ ، واثقا من مولانا بحسن المُرُوءِ ، وأنه يوجب القبول بإجابته ، ويُجيب إلى مساعدته ؛ ويرضى المملوكُ أهلاً لأصطفائه ، ومحلاً لإخائه ؛ علماً بإيجابه للحق ، والمعرفة بالسَّبق ؛ وأن تلقى هذه الرغبة بالقبول ، ويسلم إليها مفتاح المأمول .

رقعة : لو كانت المودة لا تحُصَل إِلَّا عن ألفة تالدة ، ومواصله سالفه ؛ لم يستطِرِ المرءُ صفياً ، ولم يستحْدِ ولياً . وما زال البُعداءُ يتقاربُونَ ، والمتناكِرُونَ يتعارفُونَ ؛ ولما نُمِيَ إلى الملوك من أنباء مولانا ماتصوِّعِ عِطْرُه ، وظاب نَشْرُه ؛ سافر بالأَمَلِ إليه ، وقَدِمَ بالرَّغْبَةِ عليه ؛ طالباً الانخراطَ في سلك أوليائه ، والاختلاطَ بخاصَّته وخُصَّائه ؛ ومثُلُ مولانا مَنْ أجاب السُّؤلَ ، وصَدَّقَ المأمُولَ ؛ والملوكُ يرجو أن تكشف الأيامُ لمولانا منه عن خُلة صادقة ، ومودةٍ صحيحة ، لا تضيغُ معها إجابته ، ولا تحسِرَ صَفْقَتُهُ .

رقعة : ويُنبِئُ أَنَّ الملوكَ مازال مُدُّ وقع طَرْفُهُ على صُورته البَدْرِيَّةِ ، وأحاط علماً بِخِلايقِهِ المَرْضِيَّةِ ؛ راعباً في مُواشِجَتِهِ ، باعثاً نَفْسَهُ على آخِطابِ مودته ، وإِجَارُهُ يُقْعِدُهُ ، وإِعْظَامُهُ يُبْعِدُهُ ؛ فَلَمَّا تَطَاوَلَ يراعُ هِمَّتِهِ ، شَجَعَتْ على إِنْفاذِ عَزْمَتِهِ ؛ فَقَدِمَ مَكاتِبَتَهُ أَمَامَ مِشافَتِهِ ؛ فَإِنْ حِظِيَ بالإِجابةِ وتَوِيلِ الطَّلِبَةِ ؛ فَقَدْ فازَ قَدْحُهُ ، وَتَبَلَّجَ صُبْحُهُ ؛ وَنالَ مُناهَ ، وَبلغَ رِضاهُ ، وَصادَفَ هَناهُ ، وَدَيدا موثوقاً بِوَدِّهِ ، مَسْكُوناً إلى عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ ؛ يَحْمَدُهُ عِنْدَ الإِخْتِبارِ ، وَيَعْرِفُ بِهِ صِحَّةَ رَأْيِهِ عِنْدَ الإِخْتِيارِ ؛ وَالْمُلُوكُ يَرْجُو أَنْ يَصِحَّ مَسأَلُهُ وَكَفَلُهُ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

رقعة : وَيُنْهِي أَنَّ مَنْ عَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِنِئانِهِ الحَافِلِ ، وَعَطَّرَ بِأَنْبائِهِ الفَضائِلِ ؛ وَأقامَ مِنْ مَساعِيهِ الكِرَامِ خُطيباً يَخْطُبُ بِسُودَدِهِ وَفَضْلِهِ ، وَيُعْرِبُ عَنْ شَرَفِ مُحَمَّدِهِ وَأَصْلِهِ ؛ تَطَلَّعَ الأَمالُ لِلانْتِظامِ في سِلْكِ أَجْبائِهِ ، وَتَشَوَّفَ الهِمَمُ إلى الأَمْتِراجِ بِجُلُصائِهِ وَأُولِيائِهِ : لَمَّا يَصْفُقُو على المَعْتَصِمِ بِعُرَى مُصافاتِهِ مِنْ لِباسِ جَمالِهِ ، وَيُحَلِّى المَعْتَبِيَّ إلى وَلائِهِ مِنْ حِلْيِ جَلالِهِ ؛ وَأَحَقُّ مَنْ أَسْعَفَهُ مولانا بِالْمُودَةِ إِذا خَطَبَها ،

وأجابه إلى المصافاة إذا طلبها ، مَنْ بدأه بالرَّغْبَة ، ومَتَّ إليه بالحَبَّة ، لا لِمُرْغَب ولا مُرْهَب ، واختاره لنفسه على عِلْمٍ بِكَماله ، ومعرفةٍ بِشَرَفِ خِلاله .

وما زال المملوكُ مُدًّا أطلعه الله على ما خُصَّ به مولانا من المحاسن المتعدِّدة إلَّا لَدَيْه ، والفضائل المتَّبعة إلَّا عَلَيْهِ ؛ يُحَوِّمُ على مَشارِعِ مَمارَجَتِه ولا يَرُدُّها ، ويُرْوِمُ مواقعَ مُواشِجَتِه ولا يَعْتَمِدُها ، إكْبارا لِقَدْرِهِ ، وإِعْظاما لَخَطَرِهِ ، وخَوْفاً من تَصَفُّحِهِ وتَقْدِهِ ، وإِبْقاءً على ماءِ وَجْهِهِ من رَدِّهِ ، والمملوكُ وإن كان عالِماً بأنَّ كَرَمَ مولانا يَرِقُّ الخَلَلُ ، وَفَضْلُهُ يُصَدِّقُ الأَمَلُ ؛ فَإِنَّهُ لا يَعمَدُ مَذْ رَغَبٍ في قُرْبِ مولانا ما لَعَلَّهُ يَجِدُهُ فِيهِ ، مِمَّا يُخالِفُ مَذْهَبَهُ وَيُنَافِيهِ ؛ إِذْ كان لا يَبْلُغُ تَضاهِيهِ في التَّامِّ وتَوَافِيهِ ، إلى أَنْ أذنَ الله تَعَالَى بأنْ أَبْلَغَ نَفْسَهُ الأُمْنِيَّةَ ، وأَظْهَرَ ما طَوَّيَتْ عَلَيْهِ الطَّوْيَةَ ؛ فَكُتِبَ هَذِهِ الرُّقْعَةُ وجعلها فيما رَأَتْهُ مِنَ الإِعْتِلَاقِ بِجَبَلِ مَوَدَّتِهِ سَفِيْراً ، وعلى ما أَلْتَمَسَهُ مِنَ الانْضِمَامِ إلى جُمْلَتِهِ ظَهيراً ؛ وَقَدِّمَ بِها عَلَيْهِ وَطَنَهُ يَتَرَجَّحُ مِنَ الإِعْراضِ إلى القَبُولِ ، نَفَقَةً بِقُرْبِ نَيْلِ المَأْمُولِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُجِيبَهُ إلى ما سألَهُ ، وَيُسِرَّهُ بِتَنْوِيلِ ما اقْتَرَحَهُ ، فَعَلْ ؛ إِنْ شاءَ الله تَعَالَى .

اختطاب المودَّة ومفاتحة المكاتبة من كلام المتأخرين :

الشيخ جمال الدين بن نُباتة :

وضاعف للمالك ببقائه الإِتِّفَاعَ ، وبأَرْتِقائِهِ الإِرْتِفَاعَ ؛ وَسَرَّ بِحَاسِنِ نَظَرِهِ وَخَبَرِهِ العِيانَ والسَّمْعَ .

ولا زال للحبيْنِ من وَدِّهِ عَظْفُ المَتَلَطِّفِ ولِلأَعْداءِ مِنْ بَأْسِهِ خَظْفُ الشُّجَاعِ .
أصدرها المملوكُ مَنْطُويَةً على ما عَهِدَ مِنْ صِدْقِ الحَبَّةِ ، وَوَفاءِ العُهُودِ المُسْتَتَبَةِ ؛ وَدُرَرِ

الحامد التي لا تُسوى لَدَيْهَا دُرُّ العُقودِ حَبِّه ، مُبْدِيَةً لَعَلِمَهُ الْكَرِيمُ أَنَّ المودَّاتِ إِذَا صَفَتْ ، والقلوبَ إِذَا تَجَنَّدَتْ وتعارَفَتْ ؛ حَثَّتِ المحبِّينَ فِي العبادِ عَلَى المِفَاتِحِ بِكُتُبِهِمْ وَرِسَالِهِمْ ، والمخاطبةِ فِي ظلالِ الأوراقِ بِالسِّنةِ أَقلامِهِمْ مِنْ لَهَوَاتِ أَنامِلِهِمْ ؛ إِثَارًا لِتَجْدِيدِ الأُنْسِ وَإِنْ صَحَّ المِيثاقُ ، وَتَدَكَّرَا لَخَوَاطِرِ الوُدِّ ، وَإِنْ رَسَخَتْ مِنْهُ الأَصُولُ وَنَمَتِ الأَعْرَاقُ ؛ وَلِذَلِكَ فَاتَّحَ بِهَا مَخَاطِبًا ، وَأَرْتَقَبَ لِمُنَادِيهَا بِالْأَخْبَارِ السَّارَةَ مُجَاوِبًا ؛ نَائِبَةً عَنْهُ فِي مِشَاهِدَةِ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ ، وَمِصْاحِفَةِ الْيَدِ فِي حَدِيثِ رِبِّهَا الْقَدِيمِ ؛ تَسْتَطْلِعُ أَخْبَارَهُ ، وَتَسْتَعْرِضُ أَوطَارَهُ ؛ وَتُحْيِي بِالسَّلَامِ وَجْهَهُ وَعَهْدَهُ وَدِيَارَهُ ، عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، وَقَدْ حَمَلَ مِنَ المودَّاتِ وَالمشافَهَاتِ مَا يُعِيدُهُ عَلَى السَّمْعِ الْكَرِيمِ الْمُنْعِمِ بِإِصْغَائِهِ ، الْمُصْنَعِي بِنِعْمَائِهِ ؛ الْمُتَحَفِّ بِالمِهْمَاتِ الَّتِي يَحْصُلُ فَوْزُ الْقِيَامِ بِهَا ، وَالمُشْرِفَاتِ الَّتِي كُلُّ أَسْبَابِ الشُّرُورِ مُتَّصِلٌ بِسَبَبِهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْهِجُ مِنْ تِلْقَائِهِ سَمْعًا وَنَظْرًا ، وَيُثَقِّ عَيْشَ حَاسِدِهِ هَشِيمًا وَعَيْشَ حَبِيْبِهِ نَضْرًا ؛ وَيُدِيمُ رِياضَ ذِكْرِهِ تَالِيَةً عَلَى الْمَسَامَعِ : ﴿ فَأَنْخَرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ۝ ﴾

أَجْوِبَةُ أَخْطَابِ المودَّةِ

قال في "موادِّ البيان" : لا يَحْلُو مَنْ يُرَامُ ذَلِكَ مِنْهُ أَنْ يُجِيبَ أَوْ يَعْتَلَّ ، فَإِنْ أَجَابَ بَنَى الجِوَابَ عَلَى وَقُوعِ رَغْبَةِ الْمُخْتَطَبِ أَحْسَنَ مَوَاقِعِهَا ، وَأَبْتَهَاجِ الْمُخْتَطَبِ بِهَا ، وَمَعْرِفَتِهِ بِقَدْرِ مَا رَأَاهُ أَهْلًا لَهُ وَمَسَارِعَتِهِ إِلَيْهِ ؛ وَإِنْ أَعْتَلَّ بَنَى الجِوَابَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ عَرَّضَ لَهُ مَا يَقْصُرُ عَنْهُ ، وَلَا تَرْضَى نَفْسُهُ بِهِ ، وَأَنَّ العِذْرَ [لَيْسَ] بِعَادَةٍ لَهُ فِي المَزَالَةِ ، وَطَرِيقَةٍ فِي الْإِنْفِرَادِ وَالمُجَانَبَةِ .

النوع الثامن

(في خطبة النساء)

قال في "مواد اليان" : الرقاع في التماس الصهر والمواصلّة يجب أن تكون مبنية على وصف الخطوب إليه بما يقتضى الرغبة ، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدى إلى الكفاية والإسعاف بالطلبة .

قال : وينبغى للكاتب أن يؤدّعها من ألفاظ المعاني المنتظمة في هذا الباب أوقعها في النفوس ، وأعودها بتقريب المرام ، وأدّلّها على صدق القول فيما تكفله من حسن معاشرّة ، ولين معاملة ، وأن يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز .

وهذه نسخ من ذلك :

مما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

وأفضل تلك المواهب موقعاً والطفها وأحمدها عاقبة ، وأرهنها يداً ، ما يؤلف الله به القربات ، ويؤكد به الحرمات ، ويوجب به الصّلات ، ويحدّد به المكرمات ، ويحدّث به الأنساب ، ويقوى به الأسباب ، ويكثر به من القلّة ، ويجمع به من الفرقة ، ويؤسّس به من الوحشة ، ويؤادّ به في الحقوق وجوباً ، وفي المودّات ثبوتاً ، ثم لا مثل لما كان لله طاعة ورضاء ، وبأمره أخذاً وأقتداء ، وبكتابته قدوة وأخذاء ،
(١)
فإنّه نسأل الخيرة في قضائه ، والبركة فيما يقوم بناؤك عليه .

ومنه : تَصِلُ رَحْمًا ، وَتَعْقِدُ سَيِّئًا ، وَتُحَدِّثُ نَسَبًا ، وَتُجَدِّدُ وُصْلَةً ، وَتُؤَكِّدُ أُلْفَةً .

رقعة : مَنْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّ بِهِ سَيِّدِي : مِنْ طَهَارَةِ الْأَعْرَاقِ
وَالْأَنْسَابِ ، وَشَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ ، وَأَفْرَدَهُ بِاجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمُتَفَرِّقَةِ
فِي الْأَنَامِ ، وَعَطَّرَ بَنَائِهِ مَلَابِسَ الْأَيَّامِ ؛ رَغِبَ الْأَحْرَارُ فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ بَذْلُ
الْوَجْهِ فِي اخْتِطَابِ مِمَّا رَجَتْهُ ، وَالْتَمَسَ مُوَاشَجَتَهُ وَمُنَاسَبَتَهُ ؛ وَجَدِيرٌ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ،
وَطَلِبَ مَالِدِيهِ ؛ وَاخْتِيرَ لِلشَّابِكَةِ فِي الْوَلَدِ وَالْخُثْمَةِ ، وَالْمِشَارِكَةِ فِي الْمَالِ وَالنِّعْمَةِ - أَنْ
يَجِبَ وَلَا يَمْنَعُ ، وَيَصِلَ وَلَا يَقْطَعَ ؛ مُصَدِّقًا لِأَمَلٍ مِنْ أَفْرَدِهِ بِأَرْثِيَادِهِ ، وَتَوْحُّدِهِ
بِاعْتِمَادِهِ ؛ عَارِفًا لَهُ حَقَّ آبَدَانِهِ بِالثِّقَةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّ مَنْ أَعْتَقَبَهَا ، وَلَا صَدُّ مَنْ
حَسَّنَ ظَنَّهُ ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنْ [مَضَى] لِلْمَلُوكِ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ [وَهُوَ يَحْتُ] مُتَطَلِّبًا
مَرْبَعًا لِلتَّأَهُلِ ، مُؤَثِّرًا لِعِمَارَةِ الْمَنْزِلِ ، رَاغِبًا فِي سَكَنِ تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ إِلَيْهِ ، وَتَعْتِمِدُ
فِي الْقَوَائِمِ وَالْمَصَابِرِ عَلَيْهِ ؛ وَكُلَّمَا عُرِضَ لِلْمَلُوكِ بَيْتُ أَبَاهُ ، أَوْ ذِكْرُ لَهُ جَنَابٌ قَطَعَ
عَنْهُ رَجَاهُ : لِعَدَمِ بَعْضِ الشُّرُوطِ الَّتِي يُرِيدُهَا فِيهِ ، وَتَعَدُّرِهَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَعَ سَمْعَهُ
ذَكَرُ سَيِّدِي ، عَلِمَ أَنَّهُ الْغَايَةُ الَّتِي لَا مَرْقُفَ بَعْدَهَا ، وَالنَّهْيَةُ الَّتِي لَا مَطْمَحَ وَرَاءَهَا ، وَأَنَّهُ
قَدْ ظَفِرَ بِالثِّقَةِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأُمْنِيَّةِ ، وَوَجَدَ مَنْ يَجْمَعُ الْخِلَالَ الْمَرْضِيَّةَ وَيَزِيدُ ؛
وَيُجُوزُ مِنَ الْفَضْلِ الشَّأَوِ الْبَعِيدِ ، وَكُتِبَ لِلْمَلُوكِ هَذِهِ الرِّقْعَةُ خَاطِبًا كَرِيمَةً فَلَانَةً
[لِيَكُونَ لَهَا] كَالْعَمْدِ الضَّامِنِ لِلْهَنْدِ ، وَالْخُلْدِ الْحَافِظِ لِلْجَلَدِ ؛ وَيَكُونُ لِمَوْلَانَا كَالْوَلَدِ
الْبَرِّ أَبِيهِ ، وَلَأَخِيهَا كَالصَّنْوَ الشَّفِيقِ عَلَى أَخِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَى سَيِّدِي أَنْ يَتَدَبَّرَ مَا كَتَبَهُ
الْمَلُوكُ وَيَتَسَمَّعَ مِنْ تَوْكِيدِ رُقْعَتِهِ مَاحِلَّتَهُ ، وَيُجِيبَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ فَلَهُ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ ؛
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رُفْعَةٌ : وَيُنْهَى أَنْ مَوْلَانَا بِمَا تَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَحَاسِنِهِ وَمَنَاقِبِهِ ، جَدِيرٌ أَنْ يَلْقَى مَنْ خَطَبَ الْاِعْتِصَامَ بَعْرَى مَازَجَتِهِ ، وَسَعَى فِي نَيْلِ عُلُقِهِ مِنْ مُوَاشَجَتِهِ ، بِالتَّجَبُّولِ ، الْقَاضِي بَنِيْلُ الْمَأْمُولِ ، وَدَرَكِ الرَّغْبِ وَالسُّوْلُ ؛ وَلَا سِيَّماً إِذَا كَانَ عَارِقًا مِنْ سُموِّ خَطَرِهِ ، وَاعْتِلَاءِ قَدْرِهِ ، مَا يَقْضَى عَلَيْهِ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ فِي مَعَاشَرَتِهِ ، وَغَضِّ الطَّرْفِ فِي مَعَامَلَتِهِ ؛ وَالْوُقُوفِ دُونَ دَرَجَةِ الْمَسَاوَةِ وَالْمِثَالَةِ ، وَالتَّرْخُوجِ عَنْ رُتْبَةِ الْمُبَارَاةِ وَالْمُطَاوَلَةِ ؛ وَالْاِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْاِتِّبَاعِ وَالْحَاشِيَةِ ، وَالْحُدُودِ وَالْغَاشِيَةِ ؛ وَكَثِيرًا مَا وَجَدَ الْمَمْلُوكُ الْبَرَكَةَ فِي مِشَارَكَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْفَرَمْنَهَا فِي مِشَارَكَةِ النَّظَرَاءِ ، وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ فِي مِشَابَكَةِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ أَجْمَلَ مِنْهَا فِي مِشَابَكَةِ الْاَكْفَاءِ ؛ الَّذِينَ يُصَادِفُونَ فِي الْحُقُوقِ شَطَطًا ، وَلَا يُغْضُونَ عَنْ يَسِيرِ الْوَاجِبَاتِ تَبَسُّطًا : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْوَصْلَةَ مِمَّنْ دَانَاهُمْ فِي الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ لَيْسَتْ عَائِدَةً عَلَيْهِمْ بِشَرَفٍ ، وَلَا مُظْهِرَةً لَهُمْ مِنْ نُحْمُولٍ . وَلَآنَ يَسْتَخْلِصُ مِثْلُ سَيِّدَى مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، مِثْلُ الْمَمْلُوكِ مِنَ الْاَوْلِيَاءِ ، وَيَخْتَصُّهُ بِأُتْرَةِ الْاِجْتِبَاءِ وَالْاِصْطِفَاءِ ؛ فَيَكُونُ مَفْخَرُهُ إِلَيْهِ مَنْسُوبًا ، وَمَا يَرْقِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِبَرَكَتِهِ مِنْ دَرَجِ الْفَضْلِ فِي نَفْسِهِ مُحْسُوبًا ؛ أَوَّلَى مِنْ طَلَبِ مُمَائِلِ يَنَاقِشُ بِقَدْرِهِ وَيُطَاوِلُ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ طَلَبَ ذَلِكَ لَطَلَبَ مُعَوِزًا ، وَرَامَ مُعْجِزًا : لَمَّا أَفْرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ السِّيَادَةِ الَّتِي لَا يُتْرَامَى إِلَى مَنْزِلَتِهَا ، وَلَا يُتَسَامَى إِلَى مُطَاوَلَتِهَا ؛ وَإِذَا كَانَ النَّظِيرُ مَعْدُومًا ، وَالْكُفُوُ مَفْقُودًا ؛ وَلَوْ وَجِدَ لَمَالَ مَتَسَلِّطًا ، وَوَقَعَ سُومُهُ مَنِسْطًا ؛ وَمَوْلَانَا يُطَلَّبُ إِلَيْهِ وَلَا يُطَلَّبُ ، وَيُرْغَبُ فِيمَا عِنْدَهُ وَلَا يَرْغَبُ ، فَقَدْ سَهَّلَ السَّبِيلُ إِلَى مَا يَرُومُهُ الْمَمْلُوكُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَيُؤْرَهُ مِنْ مُوَاسَلَتِهِ ؛ وَاتَّسَعَ الْحَجَالُ فِيمَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي تَقْلِيدِهِ شَرَفِ مُصَاهَرَتِهِ ، وَإِضَافَتِهِ بِذَلِكَ إِلَى يَطَانَتِهِ وَأَهْلِ خَاصَّتِهِ ؛ وَيُخْرِجُهُ عَلَى مَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ الْوَالِدُ وَلَدَهُ ، وَالسَّيِّدُ عَبْدَهُ ؛ وَقَدْ حَمَلَ الْمَمْلُوكُ مُوَصَّلَ

(١) لعله يشير إلى المثل العربي «عرض عليه سوم عالة» يضرب لمن يمرض عليك ما أنت عنه غني تأمل .

مطالعة هذه مالم تسع إيداعه المكاتبه، فإن رأى مولانا أن يصنعي إليه ويحبب عبده بما يعتمد المملوك في ذلك فله الفضل، إن شاء الله تعالى .

رقعة : ويُنهي أن لذوى المناجب الطيبة الأنساب، والمناحت الزكية الأحساب، والأخلاق الكريمة والآداب، بين الأنام لسان صدق يخطب لهم بالمحسن والمحامد، ويعطر بثنائهم الصادر والوارد؛ ويدعو القلوب إلى نيل علقه من مآزجهم، والتمسك بطرف من مواصلتهم؛ وقد جمع الله لمولانا من كريم المتلد^(١) والمطرف، وقديم وحديث الفضل والشرف، ما تفرق في السیادات، وتوزع على أهل الرياسات؛ وجعله في طهارة المولد، وطيبة المختد؛ وأستكمال المآثر، وأستتمام المفارح، علما ظاهرا، ونجما زاهرا؛ فما من رئيس سوى مولانا تُعجزه حلة من خلال الرياسة إلا وجدها لديه، ولا نفيس تُعوزُه خصلة من خصال النفاسة إلا أستمحها من يديه؛ ولذلك امتدت الأعناق إلى آتسك بجله، وتطلعت الهمم إلى مؤاتجته في كريم أصله؛ وصار مرغوبا إليه لارغبا، ومطلوبا لديه لاطاليا؛ وهو جدير بما وهبه الله من هذا الفضل الذائع، والنبل الشائع، أن يُحبب سائله، ويصدق أملة؛ ولا يتجهم في وجه قاصده، ولا يرده عن مقصده؛ ولا سيما إذا كان قد أسلفه الظن الجميل، وبدأه بالثقة والتأميل؛ وتعدر عليه قدر العارف بقدره، العالم بخطره؛ المرتضى بشرائطه، النازل على حكمه، المتدبر برأيه؛ وقد علم الله تعالى أن المملوك مُدْ نسا وصالح للتأهل مرغوب فيه، مخطوب إليه؛ من عدة جهات جليلة، وجنات رئيسة؛ والمملوك صاّد عن الإجابة، صارف عن المطاوعة؛ لشذوذ بعض الشروط التي يروم أن تكون مجتمعة في النسب، الذي أعده شريكا في الولد والنسب؛

(١) المتلد (أى ككرم) ما ولد عندك من مالك أو نتج وما لم يولد قديم .

ومُفَاوَضًا فِي الْحَالِ وَالسَّبَبِ ؛ مَرْتَادٌ مِنْ يَقْنَعُ بِالْمَوَاقِفِ ، وَيَرْتَضِ ، بِالْعِشْرَةِ وَالْمَرَاقِفَةِ ؛
 حَتَّى أَفْضَى فِي الْإِتِّقَادِ إِلَى مَوْلَانَا فَوَجَدَ الْمُرَادَ عَلَى أَشْتَرَاتٍ ، وَأَلْفَى الْمَقْصُودَ عَلَى
 أَشْتَطَاتٍ ؛ فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى التَّهَيُّمِ بَعْدَ الْإِحْجَامِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى التَّجَاسُّرِ وَالْإِقْدَامِ ؛
 وَالتَّوَسُّلِ إِلَى مَوْلَانَا بِمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ الْأَحْرَارُ ، إِلَى الْأَخْيَارِ ، وَأُمِّهِ بِصَادِقِ الرِّغْبَةِ وَصَمِيمِ
 الْحُبِّ وَالْإِنْبِسَاطِ ، فِي خِطْبَةٍ كَرِيمَتِهِ فَلَانَةٌ ؛ عَلَى أَنَّ يَعَاشِرَهَا بِغَايَةِ الْأُنْسِ ، وَيَصْحَبَهَا
 صُحْبَةً الْجَسَدِ لِلنَّفْسِ ؛ وَيَعْرِفَ لَهَا مِنْ قَدَرِ أَبَوْتِهَا وَأُمُومَتِهَا مَا تَسْتَحِقُّ بِرِيَاسَتِهَا ،
 وَقَدْ أَصْدَرَهُ هَذِهِ الرِّقْعَةَ نَائِبَةً عَنْهُ فِي ذَلِكَ ؛ فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا أَنْ يُخَيِّفَهُ بِالْقَبُولِ ، وَيَجْعَلَهُ
 أَهْلًا لِإِجَابَةِ السُّؤْلِ ، فَلَهُ الْفَضْلُ فِي ذَلِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن النادر الغريب ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل"
 في الكتابة إلى شخص في تزويج أمه ، وهو :

هذه المكاتبة إلى فلان - جعله الله ممن يُؤثِرُ دِينَهُ عَلَى الْهَوَى ، وَيَنْوِي بِأَفْعَالِهِ
 الْوُقُوفَ مَعَ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِيمَا
 يَسْرُهُ اللَّهُ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ الشَّرَّ وَالْمَكْرُوهَ فِيمَا طَوَى ؛ نَعْرِضُ لَهُ
 بِأَمْرِ لَاحِرَجٍ عَلَيْهِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ ؛ وَلَا خَلَلَ يُلْحِقُهُ بِهِ فِي الْمُرُوءَةِ وَهَلْ أَخْلَّ بِالْمُرُوءَةِ
 مَنْ فَعَلَ مَا حَصَّ الشَّرْعُ الْمُطَهَّرُ عَلَيْهِ ؛ وَأَظْهَرُ النَّاسِ مُرُوءَةً مَنْ أْبْلَغَ النَّفْسَ فِي مَصَالِحِ
 حَرَمِ عُدْرَتِهَا ، وَوَفَّى مِنْ حَقِّقٍ أَخْصَنَ بِيَرِّهِ كُلَّ مَا عَلِمَ أَنَّ فِيهِ رِبًّا ؛ وَإِذَا كَانَتْ
 الْمَرْأَةُ عَوْرَةً ، فَإِنَّ كَمَالَ صَوْنِهَا فِيمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ سِتْرَهَا ، وَصَلَاحَ حَالِهَا فِيمَا أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ
 فِي الْحَيَاةِ أَمْرَهَا ، وَإِذَا كَانَتْ النِّسَاءُ شَقَائِقَ الرِّجَالِ فِي بَاطِنِ أَمْرِ الْبَشَرِيَّةِ وَظَاهِرِهِ ،
 وَكَانَ الْأَوَّلَى تَعْجِيلَ أَسْبَابِ الْعِصْمَةِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَوَّلٍ [وَقْتُ] الْإِحْتِيَاجِ [إِلَى ذَلِكَ]

وآخره ؛ وما جَدَعَ الحلالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ إِلَّا لِيُزَوَّلَ شَمُّ الْحَيَّةِ ، وَتَنَزَلَ عَلَى حَكَمِ اللَّهِ فِيما
 شَرَعَ لعباده النَّفُوسَ الْأَيَّهَ ، وَيُعَلِّمُ أَنَّ الْفَضْلَ فِي الْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى
 بَعْضُ الْوَلِيَّةِ ؛ وَإِذَا كَانَ رُ الْوَالِدَةِ أَتَمَّ ، وَحَقُّهَا أَعَمَّ ؛ وَالنَّظَرُ فِي صَلَاحِ حَالِهَا أَهَمُّ ؛
 تَعَيَّنَتِ الْإِجَابَةُ إِلَى مَا يَصْلُحُ بِهِ حَالُهَا ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ بِأَلْهَا ، وَيَتَوَقَّرُ بِهِ مَالُهَا ، وَيَعْمُرُ
 بِهِ فَنَافُؤُهَا ؛ وَيَحْصُلُ بِهِ عَنْ تَقْلُدِ الْمَنِّ اسْتِغْنَاؤُهَا ، وَتُحْمَلُ بِهِ كُلْفَةُ خَدَمِهَا عَنْهَا ،
 وَتُدْفَعُ بِهِ ضَرُورَاتُ الْأَبْدِ لَدَوَاتِ الْحِجَابِ وَالْمَجَالِ مِنْهَا ، وَيَضْفُو بِهِ سِتْرُ الْإِحْصَانِ
 وَالْحَصَانَةِ عَلَيْهَا ، وَيُظْهِرُ بِهِ سِرَّ مَا أَوْجِبَهُ اللَّهُ لَهَا مِنْ تَتَبُّعِ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا .

وقد تقدَّم من ساداتِ السَّلَفِ مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ لَوَالِدَتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَاعْتَدَّهُ مِنْ أَسْبَابِ
 رِيُومِهِ الَّذِي قَابَلَ بِهِ مَا سَلَفَتْهُ إِلَيْهِ فِي أُمِّهِ ؛ عَلِمَا مِنْهُمْ أَنَّ اسْتِكْمَالَ الرَّبِّ مِمَّا يُعَلَى
 قَدَرِ الْمَرْءِ وَيُغْنَى ؛ وَقَدْ أَجَابَ زَيْدُ بْنُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ هِشَامًا مَّا سَأَلَهُ : لِمَ زَوَّجْتَ
 أُمَّكَ بَعْدَ أَبِيكَ ؟ فَقَالَ : لِنَبَشِّرَ بِأَخْرَمِثِلِي ، لِأَسِيَّاءِ الرَّاعِبِ ^(١) [إِلَى الْمَوْلَى] فِي ذَلِكَ
 مَنْ يُرْغَبُ فِي قُرْبِهِ ، وَيُغْبَطُ عَلَى مَالِدِيهِ مِنْ نِعَمِ رَبِّهِ ؛ وَيَعْظَمُ لِاجْتِمَاعِ ذُنُوبِهِ وَدِينِهِ ،
 وَيُكْرَمُ لِيَمْنِ نَقِيَّتِهِ وَجُودِ يَمِينِهِ ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعَقِيلَةَ تَحُلُّ مِنْهُ فِي أَمْنٍ حَرَمٍ ، وَتَسْتَظِلُّ
 مِنْ ذَرَاهِ بِأَضْفَى سُتُورِ الْكَرَمِ ، مَعَ ارْتِفَاعِ حَسَبِهِ ، وَاسْتِهَارِ نَسَبِهِ ، وَعُلُوِّ قَدْرِهِ
 فِي مَنْصِبِهِ وَحَالِهِ وَسَبَبِهِ ، وَأَنَّهُ مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يُحَلَّ مِنَ الْمَوْلَى حَمْلٌ وَالِدِهِ ، وَأَنْ يُجَمَّلَ
 مِنْ دُرِّيَّتِهِ بَمَنْ يَكُونُ فِي الْمِلَلَاتِ بَنَانًا لِيَدِهِ وَعَضْدًا لِسَاعِدِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرًا بِأَخِيهِ ،
 وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ بِحَكَمِ الْحَاجَزِ لَفْظُ الْعُمُومَةِ ، فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُوءُ أَبِيهِ ؛ وَأَنَا أَتَوَقَّعُ
 مِنَ الْمَوْلَى الْجَوَابَ بِمَا يَجْمَعُ شَمْلُ التَّقَى ، وَيُعَلِّمُ بِهِ أَنَّهُ تَخَيَّرَ مِنَ الرَّبِّ الْأَفْضَلَ مَا يُتَّقَى ؛
 وَيَتَحَقَّقُ بِفَعْلِهِ أَنَّ مَثْلَهُ لَا يَهْمِلُ وَاجِبًا ؛ وَلَأَمْرِ مَا قَالِ الْأَحْنُفُ وَقَدْ وُصِفَ بِالْأَنَانَةِ :
 لَكِنِّي أَتَعَجَّلُ أَنْ لَا أَرْدَّ كُفُوءًا خَاطِبًا .

النوع التاسع

(في الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار)

قال في "موادّ البيان" : المكتبة في استعطاف الرؤساء ، وملاطفة الكبراء ، تحتاج إلى حُسن تأتٍ : لما تشتمل عليه من إيجاب حقوق الخدمة ، وما أسلفوه من مرعى الخدم ، وما يتبع هذا من التنصل والاعتذار الذي يسأل السخائم من القلوب ، ويستترل الأوغار من الصدور ، ويُطلع الأنس وقد غرّب ، ولها موقع في تأليف الكلام .

قال : وينبغي للكاتب أن يستعمل فيها فكره ، ويوقّها حقها من جودة الترتيب ، واستيفاء المعاني ، وأن يذهب إلى استعمال الألفاظ الجامعة لمعاني العذر ، الملوحة بالبراءة مما قُرف به ؛ ولا يُخرج لفظه مُحرج من يُقيم الحجة على براءة الساحة مما رُمي به ، فإنّ ذلك مما يكرهه الرؤساء : لأنّ عادتهم جارية بإيثار اعتراف الخدام لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالفروض : ليكون لهم في العفو عند الإقرار عارفة توجب شكرا مستأنفا ؛ فاما إذا أقام التابع الحجة على براءته وسلامته مما رُفع عنه ، فلا يُوضع الإحسان إلا إليه في إقراره على منزلته ، والرضا عنه والاستعطاف ، بل ذلك واجب له ، في منعه منه ظلم .

(١) في الاصلين «ما قرب منه» وهو تصحيف من النسخ .

(٢) المراد أن إقراره والرضا عنه ليس من الاحسان بل من الواجب تأمل .

وهذه نسخ من ذلك :

لأبي الحسين بن سعد :

إِن رَأَيْتَ أَنَّ تَنْظَرَ فِي أَمْرِي نَظْرًا يُشْبِهُ أَخْلَاقَكَ الْمَرْضِيَّةَ وَيَكُونُ لِحَسَنِ ظَنِّي بِكَ مَصَدَّقًا، وَلِعَظِيمِ أَمَلِي [فِيكَ] مُحَقَّقًا، وَلِمَا لَمْ تَزَلْ تَعِدُّنِيهِ مُنْجِزًا، وَلِحَقِّ حُرْمَتِي بِكَ وَقَدِيمِ اتِّصَالِي بِأَسْبَابِكَ قَاضِيًا، فَعَلْتُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لسليمان بن وهب .

مَنْ أَنْصَرَفَ فِي الْاِحْتِجَاجِ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمَا يَلْزَمُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَازِمًا، فَقَدْ لَطَفَ الْاِسْتِعْطَافُ، وَأَسْتَوْجِبُ الْمَسَاحَةَ وَالْإِنْصَافَ .

ومنه : وقد نالني من جَفْوَةِ الْأَمِيرِ بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَتَعَرَّفُ مِنْ رِيِّهِ وَالطَّافَةِ أَمْرٌ أَهْلِي حَلَّ الْمُذْنِبِ فِي نَفْسِي مَعَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الذَّنْبِ ، وَالزَّمَنِي الْإِسَاءَةَ مَعَ الْخُرُوجِ مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَزَادَهُ عِنْدِي عِظَمًا وَشِدَّةً أَنِّي حَاوَلْتُ الْخُرُوجَ مِنْهُ بِالْاِعْتِذَارِ، فَلَمْ أَجِدْهُ إِلَى الْأَمِيرِ ذَنْبًا أَعْتَذَرُ مِنْهُ ، وَلَا عَلَى فِيمَا أَلْزَمَنِي مِنْ مَعْتَبَتِهِ حُجَّةً أَحَاوِلُ دَفْعَهَا وَالتَّخَلُّصَ مِنْهَا ؛ فَأَصْبَحْتُ أُعَاجِلُ مِنْ ذَلِكَ دَاءً قَدْ خَفِيَ دَوَائُهُ، وَأَحَاوِلُ صِلَاحَ أَمْرِي لَمْ أَجِنِ فُسَادَهُ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا فَتَصِلْ قَدِيمَ مَا صَبَحَ عِنْدِي مِنْ مَعْرُوفِكَ بِحَدِيثِهِ ، فَلَيْسَ عِنْدِي فِي مَطَالِبَةِ حُجَّةٍ أَنْجِجُ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْأَمِيرِ بِنَفْسِهِ ، وَالثَّقَةِ عِنْدَهُ بِفَضْلِهِ ، فَإِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا عَفَا ، وَإِنْ كُنْتُ بَرِيئًا رَاجِعَ .

ومنه : لأبي علي البصير .

وَأَنَا أَحَدُ مَنْ أَسْكَنَتْهُ ظِلُّكَ، وَأَعْلَقَتْهُ حَبْلُكَ ، وَحَبَوْتَهُ بِلَطِيفِ بَرِّكَ ، وَخَاصَّ عَنَائِكَ، وَأَتَتَّصَفَ بِكَ مِنَ الزَّمَانِ، وَأَسْتَعْنِي بِإِخَائِكَ عَنِ الْإِخْوَانِ ؛ فَهُوَ لَا يَرْغَبُ

إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَنْجِحُ طَلَبُهُ إِلَّا بِكَ ؛ وَقَدْ كَانَ فَرَطَ مَنْ
 قَوْلُ : إِنْ تَأَوَّلْتَهُ لِي ، أَرَاكَ أَوْجُهُ عُدْرِي ، وَقَامَ عِنْدَكَ بِحُجَّتِي ، فَأَغْنَانِي عَنْ تَوْكِيدِ
 الْإِيمَانِ عَلَى حُسْنِ نَيْتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَى ، أَحَاقَ بِي لَائِمَتُكَ وَحَبْسُنِي عَلَى [أَسْوَأِ]
 حَالٍ عِنْدَكَ ؛ وَقَدْ أَتَيْتُكَ مَعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْوَجْدَةِ ؛ عَائِدًا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ،
 فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقَرَّرَ عَيْنًا قَرَّتْ بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تُسَلِّبْنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي ، وَأَنْ تَقْتَصِرَ
 مِنْ عَقُوبَتِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَالَنِي بِسَبَبِ عَثْبِكَ عَلَيَّ ، وَتَأْمُرَ بِتَعْرِيفِي رَأْيِكَ بِمَا
 يُطَافِئُ هَلَعِي ؛ وَتُسَكِّنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ بِهِ رُوعِي ، فَعَلْتُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لابی الحسین بن أبی البغل .

نُبُو الطَّرْفِ مِنَ الْوَزِيرِ دَلِيلٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ عِنْدَهُ ، وَالْجَفَاءُ مِنْ عَوْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْهُ
 شَدِيدٌ ؛ وَقَدْ آسَدَلْتُ بِإِزَالَةِ الْوَزِيرِ إِيَّائِيَ النَّحْلَ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُنِي بِتَطَوُّلِهِ ، عَلَى مَا
 سَوْتُ لَهُ ظَنًّا بِنَفْسِي ؛ وَمَا أَخَافُ عَثْبًا : لِأَنِّي لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا ؛ فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنَّ
 يَقُومَنِي لِنَفْسِي ، وَيَدُلَّنِي عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنِّي ، فَعَلْتُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لأبی الربیع .

أَصْدَقُ الْمَقَالِ ، مَا حَقَّقَهُ الْفَعَالُ ، وَأَفْضَلُ الْخَبَرِ ، مَا صَدَّقَهُ الْأَثَرُ .

ومنه : لِمَوْلَانَا سِيرَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا أَمَلَهَا أَمَلٌ إِلَّا جَادَتْ وَسَخَتْ
 وَمَتَحَتْ ، وَعَوَائِدُ فِي الْعَفْوِ مَارَجَاهَا رَاجٍ إِلَّا صَفَحَتْ وَسَمَحَتْ ؛ وَأَحَقُّ مَنْ تَلَقَّاهُ
 عِنْدَ الْعِتَارِ ، بِالْإِقَالَةِ وَالْإِغْتِفَارِ ، وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ حَدِّ التَّقْوِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلَمْ يُعْرِضْهُ

لنقيصة الإقضاء والإطراح، مَنْ شَقَعَ الْحَقْوَةَ بِالْإِعْتِذَارِ، وَخَطَبَ التَّعَمُّدَ بِلِسَانِ
الإِفْرَارِ؛ وَدَلَّتِ التَّجَارِبُ مِنْهُ عَلَى حَسْمِ الْأَضْرَارِ؛ وَكَانَ لَهُ مِنْ سَالِفِ الْخِدْمِ وَسَائِلُ
وَذَرَائِعُ، وَمِنْ صَحِيحِ الْإِخْلَاصِ مُمَهَّدٌ وَشَافِعٌ؛ فَلَا عَجَبَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ يَهْفُو فَيَعْفُو،
وَيَظْلِمُ فَيَكْظِمُ، وَيَجْهَلُ فَيَحْلُمُ، وَيُخْطِئُ فَيُصِيبُ، وَيَدْعُو مُتَنَصِّلًا فَيُجِيبُ؛ وَقَدْ جَعَلَ
اللَّهُ سَهْمَهُ الْمَعْلَى، وَيَدَهُ الطُّوْلَى، وَأَلْهَمَهُ التَّفَضُّلَ بِالْإِنْعَامِ، وَالتَّغْيِصَ عَنْ زَلَّاتِ
الْكَرَامِ؛ وَقَدْ حَصَلَ لِلْمَمْلُوكِ فِي هَذِهِ النُّبُوَّةِ مِنْ إِزْرَائِهِ عَلَى عَقْلِهِ، وَتَقْيِيحِهِ لِفِعْلِهِ؛
أَعْظَمُ تَجْرِبَةٍ، وَأَكْبَرُ مَادَّةٍ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ إِحْسَانَ سَيِّدِي أَنْ يُعِيدَهُ إِلَى رِضَاهِ
وَلُطْفِهِ، وَيُؤْنِسَ مِنْهُ مَسْتَوْحِشَ إِقْبَالِهِ وَعَظْفِهِ؛ وَيَصَدِّقَ رَجَاءَهُ فِيهِ، وَيُجِزِلَ
ثَوَابَ وَقَادَتِهِ عَلَيْهِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

رَقْعَةٌ : الْمَمْلُوكُ يُخْطَبُ صَفْحَ سَيِّدِهِ وَإِقَالَتَهُ بِلِسَانِ الْإِعْتِذَارِ، وَيَسْتَعِيدُ
مَاعَرَفَ مِنْ رِضَاهِ وَعَاطِفَتِهِ بِوَسَائِلِ الْإِعْتِذَارِ: لِيَكُونَ الْمُتَفَضَّلُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ،
وَالْمُنْعَمِ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ؛ وَقَدْ عَرَفَ السُّهُوَ وَالنَّسْيَانَ، الْمُعْتَرِضِينَ لِلْإِنْسَانِ؛ وَأَنْهَمَا
يُحُولَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، وَيُزَوِّرَانِ عَلَيْهِ خَطَاةَ فِي صُورَةِ صَوَابِهِ؛ فَيَتَوَرَّطُ فِي السَّقَطِ
غَيْرَ عَامِدٍ، وَيَتَهَوَّرُ فِي الْغَلَطِ غَيْرَ قَاصِدٍ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ
فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾. وَمَا أَوْلَى مُوَلَانَا بِأَنْ يُحْفَظَ
عَلَى الْمَمْلُوكِ جَمِيلُ آرَائِهِ، وَلَا يَسْلُبَهُ مَا شَبَّهَ مِنْ ظِلِّ آلَائِهِ؛ وَلَا يَسِمَهُ بِمِيسَمِ الْعُقُوقِ
فَإِنَّهُ يَجِدُ نَفْسَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ فِي طَاعَتِهِ، وَمُرْتَبَتِهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الرِّتَةِ فِي خِدْمَتِهِ.

فَصْلٌ : وَقَدْ آوَى سَيِّدِي الْمَمْلُوكُ مِنْ ظِلِّهِ، وَأَعْلَقَهُ مِنْ حَبْلِهِ، وَأَسْنَعَ عَلَيْهِ
مِنْ فَضْلِهِ، مَا أَنْصَفَهُ بِهِ مِنَ الزَّمَانِ، وَأَغْنَاهُ عَنِ الْإِخْوَانِ، وَوَقَّفَ رَغْبَاتِهِ عَلَيْهِ،
وَصَرَفَ آمَالَهُ إِلَيْهِ، وَزَلَّهَ مَنَزَلَهُ مَنْ لَا يَشْكُ فِي أَعْتِقَادِهِ، وَلَا يَسْتَرِيبُ بِوَدَادِهِ؛ وَكَانَ

المملوك أرسل لفظاً على سبيل الإشفاق ذهب به الحاسد إلى غير معناه ، وخالف في تفسيره حقيقة مغزاه ، وأحاله عن نيته ، وعرضه عليه على غير صورته : ليوحش محل المملوك المانوس من رعايته ، وينقر سر به المطمئن بملاحظته وعنايته ؛ وقد أرسل المملوك هذه العبودية سائلاً في نحو إظلام موجدته ، وأن يعيد المملوك إلى مكانه من حضرته ؛ إن شاء الله تعالى .



لا أتوسل إليك إلا بك ، ولا آتيك إلا من بابك ؛ ولا أستشفعُ إليك بسؤالك ، ولا أكل رجعة هواءك إلا إلى هواءك ؛ ولا أنتظرُ إلا عطفتك التي لا تقودها زخارف الأموال ، ولا تُعيدُها شفاعات الرجال :

إذا أنت لم تعطفك إلاشفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع

شعر في معنى ذلك :

هَبْنِي تَخَطَّيْتُ إِلَى زَلَّةٍ * ولم أكن اذنبتُ فيما مضى !
أليس لي من قبلها خدمة * تُوجبُ لي منك سبيل الرضى !

غيره :

وَحَقِّكَ مَا هَجَرْتُكَ مِنْ مَلَالٍ * وَلَا أَعْرَضْتُ إِلَّا خَوْفَ مَقْتٍ !
لأنَّ طَبَائِعَ الْإِنْسَانِ لَيْسَتْ * عَلَى وَفْقِ الْإِرَادَةِ كُلِّ وَقْتٍ !

اعتذار عن التأخر ، من ترسل أبي الحسين بن سعد .

إن لم يكن في تأخرى عنك عذرٌ تقبله ، فاجعله ذنباً تغفره .

على بن خلف :

الأعذار - أطل الله بقاء سيدي - تنأى على الامتناع ، ونضيق على الاتساع ؛
وذلك بحسب ما تصادفه من قبول ورد ، ومساحة ونقد ؛ وأنا أحمد الله على أن
جعل عذري إلى من يتمحل العذر للعذر ، ويصفح صفح المالك المقتدر ، كأنما
اتم بقول الشاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالاً لزلة عذرا

ولم يبعه إلى من يغلب هاجس الظنون ، على واضح الحجّة ، ومعتل الشك على
صحيح اليقين . ونمى إلى أن غابط المكانى من حضرته ، حسدني على محلى من
مودته ، وزور ما ينكشف عن الإفك والبهتان ، ودلس الكذب في صورة البرهان ؛
فلما جلّاه في معارض زخارفه أظهر لسيدى عوارّه ، وأبدى لطرفه شوارّه ؛ فسلّ
سمعه عن وعيه ، وطرف طرفه عن رعيه ؛ وأستمّ علاميم شيمته ، في حُسن الظنّ
بأحبته ؛ فقدمت من الاعتذار ما يقدمه المذنب تزولاً على طاعته ، وتأدباً في خدمته ،
وشفاعة من الشكر بما يقتضيه إحسانه ويوجهه .

أبو الفرج البيهقي :

أحقّ المعاذير بالتقبل وأولاهما بسعة القلوب ما صدر عن استكانة الأقدار ، ودلّ
على حسم مواد الأضرار ، وصفاً من كدر الاحتجاجات ، وتزّه عن تمحل الشبهات ؛
ليخلص به ملك العفو ، وتكامل نعمة التجاوز . ولست أكره شرف تأديبه ، ونبل
تثقيفه وتهذيبه ؛ ما لم يتجاوز في العقوبة والتقويم إلى مؤلم الإعراض ، ومضيق

(١) أى عيبه وشل سمعه أى طرده والمراد أنه لم يصغ إليه .

التَّشْكُرُ وَالْإِقْبَاضُ ؛ وَلَا أُخْطَبُ الْإِقَالَةَ مِنْ تَفْضُّلِهِ إِلَّا بِلِسَانِ الثَّقَةِ وَشَافِعِ الْحُدْمَةِ ،
 هَارِبًا إِلَى سَعَةِ كَرَمِهِ مَا دَفَعْتَنِي الْمَحَبَّةُ إِلَيْهِ ، وَأَسْفَى بِي عَدَمُ التَّوْفِيقِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ
 يَكُونَ عِنْدَ أَحْسَنِ ظَنِّي بِهِ فِي الصَّفْحِ ، كَمَا هُوَ عِنْدَ أَصْدَقِ أَمَلِي فِيهِ بِالْإِنْعَامِ ، فَعَلَّ .
 وله في مثله :

لَيْسَ يَخْلُو الْإِغْرَاقُ فِي التَّنْصِلِ وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْإِعْتِذَارِ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ ، أَوْ تَمَسُّكُ
 بِاعْتِرَاضِ شُبْهَةٍ ، وَأَنَا أَجَلُّ مَا أُخْطَبُهُ مِنْ عَظِيمِ عَفْوِهِ ، وَأَكْبَرُ مَا أُحَاوِلُهُ مِنْ نِعْمَةٍ
 تَجَاوِزُهُ ؛ عَنْ الْمَقَابِلَةِ بَعَيْنِ الْإِعْتِرَافِ بِالزَّلَلِ وَبَعْدِ الْإِسْتِحْقَاقِ مِنَ الصَّفْحِ ، مَا لَمْ يُوجِبْ
 لِي بَسْعَةَ تَأْوُلِهِ ، وَيَعُدُّ عَلَيَّ فِيهِ بَعَادَاتِ تَفْضُّلِهِ : لِتَصْفُو مِنْهُ الْأَعْضَاءُ ، وَلَتَرْمَنِي
 وَاجِبَاتُ الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ ؛ غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مَعَ ذَلِكَ مِنَ التَّبَرُّيِّ إِلَيْهِ مِمَّا أَنْكَرَهُ مِنْ تَجَاوُزِ السَّهْوِ
 إِلَى الْعَمَلِ ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى مَا قَرِطَ بِالْإِخْتِيَارِ وَالْقَصْدِ الَّذِينَ يُغْفَرُ بِتَجَنُّبِهِمَا مَذْمُومُ
 الْأَفْعَالِ ، وَيَتَغَمَّدُ سَيِّئَ الْأَعْمَالِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَجْمَلَ أَمْرِي فِيمَا قَصَدْتَنِي الْأَيَّامُ بِتَوَجُّهِ
 الظُّنُونِ فِيهِ عَلَى غَيْرِ النِّيَّةِ لِظَاهِرِ الْفِعْلِ ، إِذْ كَانَتْ صِفَاتُ الْإِنْسَانِ بِالْأَشْهَرِ مِنْ
 أَخْلَاقِهِ وَالْأَكْثَرِ مِنْ أَفْعَالِهِ ، وَلَا صِفَةَ لِي أَعْرَفُ بِهَا وَأَنْسَبُ إِلَيْهَا غَيْرَ الْإِعْتِرَافِ
 بِإِنْعَامِهِ ، وَالتَّطَاوُلِ مِنْ اصْطِنَاعِهِ ، آخِذًا مِنْ كُلِّ حَالٍ بِالْفَضْلِ ، وَمَشْفَعًا بِسَطَةِ
 الرِّيَاسَةِ وَالتَّبَلُّلِ .

وله في مثله :

لَسْتُ أَخْلُو فِي الْمُدَّةِ الَّتِي تَجَاوَزَ الدَّهْرُ لِي عَنْهَا فِي خِدْمَتِهِ مِنْ تَوْصُلِ بَقَرِطِ
 الْجَهْدِ ، إِلَى مَا وَصَلَ مِنْ رَأْيِهِ إِلَى رُبَّةِ التَّقَبُّلِ وَالْإِحْمَادِ ؛ وَلَيْسَ يَحْبِطُ مَا تَيْتَبُهُ مِنْ
 مَرْضَى الْحُدْمَةِ بِالنِّيَّةِ وَالْعَمْدِ بِمَا لَعَلَّهُ قَرِطَ مِنْ غَيْرِ مُرَادٍ ؛ إِذْ كَانَ - أَيْدَهُ اللَّهُ بِفَائِضِ

طَوَّلَهُ ، وَمَأْثُورَ فَضْلِهِ - أَخْذًا مِنْ آدَابِ اللَّهِ بِمَا أَحَاكَمَهُ مِنْهُ : ^(١) ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ﴾ . وَ [لَوْ] لَا يُبَارَى مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ وَاسْتِكَانَةِ الْإِعْتِدَادِ ؛ وَأَنْ لَا أُخْطَبَ
رِضَاهُ بِلِسَانِ الْإِحْتِجَاجِ ، وَلَا أُلْتَمَسَ عَفْوُهُ بِوُجُوبِ الْإِسْتِحْقَاقِ : لَتَسَلَّمَ لَهُ صِفَاتُ
التَّفَضُّلِ ، وَلَى مَوَاتُ الْإِعْتِرَافِ بِسَالِفِ التَّطَوُّلِ ؛ لِبَرَهْنَتِهِ عَلَى سَلَامَتِي بِمَا قُصِرَ عَلَى
بِتَوَجُّهِ الظُّنُونِ وَاعْتِرَاضِ الْأَوْهَامِ ؛ وَلَا أَقُولُ بِشَعَثِ النِّيْسَةِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ ؛ فَإِنْ رَأَى
أَنْ يَحْفَظَ مَا أَبْتَدَأَهُ مُخْتَارًا مِنْ أَصْطِنَاعِي بِمَا يَصُونُهُ عَنِ التَّنَكُّرِ ، وَيَصُونَنَّ عَادَتِي
فِي شُكْرِ ذَلِكَ وَالْإِعْتِدَادِ بِهِ عَنِ الْفُتُورِ وَالتَّغْيِيرِ ، فَعَلَّ .

أَجُوبَةُ الْأَسْتِرْضَاءِ وَالْإِسْتِعْطَافِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : لَا يَخْلُوُ الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَقْبَلَ
الْعُذْرَ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمَوْجِدَةِ وَيَرْفُضَ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ حُجَّةٍ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ قَبِلَ
الْعُذْرَ ، وَجَبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابُ عَلَى وُصُولِ الْكِتَابِ ، وَالْوُقُوفِ عَلَيْهِ ، وَالتَّاقِبِلِ لِمَا
تَضَمَّنَهُ ، وَتَبَرُّئِهِ الْمُعْتَذِرِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، وَالْإِنْقِيَادِ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ
وَالْإِفْرَارِ ، إِكْرَامًا لِحُلَّتِهِ عَنِ التَّهْمَةِ ، وَلِلوَدَّةِ عَنِ الظَّنَّةِ : فَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي أَوْجَبَ
الْعُذْرَ لَوْ صَدَرَ مِنْهُ ، لَأَقْتَضَى وَدَادَهُ التَّأَوُّلَ لَهُ بِأَنَّهُ مَا صَدَرَ إِلَّا عَنْ بَاطِنٍ سَلِيمٍ
وَمُصْلِحَةٍ أَوْجَبَتْهُ . قَالَ : وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يُجَابُ بِهِ مَنْ قَبِلَ عُذْرَهُ
فَقَطْ : لِأَنَّهُ يَحْجُوزُ أَنْ يُجِيبَ بِأَنَّهُ قَدْ قَبِلَ الْعُذْرَ ، وَصَفَحَ عَنِ الْجُرْمِ ، عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ
إِلَى مِثْلِهِ . وَإِنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى الْقَصْدِ ^(٢) ، بَنَى الْجَوَابُ عَلَى إِبْطَالِ الْعُذْرِ وَمُعَارَضَتِهِ بِمَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ «إِلَيْهِ» .

(٢) فِي الْأَصُولِ «وَلَا يُبَارَى عَلَى مُفْتَرَضٍ ... لَا أُخْطَبُ الْخ» .

(٣) أَيْ قَصْدَ الْبَصَدَةِ وَنَبَى عَلَى هَجْرِهِ وَلَمْ يَقْبَلِ الْإِعْتِذَارَ .

يقتضيه ؛ والدلالة على خطأ المعتذر ، وأنه مما لا يسوغ الصفح عنه ، ولا يليق بالحزم إقالتة .

قال : وهذان معنيان يجلان من العبارة ما لا يكاد يتحصر في قول مشروح مبسوط ؛ فضلا عن قول مجمل موجز ، إلا أن المتدرب بالصناعة إذا مرت به هذه الأصول أمكنه التفرغ عليها .

النوع العاشر

(في الشكوى - أعاذنا الله تعالى منها)

قال في " مواد البيان " : رِقَاعُ الشَّكْوَى - عَصَمَنَا اللهُ مِنْ مُوجِبَاتِهَا - يجبُ أن تكون مبنيةً من صفة الحال المُشْكِيَةِ ، على ما يُوجب المشاركة فيها ويُقضى بالمساعدة إن استُدْعِيَتْ عليها ، من غير إغراق يُقضى إلى تَطْلِيمِ الأقدار وإحباط الأجر ، وشكوى المبتلى بالخير والشر سبحانه وتعالى ، ويدلُّ على التهاك بالجزع ، وضعف التماسك وقوة الهلع ؛ باستيلاء القنوط والإيأس ، وأن يشفع الشكوى بذكر الثقة بالله سبحانه ، والتسليم إليه ، والرضا بأحكامه ، وتوقع الفرج من عنده ، وتلقّي اختبارِه بالصبر ، كما تتلقّى نعمه بالشكر ؛ ونحو هذا مما يليق به ويجرى مجراه . قال : وقد يكتبُ الأتباعُ للرؤساء رِقَاعاً بِشَاكِيَةِ الأحوال ومساءلة النظر ؛ ثم ذكر أن سبيل هذه الرِّقَاع أن يُعَدَّلَ بها عن التصريح بالشكوى إلى لَفْظِ الشكر ومعناه ، وطلب الزيادة والإلحاق بالنظر في الإحسان : لما في إطلاق الشكاية ، والتصريح بها من التعريض بإخلال الرئيس بما يلزمه النظر فيه من أحوال خاصتهم وتعهّد مراقبتهم من الكفاية .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة شكوى هموم :

كتب المملوك هذا الكتاب وهو رهين فكرٍ وغمٍّ ، وقلبي وهمٍّ ، وحليف جوى قد سكن القلب ، وخوفي قد أطار اللب ، وبالله العياذ ، وهو الملائذ ، وبيده تحلّ العُقدة ، وبأمره تزل الشدة ، وقد ألهم الله سبحانه المملوك صبرا يسر أمره ، وأملا في الفرج خفف ضره ؛ وليس بأئس من عطفته ، ولا قانط من نعمته .

رقعة في معنى ذلك :

كتب المملوك وهو شاك لتجاهل الأيام ، وقيد من مواقع سهامها الرغية الكلام ؛ منهوم بهموم تضعف الجليد ، وتسوء الوديد ، وتسر الحسود ، لاق من قسوة الدهر وفظاظته ، ونبوة العيش ونفرتة ، ما يرد الجفون عن الهجوع ، ويغرق العيون بالدموع ، والله تعالى في عبادته أفضية يقضيها ، وأقدار يمضيها ؛ والله أسأل حسن العاقبة والختام ، وتمحيص الأوزار والآثام .

رقعة : كتب المملوك وجسمه صحيح ، وقلبه قريح ، وجنانه سليم ، وجنابه سقيم : لما يتبادر إليه من نكايات تفدح وتقرح ، وحادثات تكلم وتجرح ؛ ونوب تهض ، وتهدم وترض ، وخطوب تخاطب شفاها ، وتوصل من اليد إلى اليد أذاها ؛ إلا أن الله يهب ريح الميع ، وقد تداكت الحن فينشفها ، ويشق عمود الفرج ؛ وقد أدلهمت فيكشفها ؛ وظن المملوك بالله تعالى جميل ، وله في صنعه ولطفه تأميل .

رقعة : وينهى أنه قد كتب هذه العبودية بيد قد أعرشتها الآلام ، يملئ عليها قلب قد قلبته الأسقام ؛ فحسمه ناكل ، وجسده بعد النضرة قاحل ؛ وقواه قد

وَهَنَتْ ، وَجَلَادَتُهُ قَدْ وَهَتْ ؛ وَصَبْرُهُ قَدْ تَحَلَّى وَأَضْطَرَبَ ، وَتَحْمَلُهُ قَدْ نَأَى وَأَقْتَرَبَ ؛
وَعَادَ شَبَحًا مِنَ الْأَشْبَاحِ ، وَهَبَاءً تَذُرُّهُ الرِّيحُ ؛ فَلَوْ أَعْتَلَقَ بِشَعْرَةٍ لَمْ تَتَصَرِّمْ ، أَوْ وَجَلَ
نَحْرَتَ إِبْرَةٍ خَيَّاطٍ لَمْ تَتَفَصِّمْ ؛ وَلَوْلَا الثَّقَةُ بِاللَّهِ وَأَنَّهُ يُتَّبِعُ السَّقَمَ بِالصَّحَّةِ ، وَيَسْقَعُ الْحِمْنَةَ
بِالْمِنْحَةِ ؛ لَذَهَبَ مَا بَقِيَ مِنْ ذِمَّائِهِ ، وَأَطْلَّ عَلَى شَفَا شَقَائِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْتَشْرِفُ مِنْهُ
تَعَالَى لُطْفًا يُعِيدُ الْكَلِيلَ حَدِيدًا ، وَالْمُخَلِّقَ جَدِيدًا .

رقعة : وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ ، وَقَدْ سَاءَ أَمْرُ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ ، وَقُبِحَ
صُنْعُهَا لَدَيْهِ ؛ وَابْتَلَتْهُ بِمَوْلِمِ الْبَلْوَى ، وَأَنْطَقَتْهُ بِلِسَانِ الشَّكْوَى ؛ فَهُوَ مُحْتَرِّقٌ بِنَارِ الْغَيْظِ ،
يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِالْفَيْظِ ؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ يَفْرُجُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَلُطْفٌ يُرِيحُ مِنْ هَذَا
الْجِهَادِ ؛ وَكُلَّمَا طَلَبَ الْمُزَايِلَةَ عَوَّقَ ، أَوْ طَلَبَ الْفِكَالَ أَعْتَلَقَ ؛ فَهُوَ قَاطِنٌ فِي صُورَةِ
الظَّاعِنِ ، وَحَالٌ فِي حَالِ الرَّاحِلِ ، وَاللَّهُ يَمُنُّ بِالْمَخْرَجِ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ .

رقعة : وَقَدْ سَطَّرَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَقَدْ أَنْجَلَتْ هَذِهِ النَّبُوَّةَ ، عَنِ الْبَلَاءِ
وَالشَّقْوَةِ ، وَنَفَادِ الْمَالِ ، وَاسْتِحَالَةِ الْحَالِ ، وَاسْتِيلَاءِ الْعُدُوِّ ، وَاسْتِعْلَاءِ السُّوءِ ، وَكَذَا
الدَّهْرِ خُدُوعِ غُرُورِ ، خُثُونِ غُدُورِ ؛ إِنْ وَهَبَ أَرْتَجِعَ ، وَإِنْ أَلْبَسَ أُنْتَرِعَ ؛ وَإِنْ
أَعْطَى أَعْطَى قَلِيلًا وَقَلَعَ ؛ وَإِنْ أَحْلَى أَمَرَ ، وَإِنْ تَقَعَ ضَرَّ ؛ وَإِنْ أَبْرَمَ نَقَضَ ، وَإِنْ
رَفَعَ خَفَضَ ؛ وَإِنْ أَقْبَلَ أَعْرَضَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَمْرَضَ ؛ فَنِعْمَهُ مَقْرُونُهُ بِالزُّوَالِ ،
وَمِنْحَهُ مَعْرُضَةٌ لِلانْتِقَالِ ؛ وَصِفْوُهُ مَشُوبٌ بِالْكَدَرِ ، وَعَيْشُهُ مَمْزُوجٌ بِالْغَيْرِ ؛ مَا أَجَنَّ
إِلَّا أَوْجَدَ خَلَاءً ، وَلَا أَمَّنَ إِلَّا أَتْبَعَ الْأَمْنَ جَلَاءً ؛ وَالْمَمْلُوكُ يُحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَوْسَعَهُ
فِي حَالِ الْبَلَاءِ شُكْرًا ، وَفِي حَالِ الْإِبْتِلَاءِ صَبْرًا .

أجوبة رِقَاع الشكوى

قال في "مواد البيان" : يجب أن تبنى أجوبة هذه الرقاع على الارتماض في الحال المُشكِية، والتوجع منها، وبذل الوسع في المعونة عليها، والمشاركة فيها، وما يجري هذا الجري مما يليق به .

النوع الحادى عشر

(في استمache الحوائج)

قال في "مواد البيان" : ورقاع الاستمache يُختار أن تكون مودعة من الألفاظ ما يحرك قوى السباح، ويبعث دواعى الارتياح؛ ويُوجب حرمة الفضل المسهلة بذل المال الصعب بذله، إلا على من وفر الله مروهته، وأرخص عليه أثمان المحامد وإن غلت .

قال : وينبغى للكاتب أن يتلطف فيها التلطف الذى يعود بنجاح المرام، ويؤمن من الحصول على إراقة [ماء] الوجه، والخيبة بالرد عن البغية، ويعدل عن التثقل والإلحاف المضجرين ولا يضيق الصدر على السباح إلا أن يتمكن للثقة به، ويعلم المشاركة في الحال .

وهذه نسخ من ذلك :

من كتاب [أبى] الحسين بن سعد .

أفضل القول أصدقه، وأهنى المعروف أعجله، وأبلغ الشكر أظهره .

ومنه : إن حضرتك نية في قضاء حاجة فعجلها ، فإن أهني المعروف ما عجل ، وأنكده ما تنازعه العلل ، وأعرضته كثرة الاقتضاء .

ومنه : أنت أعزك الله واجد السبيل إلى أصطناع المعروف واكتساب الثواب ، وأنت أعرف بما في استنقاذ أسير من أسرى المسلمين ، من وارد الأسر ، وعرصه الكفر ، وأنتأشيه من الذلة والفاقة ، والبلاء والمشقة ، من جزيل ثواب الله وكريم جزائه [وأجل] من أن تُحاطب في ذلك مخاطبة من يحتاج إلى زيادة في بصيرته ، وتقوية لنيته ، وبالله توفيقك وعونك .

على بن خلف :

قد تمسك أمني بزمانك ، وتطلع رجائي إلى إحسانك ، وكفل لي النجاح مشهور كرمك ، ورغبتك في رب نعيمك ، ولي من فضلك تسبب أعتري إليه ، ومن شكري شفيع أعتمد عليه .

وله : المواعيد .. أطال الله بقاء مولاى - غروس ، حلو ثمرها الإنجاز والتعجيل ، وممره المطل والتطويل ؛ وقد شام أمني من سحائب فضله ، حقيقاً بأن ينهمر ويهيم ، وآرتاد من روض نبيله ؛ جديراً بأن يزيد وينمي ، فإن كانت هذه المخيلة صادقة ، فلتكن منه همة للرجاء محققه ، إن شاء الله تعالى .

وله : هممت أن أستصحب إلى مولاى ذريعة تحجب مطلى ، وتكون حجاباً على وجهي في المطالعة بأربي ، فلاح لي من أساريه برق أوضع مقصدي ، ومن أخلاقه أنبساط أمال تجعدي ، ولست مع معرفته بحق نعمة الله تعالى وحق مؤمله ، محتاجاً عنده إلى ذريعة ولا مفتقراً إلى وسيلة .

(١) وله : ولا يَجْنِي مَوْلَايَ عَلَى ظَاهِرِ تَجَلِّي ، وَجَمِيلِ تَوَكُّلِي ، عَلَى حَالٍ قَدْ أَحَالَتَهَا الْعُطْلَةُ ، وَتَحَلَّلَتْهَا الْحَلَّةُ ؛ وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِالتَّجَمُّلِ عَلَى دِيبَاجَةِ هِمَّتِي ، وَأَصُونُ بِالتَّخْفِيفِ عَنِ الصَّدِيقِ مُرُوتِي ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الشُّكُوءَ تَحَفَّفَ مَتَحَمِّلُ الْبَلَاءِ ، لَأَضْرَبْتَ عَنِ مُسَاءَلَتِهِ ، وَأَمْسَكْتَ عَنِ تَذَكِيرِهِ ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لِلْوَصِيبِ الشَّاكِي ، مِنْ ذِكْرِ حَالِهِ لِلطَّيِّبِ الشَّافِي ؛ وَقَدْ كَانَ بَرَقَ لِي مِنْ سَحَابٍ وَعَدَهُ مَا هُوَ جَدِيرٌ بِالْإِنْهَارِ ، وَأُورِقَ مِنْ نَمَاتِهِ مَا هُوَ حَقِيقٌ بِالْإِنْهَارِ ؛ فَإِنِ رَأَى أَنْ يَسِمَ وَجْهَ التَّائِمِلِ ، بَعْدَ الْإِنْجَازِ وَالتَّعْجِيلِ ، فَعَلَ .

وله : مَا حَامَتِ آمَالِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَّا وَقَعْتُ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَا صَعُبَتْ عَلَيَّ جَوَانِبُ الرِّجَاءِ إِلَّا سَهَلْتُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَلَا كَذَّبَتْنِي الظُّنُونُ إِلَّا صَدَقَهَا بَعْلُو هِمَّتِهِ ؛ فَلِذَلِكَ أَعْتَلَقُ فِي الْمُهَمِّ بِجَنَلِهِ ، وَأَعْتَصِمُ فِي الْمَلَمِّ بِظَلِّهِ ؛ وَقَدْ عَرَضَ لِي كَذَا وَعَلَيْهِ فِيهِ الْمُعَوَّلُ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمُؤْمَلُ ؛ وَمَا أَوْلَاهُ بِالْجَرِيِّ عَلَى عَادَتِهِ فِي رَيْشِ جَنَاحِي ، وَالْمُعَوَّنَةُ عَلَى صَلَاحِي .

في طلب كسوة ، من كلام المتأخرين :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي نَهَرُ جُودِهِ * يَزِيدُ وَعَاصِي أَمْرِهِ الدَّهْرُ يَنْقُصُ !
إِلَيْكَ أَشْتَكِي مِنْ دِمَشَقٍ وَبَرْدِهَا * وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ تُنْغِصُ !
وإِنِّي فِي عُرْسٍ مِنَ الْبَرْدِ دَائِمٍ * تُصَفِّقُ أَسْنَانِي وَقَلْبِي يَرْقُصُ !

الملك يُنْهِى بَعْدَ الْإِثْبَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِدَامَةِ نِعْمَتِهِ ، وَإِدَالَةِ دَوْلَتِهِ ، أَنَّهُ مَا أَلِفَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُضَاعِفُ رِسْمَ الْإِنْعَامِ ، وَيُؤَاتِرُ إِرْسَالَهُ عَلَى مَرَّ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ ؛ وَلِلْمَلُوكِ فِي خِرَازِنَتِهِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ عَامٍ تَشْرِيفٌ يُفِيضُهُ عَلَى جَسَدِهِ ،

وَيُسَرِّبُهُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَيُقْتُ أَمْكَادَ جُسَدِهِ ، وَيَتَّقِي بِهِ سَوْرَةَ الشِّتَاءِ وَقَرَّهُ ، وَيَجْعَلُهُ
قُرَّةً وَيَجْمَلُ بِهِ مِنَ الدَّعَةِ وَقَرَّهُ ، وَقَدْ دَرَسَ رَسْمُهُ ، وَفَقِدَ مِنَ الدِّيَوَانِ المَعْمُورِ أَسْمُهُ ،
وَهُوَ يَسْأَلُ بُرُوزَ الأَمْرِ العَالِي بِإِجْرَائِهِ عَلَى عَادَتِهِ المُسْتَمَرَّةِ ، وَقَاعِدَتِهِ السَّالِفَةِ المُسْتَقَرَّةِ ؛
بِتَشْرِيفِهِ بِأَخْذِ التَّشْرِيفِ وَلُبْسِهِ : لِيُدْفَعَ بِذَلِكَ شِدَّةَ البَرْدِ وَالْأَيْمَ مَسَّهُ ؛ وَيَتَذَكَّرُ بِهَا
فِي يَوْمِهِ مَا يُوجِبُ حَمْدَ المَوْلَى وَذَمَّ أَمْسِهِ ، وَرَأْيَهُ العَالِي .

وله في طلب ورق :

يَا أَسْمَحَ النَّاسِ وَيَا مَنْ غَدَا * جَبِينُهُ يُجْحِلُ ضَوْءَ الشَّفَقِ !
جُودُكَ بِالْوَرَقِ عَمِيمٌ ^(١) [فَلِمَ] * أَخَّرْتَ يَا مَوْلَايَ بَعَثَ الْوَرَقَ ؟

وله في طلب رَسْم :

رَسْمِي يَا مَوْلَايَ غَدَا * مُؤَخَّرًا وَلَوْ حَضَرَ !
وَلَسَوْ أَرَادَ سَيِّدِي * إِحْضَارَهُ ، كَانَ أَمْرًا !
فَقَدْ مَضَى مُحَرَّمٌ * وَرَاحَتِي مِنْهُ صَفَرًا !

وكتب كاتبٌ إِلَى مُحَمَّدُومِهِ ، وَقَدْ تَأَخَّرَ صَرْفُ مَعْلُومِهِ :

وَتَعْلَمُ أَنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ * قَلِيلُ الْجِرَايَةِ وَالْوَاجِبِ !
فَلَسْتُ عَلَى ظَلَمٍ قَانِعًا * بِوَرْدٍ مِنَ الْوَشَلِ النَّاضِبِ !
وَلَا شَنْكَ فِي أَنِّي هَارِبٌ * [فَ] قَدَّرَ لِنَفْسِكَ فِي كَاتِبٍ !

(١) الورق مثله وككتف وجبل الدراهم المضروبة اه من القاموس .

قلت : وكتبتُ نظماً لأُمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس : خليفة العصر؛ أَسْتَمِجْهُ حَاجَةً فِي مَجْلِسٍ كَانَ فِيهِ هُوَ وَوَلَدُهُ يَحْيَى وَأَخَوَاهُ دَاوُدُ وَيَعْقُوبُ مَاصُورَتِهِ :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْطَى بَنِيْلَ مَارِيبٍ * فَبَادِرْ لِي الْعَبَّاسَ مِنْ آلِ عِبَّاسٍ !
إِمَامٌ بِهِ تَفَرُّ الْخِلَافَةِ بِاسْمٍ * وَعِزُّ نِيْهَا يَسْمُو عَلَى قِمَّةِ الرَّاسِ !
أَبِي الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِهِ * [دَوَامًا] وَأَنْ يُدْعَى أَبَا الْفَضْلِ فِي النَّاسِ !
فَالْمُسْتَعِينَ أَقْصِدْ تَجِدْ خَيْرَ مُنْجِدٍ * حَرِيصٌ عَلَى الْمَعْرُوفِ بَرٌّ بِلَيْنَاسِ !
فِيَحْيَا لَهُ يَحْيَى دَاوُدُ صَنُوهُ * وَيَعْقُوبُ أَعْضَادًا وَحَصْنًا مِنَ الْبَاسِ !



وكتبت لقاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام عمر البلقيني أَسْتَمِجْهُ حَاجَةً أَيْضًا :

أَيَا شَيْخَ إِسْلَامٍ وَقَاضِيَ قَضَايَتِهِ * وَمَنْ قَدَّ سَمَا فِي النَّاسِ عَلَمًا وَمَنْصِبًا !
لَقَدْ عَمَّ نَوَاءُكَ كُلَّ مُؤْمِلٍ * وَحَاشَى لَبْرِيقِ شِمْتٍ يَظْهَرُ خُلْبًا !
أَأَحْرَمَ مَعْرُوفًا لَكُنْتُ أَرْجِي * وَيَحْجُبُ دُوبُعْدٍ مِنَ الْقَوْمِ أَقْرَبًا !
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فِي زَمَانِكَ رِفْعَةً * وَلَكِنْ جَوَادُ الْحِطِّ بِالْبُعْدِ قَدْ كَبَا !
وَلَنْ يَسْتَعِيزَ الْخَفِضُ بِالرَّفْعِ مَا جُدَّ * خُصُوصًا وَمَنْ أَخْرَتْ مَا نَالَ مَطْلَبًا !
وَلَسْتَ تَرَى مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلَةً * سِوَاكَ وَحَسْبِي بِاعْتِلَاكَ تَقَرُّبًا !



وكتبت للقاضي القضاة جمال الدين محمود القيسراني ^(١) ، وهو يومئذ قاضي قضاة
الحنفية وناظر الجيوش المنصورة ؛ أذكر بطالة عرّضت لي من وظيفة مباشرة
كانت بيدي :

إلى الله أشكوا من زمانى بواره * فامسيت في الحزمان بي يضرب المثل !
تماديت بطالا وأعوزت حيلة * ولم يبرح البطال تعرف له الحيل !
فلا ملّجتى جاه ولا عز صاحب * ولا مالك يحنو فياقوم ما العمل ؟
ولكن (محمود) العواقب ارتجى * ومن يمدد العقبى على القصد قد حصل !



وكتبت للقاضي شمس الدين العمري كاتب الدست الشريف في حاجة تجزها :
إن لا أرى عمرا حتى أليم به * ألفت من نسله من كان لي عمرا .
لم يغف عن حاجتي حتى أنيّه * وكيف يغفو في المعروف كم سيرا ؟
جعلته مبتدا في رفعه خبري * وعادة المبتدا أن يرفع الخبرا !

أجوبة استماعة الحوائج

قال في "مواد البيان" : لا يخلو المستماع والمكلف حاجة من أن يسعف أو يمنع ،
فإن أسعف فقد غنى عن الجواب ، وربما أجاب المسعف بجواب مبنّى على حسن
موقع أنيساط المستميع ، والاعتذار عن التقصير في حقه وإن كان قد بلغ به فوق

ما يَحِبُّ له - تَكْرُماً وتَفَضُّلاً ، وإن منع فربما أجاب بعُذْر في الوقت الحاضر أو عُذْر في المُسْتَأْنَف ؛ وربما أَخْلَّ بِالْجَوَابِ تَغَافُلاً .



وهذه نسخة جواب بالإسعاف بالمقصود ، كُتِبَ بها في جوابٍ لكَاتِبِ السِّرِّ عن نائب الشام ، في طَلَبِ إِقْطَاعٍ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَةَ إجابةً للمطلوب ، وهي :

لا زال قَلَمُهَا يَمُدُّ عَلَى الْإِسْلَامِ ظِلًّا ظَلِيلًا ، وَيَسْتَجِدُّ صُنْعًا جَمِيلًا ، وَيَأْخُذُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَعْدَاءَ دِينِهِ أَخْذًا وَيِيلاً ، وَيَقُومُ بِاجْتِهَادِهِ فِي مَصَالِحِ الْمُلْكِ النَّهَارُ كُلَّهُ وَاللَّيْلَ الْإِقْلِيلَ ؛ تَقْيِيلُ مُوَاطِئٍ عَلَى وِلَاءٍ لَا يَجِدُّ لَهُ تَبْدِيلًا ، وَثَنًا لَوْ سَمِعَهُ الْحُبُّ فَشَافَهُ الْأَحْبَابُ إِذَا لَا تَتَّخِذُوهُ حَالِيلًا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مُشْرِفَةِ مَوْلَانَا الْقَدِيمِ فَضْلُهَا ، الْكَرِيمِ وَصْلُهَا وَأَصْلُهَا ؛ فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهَا ، وَأَضْعَى بِجَمَلَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَعَلِمَ مَارَسَمَ بِهِ مَوْلَانَا ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ تَيَانًا ؛ وَكَذَلِكَ بَلَغَهُ مَمْلُوكُهُ الْوَلَدُ فَلَانَ الْمَشَافَهَةِ الْكَرِيمَةِ فَخَبَّدَا مِنْ صَاحِبِ السِّرِّ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا ؛ وَشَكَرَ لَهَا مُشْرِفَةً وَمَشَافَهَةً أوردَا الْإِحْسَانَ مَتْنِي مَتْنِي ، وَسِرًّا سَمِعَهُ الْمَمْلُوكُ لَفْظًا وَأَسْتَهْدَاهُ مَعْنَى ؛ فَمَا مِنْهُمَا فِي الْإِحْسَانِ إِلَّا زَائِدُهُ ، وَلَا فِي الصَّلَاتِ إِلَّا عَائِدُهُ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ أَقْبَلَ عَلَى قَبِيلِهِمَا بِسَمْعِهِ وَنَظَرِهِ ، وَقَلْبِهِ وَخَاطِرِهِ ، وَجَمَلَتِهِ وَسَائِرِهِ ؛ وَأَمْتَثَلَ الْإِشَارَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُقَدَّمَ عَلَى كُلِّ مِهْمٍ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، وَأَمْرٍ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ ، وَيُدَّ الزَّمَانُ مَشْكُورَةً يَأْخُذُهَا مِنْهُ بِكُلِّ يَدَيْهِ ؛ وَعَيْنَ الْمَمْلُوكِ لَوْقَتَهُ الْإِقْطَاعَ الْمَطْلُوبَ ، وَتَقَدَّمَ بِكَاتِبَةٍ مَرَبَّعَتِهِ حَسَبَ مَارَسَمٍ مِنْ تَجَرُّي السَّعَادَةِ مِنْ سَطْرِهِ تَحْتَ مَكْتُوبٍ ؛ وَجَهَّرَهَا قَرِينَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ وَمَنْ ذَا يُقَارُنُ سَبْقَ ذَلِكَ الرَّامِدِيدِ ، وَكَيْفَ تُوَازِي

الرُبْعَةُ كِتَابًا هُوَ بِالْإِحْسَانِ لِلْعُنُقِ تَقْلِيدٌ؛ لَا بَرِحَتْ مَرَامِسُ مَوْلَانَا مَعْدُودَةٌ مِنْ رُسُومِ نِعَمِهِ، وَمُشْرِفَاتُهُ مُحَسَّبَةٌ مِنْ تَشْرِيفَاتِهِ الَّتِي يَحْمِلُهَا عَلَى أُنْبَاءٍ مُحْيِيَةٍ وَخَدَمِهِ .

النوع الثاني عشر

(في الشكر)

قال في "موادّ البيان" : رَفَاعُ الشُّكْرِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُودَعَةً مِنَ الْاعْتِرَافِ بِأَقْدَارِ الْمَوَاهِبِ ، وَكِفَايَةِ الْاِسْتِقْلَالِ بِحُقُوقِ النِّعَمِ ، وَالْاَضْطِلَاعِ بِجَمْلِ الْاَيَادِي ، وَالتَّهَوُّضِ بِأَعْيَانِ الصَّنَائِعِ ، مَا يَشْحَذُ الْهِمَمَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا ، وَيُوَثِّقُ الْمَصْطَلِحَ بِإِفَاضَةِ الصَّنْعِ ؛ وَيَعْرِبُ عَنْ كَرِيمِ سَجِيَّةِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ .

قال : وَيَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَفْتَنَ فِيهَا ، وَيَقْرَبَ مَعَانِيهَا ، وَيَنْتَحِلَ لَهَا مِنْ أَلْفَاظِ الشُّكْرِ أَنْوَطَهَا بِالْقُلُوبِ : لِتَسْتَيْقِنَ نَفْسُ الْمُتَفَضِّلِ أَنَّهُ قَدْ آجَتْنِي ثَمَرَةُ تَفَضُّلِهِ ، وَحَصَلَ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى أَضْعَافٍ مَا بَدَّلَهُ مِنْ مَالِهِ أَوْ جَاهِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ صَادِرَةً مِنَ الْاِتِّبَاعِ إِلَى رُؤُسَائِهِمْ ، وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَى اخْتِصَاصٍ وَاثَرَةٍ ، أَنْ لَا تَبْنِي عَلَى الْإِغْرَاقِ فِي الشُّكْرِ : لِأَنَّ الْإِغْرَاقَ فِي الشُّكْرِ يَحْمِلُ هَذِهِ الطَّبَقَةَ عَلَى التَّمَلُّقِ الَّذِي لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالْأَبَاعِدِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَ الدَّلَالََةَ عَلَى اِسْتِقْلَالِهِمْ بِحُقُوقِ مَا أُسْدِيَ إِلَيْهِمْ ؛ فَأَمَّا مَنْ صَفَّقَا عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ مَا يَدْفَعُ الشُّكَّ فِي اعْتِرَافِهِ بِالذَّلِّ لَدَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَغْنَى عَنْ الْمَبَالِغَةِ فِي الشُّكْرِ وَالِاعْتِدَادِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ فِيمَا يَكْتُبُ عَنْ هَؤُلَاءِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ مَذْهَبَ الْإِخْتِصَارِ ، وَالِإِتْيَانِ بِالْأَلْفَاظِ الْوَجِيزَةِ الْجَامِعَةِ لِمَعَانِي الشُّكْرِ ، دُونَ مَذْهَبِ الْغُلُوِّ وَالِإِفْرَاطِ ، وَذُو الطَّبَعِ السَّلِيمِ ، وَالْفِكْرِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ يَكْتَفِي بِسِيرِ التَّمَثِيلِ .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البيهقي ، في شكر تابع لمتبوع :

أنا في شكره - أيده الله - مبرهن عن مواقع إحسانه إلى ، وتظاهر إنعامه على ،
لامقدر أني مع المبالغة والإسهاب ، والإطالة والإطناب ؛ أجازى عفوَ تفضله ،
ولا أجامل أيسر تطوله ؛ وقد سئني أيده الله من شرف أضطناعه ، بما بواني به
أرفع منازل خدمه وأتباعه ؛ وإلى الله أرغب في توفيق من مقابلة ذلك بالاجتهاد
في خدمته ، والمبالغة في طاعته - لما أكون به للزيد مستوجبا ، وللخطوة مستحقا .

وله في شكر قريب :

فرض الشكر - أعزك الله - لا يسقط بقرب الأنساب ، ولذلك لا أستحيز إغفال
الواجب على منه ، ولا أجد عذولا في التسامح فيه والإضراب عنه ، وإن كنت
غنيا عن الإفاضة فيما أعتقده من ذلك وأضمره ، وأبديه وأظهره ؛ بالمتعالم من خلوص
النية وصحة الاعتقاد ، فلا أخلاك [الله] من جميل تسديده ، وتفضل توليه ؛ يمتري
لك المزيد من سوايغ النعم وفوائده الشكر .

وله : قد استنفدت مادة شكري ، ووسع اعتدادي ونشري ؛ نتاج تفضلك ،
وتوالي تطورك ؛ ولست أقدر على التهوض بشكر منية حتى تطرقني منك منه ،
ولا أحاول مجازاة نعمة حتى تفد على منك نعمة ؛ فبأي عوارفك أعترف ، أم بأي
أياديك بالثناء أنتصف ؛ فقد فزعت إلى الإقرار بالعجز عما يلزم من فروضك ،
وواجبات حقوقك ؛ وأنصرفت إلى سؤال الله جل اسمه بإيزاعي شكر ما وهب منك ،
والتجاوز للكارم والفضل عنك .

وله : وقد شكرت ربك الحليل موقعه ، اللطيف موضعه ، الخفيف حمّله ، العذب منّله ، وشافهتك من ذلك بما اتّسعت له القدرة لا ما تقتضيه حقوق المنّة .

وله : أنا في الشكر بين نعمة تنطقني ، وعجز عما يجب لك يُخرسني ؛ ولست أفرغ إلى غير تجاوزك ، ولا أعتد على غير مساحتك ؛ ولا أتاوّل إلا بمكاني منك ، ولا أفاخر إلا بموقعي من إيثارك ؛ فالحمّد لله الذي جعلني بولائك مشهوراً ، وفي شكرك مقصوراً .

على بن خلف :

رقعة : وينبى أن الله تعالى لما ألهم مولانا البرّ ، ألهم المملوك الشكر ؛ فهو لا يزال يوسع في البرّ ويزيد ، والمملوك لا يزال يُبدي في الشكر ويُعيد ، ولكن شتان بين فاعل وقايل ، ومُعطي وقايل ، وواهب وسائل ، ورافد وحامد ، وشاكر وشاكّد ؛ والمملوك يحمّد الله تعالى إذ جعل يده الطويل ، وحظه الأعلى .

رقعة : وصل برّ مولانا وقد أحالت الخلة من المملوك حاله ، وأمالت آماله ؛ فلأمت ماصدعه الدهر من مروته ، وجددت ما أخلقه من فروته ، فكفّ المملوك يديه [عن] امتحان الخلّان ، وقبض لسانه عن شكاية الزّمان ؛ وأقرّ ماء وجهه في قرّارته ، وحفظ على جاهه لباس وجاهته ؛ فياله من برّ وقع من الفقر ، موقع القطر من القفر ؛ ولم يتقدّمه من قدامة الوعد ، ما يتقدّم القطر من جهامة الرعد ؛ وكلّ معروف وإن فاضت ينابيعه ، وطالت فروعها ، قاصر عن الأمل في كرمه ، واقع دون غايات هممه ؛ كما أن الشكر ولو واكب النّجم ، وساكب السّجّم ؛ قاصر عن مكافاة تفضّله ، ومجازاة تطوّله ؛ والمملوك يسأل الله تعالى الذي جعله قدوة

الكرام، وحسنة الأيام، وربّ الإنعام، وواحد الأنام؛ أن يُلهم المملوك من حمده،
بقدر ما أسبغه عليه من رفده .

رقعة شكر : عند المملوك لسيّدى أيّادٍ وصلت سابقةً هواديها ، وظلّت
لاحقةً توالها ؛ فصارتُ صُورُها نسباً أُعترى إليه ، وأعجازُها [سبباً أعزل
فى الملمات عليه] .

رقعة : لولا أن الله تعالى جعل الشكر ثمرة البرّ، والحمد جزاء الرّفد، وأراد
إقرارهما على أهلها من الغابرين ، وأن يجعلَ لهم مِنّا لسانَ صدق فى الآخرين ؛
لكان الذى غمّره مولانا من الإنعام ، يُحدّثُ عنه تحدّثُ الرّياحِ بآثارِ الغمام ؛
ويُكفّى المملوكُ بالإشارة ، مَثونَةَ العبارة ؛ والمملوكُ وإن رام تَأديةً ما يلزمُه من شكره ،
قاصرٌ عن غايةِ برّه ؛ ولو استخدَمَ ألسنةَ الأفلام ، واستغرقَ أمدى النّثار والنّظام ؛
ومولانا جديرٌ بقبولِ اليسير ، الذى لا يُمكِنُ الزّيادة عليه ؛ والصّفح عن التقصير ،
الذى تُقوّدُ الضرورةُ إليه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : لو أنّ هذه العارِفةَ يكرّ عوارِفه ، وبأكورةٍ لطائفه ؛ لعجزتُ عن
شكرها ، وقصّرتُ عن نشرها ؛ فكيف وقد سبقها قرائنٌ ونظائرٌ ، وتقدّمها أترابٌ
وضرائرٌ ؛ [مما] أنقلُ من المملوك كاهله ، وبسَطَ به يَدى أمله ؛ فما يَعدمُ شيئاً فيرجّيه ،
ولا يفقده فيرغب فيه ؛ والذى تُربّه من المملوك جوارحه ، وتحوّيه جوانحه ؛ علمه
بأنه لا يُجارى أيّاديه ، ولا يُجازى مَساعيه ؛ والله تعالى يَخْصُه من الفضائل ، بمثل
ما تَبَرّع به من القواضل .

رقعة : ومثل مولانا من [ذوى الشرف] ^(١) والسودد من حسن محضره، وطاب
مُحْبَره، وكرم غيبه ومشهده، وصح على تغاير الأحوال عقده ووده؛ وقد اتصل بالملوك
مأعاره له مولانا من أوصافه، وجرى فيه على عادة فضله وإنصافه؛ فطُفِقَ لفضله
شاكرا، ولطوله ناشرا؛ وأضاف ذلك إلى توالد إحسانه، ونظمه في عقد آمينانه .

رقعة : قد طوق مولانا [مملوكه] من فضله طوقا كأطواق الحمام لا يُتَزَع ،
وألْبسه بُردا من ربه لا يُخْلَع ؛ وأولاه من مزيده ما قصرت الهمة عن تمنيه ، ولم تهتد
القريحة إليه فتستدعيه ؛ ولو وجد الملوك جزاء على عارفته ، وكفاء لمثوبته ، غير
المؤالاة الصريحة ، وعقد الضائر على المودة الصحيحة ؛ واللهج بالشكر ، في السر
والجهر ، لرمي من وراء عنايته ، ولا استبعد طول شقته ؛ ولكن الملوك عادم
لما يقابل به يده الغراء ، عاجز عما يقضى به حق موهبتة الزهراء ؛ مالم يُحسن كرمه
أمره ، ويقبل منه على التقصير شكره ؛ ويُضف ذلك إلى لطائفه ، وينظمه في سلك
عوارفه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : واجتهاد الملوك في نشر أياديه وشكرها ، كأجتهاد مولانا في كتمانها
وسترها ؛ فكلما أبديتها بالثناء أخفاها ، أو نشرتها بالإشادة طواها ؛ وهيئات أن يخفى
عرف كعرف المسك نشر ، ومن كالروضة نورا والغزاة نورا ؛ ولو كان الملوك
والعياد بالله ستر هذا العرف بكفر ، وأغتمصه مانعا لشكر ؛ لنم عليه حسنه بموم
الصباح ، وتوقد توقد المصباح ؛ فكيف والملوك مَقُول لا يُسَمَّى ^(٢) [يعجم سواد]
الليالى بالإحماذ ، ويرقم صفحات النهار بالاعتداد .

(١) بياض في الاصول والتصحيح من المقام .

(٢) في الاصول « ولا يسامى الليالى » الخ وزدنا ما يقتضيه المقام ويتم الكلام تأمل .

الأجوبة عن رقائق الشكر

قال في "موادّ البيان" : [ان كانت] هذه الرّقائق من المرؤسين إلى الرؤساء فلا جواب لها . وإن كانت من النّظير فالواجب أن يُستعمل في أجوبتها مندوبُ التناصّف والتفاوض .

جواب عن فعل المعروف والشكر عليه من كلام المتأخرين :

من ذلك ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الصدر :

خَلَدَ اللهُ عَلَى الْمَالِكِ نِعْمَهُ ، وَعَلَى الْمَالِكِ دِيْمَهُ ، وَحَرَّمَ بَقَائَهُ ذِمَّ الزَّمَانِ وَأَوْجَبَ ذِمَّهُ ؛ وَلَا بَرَحَ نَحْوُ الْحَمَامِدِ يُنَادِي يَوْمَ الْكَرَمِ مُفْرَدَهُ وَيَوْمَ الْهِبَاجِ عَاقِبَهُ . تَقْبِيلًا يَسْحَبُ فِي الْفَخَّارِ بُرُودَهُ الْمُعْلَمَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ بِالْقُرْبِ فَلَا يَزَالُ الشَّوْقُ يُنْتِجُهُ حَيْثُ كَلَّا التَّدْكَارَ وَالْعَهْدَ مُقَدِّمَهُ .

وينهى ورود المثال العالى بما مَلَأَ القلبَ خيرا واليدَ برأ ، والسمعَ إشارةً والوجهَ بشرا ، حتّى تَنَافَسَتِ الأَعْضَاءُ عَلَى تَقْيِيلِهِ ، وَالْجَوَارِحُ عَلَى تَأْمِيلِهِ ؛ فَالْيَسْدُ تَسَابِقُ إِلَى مَنَنْهُ بِالْإِمْتِدَادِ ، وَالْقَلْبُ يَسَاقُ إِلَى كَرَمِ عَهْدِهِ بِالْإِعْتِدَادِ ؛ وَالْوَجْهُ يَقْلُبُ نَظَرَهُ فِي سَمَاءِ مَوَاقِعِ الْقَلَمِ ، وَالسَّمْعُ يَنْعَمُ بِمَا تُقْصُ عَلَيْهِ الْمَسَارُّ مِنْ أَخْبَارِ جِيَرَةِ الْعَلَمِ ؛ حَتَّى كَادَ الْمَمْلُوكُ يَحْوُ بِالتَّقْيِيلِ أَسْطَرَّهُ ، وَيَشْتَغِلُ بِذَلِكَ عَنْ اسْتِجْلَاءِ مَا ذَكَرَهُ الْمُنْعِمُ لِاعْدَمِ الْمَمْلُوكِ فِي مَصْرٍ وَالشَّامِ تَكَرَّرَهُ ؛ وَفَهُمْ مَا أَسَارَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي مَوْلَانَا أَهْلُهُ ، وَكَرَمِ الْعَهْدِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ مِنْ مِثْلِهِ وَأَيْنَ مِثْلُهُ ؛ وَقَابِلِ الْمَمْلُوكِ جَمِيعَ ذَلِكَ بِجَهْدِهِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ ، وَبِسَمَاحَةِ الْحَمْدِ الْمُتَفَاوِحَةِ ؛ وَالْإِعْتِدَادِ بِنِعْمَةِ مَوْلَانَا الَّتِي لَوْلَا [مُوَالَاتُهَا ^(١)] كُلِّ وَقْتٍ لَقِيلَ فِيهَا « مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ » وَتَضَاعَفَ

هُوَ الْمَمْلُوكُ عَلَى قَدَمِ الْمَوَالَاةِ الَّتِي [يَسْتَشْهِدُ] فِي دَعْوَاهَا بِشَهَادَةِ الْخَاطِرِ الشَّرِيفِ ، وَيتقدّم بها تقدّماً تحتِ لَوَاءِ الْوَلَاءِ وَتَأْتِي بَقِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ فِي اللَّفِيفِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوزِعُ الْمَمْلُوكَ شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ الْمُتَصِلِ مَدَدُهَا ، وَالْمِنَنِ الَّتِي لَا يَعْدُمُهَا وَلَا يَعُدُّهَا ، وَيُطِيلُ بَقَاءَ مَوْلَانَا لِحَمْدِ يَحْيَاهُ وَيَحْيِيهِ ، وَشَرَفِ دُنْيَا وَأُخْرَى يَهْدُمُ وَفَرِهِ وَنُحْمِهِ وَيَنْتِنِيهِ .

النوع الثالث عشر (العتاب)

قال في "موادّ البيان" : المكتبةُ بالمعائبةِ على التحولِ عن المودةِ والاستخفافِ بحقوقِ الخلّةِ من المكتباتِ التي يجبُ أن تُستوفى شروطُها ، وتكُلَّ أقسامُها : لأنَّ ترخيصَ الصّديقِ لصديقه في المقاطعةِ والمُصارمةِ دالٌّ على ضَعْفِ الاعتقادِ ، وأَسْتَحَالَةِ الْوَدَادِ .

من كلام المتقدمين :

إِنِّي مَا أَحْدَثْتُ نَبْوهَ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَحْدَثْتُ جَفْوهَ ؛ وَلَا أَبْدَيْتُ هَجْراً ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَبْدَيْتُ غَدْرًا ؛ وَلَا لَوَيْتُ وَجْهًا عَنِ الصَّلَاةِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ ثَبَيْتُ عِطْفًا إِلَى الْقَطِيعَةِ ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَّا جَانٌ ، وَالثَّانِي حَانٌ ؛ وَالْمُتَقَدِّمُ مُؤَثِّرٌ ، وَالْمُتَأَخِّرُ مُضْطَّرٌّ ؛ وَكَمْ بَيْنَ فِعْلِ الْمُخْتَارِ وَالْمُكْرَهِ ، وَالْمُبْتَدِعِ وَالْمُتَّبِعِ .

آخِرُ : إِنْ أَمْسَكْتُ يَاسِيدِي عَنْ عِتَابِكَ ، مُرْخِيَا مِنْ عِنَانِكَ ؛ كُنْتُ بَيْنَ قَطْعِ لِحْجِكَ ، وَرِضَا بِفِعْلِكَ ؛ أَوْ اقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى التَّلَوُّجِ بِهِ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ مَعَ كَثْرَةِ جُجُوحِكَ ، وَشِدَّةِ جُنُوحِكَ ؛ وَمَا أَرْتَكِبْتَهُ مِنْ رَائِكْ ؛ وَأَسْتَخْرِجْتَهُ مِنْ جَفَانِكَ .

رقعة عتاب : لمولانا لدى المملوك عوارف لا يمتدى إلى معرفتها فوفيتها كُنْه المراد، وأيادٍ لا يبلغ ما تستحقه من الإحسان ؛ ولو عَصَدَتْهُ خُطْبَاءُ إِيَادٍ ، أَجْلُهَا في نفسه خطراً ، وأحسنها عليه أثراً ؛ ما يَفْرِضُهُ له من ربه وإكرامه ، وتعهد به وأهتمامه ؛ وقد غير مولانا عادته ، وتَقَضَّ شِئْتَهُ ، وبَدَّلَ المملوك من الانعطاف بالإعراض ، ومن الإتيساط بالإتقباض ؛ وحمله من ذلك ما أوهى قوئ صبره ، وأظلم بصائر فكره ؛ فإن يكن ذلك لخطأ واقع المملوك ساهياً ، وجُرم آجَرتِه لاهياً ؛ فمثل مولانا لا يطالب إلا بالقصد ، ولا يعاقب إلا على العمد ؛ إذ كان المملوك لا يُعَصِّم من زلل ، ولا يَسْلَم من خلل ؛ اللهم إلا أن يكون مولانا أراد من المملوك تقويمه وتأديبه ، وإصلاحه وتهذيبه : ليُحَسِّن أثره في خدمته ، ويسلك السبيل الواضح في تباعته ، فلا أعدم الله المملوك تثقيفه ، ولا سلبه تبصيره وتعريفه ؛ وإن كان ذلك لشك عَرَض من المملوك في وداده ، وأرتياح خامر في حُسن اعتقاده ؛ فأعيدَه بالله من القطع بالشبهات ، والعمل بمنغِل السَّعَايَات ؛ ومولانا خَلِيقٌ بَانَ يُطْلِع من أنس المملوك ما غَرِب ، ويُنِيط من سُورِهِ ما نَضَب ؛ ويُعيدَه لِرضاه ، ويُجْريه على ما أحده منه وأرضاه .

رقعة : ليس المملوك يرفع مولانا في إعراضه ، إلا إلى فضله ، ولا يُجَاهِ كُنه على اتقباضه ، إلا إلى عدله ؛ ولا يَسْتَعِينُ عليه إلا بما يستمليه من آدابه ، ولا يَنَاطِرُهُ إلا بما أخذه عنه من محافظته وإيجابه ؛ إذ كان المملوك مُدَّ وَصَلَتِهِ السَّعَادَةُ بِجِباله ، ناسجاً على منواله ؛ متقبلاً شرائف خلاله . وما عهدته عمر الله معاهده ، وكبت

(١) لعله للولى .

(٢) يقال أنظلم حديثاً سمعه ثم ألهم به أنظر اللسان ج ١٤ ص ١٩٤ .

حاسده ؛ يغضبُ تقليدًا قبل الاختبار، ويُخَوِّج البريء إلى موقف الاعتذار ؛ ولا سيمًا إذا كان المظنونُ به عالمًا بشروط الكرم ، عارفًا بمواقع النعم ؛ لا يتسَخَّر الشكرَ ، بالكُفْر ، ولا يتعوَّضُ عن الحمد ، بالتحذُّر ؛ وقد عرفَ مولانا ثناء المملوك على تفضاله ، ووقف على بلائه لأعماله ؛ وهو وفي ربِّ عوارفه وصنائعه ، وتتمير مارهن لديه من ودائعهِ ؛ وتنزيهِ سمعه عن الإصغاء إلى ما يختلقه حاسد ، ويصوغه كائد ؛ وقد حكم المملوك على نفسه نقده الذي لا يهرج عليه ولا يدلس ، وكشفه الذي لا يعطى عليه ولا يلبس ؛ فليحك أفعال المملوك على محك بصيرته ، وليجل في تأمل مقاصده طرف فكرته ؛ فإنه ممن لا تحيله الأحوال ولا تحوله ، ولا تغيره الغير ولا تبدله ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : أفعال شكر المملوك في الحلم والغضب ، والرضا والسخط ، إذا لم يقتض الحزم إيقاعها موقع الفضل ، واقعة موقع الإنصاف والعدل ؛ ولا يغلب هواه على رأيه ، ولا بادرتَه على أناته ؛ وقد جانب مع المملوك عادته ، وبأين فيه شيمته ؛ وناله من إغراضه ، وجفائه وأنقباضه ، وتغير رأيه ، ما وسَّم المملوك فيه بالذنب ولم يُذنبه ، وحمله على الجرم ولم يحتقبه ؛ وأوقفه لديه موقف الاعتذار ، وأخوجه إلى الاستقالة والاستغفار ؛ وليس المملوك يُحاكمه إلا إليه ، ولا يُعول في الانتصاف إلا عليه ؛ وما أولاه بأن يعيد المملوك إلى محله من رضاه ، فإنه لم يُواقع في خدمته إلا ما يرضاه ؛ وحسبه شاهدًا بذلك ما يعلم من المملوك من سلامة غيِّه ، وطهارة جيبه ؛ وفضل وده ، وصحة معتقده ؛ إن شاء الله تعالى .

(١)

رقعة بمعاتبه على :

كُلُّ مانعٍ مَالِدِيهِ مَنْ رَغِبَهُ ، دافعٍ عَمَّا عنده مَنْ طَلَبَهُ ؛ فستغنى عنه إِلَّا الله تعالى
 المُبتدئُ بالنعم ، العَوَادُ بِالكَرَم ؛ ولو عَرَفَ مَوْلَانَا بَطْءَ شَجَرَةِ المَعْرُوفِ ، ^(٢) لَأَسْرَعَ
 إِلَى أَحْثَاضِهَا ، ولو علم مَالَهُ تعالى عليه من الحُقُوقِ فِي مَالِهِ وَجَاهِهِ ، لَمْ يُقْصِرْ عَنْ
 أَدَائِهَا ؛ غَيْرَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الفَوْزَ بِالوُجُدِ ، غَايَةُ المَجْدِ ، وَأَنَّهُ إِذَا أَحْمَدَ النَّسَبَ غَنَى عَنْ
 الْحَمْدِ ؛ وَأَنَّ النِّعْمَةَ تُرْتَبِطُ بِالرِّبْطِ عَلَيْهَا ، وَتَنْصَرِفُ بِالتَّصْرِفِ فِيهَا ؛ وَمَا سَاءَ المَمْلُوكُ
 أَنْ تَنْزِعَ عَنْ تَقْلُدِ مِنَّةٍ لَيْمٍ ، وَحُرْمِ مَحْمَدَةٍ مِنْ كَرِيمٍ ؛ وَهَذَا الحِرْمَانُ أَحْسَنُ وَاللهُ
 فِي عَيْنِ المَمْلُوكِ مِنَ التَّوَالِ ، وَهَذَا الإِكْدَاءُ أَبْرَدُ لَدَيْهِ مِنْ بُلُوغِ الآمَالِ ؛ وَسَيَنْشُرُ المَمْلُوكُ
 مَذْهَبَهُ فِي كُلِّ نَادٍ ، وَيَكْفُفُ عَنْهُ أَمَانِي الْقُصَادِ ؛ وَيَكْفِيهِ مَثُونَةُ الاعتذارِ ، وَيَصُونُهُ
 عَنْ أَنْ تُبَدَّلَ إِلَيْهِ وَجُوهُ الْأَحْرَارِ : لِيَعْلَمَ أَنَّ المَمْلُوكَ عَلَى مَنْعِهِ لَمْ يُقْصِرْ فِي بُلُوغِ
 أَوْطَارِهِ ، وَالسَّعْيِ فِي إِثَارِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رقعة في المعنى : مَارَدَ المَمْلُوكُ بِمَوْلَانَا مُسْتَتِرًا لِقَلِيلِهِ ، وَلَا لَائِمًا لِنَفْسِهِ عَلَى
 تَأْمِيلِهِ ؛ لِكِنَّهُ آتَجَعَهُ آتَجَاعَ مَنْ ظَنَّنَهُ عَارِفًا بِقُدْرِهِ ، رَاغِبًا فِي شُكْرِهِ ؛ فَلَوْ أَغْضَى
 المَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى الْإِطْرَاحِ لِأَمْرِهِ ، لَأَسْتَدَلَّ مِنْهُ عَلَى قِصْرِ الهِمَّةِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَوْمُهُ
 بِدُونِ الْقِيَمَةِ ؛ لَا سِيَّامًا وَهُوَ يَقْرَضُ لِمَنْ لَا يُجَارِي المَمْلُوكَ فِي مِضْمَارٍ ، وَلَا يُسَاوِيهِ
 فِي مِقْدَارٍ ؛ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بِتَأْمِيلٍ وَرَجَاءٍ ، وَتَقْدِيمِ ذَرِيعَةٍ مِنْ تَقْرِيطِ وَثَاءٍ ، مَا تَضِيقُ
 عَنْهُ الهِمَمُ الفِسَاحَ ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِقْتِرَاحُ .

(١) بياض في الأصل ولعله « على منع عطاء » .

(٢) لعله « ثرة المعروف ... الى اجتنائها » تأمل .

رقعة عتاب، على تقصير في خطاب :

حُوشَى مَوْلَايَ أَنْ يُجَرَّ الذَّلِيلَ عَلَى آثَارِ فَضْلِهِ ، وَبُيِّتَ مِنْ غُرُوسِ إِحْسَانِهِ
 مَا هُوَ جَدِيرٌ أَنْ يَتَعَهَّدَ بَوْبِهِ ؛ وَيُعْفَى مِنِّي رُسُومَ كَرَمِهِ ، وَيَصْدَعُ بِجَانِبَةِ الْإِنْصَافِ
 صِفَاةَ صِفَاتِهِ وَصَفَائِهِ ، وَيُنِطِقُ الْأَلْسُنَ بِعِتَابِهِ ؛ وَيُصَلِّبُ سَيْفَ التَّائِبِ مِنْ قِرَابِهِ ؛
 بِمَا أَسْتَحْسَنَهُ مِنْ مُسْتَقْبَحِ الْمُبَارَمَةِ فِي الْمَخَاطِبَةِ ، وَأَسْتَوْطَاهُ مِنْ جَاحِ التَّرِيدِ
 فِي الْمَكْتَابَةِ ؛ وَلَا سِيَّما وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْقِعَ الْإِكْرَامِ مِنَ الْكِرَامِ ، الْأَطْفُ مِنْ مَوْقِعِ
 الْإِنْعَامِ ؛ وَأَنْ مَحَلَّ الْقَالَ ، أَفْضَلُ مِنْ مَحَلِّ النَّوَالِ ، وَأَنْ تَغْيِرَ الْعَادَةُ فِي الْبَرِّ ، مُقَوِّضُ
 لِمَعَاهِدِ الشُّكْرِ ؛ وَدَسِيعِ (؟) السَّنَةِ فِي الْإِنْصَافِ ، قَاضٍ بِالْإِنْصِرَافِ بَعْدَ الْإِنْعِطَافِ ،
 وَقَدْ كَانَ الْمُلُوكُ أَرْزَعُ أَنْ يَتَحَمَّلَ تَقْصِيرَهُ بِهِ ، وَأَنْ يُقْلَ مِنْ غَرْبِهِ ، غَيْرَ مَطَاوِيعِ
 لِلْخَنِيَّةِ ، وَلَا مُنْقَادٍ لِنَفْسِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَلَا يَقْرَعُ سَمْعُهُ بِعِتَابِ ، وَلَا يُورِدَ عَلَيْهِ مُمَضُّ
 خِطَابِ ؛ ثُمَّ رَأَى الْمُلُوكُ أَنْ يُرْشِدَهُ إِلَى الْأَزْزِينَ ، وَيَبْعَثَهُ عَلَى اعْتِمَادِ الْأَحْسَنِ ؛
 وَيُخَضِّصَهُ عَلَى مُرَاجَعَةِ الْأَفْضَلِ ، وَمُعَاوَدَةِ الْأَجْمَلِ : لِيَتَحَفَّظَ مَعَ سِوَاهِ ، وَلَا يُجَرِّى
 تَجْرَاهِ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَحَمَّلُهُ ، وَيَرْضَى رِضَا الْمُلُوكِ بِمَا يَفْعَلُهُ ؛ فَوَلَانَا حَبِيبُ اللَّهِ
 إِلَيْهِ الرَّشْدُ ، وَوَفَّقَهُ إِلَى الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ ؛ هَلْ هُوَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ ؛ فَمَا هَذَا التَّيُّ
 وَالْبَطَرُ ؟ وَلِمَ هَذَا الْأَزْلُ وَالْأَشْرُ ؟ وَمَا فَعَلَ الرَّئِيسُ إِلَى مَا يَصْغُرُ عَنْهُ قَدْرُ ؛
 وَلَا يَبْتَاسُ مِنْ نَيْلِهِ عَمْرُ ؛ وَلَا مَضَتْ أَقْلَامُكَ فِي الْأَقَالِمِ ، وَلَا أُشِيرَ إِلَيْكَ بِبَنَانِ
 التَّعْظِيمِ ؛ وَلَا فُوضَتْ إِلَيْكَ الْوِزَارَةُ وَالرِّدَافَةُ ، وَلَا تَأَمَّرَتْ عَلَى الْكَافَةِ ؛ وَلَا طَاوَلَتْ
 الْأَكْفَاءَ فُطُلْتَ ، وَلَا نَاضَلْتَ الْقُرَنَاءَ فَتَضَلْتَ ؛ وَإِنَّمَا سَرَقَ إِلَيْكَ الْحِطُّ مِنْ مِمَّادِهِ
 وَشَلَا مُصَرِّدًا ، وَأَدْرَكَكَ الدَّهْرُ مِنْ أَخْلَافِهِ مُجَدِّدًا ، فَانْتَحَتِ الْمَعَامَلَةُ بِظُلْمِ
 الْإِخْوَانِ ، وَنَسَخَ شُرَائِعَ الْإِحْسَانِ ؛ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ ، وَغَرَّكَ حَدْسُكَ ؛ كَيْفَ بِكَ
 غَدًا إِذَا أَسْتَرَدَّ الزَّمَنُ مَا خَوَّلَكَ ، وَأَسْتَرْجَعَ مَا نَوَّلَكَ ؛ وَصَحَّوْتَ بِالْعَزْلِ مِنْ سَكْرَةِ

(١) الولايه، وتفرقت بعد طلب الغايه، وعدت إلى إخوانك فوجدت أوطان أنسهم بك نايه، ونفوسهم للإقبال عليك آييه، ولو كان الزمن أمكنك من رقتي، وطرق لك الطريق إلى إيداع عُرفك في جهتي، لقبح بك أن تطول بطولك، وتدعي الفضل بفضلك، ولم يحسن أن تبدل الإنعام، وتضمن بالالتزام، فإن كنت تفخر بسلفك وأبوتك، وتطاول بأوليتك وأسرتك، فلو كان أبوك كسرى، لما جبر منك كسرا، ولو كان جدك بخت نصر، لما أنتفعت به في مظاهرة ولا نصر، فدع أكثر مافات، ولا تعول على العظام الرفات، فما استند إليها إلا عار من الفضل عايل من الحلي. على أنك لو فخرت بها لفخرناك، وتقدمنا وأخرناك، وإن كنت تستند إلى دياتيك، وتعتمد على نسك وأمانتك، فهذه خالص حال لا تخلص مرتبتها ولا تتم فضيلتها إلا بأسد شعار التواضع، والأخذ بمكارم الأخلاق لدى التنازع، فارجع هديتك إلى الأجل^(٢)، وأعمل بالأفضل، وقف بحيث ربتك، ولا تنشوف إلى غير درجتك، وإن أبيت ذلك فأقطع المراسله، وأعفيها من المواصله، والسلام.

رقعة عتاب على تأخر المكتبة :

من حُكم الوداد - أطل الله بقاء سيدي - الزيارة عند المقاربة، والمكتبة عند المبادعة، وإن كانت المودة الصريحة لا يغيرها اجتناب، إلا أن الكتب السن العاد، والأعين التي تنظر حقائق الوداد، ولها في القلوب تأثير، وموقعها فيها أثير، وحوشي مولانا أن أهرز أريحيته لما يؤكّد الثقة بإخائه، ويشهد بوفائه، ولا سيما وهو يقرض ذلك لأحبته، وقوله واجب في شرع مودته.

رقعة في معناه :

إِنْ أَبْتَدَأَ الْمَلُوكُ مَوْلَانَا لَمْ يُجِبْ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْإِبْتِدَاءُ لَمْ يُوجِبْ ؛ فَلَا حَقَّ
الْإِجَابَةِ تُؤَدِّيهِ ، وَلَا نَاجِرَ الْمَسْأَلَةِ تَقْضِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ إِذَا شَخْصَ غَابَتْ عَنْ فِكْرِهِ
أَشْخَاصُ أَحَبَّتِهِ ، وَإِذَا بَعُدَ عَامِلُهُمْ بِتَجَافِيهِ وَجَفَوْتِهِ ؛ فَقَدْ كَانَتْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّفَ
وَيَتَجَمَّلَ ، وَيَتَصَنَّعَ وَيَتَعَمَّلَ : فَإِنَّهُ لَوْ عَلَّلَ مُشُوبًا بِالْإِنْتِظَارِ ، أَوْ أَعْتَذَرَ مَرْمُضًا
بِالْإِعْتِذَارِ ؛ لَأَقَمْتُ ذَلِكَ مُقَامَ الْمُكَاتَبَةِ ، وَصُنَّتُهُ عَنْ تَحْضِ الْمُعَاتَبَةِ ؛ لَكِنَّهُ مَالٌ مَعَ
الْمَالِ ، وَرِضَى الْإِطْرَاحِ وَالْإِهْمَالِ ؛ وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَقِيلٌ بِالْإِخْوَانِ ، مُتَنَقِّلٌ مَعَ
الزَّمَانِ ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَصْدُقَ الْمَخِيلَةُ ، وَيَرْجِعَ إِلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ .

رقعة معاتبية رجل كريم الأصل لثيم الفعل :

قَدْ عَرَفَ مَوْلَانَا وَفَقَهُ اللَّهَ وَوَقَفَهُ عَلَى مَنَهِجِ الرَّشَادِ ، أَنَّ جُنَايَةَ الْغَضَبِ الذَّمِيمِ ،
تَقْدَحُ فِي كَرَمِ الْحَنِثِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنَّ قَبِيحَ الصِّلَفِ ، يَنْسَخُ تَلِيدَ الشَّرَفِ ، وَخِيْثَ
النُّزْيَةِ ، يُعْنَى عَلَى طَيْبِ الْمَنَاحِثِ الزَّكِيَّةِ ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِمَنْ تَحَلَّى بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ،
وَتَلَبَّسَ بِالنُّكْثِ وَالْعَدْرِ ، وَسَاحَ نَفْسَهُ بِإِطْرَاحِ الْحُقُوقِ ، وَأَسْتِيطَاءِ الْعُقُوقِ ؛
إِلَّا إِضَاعَةُ الْحُرْمِ ، وَإِخْفَارُ الذَّمِّ .

المعاتبية من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ صَارَ يَرَى قُرْبَهُ أَزْوَارًا ، وَطَوِيلَ سَلَامِهِ اخْتِصَارًا ؛
وَيُغَالِطُ فِي ذَلِكَ حَتَّى شَاهَدَهُ عِيَانًا مَرَارًا ؛ هَذَا وَيُكْرِ الْوَلَاءَ ، صَقِيلَةُ الْحِلَابِ ،

وعروسُ الشَّاءِ، جميلةُ الزَّيَّةِ حَسَنَةُ الشَّبَابِ، وهو لا يفتأ من المُوَالاةِ في صَعْدِ وَقْدِهِ
 فِي صَبَبٍ؛ فَكُلُّهَا مَكْنٌ وَتَدَ الْإِسْتِعْطَافِ يَرْجُو عَدَمَ تَخْلُخْلِهِ فُجْصِلَ بِأَيْسَرِ سَبَبٍ؛
 بِحَيْثُ أَطْفَأَ الْإِهْمَالُ نَارَ الْمُسَاعَفَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ، وَأَنْتَقَلَ تَوَهُمُهُمْ عَدَمَ الْعِنَايَةِ إِلَى تَيَقُّنِ
 وَجُودِهِ بِالْمَشَاهِدَةِ؛ وَقَدْ كَانَ يُرْفَعُ قَدْرُهُ نَحْفُضُ، وَعَوَّضُ فِي الْحَالِ عَنِ الرَّفْعِ
 بِالْإِبْتِدَاءِ، أَنَّهُ مُفْرَدٌ وَيُنْصَبُ كَالنِّكَرَةِ فِي النَّدَاءِ، وَأَهْمَلُ حَتَّى صَارَ كَالْحُرُوفِ لَا يُسْنَدُ
 وَلَا يُسْنَدُ إِلَيْهَا، وَأُلْفِيَ حَتَّى شَابَهَ ظَنَنْتُ إِذَا وَقَعَتْ مَتَّحِرَةٌ عَنْ مَفْعُولَيْهَا؛ وَمَتَّى
 يَقْتَضِي لِأَمْرٍ، أُنْشِدَ نَفْسَهُ * مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ *

وكان يَغْنَى بِمَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ خِدْمَةً وَأَدَاءً لِلوَاجِبِ، وَطَلَبًا لِعَادَةٍ أَكَّدَهَا إِحْسَانُهُ
 حَتَّى صَارَتْ ضَرْبَةً لِزَبٍّ؛ فَلَا يَخْلُو مَجْلِسُ مَنْ إِظْهَارَ تَغْيِيرِ عَادَةٍ وَطَدَّ الْجُودُ
 أُسَاسَهَا، وَأَتَتْقَاضُ قَاعِدَةٍ أَبْرَمَ الْكَرَمِ أَمْرَاسَهَا؛ فَيَنْقَطِعُ سُلُوكًا لِلْأَدَبِ وَتَخْفِيفًا عَنِ
 الْخَوَاطِرِ، وَيَتَلَقَّى مَا يَصْدُرُ بِقَلْبٍ شَاكِ وَلِسَانٍ شَاكِرٍ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ عَزَمَ مَوْلَاهُ
 عَلَى طَرْدِهِ، وَعَوَّضَهُ عَنْ مِثْنَةِ الْقُرْبِ الْمِحْنَةَ بَعْدَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْبَى ذَلِكَ جُودُهُ وَلُطْفُهُ،
 وَمَعْرِفُهُ يُشْكِرُ وَيَزِيدُ لَا يَمَكُنُ صَرْفَهُ؛ وَلَوْ جَازَ الصَّرْفُ لِحَبْرَدٍ ^(١)
 بِالْعُبُودِيَةِ لَمَنْعَهُ الْعَدْلُ مِنْ سَيِّدِهِ، وَالْحِلْمُ الَّذِي عُرِفَ مِنْ كَرِيمٍ مُحْتَدِهِ؛ فَكَانَ الْمَمْلُوكُ يُسْتَحْسِنُ
 فِي حَبْرَةٍ وَسَبْرِهِ، وَيَعَوَّضُ عَنْ مِقَابَلَتِهِ بِجَبْرِهِ؛ فَقَدْ صَارَ سَمِينُهُ غَنًّا وَشَحْمُهُ وَرَمًا،
 وَحَدِيثُهُ رَنًّا وَسَهْلُهُ عَلَمًا:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْنٍ كَلِيلَةٌ * كَمَا أَنَّ عَيْنَ الشَّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
 وَمَا تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ وَلَا بَعْضُهُ، وَلَا يُحْدِثُ ذَمَّ الْمَمْلُوكِ وَبَعْضُهُ؛
 وَلَوْ بَدَأَ مِنْهُ زَلٌّ، أَوْ لَمَحَ مِنْهُ خَطَلٌ؛ فَمَكَارُمُ مَوْلَانَا أَوْسَعُ مِنْ إِقْبَاءِ ذَلِكَ فِي صُدُورِ
 الصُّدُورِ، وَ[أُخْرَى بِ] مَحْوِ آيَاتِ السِّيَّئَاتِ فَإِنَّهُ لَيَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ.

(١) بياض بالأصل ولعله «لحجود الشك بالعبودية»:



وله : يُخْذَمُ بُدْعَائِهِ ، وَصَادِقٌ وَلَائِهِ ؛ وَيُنْهَى أَنَّهُ أَنْكَسَرَ خَاطِرُهُ ، وَأَرِقَ جَفْنُهُ
وَنَاطِرُهُ ؛ وَتَضَاعَفَ بَلْبَالُهُ ، وَتَزَايَدَتْ فِي النَّقْصِ أَحْوَالُهُ ؛ مِنْذُ تَأَخَّرَتْ الْأُمَثِلَةُ الْكِرَامُ ،
وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهُ بَانِقَطَاعِهَا الْمِنْنُ الْحَسَامُ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْ ذَنْبٍ وَقَعَ ، وَتَشْرِيفَهُ
بِمِثَالٍ يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ مَا وَضَعَ ؛ وَاسْتَعْمَالَ الصَّفْحِ عَنْهُ كَسَائِرِ عَادَاتِهِ ، وَإِجْرَاءَهُ عَلَى
اللُّطْفِ الَّذِي أَلْفَهُ مِنْ تَفَضُّلَاتِهِ ؛ فَقَدْ ضَعُفَ صَبْرُ الْمَمْلُوكِ وَجَنَانُهُ ، وَتَفَرَّقَ لِلْفِرَاقِ
جَفْنُهُ وَإِنْسَانُهُ ؛ وَصَغُرَ قَدْرُهُ ، وَأَهْمِلَ جَانِبُهُ وَمَنْ أَمَرَ بِإِهَانَتِهِ نَحْرَهُ ، وَلِهَذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ ، وَكَانَ لِسَانُ حَالِهِ [يَنْشُدُ] فِي ذَلِكَ :

وَأَهْتَنِّي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا * مَا مِنْ يَهْوٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ !

وَالْمَمْلُوكُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّهُ مَازَالَ يَجْهَلُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْخِدْمِ ، وَمُقَرَّرٌ بِتَقْصِيرِهِ عَنِ الْقِيَامِ
بِحَمْلِ مَا يُوَاصِلُ بِهِ مِنَ النِّعَمِ ؛ لَكِنَّهُ أَلْفَ مِنْ مَوْلَانَا أَنْ يُقَابِلَ إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ ،
وَجَهْلَهُ بِصَفْحٍ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ اللِّسَانُ ، بَلْ جَمِيعُ الْجُنَّانِ ؛ فَإِنْ كَانَ ذَنْبٌ مِنَ الْمَمْلُوكِ
هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ أَطْرَاحَهُ ، وَأَوْجَدَ أَسْفَهُ وَأَذْهَبَ أَفْرَاحَهُ ؛ وَكَانَ أَيْسَرَ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ جَهْلِهِ وَإِسَاءَتِهِ ، فَحُلْمُكَ جَدِيرٌ أَنْ يُلْحِقَهُ بِإِخْوَتِهِ ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ تَزَايَدَ مِقْدَارُهُ ،
فَالْمَوْلَى قَدْ تَضَاعَفَ عَلَى الْعَفْوِ اقْتِدَارُهُ ؛ وَإِذَا كَبُرَتْ الْخَطِيئَةُ كَثُرَ أَجْرُ غُفْرَانِهَا ،
وَعَلَّتِ الْمَجَاوِزَةُ عَنْهَا عَلَى أَقْرَانِهَا ؛ وَعَلَى كَلَا الْأُمْرَيْنِ فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْمَمْلُوكُ الْمَغْفِرَةَ بِكُلِّ
طَرِيقٍ ، وَأَنْ يُقَابِلَ رَجَاؤُهُ بِالْحَقِيقِ ، وَأَمْلُهُ بِالتَّصْدِيقِ .



وله : وَيُنْهَى أَنَّهُ مَازَالَ يَشْلُو آيَاتِ مَحَاسِنِهِ وَحَمْدِهِ ، وَيَرْفَعُ رَايَاتِ إِحْسَانِهِ
وَعَجْدِهِ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ وَلَا يَتَوَلَّى عَنْ مَحَبَّتِهِ ، وَيُكْثِرُ التَّنَاءَ عَلَى أَلْمَعَى فِطْطِهِ وَجَزِيلِ

مُرُوتِهِ ؛ وَقَدْ صَارَ يُشَاهِدُ مِنَ الْمَوْلَى مَلَالًا وَصُدُودًا ، وَإِعْرَاضًا يَغِیْظُ بِهِ صَدِيقًا
وَيُسْرِبُهُ حَسُودًا ؛ وَأَطْرَاحًا أَوْهَمَهُ أَنَّهُ أَلْفٌ وَصَلَّ دُرُجَتٌ ، أَوْ لَفْظَةٌ هُجْرٍ لَفِظَتْ ؛
وَلَا يَعْرِفُ لَهُ ذَنْبًا يُوجِبُ إِعَادَهُ ، وَلَا جُرْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ أَنْ يَنْقُضَ حَبْلَ وَصْلِهِ
وَيَرْفُضَ وِدَادَهُ ؛ وَلَا يَعْلَمُ سَبَبًا يُوجِبُ سَبَّهُ ، وَلَا شَيْئًا يُخَدِّثُ عَتَبَهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ
أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْإِعْرَاضِ ، وَيَرْفُلَ مِنْ إِغْفَالِ مَوَدَّتِهِ فِي الثَّوْبِ الْفَضْفَاضِ ؛ فَإِنَّ
الْمَوْلَى أَلَمَهُ بِالْقَوْلِ مِرَارًا ، وَجَعَلَ سَحَابَةً حَيْفَهُ تَهْمِي عَلَيْهِ مِذْرَارًا ؛ وَهُوَ يَحْتَمِلُ
الْأَذَى ، وَيُعْضِي عَلَى الْقَذَى ؛ وَلَا يُظْهِرُ إِلَّا مَحَبَّةً ، وَلَا يُبَيِّنُ لَهُ إِلَّا مَوَدَّةً ؛ فَإِنْ
شَاهَدَ الْمَوْلَى بَعْدَ إِعْرَاضِهِ إِعْرَاضًا فَلْيَلِمُ نَفْسَهُ ، أَوْ أَحْرِقْهُ لَهَبُ نَارِ الْجَفَاءِ فَلَا يَشْكُو
مَسَّهُ ؛ يُحِيطُ بِذَلِكَ عُلَمَاءُ ، وَرَأْيُهُ الْعَالَى .

شعر في العتاب :

مَوْلَايَ قَدْ طَالَ التَّبَاعُدُ بَيْنَنَا * أَوْ مَا سَمِيتَ قَطِيعَتِي وَمَلَالِي !
إِنْ لَمْ تَرَقَّ لِحَالَتِي يَا هَاجِرِي * مَوْلَايَ قُلْ لِي مَنْ يَرِقُّ لِحَالِي !

غيره :

يُبَاعِدُنِي عَنْ قُرْبِهِ وَلِقَائِهِ * فَلَمَّا أَذَابَ الْجِسْمَ مِنِّي تَعَطَّفَا

غيره :

إِنْ كَانَ هِجْرَانُنَا يَطِيبُ لَكُمْ * فَلَيْسَ لِلْوَصْلِ عِنْدَنَا ثَمَرُ

غيره :

سَمَّيْتُ فِي الْأَعْدَاءِ حِينَ هَجَرْتَنِي * وَالْمَوْتُ دُونَ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءُ !

غيره :

تَسَامُ عَيْنَاكَ وَتَشْكُو الْهَوَى * لَوْ كُنْتَ صَبًّا لَمْ تَكُنْ نَائِمًا !

(١)
ولبعضهم : سيدى بادأنى بلطفٍ من غير خبره ، وأعقبنى جفاءً من غير ذنب ؛
فاطمعتى أوله فى إخوانه ، وآيسنى آخره من وفائه ؛ فسبحان من لو شاء لكشف
بإيضاح المُبهم عن عَزِيمةِ الرأى فيه ؛ والمملوك يقول :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ أَنْقَلَبَ * وَصَفَوْ وِدَادَكَ أَنَّى ذَهَبَ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّى * أَرَاكَ بَعَيْنِ الرِّضَا فى الغَضَبِ

أجوبة رِقَاعِ الْعِتَابِ

قال فى ”موادّ البيان“ : حكم أجوبة هذه الرِّقَاعِ حُكْمُ رِقَاعِ أَجُوبَةِ الْإِعْتِذَارِ
إِلَّا أَنهَا لَا تَخْلُو مِنَ الْإِجَابَةِ بِالْإِعْتَابِ أَوْ الْإِصْرَارِ عَلَى الْعِتَابِ . قال : ويحبُّ
أَنْ يَسْلُكَ فِيهَا الْحَيِيبُ مَذْهَبَ الْحَيِيبِ عَنْ رِقَاعِ الْإِعْتِذَارِ .
زهر الآداب :

فى جواب العتب على تأخر مكاتبة .

وعلم المملوك ما أشار به من العتب بسبب تأخر خدَمِهِ عن جنابه ، وما توهمه
من اشتغال المملوك بأهله وأصحابه ؛ وحاشاه أن يتوهم فى المملوك غير الولاء ، والملازمة
على الحمد والثناء ؛ فهو لا يعتمدُ ذلك إلا تخفيفاً عن خاطره ، ووئوعاً بما يتحقَّقه
المولى من خالص مودته فى ياطنه وظاهره ؛ حرسه الله ووفقه ، وفتح له باب السعادة
ولا أغلقه ، بمنه وكرمه .

زهر الربيع :

جواب عتاب :

زاد الله جنباه حنانا، وأسبغ عليه إنعاما وإحسانا، وخلد له على كلِّ عدوِّ سلطانا .
ولا زالت همته سماء لنا كب الكواكب، وأياديه تُفيض على الأولياء غرائب
الغائب ؛ ولا برحت سخائب إنعامه هاميه، وقطوف إحسانه دائمة دائيه ؛ وشرائع
مياه جوده تُجفف جفونا من الفاقة دامية .

المملوك يحدّد خدمته، ويؤاثر للولي أدعيته ؛ ويعترف بمنته التي أقرت بها ألسنة
جوارحه فلا يستطيع أن ينكرها ؛ ويعترف بيد تضرعه من بحار جوده التي تتعب
الولي من سخائها إلى كل ولي وتقذِف له جواهرها .

وينهى ورود المكاتبة والعلم بمضمونها، والاختواء على سائر معاني فنونها ؛
وما أشار إليه من العتب الذي يرجو به بقاء الوداد، واستصحاب حال التواصل
من غير نقاد؛ والمملوك فلا ينكر ذنبه، ولا يتنصل ولا يتوصل بل يعترف بجرمه وقلة
خدمته ؛ ويستمسك بالعروة الوثقى من إحسانه وحلمه ، ويسأل مكارمه وإجرائه
على عادته بالصّبح عنه ورسمه ؛ وهو يرجو أن أم هذه الحفوة لائل لها أختا، وأنه
لا يعتمد إلا ما يزيد إلى المولى مقة ويُريل مقتا ؛ فإن معاتبة مولانا قد وعثا أذن
واعيه، ومراضيه لا تخفى على المملوك بعد ذلك منها خافية ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر : أسعد الله المجلس وعطف للأولياء قلبه ، ونصر تائبه وأنقذ كُتبه ؛
وأرّهف في نُصرة الإسلام سنانهُ وعَضْبهُ ؛ وألهم حبة قلب الزمان حبه ؛ وأقدره
على الحلم الزائد حتى يغفر به لكلِّ مُذنب ذنبه .

[وينهى] وُرودَ الكتابِ الذى أعدَّته يدُ مولانا فصارَ كريماً ، وكستته عبارته ثوبَ برّاعته فأصبحَ منظره وسياً ، وأستنشَقَ عَرَفَ نَسِيمه المباركِ فطابَ شَمِياً ؛ وعلمَ المملوكُ منه شِدَّةَ عَتبه ، ومَرَّ التَّجَنَّى الذى ظَهَرَ من حُلوفِظهِ وعَدْبِهِ ؛ ولم يَعْرِفْ لَعَتَبه مُوجِبا ، ولا تَغْيِيرَ مودَّتِهِ سَبباً ؛ فإنه ما حادَ عن طَرِيقِ وِلانِهِ ولا حالَ ، ولا زَلَّتْ قَدَمُهُ عنه ولا زالَ ؛ ولا مادَ عن مَنَهِجِ المودَّةِ ولا مالَ ؛ وما قَتِيَ لِمَحاسِنِهِ نَاشِراً ، ولا إحسانِهِ شاكِراً ؛ فإن كان قد نُقِلَ عنه إلى مولانا شَيْءٌ أَرْجَحَهُ ، وأُخْرِجَهُ عن عادَةِ حِلِّهِ وأُخْرِجَهُ ؛ فإن الوُشاةَ قد آخَلَقُوا قَوْلَهُم ونَقَلَهُم ، وقَصَدُوا تَشْتِيتَ المُصاحِبَةِ شَتَّ اللهُ شَمْلَهُم :

وقد نَقَلُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفْهِيهِ * وما أَفْهِي الأَخْبَارِ إِلَّا رُواتُها !

آخر: وردت المشرقة العالِية أعلَى اللهُ نَجْمَ مَرَسِلِها ؛ وأسبغَ أيادِيه وشكرَ جَسِيمَ تَفَضُّلِها ؛ فابتهجتِ الأنفُسُ بِحُلُولِها وحُلَّ جَمالِها ، وعُومِلَتْ بما يَجبُ من إكرامِها وإجلالِها ، وفُضِّ خَتامُها ففاحَ منها أَرْجُ العَيدِ والعَندَرِ ، وتَلَيَّتْ أَلْفاظُها التى هى أبهى من الرِّياضِ وأحلى من السُّكَّرِ ؛ فأغنتْ كُثُوسُ فَصاحَتِها عن المَدَامِ ، وأزال ماؤها الزَّلْزالُ الباردَ حرَّ الأوامِ ؛ وأعربَ مُنْشِئُها عَمَّا فى ضميرِها من العُتْبِ ، والضيقِ الذى حَصَلَ فى ذلِكَ الصِّدْرِ الرَّحْبِ ؛ وهو يُقَسِّمُ بِنِعْمَتِهِ ، وبِصادِقِ مَحَبَّتِهِ ؛ أنه لم يَبْدُ منه ما يُوجبُ عليه عَتْباً ، ولا أَتَنَّى عن النِّناءِ على [مَحاسِنِهِ ^(١)] التى شَغَفَتْهُ حُبّاً ؛ فإن كانَ المولى قد تَوَهَّمَ شَيْئاً أُخْرِجَهُ وأَقْلَقَهُ ، وإلى أَلَمِ العُتْبِ شَوْقَهُ ؛ فليزِلْ ذلِكَ الوَهْمَ من خاطِرِهِ ، وليتَّقِ بما تَحَقَّقَ من مُوالاتِهِ فى باطِنِهِ وظاهِرِهِ ؛ ورأيه العالى .

آخِر: أَعَزَّ اللهُ عَزَمَاتِهِ، وَشَكَرَ جِسِمَ تَفَضُّلاتِهِ .

ولا زالت نِعْمَتُهُ بِأَقْبِهِ ، وَقَدَمُهُ إِلَى دَرَجِ الْمَعَالَى رَاقِبِهِ ؛ وَهَمَّتُهُ إِلَى السَّمَوِّ عَلَى الْكَوَاكِبِ سَامِيهِ ، وَسَمَاءُ جُودِهِ عَلَى الْعُقَاةِ هَامِيهِ ؛ وَعَزَمَتْهُ لِنُغُورِ الْإِسْلَامِ حَامِيهِ ، عَبْدُ نِعْمَةٍ ، وَغَرَسَ كَرَمَهُ ، يُعَلِّمُهُ بِصِدْقِ وُدِّهِ ، وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى مُشْرِفِهِ وَفَهِمَهُ ، وَشَاهَدَ مِنْهُ عَتَبَهُ وَعَلِمَهُ ؛ وَهُوَ لَا يَشْكُو مِنَ الْمَوْلَى جَفَاءً وَلَا يَعْيبُ ، وَ[عَنْ] طَرِيقِ الْمُصَافَاةِ وَالْمُخَالَصَةِ فَلَا يَغِيبُ ؛ بَلْ يَقُولُ :

أَنْتَ الْبَرِيُّ مِنْ الْإِسَاءَةِ كُلِّهَا * وَلَكَ الرِّضَا وَأَنَا الْمُسِيءُ الْمَذْنِبُ

وَالْمَرْجُوءُ مِنْ لَطَافَةِ أَخْلَاقِهِ ، وَطَهَارَةِ أَعْرَاقِهِ ، أَنْ يَصْفَحَ عَنْ زَلَّتِهِ ، وَيَعْفُو عَنْ ذَنْبِهِ وَإِسَاءَتِهِ :

فَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لَتَخْفِيفِ زَلَّتِي * وَتَحْقِيقِ آمَالِي وَنَيْلِ مَا رِي !

وَقُرْبِكَ مَقْصُودِي وَبَابُكَ كَتَبْتِي * وَرُؤْيَاكَ يَأْسُؤُنِي أَعَزُّ مَطَالِي !

قلت : وَكُتِبَتْ إِلَى الْمَوْلَى شِهَابِ الدِّينِ الدَّنِيسَرِيِّ وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ مُسَاعَدَةُ بَعْضِ الْجُهَّالِ عَلَى فِى بَعْضِ الْأُمُور :

عَهَدْتُ شِهَابَ الْفَضْلِ رَبِّي بِسَهْمِهِ * شَيَاطِينَ جَهْلٍ أَنْ تُدَانِي جَنَابَهُ !

فَقَالَ مَوْلَانَا عَلَى فَرْطِ فَضْلِهِ * يُعْرِفُ شَيْطَانَ الْجَهَالَةِ بِآبِهِ ؟

النوع الرابع عشر (العبادة والسؤال عن حال المريض)

رُقعة عيادة :

وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مِنْ أَلَمِ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَحَرَسَ حَوْبَاءَهُ -
مَا أَهْمَى مَدَامِعَهُ ، وَأَنْجَى أَضَالِعَهُ ؛ وَمَزَّقَ جِلْدَهُ ، وَحَرَّقَ خَلْدَهُ ؛ وَأَطَارَ الْوَسْنَ عَنْ
عَيْنِهِ ، وَنَقَّرَ الْهُدُوءَ عَنْ مَضْجَعِهِ ؛ حَتَّى تَدَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَتَابِهِ النَّاطِقِ بِإِفْلَاحِ الْمَلَمِ ،
الْمُغْرَبِ عَنْ دِفَاعِ الْمُهِمِّ ؛ فَرَقًّا مِنْ دُمُوعِي مَا آرَفَضَ ، وَجَبَرَ مِنْ ضُلُوعِ الْمَمْلُوكِ
مَا آرَتَضَ ؛ وَالتَّامِ مِنْ جِلْدِهِ مَا نَقَطَّرَ ، وَبُرْدَ مِنْ خَلْدِهِ مَا تَوَقَّدَ ؛ وَجِثَمَ مَاطَارٍ مِنْ وَسَنِهِ
وَأَتَسَ مِنَ الْهُدُوءِ مَا نَقَّرَ عَنْهُ ، وَالتَّامِتِ الْآمَالُ بَعْدَ انْتِلَامِهَا ، وَبَرَزَتْ ثِمَارُ الْأُمَانِيَّ
مِنْ أَكْثَامِهَا ؛ وَطَلَعَ مِنَ الرَّجَاءِ آفَلُهُ ، وَرَوَى مِنَ الشَّرُورِ مَاحِلُهُ ؛ وَتَجَدَّدَ مِنَ السُّودِّ
طَامِسُهُ ، وَصَحَّكَ مِنَ الزَّمَانِ عَاسِسُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُغْضُ طَرْفَ الْحَدَثَانِ ، عَنْ مُهْجَتِهِ ،
وَيَصْرِفُ صُرُوفَ الزَّمَانِ ، عَنْ سَاحَتِهِ ؛ وَيَهْنِيهِ بِمَا أَعَادَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِبْلَالِ ، وَيُمْلِكِيهِ
بِمَا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْتِقْلَالِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رُقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَا خَامَرَهُ مِنْ قَلَقٍ وَجَرَعٍ ، وَفَرَقٍ وَهَلَعٍ ، بِسَبَبِ مَا بَلَغَهُ مِنْ
شَكْوَى مَوْلَانَا لَا تَحْضُرُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تُسْطِرُّهُ الْأَقْلَامُ ؛ وَلَوْلَا نِقَةُ الْمَمْلُوكِ بِاللَّهِ تَعَالَى
لَوَهَتْ عُقْدَ صَبْرِهِ ، وَلَا تَخْلَعُ قَوَادِمُهُ مِنْ صَدْرِهِ ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْأَلَمَ
لَوْ نُقِلَ إِلَى الْمَمْلُوكِ لَمَا تَقَلَّ عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَسْتَنْقِلُ مَا يَحْقِيقُ عَنْ مَوْلَانَا وَصَبِهِ
وَيُحْسِمُهُ ، وَيُعْكَفُ لَهُ سِلْكَ الشِّفَاءِ وَيَنْظُمُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ فِي أَمَانٍ مِنْ
كِفَايَتِهِ ، وَضَمَانٍ مِنْ حَيَاطَتِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في الاصل "توفر" بالقاء والراء وهو لا يناسب المعنى .

أجوبة كُتِبَ الشِّفَاعَاتِ وَالْعِنَايَاتِ^(١)

قال في "موادّ البيان" : هذه الكُتُبُ إذا أُجِيبَ الملتَمِسُ إلى حاجته فينبغي أن تُبْنَى أجوبتها على شُكْرِ مقصد الشافع ، والإدلال والأسترسال وإنالَةِ المشفوع له وَطَرَهُ إيجاباً لحقّ الشافع ؛ وإن وقع الامتناع والتوقف عن الإجابة إلى الملتَمِسِ ؛ فالواجب أن تُبْنَى على إقامة العُدْر لا غير .

زهر الريع :

جوابُ شفاعَةٍ في حقّ كاتب :

جَدَّدَ الله [له] السَّعَادَةَ وَخَلَّدَهَا ، وَأَصَارَهَا لَهُ شِعَارًا وَأَبْدَهَا ؛ وَوَطَّدَ بِهِ الْمَالِكَ وَمَهَّدَهَا ؛ وَعَضَّدَ بِهِ طَائِفَةَ الْإِسْلَامِ وَأَيَّدَهَا ؛ وَشَكَرَ لَهُ صَنَائِعَ يَعُدُّ مِنْهَا وَلِيٌّ وَلَا تُكَلِّلُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْدَّهَا .

المملوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الشَّرِيفَةَ أَدَاءً لِلْفَرِضِ الْإِزْمِ ، وَشُكْرًا لِمَا أَوْلَتْهُ مِنَ الْإِيَادِي وَالْمَكَارِمِ ؛ وَحَمْدًا لِلْإِطْفَافِ الَّتِي أَطْمَعْتَهُ بِالتَّمْيِيزِ فَاصْبَحَ بَرْقُ قَدْرِهِ كَالْجَازِمِ .

وينهى ورودَ المشرف الذي تَزَهَّ نَظَرُهُ ، وَجَبَرَ قَلْبَهُ بِحُسْنِ الْفَاطَةِ وَخَاطِرِهِ ؛ وَالْعَلَمَ بِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَشَفَعَ إِلَى الْمَمْلُوكِ بِسَبَبِهِ ؛ وَهُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ رَكَّنَ إِلَى مَا شَكَرَهُ بِهِ الْمَوْلَى وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَأَعْتَقَدَ يُمْنُ^(٢) إِغَارَةِ الشَّافِعِ فَعَقَّدَ عَلَى الْمَشْفُوعِ فِيهِ خَنْصَرَهُ ، وَتَقَدَّمَ بِرَتْبِيهِ فِي دِيْوَانِ إِنْشَائِهِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ خَوَاصِّهِ وَخُلَصَائِهِ ؛ وَفَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ اتِّبَاعًا لِإِشَارَتِهِ ، وَقَبُولًا لَشَفَاعَتِهِ ؛ فَالْمَوْلَى يُوَاصِلُ بِمِرَاسِمِهِ وَأَمْثَلَتِهِ ، فَإِنَّهَا تَرِدُ عَلَى مُرْتَسِمٍ مِمْتَلِ .

(١) حق هذه الأجوبة أن تكون تابعة للنوع الرابع فهي مؤخره من تقديم فتنه .

(٢) لعله إشارة الشافع .

ومنه : جواب شفاعة في استخدام جُنْدِي :

ضاعفَ الله تعالى نِعَمَهُ ، وأَرْهَفَ في نُصْرَةِ الإسلامِ سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ ولا بَرَحَتْ
الْإِسْنَةُ الْأَنَامَ نَاطِقَةً بَوْلَانِهِ ، وَأَيْدَى ذَوِي الرِّجَاءِ مَمْلُوءَةً مِنْ فَوَاضِلِ نِعْمَائِهِ .

المملوكُ يُوَصِّلُ بِأَدْعِيَتِهِ الصَّالِحَةِ ، وَيَسْتَنْشِقُ رُوحَانِيَّ رِيحِكُمْ فَيَسْكُنُ مِنْهُ بِالذِّيدِ
تِلْكَ الرَّائِحَةِ ؛ وَيَشْكُرُ لَهُ مَا مَنَحَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ ، وَيَبَاهِي بِعِزَمَاتِهِ اللَّيُوثَ الضَّرَاعِمَ ؛
فلا يَجِدُ مُضَاهِيًا لِتِلْكَ الْعِزَامِ .

ويُنْهِى وَرُودَ الْمِثَالِ الَّذِي أَشْرَقَتْ الْوُجُوهُ بِنُورِهِ ، وَأَبْتَهَجَتْ الْأَنْفُسُ بِبِلَاغَةِ
مُنْشِيهِ وَوَشْيِ سُطُورِهِ ، وَعَلِمَ إِشَارَةَ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانٍ : أَدَامَ اللَّهُ سَعْدَهُ ، وَأَعَذَّبَ
مَنْهَلَهُ وَوَرَدَهُ ، وَالتَّوَصَّيَّةَ بِأَمْرِهِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنْ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ، وَأَنْ يُقَطِّعَ إِقْطَاعًا يَلِيْقُ
بِأَمثَالِهِ ، وَيَتَقَيَّأُ مِنْ نَحْرَاجِهَا ضَافِي ظِلَالِهِ ، وَغِنْدَ مَثُولِ مِثَالِهِ الْعَالِي أَمْتِثَلَ وَالنِّثْمَ ،
وَأَسْتَخْدِمَ الْمَشَارَإِلِيهِ لِإِشَارَتِهِ وَخَدَمَ ، وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِهِ ، وَتَعْظِيمِ
كُتَابِهِ وَتَجْيِيلِ قَدْرِهِ ، فَيُوَصِّلُ بِمَرَامِهِ فَإِنَّهَا تُقَابِلُ بِالْإِرْتِسَامِ ، وَمُشْرِفَاتِهِ فَإِنَّهَا تُعَامَلُ
بِوَأَفْرِ الْإِكْرَامِ .

جواب شفاعة في الجملة :

قُلْ مَا تَسْأَلُ فَإِنِّي لَكَ طَائِعٌ * مَا أَنتَ عِنْدِي شَائِعٌ بَلْ أَمْرٌ !

جعله الله لكل خير سببًا ، وَحَقَّقْ بِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ظُنُونًا وَحَصَّلَ أَرْبَابًا ؛ وَوَفَّرْ لَهُ مِنْ
أَجْرِ شَفَاعَتِهِ الْحَسَنَةِ نَصِييَا ، وَأَدَامَهُ عَنْ كُلِّ شَرٍّ بَعِيدًا وَإِلَى كُلِّ خَيْرٍ قَرِيبًا .

المملوكُ يَنْهَى نَأْسَهُ لِفِرَاقِهِ ، وَمَا يَجِدُهُ مِنْ صَبَابَتِهِ وَشِدَّةِ أَشْوَاقِهِ ؛ وَيُعَانِيهِ مِنْ
جَنِينِهِ وَأَتَوَاقِهِ ، وَأَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ كُتَابُهُ فَاسْتَلَمَهُ وَلَتَمَّهُ ، وَبِجَلِّهِ وَعَظَمَتِهِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ

إليه ، وأَخَذَ أَمْرَ الْمَشْفُوعِ فِيهِ بِكُلْتَا يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ قَضَاءَ أَرِيهِ أَمْرًا لَازِمًا ، وَمَا قَتَّى عَلَى سَاقِ الْإِجْتِهَادِ قَائِمًا ، إِلَى أَنْ حَصَلَ غَرَضُهُ ، وَأَدَّى مِنْ حُسْنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِهِ مَا أَوْجَبَهُ مُشْرِفُهُ الْعَالَى وَأَقْرَضَهُ ، وَالْمَوْلَى أَمْرٌ غَيْرُ شَفِيعٍ ، وَمَهُمَا وَرَدَ مِنْ جِهَتِهِ عَلَى الْمَمْلُوكِ فَوَارِدٌ عَلَى سَمِيعِ مُطِيعٍ ؛ فَيَوَاصِلُ مِنْ مَرَّاسِمِهِ بِمَا سَنَحَ ، وَمِنْ أَخْبَارِهِ بِمَا تَأَرَّجَ طِيبُ عَرَفِهِ وَشَفَحَ ؛ وَرَأْيُهُ فِي ذَلِكَ الْعَالَى .

آخِرُ : شَكَرَ اللَّهُ عَوَارِفَهَا ، وَتَالَدَ جُودَهَا وَطَارِفَهَا ، وَوَاغَرَ ظِلَالَهَا وَوَارِفَهَا ؛ وَيَنْهَى ثَنَاءَهُ عَلَى مَعَالِيهِ ، وَمَلَا زَمَتَهُ وَمُدَاوَمَتَهُ عَلَى بَثِّ مَحَاسِنِهِ وَنَثِّ أَيَادِيهِ ؛ وَحَمْدِ عَوَاقِبِ إِحْسَانِهِ وَمَبَادِيهِ ، وَشِدَّةِ أَشْوَاقِهِ إِلَى جَنَابِهِ ، وَلِذِيذِ مَشَاهِدِهِ وَخِطَابِهِ ؛ وَمَا يُعَانِيهِ مِنْ غَرَامٍ لَازِمَةٍ مُلَازِمَةِ الْغَرِيمِ ، وَدَاءِ صَبَابَةٍ يُضَاعِفُ شَوْقَهُ إِلَى رُؤْيِهِ وَجْهِهِ الْوَسِيمِ ؛ وَمُدَاوَمَتُهُ عَلَى التَّعَوُّضِ بِشُكْرِ مَحَاسِنِهِ عَنِ الْمُدَامَةِ وَالنَّدِيمِ ؛ وَنَظْمِ جَوَاهِرِ مَدَحِهِ لِجِدِّ جُودِهِ ، وَخَمْدِ الْمَوْلَى عَلَى ذَلِكَ التَّنْظِيمِ ؛ وَأَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ مُشْرِفُهُ الْعَالَى فَقَبَّلَهُ ، وَدَعَا لِمُرْسَلِهِ دُعَاءَ يَرْجُو مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَسْتَجِيبَهُ وَيَتَقَبَّلَهُ ؛ وَحَصَلَ لَهُ بِوَصُولِهِ أَتْبَهَاجٌ عَظِيمٌ ، وَقَالَ لِمَنْ حَضَرَ وَرُودَهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ وَفِيهِمْ مَضْمُونَةٌ وَخَفَاوَةٌ ، وَعِلْمٌ مَعْنَاهُ وَمَا أَظْهَرَهُ فِيهِ وَأَبْدَاهُ : مِنَ الْوَصِيَّةِ بِفُلَانٍ وَمَا يُؤْتِرُهُ مِنْ تَسْهِيلِ مَطَالِبِهِ ، وَتَيْسِيرِ مَآرِيهِ ؛ وَوَصَلَ الْمَشَارُ إِلَى حَصَلِ الْأُنْسِ بِرُؤْيَتِهِ ، وَتَمَتَّتِ الْبَوَاطِرُ وَالْمَسَامِيحُ بِمَشَاهِدَتِهِ وَمَشَافَهَتِهِ ؛ وَقَامَ الْمَمْلُوكُ فِي أَمْرِهِ قِيَامًا تَامًا ، وَجَعَلَ عَيْنَ اجْتِهَادِهِ فِي مَصْلَحَتِهِ مَتَقَيِّظَةً لَا تَعْرِفُ مَنَامًا ؛ وَشَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْاجْتِهَادِ ، فِي تَحْصِيلِ الْمَرَامِ وَالْمُرَادِ ، إِلَى أَنْ حَصَلَ لَهُ الْقَوْرُ بِنَيْلِ أَمَلِهِ ، وَعَادَ رَاتِعًا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَخْضَرِهِ وَأَخْضَلَهُ ؛ رَافِلًا مِنَ الشُّرُورِ فِي أَهْبَى حُلَلِهِ ، فَيُحِيطُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْصِدُ بِهِ الدُّوَلَ وَالْمَالِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

آخر: جعله الله مفتاحاً لكل باب مُرْتَجٍّ، وَصَدَّقَ بِهِ [أَمَلٌ] كُلُّ أَمَلٍ وَحَقَّقَ رَجَاءَ كُلِّ مُرْتَجٍّ، وَلَا زَالَتْ سَخَائِبُ جُودِهِ هَامِيَةً بِالْوَسْمِيِّ وَالْوَلِيِّ، مَا طَرَّةً بَوْبُهَا وَطَلَّهَا عَلَى الْوَلِيِّ.

المملوكُ يُخْدَمُ بِحَيَّةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ، وَسَلَامٍ أَطْيَبَ عَرَفًا مِنْ بَانَ النَّقَا إِذَا تَحَمَّلَتْ عَرَفَهُ رِيحُ الصَّرِيمِ.

وينهى إلى عليه الكريم ورود مشرقته وأنه أحاط بمضمونها علماً، وشاهد منها في حال طيها مكارم أصارت تفضيله على حاتم الطائي حتماً؛ ووقف منها على در لفظ قدفه بحر خاطره نثراً ونظماً؛ وبراعة عبارة زادت قلب مواليه غراماً وأثف مناويه رعماء؛ وفصاحة عرفته قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحُكْمًا»^(٢) وفيهم عنايته بفلان نفع الله بعلمه وعمّله، وقرب له من الخير مالا يُطْمِعُهُ به بعيد أمله؛ وإشارته بسبب التنبيه والإرشاد على جمل فضائله، ومفصل مناقبه المشهورة في البلاد، وإيضاح كفايته في وجيز تلك الفصول الصّحاح الإسناد، فحال قدوم المذكور وحلوله، وورود مشرقه ووصوله؛ أنهى المملوك أمره إلى غخدومه، وطالع به شريف علومه؛ ولا زال يُحَسِّنُ سعيه، ويعتمد على مشيئة الله ولا يترك حرصه ومشيه؛ إلى أن حقق قصده بقضاء شغله، وقرب له أمد أمله، وكتب توقيعه ولم يرد الله تعويقه، ونجع طعم قصده وأنجح الله طريقه؛ وقد عاد مصحوباً بالسّلامه، معروفاً بتحصيل هذا القصد بأنه (طَلَّاعُ الثَّنَائِيَا) من غير وضع العيامة، حسب إشارة المولى وأمره، والله تعالى يمدّه بصونه ونصره.

(١) الولي المطر الذي يأتي بعد الوسمي ووقع في الأصول "الولي" وهو تحريف واضح.

(٢) هو بضم الحاء وسكون الكاف العلم والفقّه أى إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه.....
ويروى إن من الشعر لحكمة وهو معنى الحكم. انظر اللسان ج ١٥ ص ٣٠.

آخر : في استخلاص حق .

شَكَرَ اللهُ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ، وَحَصَّلَ بِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ مَرَامَهُ ، وَحَمَدَ تَطَوُّلَهُ وَتَفَضُّلَهُ ،
وَأَنَالَ بِهِ لِكُلِّ آمِلٍ أَمَلَهُ ، وَخَلَّدَ دَوْلَتَهُ ، وَأَدَامَ نِعْمَتَهُ ، وَأَنفَذَ كَلِمَتَهُ ؛ وَلَا زَالِ فَضْلُهُ
كَامِلًا ، وَإِحْسَانُهُ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ وَإِصْلَاحًا ؛ وَنَوَالُهُ لِبَنِي الْإِمَالِ شَامِلًا .

المملوك يَخْدُمُ بدعاء أحسنَ من نور الربا ، وثناءٍ ألطفَ من ريح الصَّبَا ؛ وسلايم
أطيبَ بمُروءة من تذكُّرِ أيام الصَّبَا .

وينهى وَرُودَ الْكَتَابِ الَّذِي طَابَ بِالْمَوْلَى مُحْتَدُهُ وَنِجَارُهُ ، وَزَادَ عَلَى كِتَابِ الْكُتُبِ
نِفَارُهُ ، وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقُوفَ مُشْتَقٍ إِلَى مُرْسِلِهِ ، شَاكِرٍ أَنْعَمَ فَضْلِهِ وَجَسِيمٍ
تَفَضُّلِهِ ؛ فَأَسْكَرَتْهُ تِلْكَ الْفَصَاحَةُ بِسَدَاها الْأَرْجَ ، وَزَهَتْ لَحْظُهُ فِي دُرِّ لَفْظِهَا الْبَهَجَ ؛
فَظَنَّا لَمَّا اسْتَشَقَّ رَائِحَتَهَا رَاحًا قَرَفَقًا ، وَلَمَّا أَهْبَجَهُ لَفْظُهَا بِالْفَاظِ تَزَهَّى عَلَى الرِّيَاضِ
رَوْضَةً أَنْفَا ؛ وَعَلِمَ الْإِشَارَةَ الْكَرِيمَةَ فِي مَعْنَى 'فُلَانٍ' وَالْوَصِيَّةَ بِخِدْمَتِهِ ، وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ
مُسَاعَدَتِهِ وَمُسَاعَفَتِهِ ؛ وَعِنْدَ وُصُولِ مُشْرِفِ الْمَوْلَى وَقَبْلَ وَضْعِهِ مِنْ يَدِهِ ، نَوَى
الْمَمْلُوكُ مُسَاعَدَةَ الْمَذْكُورِ عَلَى مَقْصَدِهِ ، فَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِ غَرِيمِهِ فَوَجَدَهُ عَنِ الْبَلَدِ
غَائِبًا ، فَانْتَظَرَهُ إِلَى أَنْ عَادَ آثِبًا ؛ فَعِنْدَ وَصُولِهِ طَلَبَهُ وَأَحْضَرَهُ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَدَّعِيهِ
عَلَيْهِ خَصْمُهُ فَأُنْكِرَهُ ؛ وَطَلَبَ الْحُضُورَ إِلَى الْقَاضِي ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَوْهَمَ أَنَّهُ
الْمُتَقاضِي ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمَمْلُوكُ أَنَّ حُجَّةَ الْمَشْفُوعِ فِيهِ لَا تَقُومُ بِصَدَقِ دَعْوَاهِ وَحُجَجِ ،
وَلَا يَظْهَرُ بِهَا عَلَى غَرِيمِهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ حَرَجٍ ؛ بَدَّلَ فِي مُصَالِحَتِهِمَا جُهْدَ الْإِجْتِهَادِ ،
وَمَا زَالَ يُرْشِدُهُمَا إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ ؛ وَيُدْلِيهِمَا عَلَى سَبِيلِ السَّدَادِ ، وَيَعْرِفُهُمَا أَنَّ
التَّضَارُّرَ ضَيْرٌ ، وَأَنَّ الصِّلَحَ خَيْرٌ ؛ فَكُلُّ مِنْهُمَا يَهَيِّمُ فِي وَادٍ ، وَيَسْلُقُ خَصْمَهُ بِالسَّنَةِ
حَدَادٍ ؛ إِلَى أَنْ تَرَاضِيَا وَتَوَافَقَا ، وَسَلَكَا طَرِيقَ الرِّفْقِ وَتَرَافَقَا ؛ وَصَدَّقَ الْخَصْمُ

خَصَمَهُ فَصَادَقَا ، وَأَنْفَصَلَا وَكُلٌّ مِنْهُمَا قَدْ أَرْضَى خِدْنَهُ ، وَعَنِ الْحَاكِمَةِ وَالْمَحَاقِقَةِ
أَغْضَى جَفْنَهُ .

آخِر : أَيْدِ اللَّهُ سَعْدَ الْمَوْلَى وَأَبْدَهُ ، وَأَثَلُ مَجْدَهُ وَمَجْدَهُ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى إِسْدَاءِ
الْعَوَارِفِ وَعَصَدَهُ ؛ وَأَمَدَّهُ مِنَ الْمَسَرَّاتِ بِمَا يُزِيلُ عَنْ الْأَيَّامِ أْبْدَهُ ، وَأَنَالَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُ^(١)
الْأَنَامُ أَمَدَهُ ؛ وَلَا زَالُ بُرْدُ جَدِّهِ مِنَ السَّعَادَةِ جَدِيدًا ، وَنَجْمُ عُدُوهِ آفِلًا وَنَجْمُهُ سَعِيدًا .
الَّذِي يُحِيطُ بِهِ عِلْمُهُ الْكَرِيمُ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ فَسَرَى هَمُّ الْأَنْفُسِ وَسَرَّهَا ، وَضَاعَفَ
بِمَا ضَاعَ مِنْ نَشْرِهِ بِسَرَّهَا ؛ وَفَاحَ مِنْهُ شَدًّا عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتِ الْقُبُولُ ،
وَرَجَّحَ الْأَوْلِيَاءُ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتْ رِيحُ الشَّمَالِ وَأُدِيرَتِ الرِّيحُ الشَّمُولُ ؛ وَأَنَّ الْمَمْلُوكَ
وَقَفَ مِنْهُ عَلَى أَلْفَاظِ سَقْتِهِ كُثُوسٌ سُرُورٍ لَا كُثُوسَ مُدَامَ ، وَرَوَتْ لَهُ أَخْبَارَ حِلْمٍ
لَوْ أُسْنِدَتْ إِلَى سِوَاهُ لَتَوَهَّمَتْ أَضْلَافَاتُ أَحْلَامِ ؛ وَرَوَتْ أَوْ كَادًا أَضْرَبَهَا لَقَيْتَهُ حَرٌّ
ظَلَمًا وَأَوَامَ ؛ وَبَيَّنَّتْ سِحْرَ الْبَيَانِ ، وَأَعْرَبَتْ بِلِسَانِ حُسْنِهَا عَمَّا لَمُنْشِيهَا بِلِ مَوْشِيهَا مِنْ
الْإِحْسَانِ ، وَأَعْرَبَتْ فِي الْفَصَاحَةِ نَحْلُنَا كُلَّ كَلِمَةٍ تَنْطِقُ عَنْ سَخْبَانِ بِلِسَانِ ؛ وَزَهَتْ
بِيَانِجِ ثِمَارِ فَضْلِهَا فَتَزَهَتْ كُلُّ عَيْنٍ فِي بُسْتَانِ ؛ وَعِلْمُ إِشَارَةِ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانِ ،
وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي حَقِّهِ ، وَالْإِيْنَارِ لِصِلَةِ رِزْقِهِ ؛ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَتْرَافِ ؛ وَالَّذِينَ
تَجِبُ مَعَامَلَتُهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ التَّامِ ؛ وَعِنْدَ مَا شَاهَدَ الْمَمْلُوكُ كِتَابَ مِنْ شَرَفِهِ ،
وَسَمِعَ أَلْفَاظَهُ الَّتِي بَلُطْنُهَا أَتَحَفُّهُ ؛ بَلِ يَرْدَأُهَا عَلَى الْبَرْدِ أَخْلَفَهُ ، تَقَدَّمَ بِإِجَابَةِ سُؤَالِهِ ،
وَتَرْتِيْبِهِ فِي جِهَةٍ تَلِيْقُ بِأَمَثَالِهِ ؛ وَقَصَصَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ قِمِيصًا لَا يَبْلَى ، وَجَمَعَ لِحَاطِرِهِ وَالِدَّةَ
شَمْلًا ؛ وَهَذَا حَسَبَ إِشَارَةِ الْمَوْلَى الَّتِي لَا تُخَالَفُ ، وَأَمْرِهِ الَّتِي يَقِفُ كُلُّ أَحَدٍ عِنْدَهُ
وَلَا يَسْتَوْقِفُ وَلَا يُوَاقِفُ^(٢) .

(١) أَيْ غَضَبُهُ فَهُوَ مُصْدَرَأٌ عَلَيْهِ كَفَرَحَ إِذَا غَضِبَ .

(٢) هَذَا آخِرُ مَرَحَقَةِ التَّقْدِيمِ بَعْدَ النَّوعِ الرَّابِعِ وَقَبْلَ الْخَامِسِ فَتَنْبَهْ .

كتاب إلى مريض بالسؤال عنه من كلام المتأخرين :

حاشي من أجلك من أذى * وكريم جسمك من وصب !
يا غايَةَ المأمول والمرجوا كَلَّ الطَلَب !
مُدْ غَبَتَ عَنِّي لَمْ أَزَلْ * مِنْ بَعْدِ بَعْدِكَ فِي نَصَب !
جَفَنِي غَرِيقٌ بِالْذُّمِّ * عِ وَماءُ صَبْرِي قَدْ نَصَب !
والله مالي في البقا * وَأَنْتَ نَاءٍ مِنْ أَرْب !
فَتُرَى ^(١) أُبَشِّرُ سَيِّدِي * أَنَّ اللَّقَاءَ قَدْ أَقْتَرَب !

حرس الله مزاج المولى ! وأصار العافية له شعارا ؛ والصحة له دنارا ؛ ولا زالت
ساكنة في جوانحه ، مقيمة حشواً أعضائه المباركة وجوارحه .

أصدرها المملوك تُعَرِّبُ عن شوقٍ يَكُلُّ عن وصفه اللسان ، وتوقٍ لا يُحْسِنُ وصفه
البنان ؛ ولا يجزع عن حمل بعضه الجنان ، ملتصقا المواصلة بأخباره ، ووصفاً
ما يحجده القلب من ألم الشوق وناره ؛ وشاكياً من جور أيام الفراق ، وراجياً أن يُبَشِّرَ
بالإبلال من مرضه والإفراق ؛ وداعياً إلى الله بتعجيل أيام التلاق . ومع ذلك فلو
رُئِمَتْ أَنْ أُشْرَحَ كُلُّ مَا أَجِدُهُ مِنَ الصَّبَابَةِ لِأَسَامَتٍ وَأُسَهِّتَ ، بَلْ لَوْ ذَكُرْتُ مَا أَعَانِيهِ
لَأَلِمَهُ لَثَقْتُ عَلَى خَاطِرِهِ وَشَوَّشْتُ ، لَكِنْ خَاطِرُ الْمَوْلَى شَاهِدٌ بَوُجْدِي ، وَعَارِفٌ ^(٢)
بِمَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْكَآبَةِ الَّتِي لَمْ يَحْمِلْهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا تُحْمَلُ بَعْدِي ؛ فَيُؤَاصِلُ بِأَخْبَارِهِ ،
وَالله يحرسه آناء ليله وأطراف نهاره ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

(١) مراده فتى أبشر . ولعله تصحيف من الكاتب .

(٢) قل هذا الفعل الفارابي وتبعه الجوهرى وأستعمله كاتب هذه الرسالة وأذكره بعض الحذاق وقال
الصواب هو شئت .

في معناه :

يَا مَنْ شَكَ فَشَكَ فُؤَادِي حُرْفَةً * لَا تَنْطَفِي وَصَابَةً لَا تَبْرَحُ !
وَعَدَا سَقِيمَ الْحَسَمِ يَوْمًا وَاحِدًا * فَتَرَحْتُ دَمْعًا لِلدَّمَاعِ يَجْرَحُ !
وَأَزْدَادَ شَوْقِي نَحَوَ طَلْعَتِهِ الَّتِي * أَبَدًا يُؤْمِنُ بِهَا مَا أَسْتَجِجُ !
لَا زِلْتُ فِي عِزٍّ وَسَعْدٍ دَائِمٍ * أَيَّامُنَا بَقَاءَهُ تَبَجَّحُ !
وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُؤَيَّدًا * تُنْمِسِي قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيهِ وَتُصْبِحُ !

كَلَّمَ اللَّهُ عَافِيَةَ الْمَوْلَى وَحَرَسَهُ ، وَلَا سَلَبَهُ نَوْبَ الصَّحَّةِ بَلْ قَصَصَهُ إِيَّاهُ وَأَلْبَسَهُ ؛
وَأَخْدَمَهُ الْأَيَّامُ فَلَا تَسْتَطِيعُ مَخَالَفَةَ أَمْرِهِ وَلَا الْخُرُوجَ عَنْ حُكْمِهِ ، وَرَزَقَهُ أَنْ يَمْلِكَ
الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا وَهَذَا يَحْصُلُ بِعَافِيَةِ جِسْمِهِ .

الْمَمْلُوكُ يَنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ تَأْلُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَوَصَلَ مِنْ الْقَلْقِ إِلَى حَدِّ
لَمْ يَصِلِ الْمَوْلَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَيْهِ ؛ وَأَبْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ فِي مُعَافَاةِ جَسَدِهِ ، وَأَنْ يُعْضِّدَهُ بَقَاءَ
وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ؛ وَيُضَاعَفَ تَسْهِيلَ مَا رِيَهُ وَمَقَاصِدِهِ ، وَيَرْفَعَ كَلِمَتَهُ وَقَدْرَهُ عَلَى رَغَمِ
مَعِطَسِ شَانِيهِ الْأَثَرِ وَحَاسِدِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

جواب^(١) إلى من قَنَطَرَهُ فَرُسُهُ :

ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَ مَجْدِهِ ، وَبَلَّغَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُهُ الْأَمَالُ لِبُعْدِهِ ؛ وَأَهْمَى عَلَى حَبِيئِهِ
سَحَابَ جُودِهِ وَرِفْدِهِ .

(١) جَارَى فِي هَذَا الْفِعْلِ اللُّغَةُ الْعَامِيَّةُ وَالصُّوَابُ قَطْرُهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَدْ عَلِمْتُ سَلْبِي وَجَارَاتَهَا * مَا قَطَرَ الْفَارِسُ إِلَّا أَنَا

المملوك يُخدم بتجبة أرق من النسيم، ويشكر مواهبه التي مازالت تحنو عليه حنو
المرضعات على الفطيم .

ويُنهى ورود الخبر بأنه بكاه جواده عند مازلت قوائمه، وأثقلته فضائل المولى
ومكارمه؛ فأنزعج لذلك وتألّم، وكاد قلبه لولا المبشر بسلامته أن يتكلم؛ وجواد
المولى لاسيّل إلى ذمه، فإنه أشمخ جواد، ولا أتمّاه بالعجز، فإنه عُرف بإتهام
وإنجاد :

لِكنّه نظَر الأفلاك ساجدة * إلى عَلاك فلم تثبت قوائمه !

والمولى أولى من قابل عُذر طرفه بطرف القبول، وأعتمد عليه دون سائر
الخيول : فإنّ المولى ولله الحمد في صحّة دائمه، وسلامة ملازمه؛ وهذا هو القصد
والمُراد، والاستبشار الذي تفتّره نُغور الثُغور وتعمُر به البلاد؛ جعله الله في سعيه ماله
فراع ولا نقاد، ورزقه مادعا به العبادُ الفاضل والفاضلُ العباد؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة كُتب العيادة

قال في "موادّ البيان" : يجب أن تبنى هذه الأجوبة على وُصول الرُقعة،
وما صادفت المريض عليه من المرض، وأنها أهدت رُوح الهدوء، وأركدت رياح
السوء؛ وأقبلت بنسيم الإبلال، وتضوّعت بأريج الاستقلال؛ وبشّرت بالعافية
والسلامه، وأذنت بالصّلاح والاستقامه؛ وأشابه هذا .

ابن نباتة المصري :

شكر الله أفتقادها وأنسها، وقلمها وطرسها؛ وحمى من عارض الخطب لامين
عارض الخصب شمسها؛ ولا أعدم الأولياء قصدها الجميل، ووُدّها الجليل، وإحسان

رسائلها التي كُرِّمَتْ فما صَوَّبُ الغَمامَ لها رَسِيلٌ ؛ وأُمتعَ الممالكَ بِمُنِّها التي صَحَّتْ
بتدبيره فليس غَيْرَ النَّسيمِ عَليل .

وَيُنْهَى ورُودَ المَشْرِفِ الكريمِ فَيُلقاهُ المملوكُ حَيِّباً وارِداً ، وطَبيباً بِإِحسانِهِ ولِلْجَسَدِ
عائِداً ؛ وَفَهِمَ المملوكُ ما أَنْطَوَى عليه مِنَ الصَّدَقَاتِ التي ما زَالَتْ في فَهْمِهِ ، وَالْحَبَةِ
الصَّادِقَةِ التي ما عَزَبَتْ عَنْ عِلْمِهِ ؛ وما تَضَمَّنَ مِنْ فُصولٍ كَانَتْ أَنتَفَعَ مِنْ فُصولِ
أَقْرَاطٍ لمُعَالَجَةِ جِسْمِهِ ؛ وَأَيْنَ أَقْرَاطُ مِنْ بَرَكَاتِ كِتَابِ مولانا الَّذِي طالَعَ مِنْهُ كِتَابَ
الشِّفاءِ عَلَى الحَقِيقَةِ ، وَالتَّجَاةِ مِنْ عُرْوَةِ البَاسِ الوَثِيقَةِ ؛ وَأَذْنَى وَرَقَّتْهُ الحِجْرَاءُ لِرَأْسِهِ
تَبَرُّكاً وإِكْرَاماً وَقَالَ : نِعَمَ الْجَلَنارَةُ المَعْوَدَةُ مِنَ الشَّقِيقَةِ ، وَاسْتَنْطَبَ حُرُوفَهَا فَإِنِهَا عَنْ
أَيْدِي الكَرِيمِ وَالكَرَامَاتِ ، وَلَمَّ العَلَامَةُ وَتَمَسَّكَ بِالسُّطورِ فَإِنِهَا مِنْ أَسْبَابِ الصَّحَّةِ
وَالْعَلَامَاتِ ؛ وَوافَقَتْ عِيَادَةَ مولانا مَبَادِي العَافِيَةِ وَأَذْنَتْ بِالزِّيَادَةِ ، وَصَلَحَ خَطُّهُ
الكَرِيمُ عائِداً وَمَا كُلُّ خَطٍّ يَصْلُحُ لِلْعِيَادَةِ ؛ وَمَا تِلْكَ الجَارِحَةُ المُنَالِمَةُ إِلَّا يَدٌ أَثْقَلَتْهَا
مِنْ مولانا فَأَعْيَتْ وَتَأَلَّمَتْ ؛ ثُمَّ أَعَاتَهَا بِرُكْنَتِهِ هِيَ وَالْقَدَمُ بِالْجَمَلِ العَظِيمِ وَتَقَدَّمَتْ ؛ وَمَا
بَقِيَّةُ الجَوَارِحِ إِلَّا عَيُونٌَ كَانَتْ تَنْتَظِرُ لُطْفَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَتَهُ وَقَدْ قَدِمَتْ ، فَشَكَرَ لَهَا
مِنْ بَرَكَاتٍ تَنَعَّمُ بِهَا قَبْلَ الجُسُومِ أرواحُهَا ، وَأَدْوِيَةِ قَلِيَّةٍ تُعَالِجُ بِهَا ذَوَاتُ النُّفُوسِ
فَكَيْفَ أَشْبَاحُهَا ؛ لَا بَرَحَ جَوْهَرُ كَلِمَاتِ مولانا يُؤْذِنُ بِالشِّفاءِ مِنَ العَرَضِ ، وَسِهامِ
أَقلامِهِ إِذَا كَتَبَتْ عَائِدَةً أَوْ جَائِدَةً أَصَابَتْ العَرَضَ وَفُوقَ العَرَضِ .

وله : تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَفِيهِ صَالِحُ الأَدْعِيَةِ ، وَمَلَأْ بِحَاسِنِ ذِكْرِهِ وَرَّهَ الآفَاقَ
وَالْأَنْدِيَةَ ، وَشَكَرْ هَبَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ التي تَنْزِلُ بِعَارِضِ الغَيْثِ قَبْلَ الإِسْتِمطارِ وَتَرْفَعُ عَارِضَ
الْأَلَمِ قَبْلَ الأَدْوِيَةِ ؛ تَقْيِيلَ مُعْتَرِفٍ بِسَاقِ النِّعَمِ ، مُقِيمٍ عَلَى صِحَّةِ العُبُودِيَةِ وَالْوَلَاءِ
فِي حَالَتِي الصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ .

وينهى وُرُودَ مشرّف مولانا الكريم على يد فلان عائداً من جهة العيادة ، وعائداً من جهة الصّلات المعتادة ؛ ومُفتقداً لأعدِم الأولياء في الشّدّة والرّخاء آفتقاده ، ما كان إلّا رَيْباً شَقَّ العليل نَسَمَاتِهِ الصّحيحه ، وتناول كَأْسَ ألفاظه الصّريحه ؛ وإذا بقانون المزاج قد همّ باعتداله ، وكتاب الشفاء والنّجاة قد تسنّت فوائده إقباله ؛ فتميّز حال الصّحة من المَرَض ؛ وأستعمل جوهر الألفاظ فعزم على زواله العَرَض ؛ وبلغ الولد فلان المشافهة وكلّ مقاصد مولانا مبتدأة مبتدعة ، والمملوك جوابها وكلّ أجوبته مُنَوَّلَةٌ مُنَوَّعة ؛ شكر الله عوارِفَ مولانا المتّصلة ، ورُسِلَ آفتقاده التي منها العائد ومنها الصّلة .

وله : في جواب كتاب عيادة وارد في يوم عيد على يد من أسمه جمال الدين محمود . شكر الله منّنها التي إذا أبدت أعادت ، وإذا جادت أجادت ؛ وإذا كُثِرَت الأفتقادات حَلَا وإذا تصدّت لمودّات القلوب صادّت ؛ تقيّل مخلص في ولّائه وآبئها ، مُقيم على صحة العهد والحمد في صحّته وأعتلاله .

وينهى وُرُودَ مشرّفة مولانا الكريمة على يد الولد جمال الدين محمود متفقداً على عاده ، مكرراً لعيادة الإحساب وإحسان العيادة ؛ فقابل المملوك بالحمد وإردها ، وبعوائد الاعتدال عائدها ؛ وفهم ما تضمّنته من تألم قلب المالك على ضعف المملوك ، وقاقى خاطره على بدن كَيْتِ العُروض منهوك ؛ وأنه كان أبتداً ضعف المملوك فتألم ، ثم تلا خبر الصّحة فتلا : ولكنّ الله سلّم ؛ ثم بلغه أنّ آلاماً تراجعت ، وموادّ واصلت بعد ما قاطعت ؛ فحملته خواطرُ الإشفاق على تكرير العيادة ، وارتقاب فَعَلَاتِ الشفاء المستجاده ؛ جارياً من إحسانه وآفتقاده على أجمل معهود ، باعنا مشرّفه

(١) مراده ونال أي أوصل المملوك الخ تأمل .

(٢) في الأصول "كثير" وهو تصحيف من النسخ .

وحاملها وكلاهما حسنُ الحال محمود ؛ فعند ما وصلَا أوصَلَا كمالَ العافية ، وحقَّقتْ
أخيَّةُ البرِّ الشافية ؛ وما كان المشكُّوْ إلا مادةً يسيرةً وزالت ، وبقيةٌ ضَعْفٌ تولَّتْ
بحمد الله وبركة مولانا وما توالَّتْ ؛ وما عيَّدَ المملوكُ إلا وشفاءُ الجسدِ في آزدياد ،
والنفسُ بالوقتِ وبالمشرفة في عيدَيْنِ قائمَيْنِ بأعياد ؛ لا زالت مِنْ مولانا إِزاءَ اللَّحْظِ
حيثُ دار ، ووُدُّه وجمَاهُ جامعينِ فَضَّلَ الجارَ والدار .

زهر الربيع :

لا زال محروسَ الشِّيم ، هاطلةً سحائبُه بالديم ، مشكورًا بلسانِ الإنسانِ والقلم .
المملوكُ يقبلُ يده الشريفةَ مُؤدِّيًا للواجب ، ويواصلُ بدعاءٍ صالحٍ أصاره إنعامه
ضربةً لازِب .

وينهى إلى كريم علمه ورُودَ مشرفه الذى أبهجَ الأنفُسَ وضاعفَ الصِّبَابَ ؛
وأفنى الصبرَ عن حُمِيَّاهُ وإن كان مأفناه أيسرَ صُبابه ؛ وأنه عليمٌ منه إنعامه وتشوقه
إلى المملوكِ وإلى سَمَاعِ أخباره ، وما أبداه من شَفَقَةٍ أُلْفَتِ من إحسانه وعُرفتْ
من كريمِ نِجَارِهِ ؛ وَتُحَقِّقَتْ من شِيمِهِ على من ينأى عن بابه العالى وداره ، فاللهُ يحرسُ
هذه الأخلاقَ التى هى أرقُّ من الماءِ الزَّلَالِ ، والشائِلِ التى تفعلُ بلُطْفِها فَعَلَ
الجُرَيَالِ ؛ والمملوكُ فواللهِ لا يُحْصَى شَوْقُهُ إلى الخِدمةِ العالِيةِ ولا يَحْصُرُهُ ، ولا يَقْدِرُ
على وصفِ مايسره من الاتِّواقِ ويُظهِره ؛ إنما الاعتِمَادُ فى ذلك على شَاهِدَى عدلٍ
من خاطره وقبْله ، وهما يُغْنِيانِ المملوكَ عن شَرْحِ ولَّائِهِ بِالسَّنةِ أَقلامِهِ ووُجُوهِ كُتُبِهِ ؛
وأما السؤالُ عن أخبارِ مِزاجِ المملوكِ فإنه كان فى أليمٍ دائِمٍ ، وسُقْمٍ مُلَازِمٍ : لشِدَّةِ
المَرَضِ ، الذى كاذٍ يحتوى على جَوْهَرِ جسمه والعَرَضِ ؛ فمُدَّ وَرَدَ كِتَابُ المولى
أنتعشتْ قُوَّتَهُ ، وأشتدَّتْ مُتَّهٌ ؛ وصدَقَتْ فى طلبِ تناولِ الغدَاءِ شَهْوَتُهُ ؛ وترجى

الشفاء بعد أن كان على شفا التلّف ، وكان له كالطبيب الآسى فى إزالة مَرَضِ
الآسا والآسَف . وقد حصلت للملوك مَسَرَّتَانِ بكتّاب المولى وعافيتِه ، وفرحتان
بما أهداه إليه من عفو إنعامه ومحو أثر الألم وتعفّيته ؛ وكلّ ذلك بسعادته .

ومنه : ورد المُشَرَّفُ العالى لا زال قدراً مُرْسِله شريفاً ، وشرّفه الباذخ يجعل
كلّ شريف مشرّوفاً ؛ وسحاب جوده تُهدى إلى الأولياء من مكارمه تليداً وطريفاً ؛
وقواضيه تُردّ [طُرف] حوادث الأيام عنه مطرّوفاً ؛ وأياديه تبعث لمحبيه تحفاً ،
وهيبته تُهدى إلى الأعداء خوفاً ، والدهرُ بخدمة جنّابه العالى مشغوفاً ؛ فوقف عليه
وقوف مشتاقٍ إلى مُسَطَّرِه ، متّزه فى ربيع الفاظه وحسن أسطُرِه ؛ وعرف منه
إحساناً ما قَيَّ يعرفه ، وتفضّلاً ما زال المولى بمثله يُخفِّه ؛ وما أشار إليه من شدّة
إيثاره ، لرؤية الملوك وسماع أخباره ؛ والذى يُنيه أن جسده كان قد تضاعف
ضِعْفُه ، حتّى أتعب الألسنة وصفه ؛ فلما وقف من مشرّف المولى على خطّ هو
الوشى المنعم ، وألفاظه هى الرّحيق المُختم بل الدّر المنظم ؛ وسحر هو محلّ وكلّ سحر
مُحرّم ؛ أبّل الملوك وبردت غلته ، وبرأت غلته ؛ وكان كمن آستوفى نصيبه من
النّصب ، وأخذ قِسمه من السّقم والوصب ؛ فسقاه مشرّفه الصّحة فى كأس ،
وأفاض عليه من العافية أنفر لباس .

آخر :

وردّ الكتاب فعمّت الأفراح * وأضاء فى ليل الآسا الإصباح !
وأفترّ نغراً للزمان بفرحة * وللظه طربت ربّى وبطاح !
وتضوّعت أرواح طيب عرّفها * تحيا به الأجسام والأرواح !
وسقى سلاف فصاحة وبلاغة * ما المِسْكُ عند شميمها ما الرَّاح !

شكر الله منته ، وأخدمه زمته ، ومنحه من العيش أغضبه وأحسنه ؛ وشرف ببقائه
الدهر وشنف بمدحه أذنه .

المملوك ينهى إلى علمه ووصول مشرفه الذى تزهت الأعين فى حُسن منظره ،
ويانح ثمار لفظه البديع ووثنى أسطره ؛ وأنه استنشق من ريحه أطيب نفعه ،
وتقمص منه ثوبى دعة وصحه ؛ فشفى داء شَف منه جسمه ، وزاد لوروده سروره
وزال همه ؛ وعلم إتمام المولى الذى لا يشك فيه ، وإحسانه الذى لا يحضره لسان
مادح ولا يحصيه ؛ وما ذكره من الألم الملم به واشتغال خاطره الكريم لما ألم
بجسمه ، والمرض بسعادة المولى قد بقي منه قلبه ، وتقلص بعد ما امتد ظله ؛ والعافية
تتكمل إن شاء الله تعالى برؤية نحياء الكريم ومشاهدته ، والمثول بين يديه العاليتين
فى خدمته .

النوع الخامس عشر (فى الذم)

ذم نجيل : لأحمد بن يوسف :

كأنَّ البخل والشؤم صارا معاً فى سهمه ، وكانا قبل ذلك فى قيسمه ، فحازهما
بالوراثه ، واستحق ما استملك منهما بالشفعة ، وأشهد على حيازتهما أهل الدين
والأمانة ، حتى خلاصا له من كل مانع ، وسلبا له من تبعه كل منازع ؛ فهو لا يُصيب
إلا مخطيا ، ولا يُحسن إلا ناسيا ؛ ولا يُنفق إلا كارهيا ، ولا يُنصف إلا صاغرا .

وفى مثله : وصل كتابك فرأيناك قد حليت به زخارف أوصافك ، وأخلت به
حقائق إناصافك ؛ وأكثرت فيه الدعاوى على خصمك ، من غير بُرهان أتيت به
على دَعواك وزعمك .

ومنه : ولو أراد غير ذلك من الأخلاق السنية ، الشريفة الهنيئة ؛ لاستوحش في سبلها ، ووقع في مضرة منها ، ولن يجد من سلفه ولا نفسه دليلاً عليها ، ولا هادياً إليها .

ومنه : لأبي العيناء :

أما بعد ، فلا أعلم للعرف طريقاً أحذر ولا أوعر من طريقه إليك ، ولا مستودعاً أقل زكاءً ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عنده : لأنه يحصل منك في حسب دني ، ولسان بذي ، ونسب قصي ، وجهل قد ملك طباعك ، فال معروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ؛ وإنما غايتك في المعروف [أن] تُحرزه ، وفي وليه أن تكفربه .

ومنه : لمحمد بن الليث :

بكم علن الظلم ، وظهرت البدع ، وأندفن الحق ، وعز الفاجر ، وظهر الكافر ، وفشت الآثام ، وقضت الأحكام ، وأخذ عباد الله خولا ، وأمواله دولا ، ودينه دخلا .

ومنه : لأبي علي البصير :

عدوك من عزل عنك ، وصديقك على وجل منك ؛ إن شاهدته عاقك ، وإن غبت عنه حاقك ؛ تسأله فوق الطاقه ، وترهقه عند الفاقه ؛ وإن اعتذر إليك لم تعذره ، وإن استنصرك لم تنصره ؛ وإن أنعم عليك لم تشكره ؛ ولا يزيدك السن إلا نقصا ، ولا يفيدك الغنى إلا حرصا ؛ تسمو إلى الكبير ، بقدر الصغير ، وتسف للتطفيف لالتخفيف ؛ تعترض الناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملا ، ولا كاره لأن ينظر إليك بعين الاستقلال ؛ حتى لقد أخرجت الأضغان ، وقبحت الإحسان ؛ وزهدت

فِي أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَإِغَاثَةِ الْمُهْثُوفِ ، وَالنَّاسِ مِنْكَ بَيْنَ أَسْرَارِ تَفْشِيٍّ ، وَبَوَائِقِ تَحْشِيٍّ ، وَشَنَاعَاتِ وَارِدِهِ ، وَنَوَادِرِ بَارِدِهِ ، وَدُكِّ تَحْلُوقِ ، وَشُكْرِكَ تَمَلُّقِ .

ومنه : لسعيد بن حميد :

رَجُلٌ يَعْنِفُ بِالنِّعَمِ عُنْفَ مَنْ قَدْ سَاءَتْهُ يُجَاوَرَتُهَا ، وَيَسْتَخِفُّ بِحَقِّهَا أَسْتِخْفَافَ مَنْ لَا يَخْشَفُ عَلَيْهِ مَجْلَمُهَا ، وَيُقَصِّرُ فِي شُكْرِهَا تَقْصِيرَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الشُّكْرَ يَرْتِطُهَا ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ ، فَكَيْفَ أَرْجُو حُسْنَ اخْتِيَارِهِ لِي ؟ وَمَنْ كَانَ فِي مُدَّةٍ مِنْ ابْتِلَاءِ اللَّهِ بِعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ لَا أَدْرَى أَيْنُفُذُ بِي الْأَجْلُ إِلَى أَقْصَاهَا ، أَمْ يُقَصِّرُنِي فِي أَذْنَاهَا ، فَكَيْفَ يَتَّسِعُ الصَّدْرُ لِلصَّبْرِ عَلَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَخَافُ الْفُوتَ فَهُوَ يُمِئِّلُهُ ، وَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ جَلٍّ وَعِزٍّ إِلَى سُلْطَانٍ غَيْرِهِ فَيُعَاجِلُهُ ، وَأَنَا عَلَى خَوْفٍ مِنْ إِعْجَالِ الْمَدَى عَنْ بُلُوغِ [مَنَآئِ فَأَذْهَبُ] ^(١) حَرَجًا صَدْرِي ، وَعَلَى ثِقَةٍ مِنَ الشُّغْلِ فِي الْآخِرَةِ بِنَفْسِي عَنِ التَّشْنِيِّ مِنْ أَهْلِ عَدَاوَتِي وَتَرْتِي ، وَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْمِحْنَةِ ، وَأَسْأَلُهُ تَعَجِيلَ رَوْحِ النِّعْمَةِ ، وَفُسْحَةَ الْعَافِيَةِ .

النوع السادس عشر

(فِي الْأَخْبَارِ) .

قال في "موادّ البيان" : كُتِبَ الْأَخْبَارُ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ الدَّوَرَانِ فِي الْأَسْتِعْمَالِ فَلَيْسَتْ مِمَّا يُمَكِّنُ تَمْثِيلَهُ ، وَلَا حَضَرَ الْمَعَانِي الْوَامِقَةُ فِيهِ بُرُؤُومُ ^(٢) تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا ، نَعَمْ وَلَا أَنْ تَقْدِّمَ لَهُ مَقْدَمَةً تَكُونُ تَوَاطُؤَةً لَهَا بَعْدَهَا ، كَمَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِي سَائِرِ فُنُونِ الْمَكَاتِبَاتِ الْأَحْرَالِ الَّتِي لَا تَحْتَلُو مِنْ مَقْدَمَاتٍ تَحُلُّ مِنْهَا مَحَلَّ الْأَسَاسِ مِنَ الْبُنْيَانِ ،

(١) هذه الزيادة يقتضيا المقام .

(٢) مراده الواقعة فيه ولعله مصحف عنه تأمل .

والرأس من الجثمان ؛ لكن المقدمات التي توضع في الكتب من شرطها أن تكون مشتقة من نفس معنى الكتاب ، ومنهي الخبر لا يمكنه أن يستنبط من كل خبر ينهيه مقدمة تكون بساطا له ، وإنما يقول : كتبت من موضع كذا يوم كذا ، والذي أنهيه كذا ؛ بل الذي يلزمه أن يتحده بطاقته ، ويتحرّاه بجهده ، أن يبين ما يطالع به من الأخبار ، ويكشفه ويوضحه ويفصح عنه ، ولا يقف منه إلا عند الشفاء والإقناع لتتقرر صورته في نفس من ينهيه إليه ؛ اللهم إلا أن يكون الخبر مما يوجب الأدب العدول عن لفظه الخاص به ، والإخبار عنه بالفاظ تؤدي معناه ، ولا يهجم على المخبر بما يسوء سماعه ، كأن يكون خبرا يرفعه إلى سلطان عن عبده له قد أطلق فيه ما يضع منه ويسقط مهابته ، أو نحو من ذلك مما يتثقل على السلطان المنقص منه ، فإنه ينبغي أن يعدل في هذا وأمثاله عن التصريح إلى التعريض ، ومن التصحيح إلى التثريض ، وعن المكاشفة إلى التورية ، وأن يأتي بالفاظ تدل على معاني ما يروم إبداءه ، ويحرص [على] صورة منزلة السلطان وتوقيره عن قرع سمعه بما يكرهه ولا تجوز مقابلته به ؛ وأن يقصد إلى استعمال الإيجاز والإطناب في المواضع التي تحتمل كلا منهما ، فهذا ما يمكن أن يتعرف من رسوم هذا الباب .

قال : ومن نفذ فهمه وخاطرته في الصناعة وتدرب فيها ، يكتفي بهذه اللزمة ولا يحتاج إلى زيادة عليها .

في الإخبار بوقوع مطر وسيل

من ترسل أبي الحسين بن سعد :

فلماء منه يفيض على العمران ، بعد أن ضاقت به المغايص والغدران ؛ فأنى على كثير من التلال والروابي ، فضلا عن الرساتيق والقرى ؛ وصار الوادي على اتساع

عَرْضُهُ ، وَامْتِدَادِ طَوْلِهِ ، وَسَعَةِ مَصَبِّهِ ، وَفُسْحَةِ مَغِيْضِهِ ، لَا يَنْبَغِي بِهِضَمُهُ ، وَلَا يَقُومُ بِجَمَلِهِ ؛ فَفَاضَ مِنْهُ مَا عَطَّلَ الْعُمَرَانُ وَنَسَفَ الدُّوْرَ وَحَقَّ الزُّرُوعَ ، فَعَظُمَ بِهِ الْبَلَاءُ ، وَكَثُرَ لَهُ الْجَلَاءُ ، وَشَمِلَ النَّسَادُ ، وَعَظُمَ الْخَرَابُ .

صدر كتاب بإخبار عن الخليفة :

كُتِبَتْ ، وَمَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَطُّدٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَتَمَهُّدٍ مِنْ دَوْلَتِهِ ، وَعُلُوٍّ مِنْ رَأْيِهِ ، وَنَفَازٍ مِنْ كَلِمَتِهِ ، وَعِزٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ؛ وَنَعِمَ سَابِغَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ ؛ قَالِصَةٌ عَنْ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَخَالَفَتِهِ ، وَاسْتِقَامَةٌ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتُبُورُهُ ، وَاسْتِثْبَابٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأُمُورِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ حَمْدًا لَا يَقِفُ دُونَ رِضَاهُ ، وَلَا يَحِيطُ بِمَقْدَارِهِ سِوَاهُ .

صدر بإخبار عن الوزير :

كُتِبَتْ ، وَحَضْرَةُ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ فِي نَعِيمٍ مُحْصَبَةٍ الْأَكْثَافِ ، بِعِيدَةِ الْأَطْرَافِ ، سَادِرَةِ الْوَيْلِ ، سَاحِبَةِ الذَّلِيلِ ؛ وَمَا أَنْظَرُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دَوْلَتِهِ مَنِتْظِمٍ ، وَأَرَاغِيهِ مِنْ أَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ مُنْتَمٍ ؛ وَقَدْ وَطَّأَ اللَّهُ لَهُ أَوْعَارَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْيِيرِ ، وَوَقَفَهُ عَلَى جَوَادِّ الْمَصْلَحَةِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَسْتَقِلُّ بِحَقِّهِ فَيُقْضِيهِ ، وَبِوَاجِبِهِ فَيُؤَدِّيهِ ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ عِزُّ سُلْطَانِهِ فَيُرْضِيهِ .

صدر بإخبار عن أمير :

كُتِبَتْ ، وَالْأَمِيرُ فِي عُلُوٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ، وَظَفَرٍ يُوَاكِبُ أَلْيَتَهُ ، وَنَضِيرٍ يُصَاحِبُ دَوْلَتَهُ ؛ وَوَافِيٌّ عَلَى مَنْ ظَلَّهَ ، وَشَمِلَنِي مِنْ فَضْلِهِ ، مَا سَبَغَ لِبَاسُهُ ، وَطَابَتْ أَغْرَاسُهُ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِرَافًا بِنِعْمَتِهِ ، حَمْدًا يُوجِبُ شُمُولَ مَتْنِهِ ؛ وَيَسْتَدْعِي الشُّكْرَ عَلَيْهَا ؛ وَيَقْضِي بَمَزِيدٍ مِنْهَا .

صدر باخبارٍ عن عافية المكتوب عنه :

كُتِبَتْ ، وأنا صالحُ الحال ، وقد مَنَّ اللهُ تعالى بالعافية والإنعاش ، والإقالة
والا^(١)ش ؛ وأعاد إلى الصحة بعد نبوِّها وذهابها ، والسلامة بعد تجعُّها وإغرابها ؛
وأَسْبَلَ النِّعْمَةَ بعد الإنذار ، والتحذير من الإغترار ؛ ممحِّصاً بما أَلَمَّ من الآلام
عَصَبَ الأيام ؛ والحمد لله أولى ما نِلَيْتَ به النِّعَم ، وطُرِّزَ به المَفْتَحَ والمُخْتَمَ ؛ حمداً
يُؤمِّن من التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ ، ويُعِيذ من الِاتِّتِقَالِ والتَّحْوِيلِ .

أَبْنُ أَبِي الْخِصَالِ ، في الإخبار عن زَلْزَلَةٍ عَظِيمَةٍ وَقَعَتْ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ من الأَنْدَلُسِ .
الشيخُ الأَجَلُّ ، الولِيُّ الأَكْرَمُ الأَفْضَلُ ؛ أَبُو فُلَانٍ ، الذي أطرَفَهُ اللهُ تعالى
بِعَجَائِبِ الأَخْبَارِ ، وأَذْهَبَ به في مَسَلِكِ الإِيعَاضِ وَمَنْهَجِ الإِدِّكَارِ ؛ أَبْقَاهُ اللهُ أَخِذاً
في سَنَنِ الإِزْرَعِاجِ وَنَهْجِ الإِزْدِجَارِ . المَخْلُصُ له المَخْصَصُ النَّاصِعُ من الوَلَاءِ ، ومَعْرِفَةُ
غَرِيبِ الأَمَارِ وَعَجِيبِ الأَنْبَاءِ ؛ فُلَانٌ .

سَلامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِي جَعَلَ عِبْرَةَ أَنْوَاعِ مَتْلُونَةٍ وَصُنُوفَا ، وأَرْسَلَ الآيَاتِ
(وَمَا تُرْسَلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) . والصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المصْطَفَى صَلَاةً طَيِّبَةً
تَعْبِقُ تَارِيخًا وَتَضُوعُ تَعْرِيفًا ؛ وَعَلَى آلِهِ وَأَحْصَايِهِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ حَضَرُوا حُرُوبًا
وَشَهِدُوا زُخُوفًا ؛ والدِّعَاءِ لِسَيِّدِنَا الإِمَامِ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَصْرِ عَزِيزِ يُؤْتَسَ مَدْعُورًا
وَيُؤْمِنُ مَخُوفًا ، فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ دَعَاً حَافِظَةً وَأَمَانًا ، وَتَصَدِيقًا بِآيَاتِ اللهِ
الْبَيِّنَةِ وَبُرْهَانَا - من مَوْضِعِ كَذَا ، عِنْدَ مَا طَرَأَ عَلَيْنَا مَا حَلَّ الْعُيُونَ بِقَدَّاهَا ، وَمَنْعَهَا لَدَيْدَ
كَرَاهَا ، وَأَحْفَقَ الضُّلُوعَ الحَانِيَةَ وَأَقْلَقَ مَصَارِينَ حَشَاهَا : وَهُوَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

ذَكَرَ عِبَادَهُ إِنَّ نَفْعَتَ الذَّكَرَى، وَنَبِيَّهُمْ إِنَّ تَنْبَهُوا وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ كَيْدًا مُبِيرًا وَلَا مَكْرًا؛
وَذَلِكَ بِزَلْزَالِ قَضَى بِهِ عَلَى قُرْطُبَةَ وَبَعْضِ أَعْمَالِهَا، وَمَلَأَ نَفُوسَ سَائِكِيهَا مِنْ رَوْعَاتِهَا
وَأَوْجَالِهَا؛ وَحَالَتْ لَذَلِكَ فِي الْخَوْفِ^(١) وَالْأَرْتِفَاعِ أَقْبَحَ حَالِهَا؛ حَتَّى نَحْوًا إِلَى الْإِسْتِكَانَةِ
وَالضَّرَاعَةِ، وَأَطَاعَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ طَاعَةٌ، وَخَشُوا بَلْ كَانُوا يُوقِنُونَ
أَنَّهَا زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ . وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ آثَارِهَا، وَكَرِيهِهِ إِيرَادِهَا وَإِصْدَارِهَا، أَنَّهُدَامُ الْقُبَّةِ
الْعُظْمَى فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ صَانَهُ اللَّهُ، وَكَانَتْ قُبَّةٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بِنَاؤُهَا، وَذَهَبَ
فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ذِكْرُهَا الْعَاطِرُ وَتَنَاوُهَا؛ وَتَهَدَّمَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَهْدَمِ دِيَارٌ
كَثِيرَةٌ، وَحَدَّثَ بِهِ خَوَادِثُ مُبِيرَةٍ . وَأَمَّا تَلَوَكَةُ مِنْ أَعْمَالِهَا، وَكَانَ فِيهَا مَبْنَى مِنْ مَبَانِي
الرُّومِ، فَإِنَّهُ غَادَرَهَا قَاعًا صَفْصَفًا، وَقَرَأَ نَفَقًا؛ وَأَضْطَرَّ ذَلِكَ الْخَطْبُ الْفَادِحُ، وَالرَّيْحُ
الْقَادِحُ؛ إِلَى أَنْ نَجَرَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْحَاقَ وَكَافَّةُ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَفَرُّوا مِنْ
الْمَوْتِ بِأَقْوَاتِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَدَارَكَ بِالرَّحْمَى، وَكَشَفَ تِلْكَ
الْغُمَّى، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ صَقْلًا لِقُلُوبِنَا، وَتَوْبَةً عَمَّا سَبَقَ مِنْ ذُنُوبِنَا؛ وَعَصَمْنَا
مِنْ جُرْمِنَا الْمُؤَيِّقِ وَخُوبِنَا، وَأَوَّلَانَا وَإِيَّاكُمْ أَمْنًا مِنَ الْغَيْرِ، وَأَزْدَجَارًا بِمَا ظَهَرَ مِنْ
الْعَبَرِ؛ وَجَعَلَ كَلَامًا جَمِيلَ الْخَوَادِثِ طَيِّبَ الْخَبَرِ، بِمَنَّةٍ؛ وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

من كلام المتأخرين في الإخبار بقدوم نائب إلى نيابة .

من ذلك نسخة كتاب عن نائب الشام إلى كافل الممالك الإسلامية مُخْبِرًا لَهُ بِوُصُولِهِ
إِلَى دِمَشْقَ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ . وَهُوَ بَعْدَ الْأَلْقَابِ :

(١) لعله في الخلف .

(٢) جرى الكاتب في كلامه على لغة من يعربها أعراب المقصور على حد قوله :

نعم الفتى عمدت إليه مطبق * في حين جد بنا المسير كلانا شرح الأشموني

لا زالت آفاق الممالك مُضيئةً بأنوار شمسه، هنيةً بأُنس سعادته وسعادة أُنسه ؛
سنة المقاصد التي قام في كفالتها بنقاسة نفسه ؛ ولا يرح يستثمر من خير الدنيا
والآخرة ما قدم صنعه الجميل من غرسه . تقبيلًا يُشافه به القلم القُرطاس ، ويود
المملوك لو شافه به الخدم ساعيًا سعى القلم على الرأس . وينهى قيامه بوظائف دعاء
يسير الحلك ، ولأى يدور بكواكب الإخلاص إدارة الفلك ؛ وخمد تذهب به
صفحات الصحف حيث ذهب وتسلك عُقود الأفلاك حيث سلك ، وأنه خدم
بهذه العبودية عند وروده إلى دمشق المحروسة لنيابة كانت عناية مولانا سفيرة
أمرها ، وميزة برها ، يوم كذا ؛ وسعادة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - تعلمه
وتعلمه ، والغيث بركات الدولة القاهرة يسيره ويقدمه ؛ وتغر المطر يسابق نغر
المملوك إلى مشافهة الثرى ويلثمه ؛ والرعية منه آمنة في سربها ، وادعة بظلال
الأبواب الشريفة مع بعدها دعة الصوامير في قرىها ، وباكر المملوك يوم الاثنين
الذى بُورك فيه : في الخميس من يوم وجيش ، وأتتصب لمهمات على مثلها
في الخدمة يطيب أن يرفع لين العيش ؛ مجتهدا فيما هو بصدد ، مستمدا من ربه
عز وجل وسعادة سلطانه برشده ، معتدا نعم مولانا فيما يأتي [في] ذلك من أوفى وأوفر
عُده ومدده ، والله تعالى يُعين المملوك على شكر من مولانا الباطنة والظاهره ،
والغائبة والحاضرة ، والمقيمة والمسافره ، ويصل نفع المملوك بولائه في الدنيا والآخرة ؛
ويقيم الرعايا بالأمن في كفالاته التي مابرحت بعيون الأعداء فإذا هم بالساهره .

الأجوبة عن كتب الأخبار

قال في "مواد البيان" : الأخبار على أكثر الأحوال لأجوبة لها ، وإنما هي
مطالعاتُ بأمور يُنهى الخدام ، وأصحابُ البرد إلى السلاطين ، مما تخرج أو أمرهم

إلى الولاية بما تَضَمَّتْه : مما يقتضيه كل خبر ينهى من سياسة عامة ، أو مصلحة تامة . قال : فأما ما يستعمله الإخوان في المكتبة بالأخبار التي يكلُّ بعضهم إلى بعض الإخبار بها ، فمنها ما يقتضى الجواب ، ومنها ما لا يقتضيه . قال : وأجوبة ما يقتضى الجواب منها تُفَتَّنُ بحسب آفتان الأخبار والأغراض التي يحجب الحجب بها ، وهو أيضا مما لا يعبر عنه بقوى جامع ولا برسم رسم كلى ، وإنما يرجع فيه إلى الأمور التي يتبدأ بها ويُنْجَبُ عنها .

النوع السابع عشر (المداعبة)

قال في "مواد البيان" : ومعاني المداعبات التي يستعملها الإخوان غير متناهية ، والأغراض التي ينتظمها المزاج وتعدُّ من طلاقة النفس لا تقف عند قاصيه : لأنها مستملاة من أحوال متباينة ، وماخوذة من أمور غير معينة ، وحضرها في رسوم جامعة يستحيل ، وتمثيلها غير مفيد : لأنه لا تعلق لبعضها ببعض ، ولا نسبة بين الواحد والآخر ، ثم قال : والأحسن بأهل الوداد والصفاء ، والأليق بذوى المخالصة والوفاء ، أن يتزَّهوا في المداعبة الدائرة بينهم عن بدئ اللفظ ومفحشه ، ومؤلم الخطاب ومقذعه ، ويكفوا اللسان واليد عن الإطلاق بما يدل على خفة الأحلام ، والرضا بالرذل من الكلام اللائق بسفهاء العوام ، ويتخرجوا من إرسال قول يتقو وضمة على [مدى الأيام] إذ لافرق بين جرح اللسان وجرح اليد ، وقد نطق بهذا المثل : لما في ذلك من الترفع عن دنأيا الأمور التي لا يتنازل إليها الكرماء ، والتزَّه عن المساقط التي لا يستعملها الأدباء ، وصيانة المروءة عما يشينها ويحدثها ، وتوقيها

عما يَنْقُصُهَا ، والأَمْنِ من الجواب الذي رُبَّمَا قَدَحَ في النفس وأَثَّرَ ، وأَحْمَى الصَّدْرَ وأَوَغَّرَ ؛ ونَقَلَ عن التَّوَادُّدِ إلى التَّضَادُّدِ ، وعن التَّدَانِي إلى التَّبَاعُدِ ؛ وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين على كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بقوله من أبياته المنسوبة إليه :

فَرُبَّ كَلَامٍ يُمِصُّ الْحَشَا * وَفِيهِ مِنَ الضَّحْكِ مَا يُسْتَطَابُ

مع مُرَاعَاةِ السَّلامَةِ من المُدَاخَلَةِ المُنْطَوِيَةِ على الفِلِّ ، والمُرَاآةِ المَبْنِيَةِ على المَكْرَبِ ؛ إذا لم يَكُنْ لِلْمُقَابَلَةِ على الْإِبْتِدَاءِ المِصُّ بالجواب المريض ، وغير ذلك مما لَا تُؤَمِّنُ عَاقِبَتُهُ ، وَلَا تَحْسُنُ عَائِدَتُهُ . قال : ويكون المستعمل في هذا الفنَّ مَا خَفَّ مَوْقِعُهُ ؛ وَلَطْفُ مَوْضِعِهِ ، وَهَشٌّ لَهُ سَامِعُهُ ؛ وَتَلَقَّاهُ الْوَارِدُ عَلَيْهِ مُسْتَحْلِيًا لِنَّارِهِ ، مُسْتَدْعِيًا لَأَنْظَارِهِ ، وَلَا يُعَدِّلُ بِهِ عَنْ سَمْتِ الصَّدْقِ ، وطريقِ الْحَقِّ ، وَمَذْهَبِ التَّحَرُّزِ من المَدَّقِ ؛ وَيُقْتَصَرُ فِيهِ على النَّادِرَةِ المُسْتَطَرَفَةِ ، والنُّكْتَةِ المُسْتَطَرَفَةِ ؛ واللُّغَةِ المُسْتَحْسَنَةِ ، والفِقْرَةِ المُسْتَغْرَبَةِ ، دُونَ الإِطَالَةِ المِملَّةِ ، وَلَا يَجْعَلُ المَرْحَ غَالِبًا على الكلامِ ، مُدَاخِلًا لِجَمِيعِ الْأَقْسَامِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ معَانِي المَكَاتِبِ ، وَيُجِلُّ نِظَامَ المَخَاطَبِ ، وَيَضَعُ من مَعْنَاهَا وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا ، وَيُوْخِمُ لَفْظَهَا وَإِنْ كَانَ لَطِيفًا ؛ وَيَذْهَبُ بِجِدِّهَا فِي مَذْهَبِ الهَزْلِ وَيُمِيلُهُ عَنِ الْقَصْدِ ؛ وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ بَعْضُهُمْ بقوله :

أَفَدِ طَبَعَكَ المَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً * بَلْهُوٍ وَعَلَّةٌ يَشْنِي مِنَ المَرْحِ !

وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ المَرْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ المِلْحِ !

وَأَنْ يَقْتَصِدَ مع ذَلِكَ . ثم قال : وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الدَّعَابَةِ في المَوَاضِعِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، وَالْأَحْوَالِ المِشَابِهَةِ لَهَا ؛ وَلَا يُودِعَ بَابًا مِنَ الْأَبْوَابِ ، مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مِنَ الخَطَابِ : فَإِنَّ الْقَصْدَ في هَذَا النَّوعِ من المَكَاتِبَاتِ إِنَّمَا هُوَ الْإِعْرَابُ عَنِ الظَّرْفِ والبَرَاةِ ، وَالْإِبَانَةُ عَنِ طَلَاقَةِ النَّفْسِ ؛ وَالْإِنْسِلَاخُ من تَعْبِيسِ الْفَدَامَةِ

والجَهَامَةُ ؛ ثم عَقَّبَ ذلك بأن قال : وَمَنْ وَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الْكَافِي ، وَلَزِمَ فِيهِ الْأَدَبَ اللَّائِقَ بِأَهْلِ النَّصَافِي ، دَلَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَشَهِدَ لِمُسْتَعْمَلِهِ بِإِحْرَازٍ مَا وَصَفْنَاهُ ؛ وَمَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْمُجُونِ وَالْمُلَاعِبَةِ ، وَحُسِبَ مِنْ رَذَالَةِ الطَّبَعِ وَنَذَالَةِ الْخَلِيمِ وَسَفَهَةِ اللِّسَانِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِالْكَاتِبِينَ الْكَرَامِ ، الَّذِينَ هُمْ خِيَارُ الْأَنْامِ ، وَوُلاَةُ النِّقِصِ وَالْإِبْرَامِ . وَخَتَمَ ذَلِكَ بِأَن قَالَ : وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مَهِيًّا طَبِيعًا لِلْإِنْطِبَاعِ بِرُسُومِ الصَّنَاعَةِ وَمُنَاسِبَةِ أَوْضَاعِهَا ، أَغْنَاهُ الْوُقُوفُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَجْمَلِ فِي آسْتِمَالِ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ تَمْثِيلِ مَفْصَلٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مِثَالًا .

ابن أبي الخصال :

سَيِّدِي وَوَاحِدِي الَّذِي أَبْجَلْتُ ذِكْرَهُ ، وَأَوَّلِي شُكْرَهُ ، لَا زَالَ مَغْنَاكَ رَحِيبًا ، وَزَمَانُكَ خَصِيْبًا ؛ وَلَا زِلْتَ تَأْخُذُ لِأَثْرَاكَ نَصِيْبًا ؛ عَبْدُكَ فَلَانٌ مُؤَدِّبُهَا يَنْتَجِعُ الْبِكَرَامَ ، وَيُبَارِي فِي جَرِيهَا الْأَيَّامَ : فَتَارَةً يَجْمَعُ ، وَأُخْرَى يُفَرِّقُ ؛ وَطَوْرًا يُغْرِبُ ، وَطَوْرًا يُشْرِقُ ؛ وَأُمُّ الْحَضْرَةِ - وَصَلَ اللَّهُ حِرَاسَتَهَا ، وَأَدَامَ بَهْجَتَهَا وَتَفَاسَّتَهَا - وَالْمُلُوكَ بِهَا غَضُّ الشَّبَابِ ، أَخْضَرُ الْحُلُبَابِ ؛ وَإِحْسَانُكَ إِحْسَانُكَ ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مَكَانُكَ ؛ فَأَوْسَعُهُ قِرَى ، وَأَمْلَأَ عَيْنِيهِ عَلَى الشَّبَعِ كَرَى ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، بَلْ أُنْجِدُهُ تَبْنَا وَعَلَفَا ، وَأَرْكَبُهُ حَزْنَا مِنَ الْأَرْضِ ظَلَفَا ؛ وَدُونَكَ لَمْ يَقْلَبْ أَرْضَهُ بَيْطَارٌ ، وَلَا لِحْنَانِيَّةٌ بِهِ جَبَّارٌ ، وَجُرْحُهُ جَبَّارٌ ؛ وَعِنْدَهُ كَمَا عَلِمْتَ دَعَاءُ مُبَاحٍ ، وَتَشَاءُ فِي الشُّكْرِ مَسَاءٌ وَصَبَاحٌ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) الظلف بالتحريك ما غلظ من الأرض فلم يؤد [أى لم يظهر] أثرًا . انظر اللسان ج ١١

من كلام المتأخرين :

كتب بعضهم إلى كمال الدين بن الأثير ، وقد جاء إليه في بُستانه فلم يجده ولا وجد من أنصفه .

حضر المملوك البُستان ، مستدنياً قُطوف الإنعام والإحسان ؛ واستمطر سحاب فضله ، وهزّ إليه بجذع نخله ؛ فلم تتساقط عليه رُطباً جنيّاً ، فعلم أنه قد جاء شيئاً قريباً ؛ فنبت نفسه مع تصاعد الأنفاس ، والطمع ينشده :

* مافي وقوفك ساعة من بأس *

فانطلق حتى أتى القرية مستطعياً أهلها فأبوا أن يضيفوه ، مستعطفاً حاشيته الرقيقة فأبوا^(١) حاشيته أن يستعطفوه ؛ وقال كلٌ منهم : تُطالب بالقرى كما تُطالب بدينك ! أرجع حيث شئت هذا فراقُ بني وبنيك ! وعلم أنه لو أقام بها جداراً لما أُعطي عليه أجراً ؛ ولو حاول قرى لسمع من التوبيخ ما لم يستطع عليه صبراً ؛ فرجع بخفى حين ؛ بعد مشاق جرعت كاسات الحين ؛ فإن هذه المعاملة مما تُشيعه عنه من كريم الخلال ، وكيف تشكو نقص حظّ وله كمال الإحسان وإحسان الكمال .

الأجوبة عن رقاع المداعبة

قال في "مواد البيان" : ينبغي للجيب عن المداعبة أن يشتق من نفس الابتداء جواباً مناسباً لها ، وأن يتيه متى أحبّ الأخذ بالفضل على المسامحة ، وأطراح المناقشة ، والإغضاء عما يُمض إبقاءً على المودة ، وتحسيناً لقبح الصديق ، وتعوذاً لعادة الحلم والإحتمال ؛ وأن يهَب في الجواب مذهب الاختصار ؛ وإيراد النكت الرائعة كما في الابتداء ، على ما تقدم .

(١) كذا في النسخ وهو على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة .

الفصل الثامن^(١)

(في إخفاء ما في المكتوب من السر)

وهو مما تمس الحاجة إليه عند اعتراض معترض من عدو ونحوه يحول بين المكتوب عنه والمكتوب إليه : من ملكين أو غيرهما حيث لم تُفد المَلَطَفَات لضرر الرصد وزيادة الفحص عن الكتب الواردة من الجانيين، وهو على نوعين :

النوع الأول

(ما يتعلق بالكتابة، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يتعلق بالمكتوب به)

وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلا يكون مقررا بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة، أو مسح به شيء، أو عرّضه على النار ونحو ذلك .

وقد ذكروا لذلك طرقا :

منها — أن يكتب في الورق بلبّين حليبي قد خلط به أوشادر فإنه لا ترى فيه صورة الكتابة، فإذا قُرب من النار ظهرت الكتابة .

ومنها — أن يكتب في الورق أيضا بماء البصل المعتصر منه فلا ترى الكتابة فإذا قُرب من النار أيضا ظهرت الكتابة .

(١) أي من الباب الثاني من المقالة الرابعة وهو آخر فصولها فهي ثمانية لاسعة وتقدم في ج ٦ ص ٣٦٥

أنها ستة موافقة للأصول فتنبه .

ومنها — انه يَكْتُبُ فيما أراد من وَرَقٍ او غيره بماءٍ قد خُلِطَ فيه زاجٌ، فلا تَظْهَرُ الكتابةُ، فإذا مُسِحَ بماءٍ قد خُلِطَ فيه العَفْصُ المدقَّقُ، ظهرتِ الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتُبَ في الورق غيرِ المُنَشَّى بالشَّبِّ المحلولِ بماءِ المطر؛ ثم يُلقِيه في الماء أو يَمْسَحُه به، فإنه إذا جَفَّ ظهرت في الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتُبَ بِمِرَاةِ السَّلْحَفَةِ فَإِنَّ الكتابةَ بها تُرَى في الليل ولا تُرَى في النهار .

ومنها — أن تأخُذَ الليمونَ الأسودَ وعُروَقَ الحَنَظَلِ المَقْلُوءَةَ بِزَيْتِ الزَيْتُونِ جَزَائِنَ مُتَسَاوِيَيْنِ وَتَسْحَقَهُمَا نَاعِمًا، ثم تُضَيِّفُ إِلَيْهِمَا دُهْنَ صَفَارِ الْبَيْضِ وتَكْتُبُ به على جسد من شئتَ، فإنه يَنْبُتَ الشَّعْرُ مَكَانَ الكتابةِ، وهو من الأسرارِ الْعَجِيبَةِ؛ فإذا أُريدَ إرسالُ شَخِصٍ بِكَاتِبٍ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ، فُعلَ به ذلك، فإنه إذا نَبَتِ الشَّعْرُ قُرِئَتِ الْكَاتِبَةُ .

الضرب الثاني

(ما يتعلق بِالْحَطِّ الْمَكْتُوبِ)

بأن تكون الكتابةُ بِقِلْمٍ أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ الْمُرْسَلُ وَالْمُرْسَلُ إِلَيْهِ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمَا مِنْ لَعَلِّهِ يَقِفُ عَلَيْهِ، وَيُسَمَّى التَّعْمِيَّةُ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَعْبُرُونَ عَنْهُ بِحَلِّ الْمَتَرَجِّمِ، وَفِيهِ نَظَرٌ: فَإِنَّ التَّرْجُمَةَ عِبَارَةً عَنْ كَشْفِ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَعْبَرُ لِغَيْرِهِ عَنْ لُغَةٍ لَا يَعْرِفُهَا بُلُغَةً يَعْرِفُهَا بِالتَّرْجُمَانِ؛ وَإِلَيْهِ يَنْحَلُّ لَفْظُ الْحَلِّ أَيْضًا؛ إِذَا الْمُرَادُ مِنَ الْحَلِّ إِزَالَةُ الْعَقْدِ فَيَصِيرُ الْمُرَادُ بِحَلِّ الْمَتَرَجِّمِ تَرْجُمَةُ الْمَتَرَجِّمِ أَوْ حَلَّ الْحَلِّ، وَلَوْ عَبَّرَ عَنْهُ بِكَشْفِ الْمَعْنَى لَكَانَ أَوْفَقَ لِلغَرَضِ الْمَطْلُوبِ .

ثم مبنى ذلك على قاعدتين :

القاعدة الأولى — كيفية التعمية .

اعلم أن التعمية بالنسبة إلى كل واحد من الناس باعتبار ما يجهله من الخطوط ، فيعمى على العربى في اللغة العربية بالخطوط غير العربية ، كالرومية والعبرانية ونحوهما ، إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب ، أو بقليل مصطلح عليه على وفق حروف العربية ؛ وكذلك يعمى على غير العربى من الرومى ونحوه ممن يجهل الخط العربى بالقلم العربى ، وعلى ذلك .

ثم للناس في التعمية مذهبان :

المذهب الأول — أن يكتب بالأقلام القديمة التي ليست بمتداولة بين الناس مما لا يعرفه إلا الآحاد ، إذا وافق ذلك القلم اللغة التي تريد الكتابة [بها] .

وقد ذكر ابن الدريهم أن أقل اللغات المغل وهو سبعة عشر حرفاً ، وأطولها الأرمني ، وهو ستة وثلاثون^(١) حرفاً . ثم قال : والتركي عشرون حرفاً ، وكذلك الفارسي إلا أن في الفارسي ثلاثة أحرف ليست في التركي ، وهي الهاء والفاء والدال . وفي التركي ثلاثة ليست في الفارسي : وهي الصاد والطاء المهملتان والقاف ، والعبراني والسرياني اثنتان وعشرون حرفاً [من أول أبيجد إلى آخر قرشت . واليوناني والرومي القديم أربعة وعشرون حرفاً] ولهم قلم آخر ثلاثون حرفاً ، والقبطي اثنتان وثلاثون حرفاً ، وذكر أن جميع الأقلام مقطعة الحروف على اصطلاح أبيجد ، خلا العربى والمغلى

(١) في هذا الحصر مخالفة لما تقدم في ج ٣ ص ١٩ من هذا المؤلف فراجعه وحرر .

(٢) قد تقدم أنه من أربعة وعشرين إلى ستة وعشرين حرفاً فتنبه .

(٣) زائد في بعض النسخ .

والسرياني فإنَّ حروفها تُوصَل وتُقطَع، وقطع السرياني كالعربي، وأقلام المتقدمين المقررة : كالرومي والفريجي وغيرهما معلومةٌ لاجابة إلى التمثيل بشيء منها .

المذهب الثاني — أبْنِ يَصْطَلِحَ الإنسانُ مع نفسه على قلم يبتكره وحروف يصورها ؛ وقد ذكر ابن الدريهم أنَّ الناس اختلفت مقاصدهم في ذلك :

فهم — من يصطليح على إبدال حرفٍ معينٍ بحرفٍ آخرٍ معينٍ حيث وقع في القلم المعروف بالقُمى ، وهو أنهم جعلوا مكان كلِّ حرفٍ من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ؛ فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واواً وبالعكس ، والدال المهملة راءً مهملةً وبالعكس ، والسين المهملة عينا مهملةً وبالعكس ، والفاء ياءً مثناةً تحتيةً وبالعكس ، فيكتب محمد «كطكر» وعلى «سفف» ومسعود «كعسار» وعلى ذلك ، وقد نظم بعضهم ذلك في بيتٍ واحد ذكر فيه كلَّ حرفٍ تلو ما يُبدل به ، وهو :

كَمْ أَوْ حِطَّ صِلَا لَهُ دَرَّ سَعٌ * فِي بَزَّ حَيْشَ غَضَّ ثَجَّ تَدَفَّقْ

قال : ومنهم — مَنْ يَعْكِسُ حُرُوفَ الْكَلِمَةِ فَيَكْتُبُ مُحَمَّدٌ «دعحم» وعلى «يلع» .

ومنهم — مَنْ يُبَدِّلُ الْحُرُوفَ الْأَوَّلَ مِنَ الْكَلِمَةِ ثَانِيَةً مُطْلَقًا فِي سَائِرِ الْكَلَامِ فَيَكْتُبُ مُحَمَّدٌ أَخُو عَلَى «حمدم خا عويل» إلى غير ذلك من التميزات .

ومنهم — مَنْ يُبَدِّلُ الْحُرُوفَ بِأَعْدَادِهَا فِي الْجُمْلِ ؛ فَيَكْتُبُ مُحَمَّدٌ أَرْبَعُونَ ، وَثَمَانِيَةً ، وَأَرْبَعُونَ ، وَأَرْبَعَةً ، وَتَعْمَلُ التَّعْمِيَةُ صِفَةً مُحَاسَبَةً .

ومنهم — مَنْ يَكْتُبُ عِوَضَ عَدَدِ الْحُرُوفِ حُرُوفًا وَهُوَ الْبَلْغُ فِي التَّعْمِيَةِ ؛ فَيَكْتُبُ مُحَمَّدٌ «لى بو لى اج» لِأَنَّ اللَّامَ وَالْيَاءَ بِأَرْبَعِينَ وَهِيَ عَدَدُ مَالِئِ الْأُولَى ، وَالْبَاءَ

والواو بثمانية وهى عدد ما للحاء، واللام والياء أيضا بأربعين وهى عدد ما للميم الثانية،
والألف والجيم بأربعة وهى عدد ما للدال، فكأنه قال : م ح م د : وإن شاء
أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن هذه الأعداد .

ومنهم — من يعمل لكل حرف اسم رجل أو غيره .

ومنهم — من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين على ترتيبها
على حروف أبجد : فيجعل الألف للشرطين ، والباء للبطين ، والجيم للثريا ، وهكذا
إلى آخرها ، فيكون بطن الحوت للغين من ضغط . وربما أصطلح على الترتيب
على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من
الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التعمي التي لا يأخذها حصر . وأكثر أهل هذا
الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختارها قلبا له مقطعة على ترتيب حروف
المعجم . والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ثم يرتب تحت كل واحد شكلا
لا يماثل الآخر ، فكلما جاءه في اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط ،
ثم يفصل بين كل كلمتين : إما بخط أو بنقط أو بياض أو دائرة أو غير ذلك ، وأكثر
المتقدمين يجعلون الحرف المشدد بحرفين ، والمتأخرون يجعلونه حرفا واحدا ، وهذه صور
حروف مترجم كان قد وصل إلى الأبواب السلطانية من مناصحين في بغداد يقاس عليه

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
هـ	ظ	لا	س	م	ع	ح	م	ك	م	ط	ع	ح	و
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	لاي
ل	ن	م	هـ	و	لا	م	ن	هـ	و	لا	م	ن	هـ

القاعدة الثانية — حلّ المعنى، وهو مقصودُ الباب ونتيجته .

ويحتاج المتصدى لذلك مع جَوْدَةِ الحَدْسِ وذَكَاءِ الفِطْرَةِ أن يَعْرِفَ اللِّغَةَ الَّتِي يروم حلّ مترجمها مما وَقَعَ به التعميةُ فيها، ومِقْدَارَ عدد حُرُوفِها؛ ولا خفاءَ في أن حُرُوفَ العربية ثمانيةٌ وَعِشْرُونَ حرفًا، ويجب أن يَعْرِفَ الحُرُوفَ الَّتِي تَدْخُلُ كُلُّ لُغَةٍ وَالْحُرُوفَ الْمُتَنَعَّةَ الْوُقُوعَ فيها كما تقدّم .

ثم المَعُولُ عليه، والمنصَبُّ القول إليه، فيما هو متعارَفٌ في هذه المملكة لغةُ العرب التي [هى] أشرفُ اللغات وأبذلُها .

والناظرُ في حلّ مترجمها يحتاجُ إلى أصليين :

الأصلُ الأوّل — معرفةُ الأُسِّ الذِى يترتّبُ عليه الحَلُّ ؛ والذى تمسُّ إليه الحاجةُ من ذلك سبعةُ أمُور :

أحدها — أن يعرفَ مَقَادِيرَ الحُرُوفِ الَّتِي تتركّبُ منها الكلمة .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كلامَ العربِ منه ما يُبْنَى على حَرْفٍ واحدٍ مثل «ق» من الأمرِ بِالْوَقَايَةِ، و«ع» من الأمرِ بِالْوَعْيِ؛ ومنه ما يُبْنَى على حَرْفَيْنِ مِنَ الأفعالِ مثل «قُم» فى الأمرِ بِالْقِيَامِ، و«كُلْ» فى الأمرِ بِالْأَكْلِ؛ ومن الحُرُوفِ نحو : مِنْ فى رَبِّ هَلْ بَلَّ وما أشبه ذلك ؛ ومن الأسماءِ المَبْنِيَّةِ نحو : ذِى ذَا مَنْ كَمْ ؛ ومن الضميرِ مع حُرُوفِ الجَرِّ نحو : بِكَ لَهُ ؛ ومنه ما يُبْنَى على ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ وأربَعَةٍ وخمسةٍ فى الحُرُوفِ والأفعالِ والأسماءِ، ثم تَدْخُلُ فيه أَحْرَفُ الزِيَادَةِ العَشْرَةِ، وهى «هُوَيْتَ السَّمَانَ» وثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ أُخَرَ، وهى الفَاءُ وبَاءُ الجَرِّ وكافُ التشبيهِ

وكأف الخطاب إلى أن تبلغ الكلمة على اصطلاح الكتاب [أربعة] عشر حرفاً ،
كقولك مخاطباً لرجلين [أنشأ] جُنينة : أَفَلَمْ تُسْتَرْهَاتِكَا أَعَدْتُمَاها .

قال ابن الدريهم : وليس في كلام العرب كلمة رُبَاعِيَّةُ الأصل أو نُحْمَاسِيَّةُ الأصل
ليس فيها حرف من الحُرُوفِ الذَّلَقِيَّةِ كاللام والنون والواو، والشَفَوِيَّةِ كالفاء والميم
والباء إلا ما شذَّ مثل «عَسَجَد» من أسماء الذهب .

قال : ونهاية الأسماء العربية قبل الزيادة خمسة ، وشذَّ (?) مثل عَنَدَلِيْب ، والأفعال
قبل الزيادة أربعة ؛ وليس في القراءة كلمة نُحْمَاسِيَّةُ الأصل سوى الأسماء الأعجمية
مثل إبراهيم ، ولا يمكن أن يتكرر حرف [في] كلمة واحدة أكثر من خمسة كقول القائل
مارأينا [كككا ككككم^(١)] جمع كككة وهو المركب الكبير مثل عككة وعكك ،
وأربع كافات في قولك ^(٢) وكككمك .

الثاني — أن يعرف الحروف التي لا يُقارب بعضها بعضاً بمعنى أنها لا تجتمع
في كلمة واحدة .

وَأَعْلَمُ أَنَّ في الأحرف ما لا يُقارب بعضه بعضاً مطلقاً بتقديم ولا تأخير كالثناء
المتلثة ، فإنها لا تقارب الذال المعجمة والزاي المعجمة والسين والصاد المهملتين
والضاد المعجمة ، وكذلك الجيم لا تقارب الطاء المهملة ولا الظاء المعجمة ولا الغين

(١) بيض له في الاصول وقد صححناه من المقام ، ولكن لم نثر على هذا البناء في كتب اللغة ولعله
عامي تأمل .

(٢) يياض في الاصل .

المعجمة ولا القاف ولا الكاف، وما وقع من ذلك في الكلام نحو : نَجَّةٌ وَبَرَجَقٌ
وَجُرْمُوقٌ وَجَوَلَقٌ وَجَلَاهِقٌ وَمَنْجَنِيْقٌ وَجَوْقَةٌ وَجَوْسَقٌ وَصَنْجَقٌ وَسَنْجَقٌ وَجَرْدَقٌ
ونحو ذلك فليست عربية : لأنه لا يجتمع في كلام العرب جيم وقاف في كلمة
واحدة ؛ وكذلك الدال المهملة لا تقارن الظاء المعجمة والذال المعجمة لا تقارن
الزاي المعجمة والصاد والضاد والطاء والظاء ، وما وقع في الكلام من ذلك فليس
عربي ، مثل طبرزد فارسي والزط نبطي ، ولا تقارن السين المهملة الصاد المهملة
والضاد المعجمة والطاء المعجمة ؛ ولا تقارن الصاد المهملة الضاد المعجمة ولا الظاء
المعجمة ؛ ولا تقارن الضاد المعجمة الشين والطاء المعجمتين ؛ ولا تقارن الطاء
المهملة الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن القاف الغين المعجمة ولا الكاف في كلمة أصلية ،^(١)
وشد نغق الغراب وناقة نغيق ؛ ولا تقارن الكاف الخاء المعجمة في كلمة أصلية ،
ولا تقارن الميم الباء الموحدة والفاء في كلمة أصلية إلا في فَمٍ وأصله فَوَهْ ، وأما بَمٌ
لأحد أوتار العود فليس عربي ؛ والحروف الحلقية لا يقارن بعضها بعضاً خلا الهاء
فإنها تعقبها زائدة ، كهاء الضمير وهاء التأنيث ، وتعقب العين أصلية كالعهد والعهر
وعهر ؛ وليس في كلمة أصلية حرفان حلقيان سوى ما تقدم من الهاء ، وقد تعقب
بواسطة كغيب وعبر ؛ أما حَيْهَلٌ فمركبة ، ولا يجتمع حرفان من هذه الخمسة :
وهي الهاء والطاء المهملة (؟) والعين والغين والحاء المعجمة في أول كلمة سوى ما ذكر ،
ولا في أثناء الكلمة إلا الهاء مع العين كهلع والهاء مع الغين كاهيغ ، والحاء مع الغين
كأخيغ ، والهاء مع الخاء المعجمة في كلمة واحدة وهي هَيْيَخَةٌ ؛ ولا تجتمع الهاء^(٢)

(١) في الأصول العين المهملة وهو غير مستقيم . وفي كتب اللغة ناقة نغيق «أى بإعجام الغين» إذا كانت

تبهم مرة بعد مرة .

(٢) لم توجد في كتب اللغة التي بأيدينا .

الأصلية مع الخاء المعجمة ، ولا الخاء المهملة والعين المهملة إلا أن تكون مرتبة مثل هر قضع (٩) والحيعة .

الثالث — أن يعرف الحروف التي لا تقارن بعض الحروف في الكلمات إلا قليلا ، كقارنة السين المهملة للسين المعجمة في شسع والسين مع الزاي كشزر والراء مع اللام كورل .

[وَأَعْلَم] أَنَّ الحَرْفَ الواحدَ يَتَكَرَّرُ فِي الكَلِمَةِ الواحدةِ كَثِيرًا مِثْلَ دَهْدَه وَتَهْتَه وَنَهْنَه وَحَصْحَصَ وَجَبَجَبَ وَخَمَخَمَ وَجَلَجَلَ وَخَلَخَلَ وَشَعَشَعَةً وَزَعَزَعَ وَدَغَدَغَ وَبَغَبَغَ وَنَعَنَعَ وَعَسَعَسَ وَزَعَزَعَ وَغَوَّاءَ وَصَخْصَخَ وَخَوَّخَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

الرابع — أن يعرف ما يجوز تقديمه على غيره من الحروف وما يمتنع ، فالثاء لا تتقدم السين المعجمة ، والدال المهملة لا تتقدم على زاي ولا صاد مهملة (١) ولا طاء مهملة بدليل أنهم لما عرّبوا مُهَنْدَزَ ، أبدلوا الزاي سينا فقالوا مُهَنْدَسَ وَهَنْدَسَةَ ، والدال المعجمة لا تتقدم الجيم ولا السين المهملة ولا السين المعجمة ولا العين المهملة ، ومن هنا لما عرّبوا الفالودج من الفارسي قالوا فالوذق ؛ والسين المعجمة لا تتقدمها الزاي المعجمة ولا السين المهملة ولا الصاد المهملة ؛ والطاء المهملة لا تتقدم الكاف في كلمة أصلية ؛ والسين المهملة لا تتقدم على الدال المهملة (٢) إلا قليلا كسَدَابَ ، والدال المعجمة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كقولك في الأمر دُدِ الغنم .

(١) في الأصل "على نون" وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) أورده القاموس بالدال المعجمة وتكلم عليه شارحه ثم قال ويوجد في بعض كتب النبات بالدال المهملة .

الخامس — أن يَعْرِفَ مَا لَا يَقَعُ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْحُرُوفِ كَالْجِيمِ لَا تَقَعُ بَعْدَهَا التَّاءُ الْمُثَنَاءُ فَوْقَ وَلَا الصَّادُ الْمَهْمَلَةُ وَلَا الضَّادُ الْمُعْجَمَةُ وَلَا الْغَيْنُ الْمُعْجَمَةُ؛ أَمَّا الْحِصْنُ فَمُعَرَّبٌ .

السادس — أن يَعْرِفَ أَنَّهُ لَا يَتَكَرَّرُ حَرْفٌ فِي أَوَّلِ كَلِمَةٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْعَشْرَةِ الْأَحْرَفِ وَهِيَ: الْكَافُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ وَالتَّاءُ الْمُثَنَاءُ فَوْقَ وَالْأَلِفُ وَالبَاءُ الْمُوحَّدَةُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ وَالْيَاءُ الْمُثَنَاءُ تَحْتُ وَيَجْمَعُهَا قَوْلُكَ «كُلُّ مَنْ تَابَ وَتَقِيَ» وَأَقْلَاهَا وَقَوْعًا كَذَلِكَ الْيَاءُ .

السابع — أن يَعْرِفَ أَكْثَرَ الْحُرُوفِ دَوْرَانَا فِي اللُّغَةِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ مِنَ الْحُرُوفِ فِي الْكَثْرَةِ إِلَى أَقْلَاهَا دَوْرَانَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِيهِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ اسْتِقْرَاءُ الْقِرَاءَنِ الْكَرِيمِ الْأَلْفُ ثُمَّ اللَّامُ ثُمَّ الْمِيمُ ثُمَّ الْيَاءُ الْمُثَنَاءُ تَحْتُ ثُمَّ الْوَاوُ ثُمَّ النُّونُ ثُمَّ الْهَاءُ ثُمَّ الرَّاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْفَاءُ ثُمَّ الْقَافُ ثُمَّ الدَّالُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الذَّالُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ اللَّامُ أَلْفُ ثُمَّ الْحَاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْجِيمُ ثُمَّ الصَّادُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْخَاءُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ الشَّيْنُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ الضَّادُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ الزَّايُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ التَّاءُ الْمُثَلَّثَةُ ثُمَّ الطَّاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْغَيْنُ الْمُعْجَمَةُ ثُمَّ الظَّاءُ الْمُعْجَمَةُ؛ وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ أَحْرَفَ الْكَثْرَةِ فِي قَوْلِهِ (الْيَوْمَنُ) وَبَعْضُهُمْ يَجْمَعُهَا فِي قَوْلِهِ (الْيَوْمَ هُنَّ) وَجَمَعَ الْحُرُوفَ الْمُتَوَسِّطَةَ فِي قَوْلِهِ (رَعَفْتُ بِكَدْسٍ نَجِجٍ) (١) وَجَمَعَ أَحْرَفَ الْقَلَّةِ فِي قَوْلِهِ (طَظَنَ صَخْدَزَقَش) .

(١) تأمل هذا المثال وما بعده وحررها .

قال ابن الدريهم : وقد يقع في لفظ غير القرآن على خلاف ذلك كما يتعمدون النظم والشعر غير ألف أو غير تقط أو غير عاطل الحروف أو ألفاظ قليلة، وقد يكون الكلام ألفاظا قلائل لا تستوعب الحروف .

الأصل الثاني - كيفية التوصل بالحدس إلى حل المترجم :

قال ابن الدريهم : إذا أردت حل ما ترجم لك، فأبدأ أولاً بعدد الحروف، وكم تكرر كل شكل منها مرة فائتته أولاً فأولاً . قال : وأول ما تستخرج الفاصلة إن كان الذي عمى قد بالغ في التعمية، يعني بإخفاء الفاصلة في ضمن الحروف؛ وذلك أنك تأخذ حرفاً فتظن أن الفاصلة تكون الثاني فتجربه على ما تنظر من الكلمات من المقادير على ما تقدم؛ فإن وافق وإلا أخذت الثالث، فإن وافق وإلا الرابع وهكذا حتى يصح لك انفصال الكلمات، ثم تنظر أكثر الحروف دورانا في الكلام فتقاربه من الترتيب المتقدم في أكثر الحروف دورانا على ما تقدم، فإذا رأيت حرفاً قد وقع في الكلام أكثر من سائر الحروف فتظن أنه الألف؛ ثم الأكثر وقوعاً بعده فتظن أنه اللام؛ ويؤيد صحة ظنك أن اللام يدار في أكثر استعماله تابعاً للآلف؛ ثم تنظر إن كان في الكلام حرف مفرد فتظن أنه اللام ألف؛ ثم أول ما تلقى من الكلام الثنائية بتقريب حروفها حتى يصح معك شيء منها فتنظر أشكالها وترقم عليها، وتجرى الكلام في الثلاثيات حتى يصح معك شيء منها فترقم نظائره؛ ثم تجرى الكلام في الرباعيات والخماسيات على الوزن المتقدم؛ وكل ما أشبهه فاحتمل احتمالين أو ثلاثة أو أكثر تثبته إلى حين يتعين من كلمة أخرى؛ فما انتظم لك من ذلك

فُتِّبَتِ الْبَاقِي عَلَيْهِ ؛ وَإِذَا رَأَيْتَ حَرْفًا قَدْ تَقَدَّمَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ فَتَنْظُنْ أَنَّهُ إِمَّا بَاءٌ وَاحِدَةٌ وَإِمَّا فَاءٌ وَإِمَّا كَافٌ غَالِبًا .

قال : وينبغي أن يكتب للبديء أولاً كل كلمة على حدة منفصلة، وأن يكتب له الشَّعْرُ دُونَ الثَّرْبِ؛ فَإِنَّ الوزن يساعده على ظُهور بعض الحُرُوف، كهاء التَّائِيثِ وتاء التَّائِيثِ الساكنة وتاء المتكلم والساكن الذي لا يمكن أن يكونَ إلا أحد حروف العِلَّةِ الدَّائِرَةِ في الكلامِ وأمثالِ ذلك؛ ثم ضرب لذلك مثلاً بأنك إذا رأيت هذه الأسطر مكتوبةً بهذا القلم

[illegible]

قال : فينبغي قبل كل شيء أن يبدأ فيرقم تحت كل شكل من هذه الأشكال كم
تكرر مرة أولاً فثانياً على هذا المثال

4	3	T	2	□	≠	0	H	2	8
✓	18	9	r	9	"	^	r	r	r
∩	⊥	=	≠	∪	◊	3	2	∪	0
1	8	1	r	r	∧	8	8	9	10

فيجد قد تكرر معه هذا الشكل ه أكثر من كل الأشكال بكثير، فيعلم أنه الألف
 فيرقم عليه في موضعه، ثم المكرر بعده أكثر من باقي الأشكال هذا الشكل 3
 فيظن أنه اللام ويحقق ظنه كونه تابعا للألف في سبعة مواضع من الكلام؛ ثم ينظر
 فيجد فيه حرفا واحدا كلمة فيظن أنها اللام ألف؛ ثم يجد الكلمة الثالثة ثنائية
 ثانيها اللام ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه: بلا تلا جلا حلا خلا سلا علا
 غلا فلا كلا هلا ولا؛ ثم يجد هذا الشكل ٥ الذي مع اللام ألف قد ورد
 مكررا في أول كلمة أمتنع أن يكون جيا أو حاء أو خاء أو سينا أو عينا أو غينا
 أو هاء فلم يبق معنا سوى بلا تلا فلا كلا ولا؛ ثم يجد الكلمة الخامسة ثنائية
 ثانيها ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه: با جا دا ذا سا شا ضا فا ما نا يا،
 ثم يترجح أنها ما أو يا لأن هذا الشكل ٦ قد تكرر أكثر من باقي الحروف
 فيكون إما الميم أو الياء وإن قاربهما النون لكن ما ويا أكثر وقعا في الكلام
 من نا فإنها غريبة الوقوع، ثم رأينا هذا الشكل المتقدم قد تلا الشكل الذي مع
 اللام ألف الذي ظننا أنه أحد هذه ه ب ت ف ك وفي الكلمة الثلاثية
 المكرر أولها ٧ ٨ ٩ بخرنا الحروف مع الميم فظهر منها لفظة
 «ففى» لاغير؛ ثم نظرنا هذا الحرف ١٠ فوجدناه وقع في أربعة مواضع في الكلام
 لاغير، فقلنا إنه الفاء: لأن الياء بنسبة هذا الكلام تقع أكثر من ذلك غالبا، فصَحَّ
 معنا أن الكلمة الثالثة «فلا» والكلمة الخامسة «يا» والحرف المفرد «لا»
 والكلمة الخامسة منه هي رايد ذلك أننا وجدنا الكلمة الحادية عشرة قد تكرر
 [فيها] بعد الألف واللام حرفان تلاهما ألف بعده حرف آخر، ولا يمكن أن يتكرر
 حرف في مثل هذا المكان سوى الميم إذا جربته على جميع الحروف، فقلنا: المئات

المَح المَآر المَاس المَاع؛ ورأينا هذا الشكل **ت** الذى هو آخر الكلمة قد تكرر أكثر من باقى الحروف بعد الألف واللام والباء، فبقي أن تكون هذه ر س ت ع لأن الميم قد صح معنا ولم يكن النون فعلمنا على الميم فى مواضعه؛ ونظرنا فرأينا هذا الشكل **ط** أول الكلمة الرابعة الثلاثية وقد صح ثانياها اللام وثالثها الميم فخرَّبناها على هذه الحروف فسقطتِ الرَّاءُ وبقي أحد هذه: سلم تلم علم؛ ثم نظرنا الكلمة المجارية للمات الماع الماس، فرأينا قبل الألف واللام حرفا يكون أحد هذه ب ل و: لأن الفاء علمناها؛ ونظرنا هذا الحرف **م** قد تبع الألف واللام قبل الياء، ووجدناه بين البين فى كلمة ثلاثية تكون إحدى هذه أبا إذا أسا أنا، فخرَّبنا الكلمة على الباء والذال والسين والنون على أن يكون الحرف الآخر السين فلم يتفق منه لفظ فسقط «سلم» ثم جَرَّبناها على أن تكون العين فحصل منه بعد الحرف الأول البياع؛ ثم على أن تكون تاء فحصل منه الثبات السيات فسقط وبقي أبا أسا أنا؛ ثم نظرنا الكلمة السابعة وهى ثلاثية أولها اللام وثانيها هذا الحرف **م** الذى قبل الياء وثالثها هذا **ت** الدائرين العين والتاء قلنا يقوم منها «لست» وسقط الباء والنون، وإِنَّمَا لم يقم منه «كسع» لأنه لما سقطت الباء سقطت العين من البياع، فصح أن تلك «السيئات» ونظيرها «المات» والثلاثية «تلم» وسقط علم، فرقنا على التاء فى مواضعها وعلى السين فى مواضعها، فصارت الثلاثية «أسا» فقد صح معنا من الكلمات: «فلا تلم يا لستُ المات لا أسا ففى» وبقي الحرف الذى قبل السيئات؛ ثم نظرنا الكلمة العاشرة الثلاثية فيها ت ي جَرَّبناها على الحروف فظهر منها «حتى» لا يشارِكها شيء فعلمنا على الحاء فى مواضعها؛ ثم نظرنا كلمة نحاسية قد بقي منها الحرف

الوسط، بخرّبناها على الحروف فقام من ذلك : « حَسَرَات حَسَكَات حَسَنَات »
 فعلنا أنه حسنات : لأن هذا الشكل **هـ** تكرر أكثر من باقى الحروف بعد
 الألف واللام والياء والتاء، وقد صحّ الميم فأثبتنا النون فى موضعها؛ ثم نظرنا هذا
 الشكل **ل** فى أول كلمتين ثلاثيتين وقد صحّ من إحداهما ن ي ومن الأخرى
 ل ي، بخرّبنا الحرف فوجدناه إمّا عينا أو واوا، فيقوم منهما عنى على وبى ولى
 فتعين أن يكون عينا لقلة الحرف عن مرتبة الواو؛ ثم نظرنا كلمة سباعية قد بقي
 منها حرف مجهول، بخرّبناها على الحروف فصحت «البَيَانُ» لا يشاركها لفظة أخرى،
 وللحرف هذا الشكل **ح** الذى قبل السينّات فتعيّنت الباء فى مواضعها؛ ثم نظرنا
 كلمة سداسية نالّتها حرف مجهول، بخرّبناها فظهر منها «الكتاب»؛ ثم نظرنا كلمة
 نحاسية قبل التى قبل «هذه» قد بقي حرف الوسط [منها] مجهولا، بخرّبناها على الحروف
 فقام لحيف لمدنف لمصنف فتعيّنت «لمصنف» بسبب سياق الكلام بلفظ
 «الكتاب» ورقمنا على الصاد؛ ثم نظرنا الكلمة الأخيرة قد بقي منها رابعها مجهولا،
 بخرّبناها على الحروف فصحت «الموصل» وصحّت الكلمة التى بعد لست أنها «أسلو»
 فرقمنا على الواو؛ ثم نظرنا الكلمة الأولى وهى ثنائية أولها ص بخرّبناها فصحت
 صدّ، وإنما كالأخرى لقلّة وقع حروفها، ثم علمنا على الدال فوجدنا كلمة ثنائية آخرها
 «د» بخرّبناها على باقى الحروف التى لم تظهر، فقام منها جـ حـ د قد هد؛ ثم نظرنا
 كلمة ثلاثية فصح أولها ت وآخرها ل وسطها هذا الحرف **ث** الذى قبل الدال
 فى الثنائية، بخرّبناها على الجيم والحاء والقاف والهاء، فسقطت الهاء وبقي تجل
 تقل تجل؛ ونظرنا فرأينا سياق الكلام يدل على أن الكلمة قبل أسا «قد» والثلاثية
 «تقل» فانتظم الكلام «لا تقل قد أسا» ثم نظرنا الكلمة السادسة قد بقي منها

ثانيها مجهولا ، فخرّبناها على باقي الحروف فصحت « عَدُولِي » ، فرقنا على الذال في مواضعه ؛ ثم نظرنا الكلمة الثلاثية التي بين « لمصنف » وبين « الكتاب » أولها هذا الشكل هـ وقد صح منها « ذا » فقلّنا أنها « هذا » ورقنا على الهاء ؛ ثم نظرنا الكلمة الخماسية التي بين « فني » وبين « منه » قد بقي رابعها ، فخرّبناها على باقي الحروف فصحت « الوجه » ؛ ثم نظرنا الكلمة السباعية التي قبل الأخيرة وقد بقي منها رابعها مجهولا ، فخرّبناها فظهر منها الدّرِيهم ، فتكلّ الحلّ وظهر الكلام :

صُدَّ عَنِّي فَلَا تَلُمُ يَا عَدُولِي * لَسْتُ أَسْلُو هَوَاهُ حَتَّى الْمَمَاتِ

لَا تَقُلْ قَدْ أَسَا فَنِي الْوَجْهِ مِنْهُ * حَسَنَاتٌ يَذْهَبْنَ بِالسَّيِّئَاتِ

هذا البيان لمصنّف هذا الكتاب ، عليّ بن الدّرِيهم الموصليّ .

وعلى مثل هذا المنوال يجرى الحلّ ؛ ثم آنظر إلى حروف هذا الكلام كيف جاءت أحداً وعشرين حرفاً ، ونقص منه ثمانية لم توجد فيه ، فإذا نظرت إلى ما قررت لك من ترتيب وقع الحروف كما جاءت في الكتاب العزيز ، رأيت الثمانية الناقصة هي آخر الترتيب سواء لم يختلط منها شيء بتقديم أو تأخير ، وهذا اتفاق : لأنه قد يقع الحرف قريباً من رُتبته كما تقدّم ؛ وكما تقدّمت الياء على الميم في هذا الكلام ، والفاء على الميم والنون ، وتقدّمت الهاء على الميم أيضاً ؛ لكن الأصل معرفة وقع الحروف بالتقريب وتجربة الكلمات ، ومقارَبة ما دلّ عليه سياق الكلام .

ولنضرب مثلاً آخر : لتتضح أنواع الحلّ .

[illegible]

2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15
 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006 1007 1008 1009 1010 1011 1012 1013 1014 1015 1016 1017 1018 1019 1020 1021 1022 1023 1024 1025 1026 1027 1028 1029 1030 1031 1032 1033 1

فتنظر فإذا أكثرها وقعا Σ ثم ح ر ر ثم ح م م ثم هذين \boxtimes م م
 ثم هذين م م ثم هذا ح ثم هذه ر م م فتظن أن
 هذا الشكل Σ الألف ، وهذا ح اللام : لكونهما أكثر وقعا

من الجميع فلم يوافق : لأنه قد تقرّر أن اللام تكون تابعة للألف في أكثر المواضع ولم نجده تبعه البتة ، بل وجدنا العكس فعلمنا أن هذا **ج** هو الألف وهذا **ح** هو اللام ، ورقنّا عليهما في مواضعهما فإذا الكلمة الثانية الثلاثية فيها لآمان ، بقي حرف آخرها مجهول ؛ فخرّبناها على الحروف فظهرت الهاء لا يمكن غيرها ، فعلمنا أنها « لله » ورقنّا على الهاء في مواضعها ، ثم وجدنا الكلمة الخماسية قد بقي رابعها مجهولاً ؛ فخرّبناها فظهر الهاء ألها ألها ، ووجدنا الحرف قد تكرر أكثر من كلّ الحروف بعد الألف واللام ؛ فظننا أنه الميم ، لكنه يحتمل أن يكون النون ، وسقط الباء والجيم فوجدناه في الثنائيات في كلمتين قبل الألف ؛ فعلمنا أنها « ما » فرقنا على الميم في مواضعها ، ثم رأينا الميم قد تبعه في الثنائيات حرف يحتمل أن يكون مد مر مس مض مط مع من ، ورأينا الحرف كثير الوقوع ، وقد تكررت ثلاث لفظات ؛ فعلمنا أنها « من » ورقنّا على النون في مواضعه ، ثم رأينا هذا الشكل **ك** أكثر من غيره وهو قبل الألف واللام وفي أوائل الكلمات فقلنا إنه الواو ، ثم رأينا آخر كلمة قد بقي منها رابعها مجهولاً ، فخرّبناها فظهر والبهم والتهم والجهم والدهم والسهم والشهم والفهم واليهيم ؛ ثم وجدنا هذا الحرف **ل** الذي فيها قد جاء قبل حرف في الثنائيات وذلك أكثر ما وقع بعد الألف واللام والميم ، فيحتمل أن يكون الياء ، ووجدنا قد بقي من كلمة هذا الحرف فصّح أن يكون النّهي وأخرى أولى ، فعلمنا أنها الياء ، فخرّبنا الحرف معها ؛ فظهر بي ني ، ووجدنا كلمة خماسية هذا الحرف **م** رابعها وبعد حرف آخر ، فخرّبناها على الياء والفاء فظهر اللبث اللبد اللبس اللبط اللبك اللفت اللفج اللفح اللفظ اللفق ؛ ثم وجدنا هذا الحرف الآخر **ن** أول كلمة بعده لآمان وهاء ؛ فخرّبناها فظهر منها الحرف الثالث مجهولاً ، فخرّبناها فظهر

الْتَّمَامُ الحَمَامُ الدَّمَامُ الشَّمَامُ الغَمَامُ الكَمَامُ ؛ فرأينا سياق الكلام يدلُّ على أنه «ظَلَّلَ
الْغَمَامُ» وتعينت تلك اللفظة والأخرى الفَهْمُ والثَنائية، فرقنا على الفاء ؛ ثم رأينا
الكلمة الثالثة الثلاثية ثانياها لام وآخرها ياءٌ وبعدها «ما ألْهَمَا» فدل سياق الكلام على
أنها «على» فرقنا على العين، فرأينا الرابعة التي بعد «وآله» قد بقي ثالثها مجهولا ؛
بجربناها فظهرت مَعِجَن مَعِدَن فتعين مَعِدَن والثَنائية التي بعدها ؛ وقيل «علم كل»
فرقنا على الدال في مواضعه ورأينا الكلمة الأولى قد بقي وسطها مجهولا ؛ بجربناها
وظهرت التمد التمد الحمد الصمد، فدلَّ سياق الكلام أنها الحمد : لأن بعدها «لله على
ما ألْهَمَا» فرقنا على الحاء في مواضعها، ورأينا الثالث من الرابعة التي بين على
وظَلَّلَه ، بجربناها فظهرت «الذى» ورأينا الكلمة الخماسية التي بعد «مُحَمَّد» قد
بقي رابعها [مجهولا] ، بجربناها فظهرت «النبى» فرقنا على الياء في مواضعها ورأينا
قد بقي ثالثُ السُداسية التي بعد «من» هذا الشكل ٥ وهو ثالثُ رباعية
أولها الألف وثانيها فاء وآخرها حاء، وثاني خماسية أولها واو وثالثها حاء ورابعها باء
 وخامسها هاء ؛ فتعينت الصاد، فالأولى «الصَّواب» والأخرى «أنصح» والأخرى
«وصحبه» وتعينت الثَنائية التي هي أول البيت الثاني بعد السطر الأول «ثم»
والتي تليها «صلاة» وتعين السين في السلام ؛ فصار، «ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ»
وكلما تمرن الإنسان في ذلك ظهر له أسرع بكثرة المباشرة، ثم تعين رابع السُداسية
التي بعد أفصح من أنه الضاد، وتعين بسياق الكلام أن بعد بالضاد «في اللَّفْظِ
نَطَقَ» فرقنا على القاف فرأينا مجاريها الثلاثية من رأس المِصراع «خَلَقَ» فرقنا
على الخاء، وتعينت الكلمة التي قبل «مَنْ خَلَقَ» أنها «خير» فتكملت الأبيات
وظهر أنها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا * مِنَ الصَّوَابِ وَعَلَى مَا عَلَّمَنَا
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ * عَلَى الَّذِي ظَلَّلَ لَهُ الْغَمَمُ
مَجْدِ النَّبِيِّ خَيْرٍ مَنْ خَلَقَ * أَفْصَحَ مِنَ الْبُضَادِ فِي اللَّفْظِ نَطَقُ
وَالِهِ مَعْدِنِ كُلِّ عِلْمٍ * وَصَحْبِهِ أُولَى النَّهْيِ وَالْفَهْمِ

قلت : ومما يلتحق بتعمية الخطّ المتقدمة الذكر ما حكاه ابن شيث في معالم
الكتابة : أنَّ بعض الملوك أمر كاتبه أن يكتب عنه كتاباً إلى بعض أتباعه يطمّنه
فيه ليقيض عليه عند آتهاز فرصة له في ذلك ؛ وكان بين الكاتب والمكتوب إليه
صداقة فكتب الكاتب على ما أمر به من غير خروج عن شيء من رسمه ، إلا أنه
حين كتب في آخره « إن شاء الله تعالى » جعل على النون صورة شدة ، فلما قرأه
المكتوب إليه ، عرف أنَّ ذلك لم يكن سدى من الكاتب فأخذ في التأويل والحدس
فوقع في ذهنه أنه يُشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ .
فأخذ حذره ، وأحترز على نفسه ، وبلغ الملك احترازه على نفسه فاتهم الكاتب في أنه
ألحق في الكتاب شيئاً نبه به على قصد الملك ، فأحضره وسأله عن ذلك ، وأمره
بأن يكتب الكاتب على صورة ما كتب به من غير خروج عن شيء منه ،
فكتبه ولم يغير شيئاً من رسمه حتى إنه أثبت صورة الشدة على النون ؛ فلما قرأه
الملك ونظر إلى صورة الشدة أنكرها عليه ، وقال : ما الذي أردت بذلك ؟ قال :
أردت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ . فأعجب بذلك وعفا عنه
لصدقه إياه .

النوع الثاني

(الرُّمُوزُ والإِشَارَاتُ الَّتِي لَا تَعْلُقُ لَهَا بِالْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ)

وهي الَّتِي يَعْبُرُ عَنْهَا أَهْلُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ بِالِاسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ «بِالنُّونِ بَعْدَ الْكَافِ»
وَقَدْ يَعْبُرُ عَنْهَا بِالْوَحْيِ وَالِإِشَارَةِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْعَسْكَرِيُّ فِي "الصَّنَاعَتَيْنِ": أَنَّ رَجُلًا مِنْ
بَنِي الْعَنْبَرِ أَسْرَفَ فِي بَنِي حَنْظَلَةَ ، وَفَهُمْ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ الْغَارَةَ عَلَى قَوْمِهِ بَنِي الْعَنْبَرِ ،
فَقَالَ لِبَنِي حَنْظَلَةَ : إِنَّ لِي حَاجَةً عِنْدَ أَهْلِي وَأُرِيدُ رَسُولًا مِنْ قَوْمِكُمْ أُرْسِلُهُ فِيهَا ،
فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ بِشَرْطِ أَنْ يَخَاطَبَهُ فِي حَاجَتِهِ بِحُضُورِهِمْ ، فَأَحْضَرُوا لَهُ رَجُلًا
فِي اللَّيْلِ وَقَدْ أَوْقَدَتِ الْعَرَبُ نِيرَانَهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَى الَّذِي أَتَوْهُ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أُنْعَقِلْ ؟
قَالَ : إِنِّي لِعَاقِلٌ . فَقَالَ : أَنْظِرْ إِلَى السَّمَاءِ وَنَجُومِهَا ، فَنَظَرَ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْظِرْ إِلَى
نِيرَانِ الْعَرَبِ ، فَنَظَرَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَكْثَرُ ؟ نَجُومُ السَّمَاءِ أَوْ نِيرَانِ الْعَرَبِ ؟ فَقَالَ :
إِنَّ كَلًّا مِنْهَا لَكَثِيرٌ ، قَالَ : إِنَّكَ إِذَا لِعَاقِلٌ ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ حَنْظَلَةَ وَصُرَّةً فِيهَا رَمْلٌ
وَصُرَّةً فِيهَا شَوْكٌ ، وَقَالَ أَذْهَبْ إِلَى قَوْمِي فَادْفَعْ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الْحَنْظَلَةَ وَهَاتَيْنِ
الصُّرَّتَيْنِ ، وَقُلْ لَهُمْ يُعْرَوُ نَاقَتِي الْحَمْرَاءُ ، وَيُرْحَلُونَ بِحِمْلِي الْأَوْرَقِ ، وَسَلُّوا أُنْحَى الْأَعُورَ
يُخْرِجُكُمْ الْخَبَرَ . فَقَالَ الْحَاضِرُونَ : لَيْسَ فِي هَذَا مَا يُنْكِرُ ، أَذْهَبَ فِي حَاجَتِهِ ، فَذَهَبَ
إِلَى بَنِي الْعَنْبَرِ وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ وَرَجَعَ ، فَبِعِثَ الْقَوْمُ إِلَى أَخِيهِ
الْأَعُورِ لِحَضَرٍ ، فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ . فَقَالَ إِنَّهُ يَقُولُ : أَنَا كُمْ بَنُو حَنْظَلَةَ فِي عَدِّ الشَّوْكِ
وَالرَّمْلِ ، وَإِنَّ نِيرَانَ الْعَرَبِ تُعَادُ نَجُومَ السَّمَاءِ ، وَيَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْحَلُوا عَنِ الدَّهْنَاءِ وَانْزِلُوا
مَكَانَ كَذَا ، فَفَعَلُوا وَرَحَلُوا لَوْقَتِهِمْ فَصَبَّحَهُمْ بَنُو حَنْظَلَةَ فَلَمْ يَذْكُرُوا مِنْهُمْ أَحَدًا .

وفي معنى ذلك ما حكاه المَقَرَّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلٍ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ "التَّعْرِيفُ" :
 فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَكَاتِبَةِ إِلَى الْأَدْفُونِشِ مَلِكِ الْفَرَنْجِ بِطَلَيْطَلَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ؛ كَانَ
 خَبِيثَ النِّيَّةِ ، سَيِّئَ الْمَقَاصِدِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ مَرَّةً إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
 مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ : صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ هَدِيَّةً فِيهَا سَيْفٌ وَثَوْبٌ بَنْدُقٌ وَطَارِقَةٌ
 مُسْتَطِيلَةٌ تُشَبِّهُ النَّعْشَ كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَقْتُلْكَ بِهَذَا السَّيْفِ ، وَأَكْفَنْكَ فِي هَذَا الثَّوْبِ ،
 وَأَحْمِلْكَ عَلَى هَذَا النَّعْشِ . قَالَ : وَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ حَبْلًا أَسْوَدَ وَحَجَرًا ،
 أَى إِنَّهُ كَلَبٌ يُرْمَى بِهَذَا الْحَجَرِ أَوْ يُرَبِّطُ فِي هَذَا الْحَبْلِ .

قلت : ومما وقع من ذلك في زماننا أنه في الدولة الظاهرية «برقوق» وتمرنك
 يومئذ ببلاد العراق يُغاور الممالك الشامية لقصد الاستيلاء عليها وردَّ عليه كتابٌ من
 المملكة الحلبية فيه : أنه وقع بتلك البلاد سَيْلٌ عَظِيمٌ سَاقَ جَمَلَةً مِنَ الْأُسْدِ وَالنَّمُورَةِ
 وَالْحَيَّاتِ ، وَأَنَّهُ دَفَعَ حَيَّةً عَظِيمَةً سَعَةً رَأْسُهَا بِقَدْرِ قَوْسٍ ، وَقَرَأَ الْكِتَابُ بِحَضْرَةِ
 السُّلْطَانِ ، وَحَمَلُوا ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ : مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ حَقِيقَةُ السَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لِقَوْتِهِ سَاقَ
 تِلْكَ الْحَيَّةَ وَالسَّبَاعَ وَغَيْرَهَا ، وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ الْكَافَّةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَسَائِرِ
 الرِّعِيَّةِ ، وَمَضَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ؛ ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذَلِكَ السَّيْلِ وَمَا فِيهِ
 هُوَ تُمَرْنُكَ وَعَسَاكِرُهُ ؛ وَأَنَّهُ كُنِيَ بِالْحَيَّةِ الْعَظِيمَةِ عَنْهُ نَفْسِهِ ، وَبِالسَّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ
 عَنْ عَسَاكِرِهِ .

ومن لطيف ما وقع في ذلك أنه ورد على السلطان الملك الناصر «فرج بن برقوق»
 في أواخر دولته كتابٌ عن صاحب تُوُسٍ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ فِي آخِرِهِ خُطَابًا لِلْسُّلْطَانِ
 (وعلى إحسانكم المَعُولَ ، وَبَيْتُ الطُّغْرَائِيَّ فِي لَامِيَّةِ الْعِجْمِ لَيَتَأَوَّلُ) فَسَأَلَنِي بَعْضُ
 أَعْيَانِ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ عَنِ الْمُرَادِ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْكِتَابُ مُتَضَمِّنًا لَغَيْرِ الْوَصِيَّةِ

على يُججاج المغاربة ، وكان ركب المغاربة قبل تلك الحجة قد عرض لهم عارض من عرب درب الحجاز أجناحهم فيه ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ونهبوا منهم أموالا جمّة ، فعرضت ذلك على أبيات الامية ، فلاح لي أنه يُشير إلى قوله فيها :

فقلت أرجوك للبللى لتنصرنى * وأنت تحذئنى فى الحادثِ الجللِ

والجلى بضم الجيم هى الأمر الجليل العظيم ، والجلل بفتح الجيم فى اللغة من أسماء الأضداد ، يقع على الشئ الجليل وعلى الشئ الحقير ، كأنه يقول : أنا كنت أرجوك للأمور العظام لتنصرنى فيها نفذتنى فى هذا الأمر الخسيس ، وهو الأخذ بثأر ججاج بلادى ممن اعتدى عليهم من عرب بلادك : نخاب ظنى فيما كنت أرجوه فيك ، وأؤمله منك ، وأشار بقوله لايتأول إلى أنه لايجل الجلل فى قول الطغرائى على الشئ الجليل كما قال الصلاح الصفدى فى شرح الامية ، بل على الأمر الخسيس : لأنه هو اللائق بالمقام .

وأعلم أنّ مثل هذه الأمور تحتاج إلى قوة ذكاء واحتدام قريحة من الذى يقع منه الرمز ، وإلى قوة حدس من الذى يحاول إدراك المقصد من تلك [المعامى] كما يقع فى الألفاظ والأحاجى للنفز ، والمتصدى لحلّ ألفازه والجواب عنه ، والله تعالى هو الهادى إلى سبيل الصواب .

المقالة الخامسة

(١)

في الولايات ، وفيها [أربعة] أبواب

الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت ، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في بيان طبقات الولايات ، وهي على ثلاث طبقات

الطبقة الأولى — الخلافة ، وليا يكتب في ولايتها طريقان : إما عهد من الخليفة الأول ، وإما بيعه من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله على ماسأى بيانه إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية — السلطنة ، وليا يكتب في ولايتها طريقان : أحدهما العهد من الخليفة ، والثاني العهد من السلطان قبله . قال في " التعريف " : أما من قام من الملوك بغير عهد ، فلم تجر العادة أن تكتب له مبايعة .

الطبقة الثالثة — الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر والشام والحجاز : مما يكتب من ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية .

وهي على خمسة أنواع :

(١) بياض في الأصل والتصحيح مما تقدم في ج ١ ص ٢٤ من هذا المؤلف .

النوع الأول

(ولايات أرباب السيوف ؛ وهم على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول — الثواب من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف ، وغالب من يكتب له منهم بالبلاد الشامية ومضافاتها ؛ كتواب السلطنة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرک ، ومقدمى العسكر بغزة وبيس ، وتواب القلاع بالمدن العظام ذوات القلاع الرفيعة القدر : كالتائب بقلعة دمشق ، والتائب بقلعة حلب ، والتائب بقلعة صفد . أما طرابلس وحمّة ، فليس بهما قلعة ؛ وكذلك الثياب الصغار المضافة إلى القواعد الكبار : كالقدس الشريف وخمص ومضاف من مضافات دمشق ، وقلعة المسلمين والرجبة والبيرة والرّها وشيزر وعنتاب وبهسنى وملطية وآياس والأبلستين وأذنة وطرشوس من مضافات حلب ، والألاذقية وحصن عكار من مضافات طرابلس وما يحرى بحرى ذلك ، على ما سيأتى بيانه مفصلا فى مواضعه ؛ إن شاء الله تعالى .

أما مادونها من الثياب فإن ثواب السلطنة بالملكة يستقلون بالتولية فيها .

قلت : والضابط فى ذلك أن كل نيابة كان نائبها تقدمه ألف فوليتها عن السلطان بمرسوم شريف من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ وكل ولاية كان نائبها جندياً أو مقدّم حلقة فوليتها عن نائب السلطنة بالملكة التى هى مضافة إليها بتوقيع كريم من ديوان الإنشاء بها ؛ وكل نيابة كان نائبها أمير طبليخاناه أو عشرة ربما وثى فيها السلطان وربما وثى فيها نائب السلطنة ، إلا أن تولية السلطان لثواب الطليخاناه أغلب ، وتولية ثواب السلطنة لثواب العشرة أغلب .

أما الديار المصرية فإنه كان يُكتب فيها أولاً لولاية الوجهين : القبلى والبحرى
بحرياً على ما كان الأمر عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ، وكذلك والى الإسكندرية
قبل أن تستقر نيابة ، ووالياً الولاية بالوجهين قبل أن يستقر نيابتي ، في جماعة
أخرى من أرباب الوظائف : كالنائب الكافل وأتابك الجيوش كاستادار وأمير أخور
ومقدم الممالك ووالي مصر والقاهرة ؛ ثم صارت الكتابة لذوى الوظائف من أرباب
السيف قاصرة على النائب الكافل إذا كان موجوداً والثواب المستجدين
بالإسكندرية والوجهين : القبلى والبحرى ؛ وبطل ماعدا ذلك مما كان يكتب ،
وكان المعنى فيه القرب من مقرة السلطان ؛ والكتابة إنما تقع في الغالب مع البعد :
لتكون حجة للتولى على بعد المدى ، ولا ينتقص ذلك بما يكتب للخلفاء والملوك
في الحضرة ، فإن ذلك من الأمور العامة التي يخاف انتقاضها أو مجودها ، إذ مثل
ذلك لا يجوز في الولايات عن السلطان : لأنه متى شاء عزل من ولاه .

الصنف الثانى — ولاية أمراء العربان ، وهؤلاء لاحظ لهم في الكتابة بالولاية
بالديار المصرية الآن ؛ وربما يكتب لأمرائهم بالملكة الشامية : كأمير آل فضل ،
وأمير آل مرا ، وأمير آل علي ، ومقدم بحر ، وكذلك أمير مكة المشرفة ،
وأمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ،
والنائب بالينع من البلاد المجازية . والمعنى في اختصاص من بعد منهم ماتقدم
في الكلام على أرباب السيف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم
الاهتمام بأمرهم .

الصنف الثالث — ولاية المقدمين على الطوائف : كمقدمي التركمان ، والأكراد ،
والجبلية بالبلاد الشامية ، وأتابك طائفة الإسماعيلية بقلاع الدعوة ، وحاكم البندق

ونحوهم ؛ وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن ؛ أما حاكم البندق ، فإنه لم يعهد له كتابةً من ديوان الإنشاء بمصر والشام . على أن المقر الشهابي بن فضل الله قد ذكر وصيته في " التعريف " ولعله ممن كان يكتب [له] في زمانه أو قبله ثم ترك ، وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البندق وعدمه كما في لباس الفتوة ، وأنه ربما اعتنى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك .

النوع الثاني

(ولاية أرباب الأفلام ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على ثمانية أضرب)

الضرب الأول — أ كابر القضاة بأقطار المملكة : كقضاة القضاة بالحاضرة السلطانية بالديار المصرية ونغر الإسكندرية ، وكذلك قضاة القضاة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرك ، وقضاة العسكر بالديار المصرية ؛ أما القضاة بالنيابات الصغار المضافات إلى دمشق وحلب ونحوهما فولايتهن إلى قضاة القضاة بها ، وقضاة العسكر بدمشق وحلب وما في معنهما إلى التواب بتلك الممالك .

الضرب الثاني — المفتون بدار العدل بالديار المصرية ؛ أما المفتون بدار العدل بالممالك الشامية فولايتهن إلى نائبيها .

الضرب الثالث — أكابرُ المحتَسِبِينَ : كمحتَسِبِي مصر والقاهرة ؛ أما الممالك الشاميةُ فلا يُؤلَّى فيها إلا نُوابُها .

الضرب الرابع — أكابرُ المدرِّسين في عامَّةِ العُلوم بأما كنْ مخصوصة : كالزَّاوية الخشائية بالجامع العتيق بمصر ، والمدرسة الصَّلاحية بِتُرْبَةِ الإمام الشافعي بالترَافَة ، ونحو ذلك بأقطار المملكة من مُدرِّسي الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم الدِّينية .

الضرب الخامس — أكابرُ الخطباء بجوامع مخصوصة بأقطار المملكة : بجامع الناصري بقلعة الجبل ، والجامع الأموي بالشام ونحوهما .

الضرب السادس — وكلاءُ بيت المال بالديار المصرية وغيرها .

الضرب السابع — المتحدِّثون على الوظائف المعتبرة : كتنابة الأشراف ، ومشيخة الشيوخ ، فما كان بالديار المصرية فولايته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى نواب السلطنة بها .

الضرب الثامن — المتحدِّثون على جهات البرِّ العامة المصلحة : كنظر الأعباس وأنظار البيمارستانات ونحوها : فما كان منها بالديار المصرية : كنظر الأعباس والبيمارستان المنصوري وما أشبه ذلك فتوليته ^(١) إلى نوابها ، ما لم يكن لها ناظرٌ خاصٌّ فيكون ذلك مختصاً به .

(١) لعله فتوليته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ، وما كان منها بالممالك الشامية فتوليته الخ

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدِّيوانية)

ودَوَاوِينُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ :

الضرب الأول — دَوَاوِينُ الْمَالِ؛ وَأَرْبَابُ الْحَدَمِ بِهَا مِنْ تُكْتَبِ وَلَايَاتِهِمْ مِنْ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ : إِمَّا نَاطِرٌ، أَوْ وَزِيرٌ، أَوْ صَاحِبُ دِيَوَانٍ، أَوْ شَهَادَةٌ، أَوْ أَسْتِيفَاءٌ؛ فَأَمَّا الْوِزَارَةُ فَلَا يُصَرِّحُ بِهَا إِلَّا لِلْوَزِيرِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَرَبَّمَا صَرَّحَ بِهَا لَوَزِيرٍ دِمَشْقَ إِذَا وَلِيَهَا مِنْ أَرْتَفَعَتْ مَرْتَبَتُهُ، وَإِلَّا عَبَّرَ عَنْهُ بِنَاطِرِ الْمَمْلَكَةِ .

وَأَمَّا النَّظَرُ، فَكَنْظَرُ الدَّوَاوِينِ الْمَعْبَرِّ عَنْهُ بِنَظَرِ الدَّوْلَةِ، وَنَظَرِ الْخَاصِّ، وَنَظَرِ الْخِزَانَةِ الْكُبْرَى، وَنَظَرِ الْيُبُوتِ « الْحَاشِيَةِ » وَنَظَرِ بَيْتِ الْمَالِ، وَنَظَرِ الْإِصْطِبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَنَظَرِ دَارِ الضِّيَافَةِ وَالْأَسْوَاقِ، وَنَظَرِ خَزَائِنِ السَّلَاحِ، وَنَظَرِ الْبَهَارِ وَالكَارِمِيِّ، وَنَظَرِ الْأَهْرَاءِ، وَنَظَرِ الْمَوَارِيثِ الْحَشْرِيَّةِ، وَنَظَرِ ثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ الْمَحْرُوسِ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ الْأَنْظَارِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ . وَكَذَلِكَ نَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِدِمَشْقَ إِذَا لَمْ يُصَرِّحْ لِمَتَوَلِّيهِ بِالْوِزَارَةِ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِحَلَبَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِطَرَابُلُسَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِحِمَاةَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِصَفَدَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِسَيْسَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِغَزَّةَ، وَنَظَرُ الْمَمْلَكَةِ بِالْكَرْكِ .

وَأَمَّا صَحَابَةُ الدِّيَوَانِ، فَكَصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْحَيْشِ وَصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْخَاصِّ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الشَّهَادَةُ، فَكَشَهَادَةُ الْخِزَانَةِ الْكُبْرَى، وَشَهَادَةُ خِزَانَةِ الْخَاصِّ وَنَحْوَهُمَا .

وأما الإِسْتِيفاءُ ، فكاستِيفاءُ الصُّحبةِ ، وأستِيفاءُ الدَّولةِ ، وأستِيفاءُ الخاصِّ ، ونحو ذلك . ولا حظَّ لغير النُّظَّار من دَوَاوين الأموال بالممالك الشاميَّة : من صاحب ديوانٍ ولا شاهدٍ ولا مستوفٍ ، في الكتابة بالولاية من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ بل ولايتها من ثواب الممالك الشامية بتواقيع من دَوَاوين الإنشاء بها .

الضرب الثاني — دَوَاوينُ الجُيُوش بالديار المصرية وغيرها من الممالك الشاميَّة . وأربابُ الخِدمِ بها لا يُخْرِجُونَ عن ناظرٍ ، وصاحبِ ديوانٍ ، وشاهدٍ ، ومستوفٍ .

والذين يُولَّوْنَ عن السلطان منهم [و] تُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ من ديوان الإنشاء الشريف ناظرُ الجيش بالأبواب السلطانية ، وناظرُ الجيش بِدِمَشْقَ ، وناظرُ الجيش بِحَلَبَ ، وناظرُ الجيش بِطَرَابُلُسَ ، وناظرُ الجيش بِحَمَّاءَ ، وناظرُ الجيش بِصَفَدَ ، وناظرُ الجيش بِغَزَّةَ ، وناظرُ الجيش بِسِيسَ ، وناظرُ الجيش بِالكَرَكِ ، وصاحبُ ديوان الجيش بالأبواب السلطانية ، والشُّهُودُ ، والمستوفُونَ بها ؛ أمَّا مَنْ عدا هؤلاء : من نَظَّار الجيش وأصحابِ الدَوَاوين والشُّهُود بالممالك الشامية ، فولايتُهُمْ إلى ثواب السلطنة بها .

الضرب الثالث — دَوَاوينُ الإنشاء ؛ وأربابُ الخِدمِ بها لا يُخْرِجُونَ عن كاتبٍ سرٍّ ، وكاتبِ دَسْتٍ ، وكاتبِ دَرَجٍ .

والذين يُولَّوْنَ عن السلطان من مُكَّابِ هذه الدَوَاوين وتُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ من ديوان الإنشاء السلطانيِّ صاحبُ ديوانِ الإنشاء بالأبواب السلطانية ، وصاحبُ ديوانِ الإنشاء بِدِمَشْقَ ، وصاحبُ ديوانِ المكاتبات بِحَلَبَ ، وصاحبُ ديوانِ المكاتبات

بطرابلس ، وصاحب ديوان المكتبات بحمّة ، وصاحب ديوان المكتبات
بصفد ، وكتب الدرج بسيس ، وكتب الدرج بغزة ، وكتب الدرج بالكرك ،
وكتب الدرج بالإسكندرية ، وكتب الدست وكتب الدرج بالأبواب السلطانية ؛
أما كتاب الدست وكتب الدرج بالممالك الشامية فإلى نوابها بتوقيع من دواوين
الإنشاء بها .

النوع الثالث

(ولايات أرباب الوظائف الصّناعيّة)

كالأطباء ، والكحّالين ، والجرائحية ، ومن جرى مجراهم من سائر أرباب الوظائف
التي هي من تيمّة نظام الملك ؛ فما كان منها بالأبواب السلطانية فولايته عن السلطان
بتوقيع من ديوان الإنشاء السلطاني ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى
نواب السلطنة بها .

النوع الرابع

(ولايات زعماء أهل الدّمة . وهي ضربان)

الضرب الأوّل — ولاية بطاركة النصارى من البعاقة والمليكانية^(١) .

الضرب الثاني — ولاية رئيس اليهود الحاكم على طوائفهم .

(١) لم ينص على من له توليتهما .

النوع الخامس

(ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع)

كصغار الأمور التي يُكتب فيها لكل فرد فرد : إما ابتداءً ، وإما بالمثل
على ما بيده من ولاية سابقة : من نائب أوقاض أو ناظر وقف أو غير ذلك ؛
مما لا ينحصر كثرة .

قلت : وربما ولي السلطان في بعض الوظائف بالممالك الشامية مما تختص
توليته بنبأ السلطنة إذا كانت الوظيفة وضيفة المنزلة وأدركت المولى عنايته ،
وربما ولي بعض نواب السلطنة ما تختص توليته بالسلطان إذا عظمت رتبة النائب
وآرتفعت منزلته ؛ خصوصاً إذا كان نظام المملكة محلولا وأمرها مضطربا .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(فى بيان ماتجِبُ على الكاتب مراعاته فى كتابة الولايات على سبيل الإجمال)

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى "حسن التوسل" : يجب على الكاتب أن يراعى فى ذلك أموراً .

منها - براعة الاستهلال بذكر الرتبة ، أو الحال ، أو قدر النعمة ، أو لقب صاحب الولاية ، أو أسمه ؛ بحيث لا يكون المطلع أجنبياً من هذه الأحوال ، ولا بعيداً منها ، ولا مبيناً لها ؛ ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها .

ومنها - أن يراعى المناسبة وما تقتضيه الحال : فلا يعطى أحداً فوق حقه ، ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله ؛ ويراعى أيضاً مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنّة بها على مقدار ذلك .

ومنها - أن لا يصف المتولى بما ^(١) [يكون] فيه تعريض بدم المعزول [وتنقيص له ^(١)] ؛ فإن ذلك مما يؤغر الصدور ، ويورث الضغائن فى القلوب ، ويدل على ضعف الآراء فى اختيار الأول ، مع إمكان وصف الثانى بما يحصل به المقصود من غير تعريض بالأول .

ومنها - أن يتخير الكلام والمعاني فإنه مما يشيع ويذيع ، ولا يُعذر المقصر فى ذلك بعجلة ولا ضيق وقت ، فإن مجال الكلام متسع ، والبلاغة تظهر فى القليل والكثير .

قلت : ومنها أن يَحْرِصَ الكاتبُ على أن تكون نهاية السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني ولا يُؤخِّرُها عن ذلك . ومما كان يراعى في ذلك أن تكون الخطبة من أولها إلى آخرها على رَوى واحد في السَّجْع ، وكذلك الدعاء في أول صِغار التواقيع والمراسيم المبتدأة بلفظ « رُسِم » بخلاف ما بعد ذلك إلى آخر ما يكتب ، فإنه يتَّفِق فيه روى السجعتين والثلاث فما حوَّلها ، ثم يخالَف رويها إلى غيره ؛ ولا يكفِّف الكاتب الإتيانَ بجمعها على روى واحد ؛ وعلى ذلك كانت طريقة حُفول الكُتَّاب بالدولة التركية ، كالقاضي محيى الدِّين بن عبد الظاهر ، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، والمقرّر الشهابي بن فضل الله ، ومن عاصروهم إلّا في القليل النادر ؛ فإنه رُبَّما وقع لبعضهم مخالفة روى الخطبة ؛ وإلى هذا قد جَنَحَ غالب كُتَّاب ديوان الإنشاء في زماننا ومألوا إليه : لما في اتِّزام الرَوى الواحد في جميع الخطبة من التكلف وعُسْر التلْفِيق على مَنْ يَتَعَانَاه .

ثمَّ الكلامُ فيما يُكْتَب في الولاية قد يكون جميعه بلفظ الغيبة ؛ مثل أن يقال : عَهِدَ إِلَيْهِ بِكَذَا ، أَوْ قَلَّدَهُ كَذَا ، أَوْ فَوَّضَ إِلَيْهِ كَذَا ، أَوْ أَنَّ يَسْتَقِرَّ فِي كَذَا ، ونحو ذلك ، ثم يقال : وَأَمَرَهُ بِكَذَا ، أَوْ وَنَحْنُ نُوصِيهِ بِكَذَا ، أَوْ فَعَلِيهِ بِكَذَا ، وما أشبه ذلك ؛ وقد يكون جميعه بلفظ الخطاب ، مثل أن يقال : وقد عَهِدَ إِلَيْكَ بِكَذَا ، أَوْ قَلَّدَكَ كَذَا ، أَوْ فَوَّضَ إِلَيْكَ كَذَا ثم يقال : وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِكَذَا ، أَوْ فَعَلَيْكَ بِكَذَا ، ونحوه ؛ وقد يُصَدَّر بلفظ الغيبة ثم يُلْتَفَت منها إلى الخطاب ؛ وقد يُصَدَّر بلفظ الخطاب ثم يُلْتَفَتُ منه إلى الغيبة بحسب ما يُؤْمَرُه الكاتب وتُودَى إليه بلاغته مما سَقِفُ على تنويعه في خِلال كلامهم في أصناف الِوَلَايَات الآتية في هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات، وذلك من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(الألقاب، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء)

وسبيلها الاختصار دون البسط، اكتفاء بما هو ظاهر من أبهة الخلافة، وعلو مقام الإمامة، إذ هي الزعامة العظمى، والرتبة التي هي أعلى الرتب وأشهى .
وهي صنفان :

الصنف الأول — ألقاب الخلفاء أنفسهم، وغاية ما ينعى به الإمام وأمير المؤمنين .

الصنف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالخلافة، وألقابهم نحو السيد الجليل وذخيرة الدين، ونحو ذلك على ماسياتي بيانه في عهود الخلفاء عن الخلفاء .

النوع الثاني

(ألقاب الملوك، وهي صنفان أيضا)

الصنف الأول — ألقاب السلطان نفسه، والكتاب تارة يتدثونها بالسلطان،

وتارة يتدثونها بالمقام، ولكل منهما نعوت تخصه، وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في الكلام على عهود الملوك عن الخلفاء، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالملك ، والملوك المنفردين بولاية صغار
البلدان عن السلطان الأعظم ، وهي لأتفتح إلا بالمقام ليس إلا ؛ ولها نعت تخصها
يأتى الكلام عليها فى الكلام على عهودهم أيضا .

النوع الثالث

(ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان : من أرباب
الوظائف الواقعة فى هذه المملكة)

وقد تقدّم فى الكلام على الألقاب فى مقدّمة الكتاب أن أصول الألقاب
المستعملة فى ذلك خمسة ألقاب على الترتيب : وهى المقرّر ، ثم الجنّاب ، ثم المجلس ،
ثم مجلس مضافا : كمجلس الأمير ، ومجلس القاضى ، ومجلس الشيخ ، ومجلس
الصّدر ، ثم الاختصار على المضاف إليه وحذف المضاف : كالأمير والقاضى والشيخ
والصّدر ، ويلتحق بذلك لأهل الدّمة الحضرة ، وحضرة الشيخ ، والشيخ مجزّدا
عن حضرة ، وتقدّم فى الفصل الأوّل من هذا الباب أن أرباب الولايات خمسة
أنواع : أرباب السّيوف ، وأرباب الأقلام ، وأرباب الوظائف الصّناعية ، وزعماء
أهل الدّمة ، ومن لا يختص بطائفة لصغرهم . وجميع هذه الأنواع على اختلاف
أصنافهم لا يخرجون عن الألقاب المتقدّمة ؛ وقد تقدّم الكلام على هذه الألقاب
ونعوتها لمن يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية من أرباب الوظائف مستوفى
فى المكاتبات ، إلا أنه قد يؤتى عن السلطان من لم يؤهل للمكاتبة عنه ، كأكثر
أرباب الوظائف من حملة الأقلام وغيرهم ، فاحتجج إلى تعريف مراتب الألقاب
لكل نوع من أرباب الولايات .

فأما أربابُ السُّيوفِ، فأعلى ألقابهم المَقَرُّ، وأدناها مجلسُ الأميرِ، ثم الأميرُ مجزداً عن مجلس .

وأما أربابُ الوظائفِ الصَّنَاعِيَّةِ، فأعلى ألقابهم المجلسُ وأدناها مجلسُ الصَّدرِ، ثم الصَّدرُ مجزداً عن مجلس .

وأما من لا يختص بطائفةٍ لصغره، فيقتصر فيه على لقب التعريف وهو فلانُ الدين إن عظم وإلا اقتصر على اسمه خاصة .

وأما زعماء أهل الذِّمَّةِ، فأعلى ألقابهم الحَضْرَةُ، ثم حَضْرَةُ الشَّيْخِ، ثم الشَّيْخُ مجزداً عن حَضْرَةِ .

وأعلم أن كلَّ مَنْ كانت له مكتبةٌ عن الأبواب السلطانية من أرباب السُّيوفِ والأقلام وغيرهم، فلَقَبُ ولايته ونُعوته كما في مكتبته، غير أنه يَزدُ في آخر النُعوتِ المركِّبة ذكر اسمه العلم، ونُسبته إلى السلطان: كالناصرى، والظاهرى، ونحوهما إن كان ممن يَنسب إليه بنايةٍ ونحوها؛ ثم إن كانت مكتبته تُفتَح بالدعاء نُقل ذلك الدعاء من أول المكتبة إلى ما بعد اسمه والنسبة إلى السلطان في الولاية، كما إذا كانت مكتبته : أعزَّ الله تعالى أنصار المَقَرِّ الكريم، فإنه يُدعى له عَقِيبَ اسمه والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بأعزَّ الله تعالى أنصاره، وكذلك في البواق .

وإن كانت مكتبته تُفتَح بغير الدعاء : كصدرت هذه المكتبة ونحو ذلك ، فإنه يدعى له في الولاية عَقِبَ الاسم والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بما يدعى له في مكتبته في آخر الألقاب، كما إذا كان من أرباب السُّيوفِ ومكتبته صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى أو المجلس السامى بالياء فإنه يدعى له بمثل : أدام الله سعادته، وأدام الله رفعتَه، ونحو ذلك؛ وإن لم تكن له مكتبةٌ عن الأبواب السُّلطانية

كُتِبَ له في الولاية ما يُناسِبُه من اللَّقب والنُّعوت، ثم يذكُر أسمه والدعاء له إن كان مستحقاً للدعاء؛ وسيأتى لقب كل ذي ولاية من الأنواع الخمسة المتقدمة الذِّكر ونعوتُه عند ذِكْرِ ولايته فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

ثم للألقاب في الولايات محلان :

أحدهما — الطَّرة . ويُقتصر فيها على اللَّقب : من المقرَّ أو الجَناب أو المجلس أو مجلس مضافا وما بعده من النُّعوت إلى اللَّقب المميز للوظيفة كالأميرى والقضائى ونحوهما ، ثم يذكُر لقبه الخاص به وهو الفُلانى أو فلان الدين ، ثم يذكُر أسمه وأتسابه إلى السلطان إن كان، على ماسياتى بيانه مفصلاً، إن شاء الله تعالى .

الثانى — فى أثناء الولاية . وهناك تستوفى النُّعوت ويؤتى بما فى الطَّرة فى ضمنه إلا أنه يُجعل لقب التعريف — وهو الفُلانى أو فلان الدين — بين النُّعوت المفردة والمركبة فاصلاً بينهما .

الوجه الثانى

(ألفاظ إسناد الولاية إلى صاحب الوظيفة؛ ولها ست مراتب)

الأولى — لفظ العهد، مثل أن يقال : أن يُعهد إليه، وهى خاصّة بالخلفاء والملوك .

الثانية — لفظ التقليد، مثل أن يقال : أن يُقلد كذا، ويكون مع المقرَّ الكريم والجَناب الكريم .

الثالثة — لفظ التفويض، مثل أن يُقال : أن يفوض إليه كذا، ويختص بالجَناب لأرباب السيوف، وكذلك الجَناب والمجلس العالى لأرباب الأقاليم .

قلت : وَكُتِّبَ زَمَانُنَا يَسْتَعْمِلُونَهَا ^(١) مَعَ الْمُقَرَّرِ أَيْضًا ، وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ لَفْظَ يُقَلَّدُ فِي التَّقَالِيدِ لِتَوْهُمِهِمُ الْإِكْتِفَاءَ بِلَفْظِ تَقْلِيدٍ عَنْهَا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُقَلَّدُ فَوْقَ يُفَوِّضُ كَمَا تَقَدَّمَ . عَلَى أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي ”التعريف“ كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الرابعة — لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِسْتِمْرَارِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنَّهُ يَسْتَقِرُّ فِي كَذَا ، أَوْ يَسْتَمِرُّ فِي كَذَا . وَلَفْظُ يَسْتَقِرُّ مَخْتَصٌّ بِالمُسْتَجِدِّ ، وَلَفْظُ يَسْتَمِرُّ مَخْتَصٌّ بِالمُسْتَقَرِّ ؛ وَيَكُونَانِ مَعَ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالياءِ ، وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِغَيْرِ ياءٍ لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ وَغَيْرِهِمْ ؛ أَمَّا الْمَجْلِسُ الْعَالِي فَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِالْإِدْعَاءِ ، مِثْلُ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي كُتَّابِ السُّلْطَنَةِ بِالْكَرْكِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يُفَوِّضَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِصَدْرَتِ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ كُتَّابِ الْقُدُسِ وَنَحْوِهِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يَسْتَقَرَّ .

الخامسة — لَفْظُ التَّرْتِيبِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُرْتَّبَ فِي كَذَا ، وَيَكُونُ مَعَ مَجْلِسٍ مُضَافًا ، مِثْلُ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ وَمَجْلِسِ الْقَاضِي وَنَحْوَهُمَا ، وَرَبَّمَا اسْتَعْمِلَتْ مَعَ السَّامِيِّ بِغَيْرِ ياءٍ .

السادسة — لَفْظُ التَّقَدُّمِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنْ يُقَدَّمَ فَلَانٌ عَلَى الطَّائِفَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قلت : وَهَاتَانِ الْمُرْتَبَتَانِ أَعْنِي السَّادِسَةَ وَالْخَامِسَةَ قَدْ ذَكَرَهُمَا الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي ”التعريف“ فَقَالَ : وَقَدْ يُقَالُ أَنْ يُرْتَّبَ وَأَنْ يُقَدَّمَ . وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي كِتَابَةِ مُعَاَصِرِيهِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ؛ أَمَّا كُتَّابُ زَمَانِنَا فَقَدْ رَفَضُوهُمَا جَمَلَةً وَأَضْرَبُوا عَنْ اسْتِعْمَالِهِمَا بِكُلِّ حَالٍ ، وَأَكْتَفَوْا عَنْهُمَا بِالْمُرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ وَهِيَ لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ ،

(١) أَيْ لَفْظَةَ ”يُفَوِّضُ“ .

والواجب إثباتهما لتفاوت ما بين المراتب . على أن استعمال لفظ يُرتَّب موجود في كلامهم بكثرة ، ولفظ يُقدِّم لم يستعملوه إلا في التَّزْر اليسير ، والله أعلم . وهذه الألفاظ تقع في الطَّرة وفي أثناء الكلام على حد واحد .

الوجه الثالث

(الإفتتاحات ، وهي راجعة إلى أربع مراتب)

المرتبة الأولى — الافتتاح بلفظ : هذه بيعة ، أو هذا ماعهد ، ونحو ذلك في البيعات والعهود على المذهب القديم ، أو بالحمد لله . ويقع الابتداء به في العهود والبيعات إذا ابتدئ العهد أو البيعة بخطبة على ما عليه استعمال أهل زماننا ؛ وكذلك في التقاليد لأرباب السيوف والأفلام ، والمراسيم المكبرة لأرباب السيوف ، والتواقيع الجكار لأرباب الأفلام .

المرتبة الثانية — الافتتاح بأما بعد حمد الله . ويقع الابتداء به في المرتبة الثانية من أرباب المراسيم المكبرة من أصحاب السيوف ؛ والمرتبة الثانية من أرباب التواقيع من أصحاب الأفلام .

المرتبة الثالثة — الافتتاح برسم بالأمر الشريف ، ويقع الافتتاح به في المرتبة الثالثة لأرباب التواقيع والمراسيم من سائر أرباب الولايات .

المرتبة الرابعة — ما كان يستعمل من الافتتاح بأما بعد فإن كذا . أو من حسنت طرائقه ، وحمدت خلايقه ، فإنه أحق ، وما أشبه ذلك ؛ كما أشار إليه في "التعريف" إذ كان الآن قد رُفِض وترك على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وقد كان ذلك يستعمل فيما تقدم لأرباب السيوف والأفلام جميعاً .

الوجه الرابع

(تعددُ التحميد في الخطبة أو في أثناء الكلام واتحاده)

فقد قال في "التعريف" في الكلام على عهود الملوك للملوك : وكَلَبَ كَثُرَتِ التحميداتُ في الخطب ، كان أَكْبَرَ : لأنها تدلُّ على عِظَمِ قَدْرِ النِّعْمَةِ ؛ وذكر في الكلام على عهود الخلفاء عن الخلفاء أنه يُنتهى في التحميد إلى سبعة .

الوجه الخامس

(الدعاء . وله ثلاثة مواضع)

الموضع الأول — في طُرَّةِ الْوَلَايَةِ بعد ذكر ما يُكْتَبُ في الطُّرَّةِ من ألقابه ، ولا يُزَادُ فيه على دَعْوَةٍ واحدة تناسبه .

الموضع الثاني — في أثناءِ الْوَلَايَةِ بعد استيفاء الألقابِ وذكرِ الْأَسْمِ ؛ وهو ما في الطُّرَّةِ من الدعوة المناسبة له بغير زائدٍ على ذلك .

الموضع الثالث — [في] آخِرِ الْوَلَايَةِ بالإعانة ونحوها . قال في "التثقيف" : وأقلُّها دعوتان ، وأكثرُها أربعٌ . قال في "التعريف" : وَمَنْ اسْتُصْغِرَ مِنَ الْمُؤَلَّيْنِ لَا يُدْعَى له في آخِرِ ولايته .

ثم قد هُتِمَ في المَكَاتِبَاتِ أَنَّ الدِّعَاءَ مع تنزيه الله تعالى : كَأَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقَرَّرِ ، وضاعف الله [تعالى] نِعْمَةَ الْجَنَابِ ونحو ذلك أَعْلَى من حذفه ؛ كأدام الله سَعْدَهُ ، وأَعَزَّهُ اللهُ ونحو ذلك ؛ ولا شكَّ أنه في الولايات كذلك .

(١) أى حذف التنزيه وفي الأصل حذفها أى جملة التنزيه .

الوجه السادس

(طُولُ الكلام وقِصرُهُ ، فمَكُنَّا عَظُمَتِ الوظيفةُ وأرتفعَ قدرُ صاحبها
كان الكلام فيها أبسط)

قال في "حُسن التوسل" : ويحسُن أن يكونَ الكلامُ في التقاليد منقسِماً أربعةَ
أقسام متقاربة المقادير؛ فالرُّبُّ الأوَّلُ في الخطبة؛ والرُّبُّ الثاني في ذكر مَوقِعِ الإِنعام
في حق المقلِّد ، وذكر الرتبة وتَفخيم أمرها ؛ والرُّبُّ الثالثُ في أوصاف المولى^(١) ،
وذكر ما يناسبُ تلك الرتبةَ ويُناسبُ حاله من عدلٍ وسياسةٍ ومهابةٍ وبعْدِ صيتٍ
وسُمتةٍ وشجاعةٍ إن كان نائباً ؛ ووَصِفِ الرأي والعَدْلَ وحُسْنَ التدبير والمعرفةَ بوجوه
الأموال ، وعمارة البلاد ، وصلاح الأحوال ، وما يناسبُ ذلك إن كان وزيراً ؛
وكذلك في كُلِّ رتبة بحسبها ؛ والرُّبُّ الرابع في الوصايا .

قال في " التعريف " : والذي اختاره اختصارُ مِقْدَارِ التَّحْمِيدَةِ [التي]
في الخطبة والخطب مطلقاً وإطالة ما بعد ذلك ؛ والإطنابُ في الوصايا [اللهم]
إلا لمن جَلَّ قدرُهُ [وعَظُمَ أمرُهُ] فإن الأولى الإقتصارُ في الوصايا على أهمِّ الجُمْلِيَّاتِ ،
ويعتذرُ في الإقتصار بما يُعرف من فضله ، ويُعلم من علمه ، ويُوثق به من تجربته
ومن هذا ومثله . قال : والكتاب في هذا [كلُّه] بحسب ما يراه ، ولكلِّ واقعةٍ
مَقَالٌ يليقُ بها ، ولملبس كلِّ رجلٍ قدرٌ معروف لا يليقُ به غيرُهُ ؛ وفي هذا غنى لمن
عرَفَ ، وكفاية لمن عَلم ؛ على أن المقرَّ الشهابيَّ تابع في ذلك القاضي « محي الدين
أَبْنُ عبد الظاهر » رحمه الله ، فإنك إذا تأملتَ تقاليدَه وتواقيعَه ، وجدتها كلها

(١) في حسن التوسل ص ١١٠ « المقلد » وهي بمعناها .

(٢) الزيادة من التعريف ص ٨٨ .

كذلك ، ولكل وجه ظاهر ؛ فإنَّ المطول للخطبة لا يُحليها من براعة الاستهلال ،
المناسبة للحال ؛ والمقصر لها مراعٍ لزيادة الإطناب في الوصف .

قلت : ولا يخفى أن ما ذكره في التقاليد يحىء مثله في العهود لجريها على موجبها
من مؤلٍّ ومؤلٍّ .

أما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البرِّ
والإحسان للخلق ، ووعد النظر في أمور الرعية ، وصلاح أحوالهم ؛ وذكر التحليف
للخليفة ، أوله وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد
والدخول تحت الطاعة . قال في "حسن التوسل" : والأمر الجارى في ذلك على
العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن
التصرف على ما يقتضيه الحال ؛ وذكر من ذلك تقليدا أنشاء لملك سيسى ، وتقليدا
كتبه بالفتوة ؛ وسيأتى ذكر ذلك مع ما شاكلة في مواضعه إن شاء الله تعالى .

الوجه السابع

(قطع الورق)

وأعلم أنَّ الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية يجلتها بمجلتها يحصر قطع
الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها :

أحدها — قطع البغدادى الكامل ؛ وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقا على
أى الافتتاحات كان .

الثاني — قَطْعُ الثَلَاثِينَ مِنَ الْمَنْصُورِيِّ، وَهُوَ لِأَجْلِ الْوِلَايَاتِ السُّلْطَانِيَّاتِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَبَعْضِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهَا إِلَّا بِالْحَمْدِ .

الثالث — قَطْعُ النِّصْفِ مِنْهُ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهِ إِلَّا بِالْحَمْدِ أَيْضًا :
الرابع — قَطْعُ الثُّلُثِ مِنْهُ ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وُلِّيَ صَاحِبُ وَظِيفَةٍ تَسْتَحِقُّ قَطْعَ النِّصْفِ وَظِيفَةً أُخْرَى تَسْتَحِقُّ قَطْعَ الْعَادَةِ ، فَإِنَّهُ يُرَاعَى مَقْدَارُ صَاحِبِهَا وَيُزَادُ عَلَى مِقْدَارِ الْعَادَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ رَتَبَةِ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا ؛ فَيَكْتُبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ لَتَكُونَ رَتَبَةُ بَيْنِ رُتَبَتَيْنِ فَتَحْصُلَ مِرَاعَاةُ تَعْظِيمِهِ مِنْ حَيْثُ الزِّيَادَةُ عَلَى قَطْعِ الْعَادَةِ ، وَمِرَاعَاةُ قَدْرِ الْوِظِيفَةِ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْلُغْ شَأْوَ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ؛ أَمَّا إِذَا وُلِّيَ مَنْحَطٌّ الْقَدْرَ وَظِيفَةً تَسْتَحِقُّ الْقَطْعَ الْكَبِيرَ ، فَإِنَّهُ يَكْتُبُ لَهُ فِيهِ ، وَتَكُونُ تَوَلِيَّتُهُ لَهَا رَفْعًا إِلَى دَرَجَتِهَا .

الخامس — قَطْعُ الْعَادَةِ، وَهُوَ أَصْغَرُهَا؛ وَالْأَصْلُ أَنْ يَفْتَحَ فِيهِ بِلَفْظِ «رُسِمٍ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» وَرَبَّمَا عَلَتْ رَتَبَةُ صَاحِبِ الْوِلَايَةِ وَلَمْ يُؤْهَلْ لِلْكِتَابَةِ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ فَيُكْتُبُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ، وَهُوَ قَلِيلُ الْأَسْتِعْمَالِ، فَإِنْ أَسْتَعْمِلَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كَذَا ، أَوْ إِنَّ أَوْلَى ، أَوْ إِنَّ أَحَقَّ وَنَحْوَ ذَلِكَ كُتِبَ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ أَيْضًا .

الباب الثاني

من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معناها)

(١١) البيعات جمع بَيْعَة، وهي مصدرٌ بِاعَ فلانٌ الخليفةَ يُبايعه مُبايعَةً، ومعناها المعاهدةُ والمُعاهدةُ، وهي مُشَبَّهَةٌ بالبيعِ الحقيقيِّ. قال أبو السَّعَادَاتِ بْنُ الْأَثِيرِ في نَهَائِيتهِ في غريب الحديث: كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ صَاحِبِهِ وَأَعْطَاهُ خَالِصَةً نَفْسِهِ وَطَاعَتَهُ وَدَخِيلَةَ أَمْرِهِ. ويقال: بِايعَهُ، وَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ؛ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُ إِذَا تَبَاعَعَ آثَنَانِ صَفَقَ أَحَدُهُمَا بِيَدِهِ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ.

وقد عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَ الْبَيْعَةِ وَحَدَّرَ مِنْ نَكْثِهَا بِقَوْلِهِ خُطَابًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورٌ يُجْزَى أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وأمر بمبايعة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ إِنْ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. وباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَيْعَتَيْنِ.

(١) ليس مراده المصدر الصناعي كما لا يخفى والأوضح "وهي اسم مصدر لبايع" الخ تأمل.

الفصل الثاني

(في ذكر تنوع البيعات ، وهي نوعان)

النوع الأول

(بيعات الخلفاء ، وفيها سبعة مقاصد)

المقصد الأول

(في أصل مشروعيتها)

فالأصل في ذلك بعد الإجماع ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها "أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادَةَ في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : ما أردت بذلك إلا أني قد هيأتُ كلاماً أعجبتني خَشِيتُ أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال في كلامه : نحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ . فقال الحباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ! منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ . فقال أبو بكر : لا وليكنّا الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ . فبايعوا عمرَ أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك فأنْتَ سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايع الناسُ ."

وهذه أولُبيعةٍ بالخِلافةِ كانت في الإسلام ، ولكن لم يُنقل أنه رضي الله عنه كُتِبَ له مبايعةٌ بذلك ، وأعل ذلك لأنَّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا بايعوا لا يَحْصِدُونَ البيعةَ بعد صُدورها ، بخلاف ما بعد ذلك .

المقصود الثانى

(فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية)

وهى خمسة أسباب :

السبب الأول — موت الخليفة المنتصب من غير عهد بالخلافة لأحد بعده ، كما فى قصة الصديق المتقدمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أو تركها شورى فى جماعة معينة ، كما فعل عمر رضى الله عنه عند وفاته حيث تركها شورى فى ستة : على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وسعيد بن أبى وقاص ، رضى الله عنهم .

السبب الثانى — خلع الخليفة المنتصب لموجب يقتضى الخلع ، فتحتاح الأمة [إلى] مبايعة إمام يقوم بأمرها ، ويتحمل بأعبائها .

السبب الثالث — أن يتوهم الخليفة خروج ناحية من النواحي عن الطاعة فوجه إليهم من يأخذ البيعة له عليهم : لينقادوا لأمره ، ويدخلوا تحت طاعته .

السبب الرابع — أن تؤخذ البيعة للخليفة المعهود إليه بعد وفاة العاهد ، كما كانت الخلفاء الفاطميون تفعل فى خلافتهم بمصر ، وكانوا يسمون البيعة سجلاً كما كانوا يسمون غيرها بذلك .

السبب الخامس — أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولى عهده بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهده ، كما فعل معاوية رضى الله عنه فى أخذه البيعة لولده يزيد .

المقصود الثالث

(في بيان ما يجبُ على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة)

وأعلم أنه يجبُ على الكاتب أن يُراعى في كتابة البيعة أموراً :

منها - أن يأتي في براءة الاستمالة بما يتبها له من أسم الخليفة أو لقبه :
كفـلانِ الدين ، أو لقب الخلافة : كالمتوكل أو المستكفي ، أو مقتضى الحال الموجب
للبيعة من موتٍ أو حَلَعٍ ونحوهما ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

ومنها - أن يذَّه على شرف رتبة الخلافة وعلو قدرها ورُتبة شأنها ، وأنها الغاية
التي لا فوقها ، والدرجة التي لا بعدها ؛ وأن كل رتبة دون رُتبتها ، وكل منصب فرع
عن منصبها .

ومنها - أن ينبَّه على مَسِيس الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، وأنه
لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلّا به ، ضرورة وجوب نصب الإمام بالإجماع ،
وإن شذَّ عنه الأصمُّ خالف ذلك .

ومنها - أن يُشير إلى أنَّ صاحب البيعة استوعب شروط الإمامة واجتمعت
فيه ، ويصفه منها بما يعزُّ وجوده ، ويتمدُّح بمصوله : كالعلم والشجاعة والرأى
والكفاية ؛ بخلاف مالا يعزُّ وجوده ولا يتمدُّح به وإن كان من الشروط : كالحرية
والذكورة والسمع والبصر ونحو ذلك ؛ فإنَّ الوصف بذلك لا وجه له .

ومنها - أن ينبَّه على أفضلية صاحب البيعة وتقدُّمه في الفضل وأستيفاء الشروط
على غيره : ليخرج من الخلاف في جواز تولية المفضول مع وجود الفاضل .

ومنها — أن يَنْبَهِ على أَنَّ المختارين لصاحب البيعة ممن يُعْتَبَرُ اخْتِيَارُهُ من أهل الحِلِّ والعقد : من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم على الوجه المعتبر .

ومنها — أن يَنْبَهِ على تعيين المختارين للبيعة ، إن كان الإمام الأول نص عليهم ؛ إذ لا يصح الاختيار [من] غير من نص عليه ، كما لا يصح إلا تقليد من عهد إليه .

ومنها — أن يَنْبَهِ على جريان عقد البيعة من المختارين ، ضرورة أنه إن انفرد شخص بشروط الإمامة في وقته لم يصّر إماما بمجرد ذلك .

ومنها — أن يَنْبَهِ على سبب خلع الخليفة الأول إن كانت البيعة مترتبة على خلع ، إذ لا يصح خلع الإمام القائم بلا سبب .

ومنها — أن يَنْبَهِ على قبول صاحب البيعة العقد وإجابته إليه إذ لا بد من قبوله .

ومنها — أن يَنْبَهِ على أَنَّ القبول وقع منه بالاختيار : لأنه لا يصح الإيجاب على قبولها ، اللهم إلا إن كان بحيث لا يصلح للإمامة غيره فإنه يجبر عليها بلا خلاف .

ومنها — أن يَنْبَهِ على وقوع الشهادة على البيعة ، خروجاً من الخلاف في أنه هل يُشترط الإشهاد على البيعة أم لا ؟ .

ومنها — أن يَنْبَهِ على أنها لم تقتزن ببيعة في الحال ولا مسبوقة بأخرى ، إذ لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليهما ، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني حيث جوز نصب إمامين في إقليمين .

ومنها — أن يَنْبَهِ على أنه بمجرد البيعة تجب الطاعة والانتقاد إليه ، ويجب على كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه ، وطاعته فيما وافق حكم الشرع وإن كان جائراً .

ومنها — أن يعزى في الخليفة الميت ويُنْفَى بالمستقر إن كانت البيعة مبنية على موت خليفة ؛ وأن يبين سبب خلع الخليفة الأول إن كانت مرتبة على خلع .
أما التعزية والتمنئة بموت الأول ، فعليه جرى عامة الحُثَّاب ؛ إلا أنه يختص في عرفهم بما إذا كان الخليفة الأول شديد القرب من الثانى ؛ كأبيه وأخيه وأبن عمه .

وكان الأولون يتعاونون ذلك في خطاب الخلفاء بالتمنئة بالخلافة بعد أقاربهم ، وقد روى أن عطاء بن أبى صبيح دخل على يزيد بن معاوية فهنأه بالخلافة وعزاه في أبيه فقال :

رُزِيتَ بأمر المؤمنين خليفة الله ، وأُعْطِيتَ خلافة الله ؛ قضى معاوية تحببه ، فغفر الله ذنبه ؛ ووُئيتَ الرِّياسه ، وكنتَ أحقَّ بالسياسة ؛ فأحتسب عند الله جليل الرِّزِيه ، وأشكره على جزيل العطييه ؛ وعَظَّمَ اللهُ فى معاوية أجرك ، وأحسنَ على الخلافة دونك .

وتعرضت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السفاح ، فقالت :
يا أمير المؤمنين احتسب الصبر ، وقدم الشكر ؛ فقد أجزل الله لك الثواب في الحالين ، وأعظم عليك المنّة في الحادئين ؛ سلكَ خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ؛ فسلم فيما سلك ، وأشكر فيما منحك ؛ وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخار لك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

وأما التعريف بسبب الخلع ، فلائه لا يصحُّ خلع الإمام بغير موجب للخلع .^(١)

ومنها — أن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبيعة إن كان القائم بها سلطاناً على ما استقرت عليه قاعدة الحُثَّاب في ذلك .

ومنها — أن ينبّه على أنّ من استُحلف في البيعة من وجوه الدولة وأعيان المملكة إن جرى حلفٌ، ويذكر صفة حلفهم وما ألزموه من الأيمان المؤكدة، والمواثيق المغلظة .

المقصود الرابع

(في بيان مواضع الخلافة التي يستدعي الحال كتابة المبايعات فيها)

وهي أربعة أمور :

أحدها — موت الخليفة المتقدم عن غير عهد خليفته بعده ، وهو موضوعها الأصلي الذي عليه بُنيت .

الثاني — أن يعهد الخليفة إلى خليفته بعده ، ثم يموت العاهد ويستقر المعهود إليه بالخلافة بالعهد بعده ؛ فتؤخذ البيعة العامة على الرعية ، إظهاراً لوقوع الإجماع على خلافته ، والاتفاق على إمامته .

الثالث — أن تؤخذ البيعة للخليفة بحضرة ولايته ، ثم تُفقد الكتب إلى الأعمال لأخذ البيعة على أهلها ، فيأخذ كل صاحب عمل له البيعة على أهل عمله .

الرابع — أن يعرض للخليفة خللٌ في حال خلافته : من ظهور مخالف أو خروج خارجي ، فيحتاج إلى تجديد البيعة له حيث وقع الخلاف .

ولكل من هذه الأحوال صرّب من الكتابة يُحتاج فيه إلى بيان السبب الموجب لأخذ تلك البيعة .

المقصد الخامس

(في بيان صورة ما يُكْتَب في بَيْعَات الخلفاء، وفيها أربعة مذاهب)

المذهب الأول

(أن تُفْتَح المِبايعة بلفظ « تَبَايع فلانا أمير المؤمنين »)

خطاباً لمن تُؤْخَذ عليه البيعة)

ويذكر ما يقع عليه عقد المِبايعة، ويأتي بما سَنَح من أمر البيعة، ثم يذكر الحليف عليها؛ وعلى ذلك جرى مصطلح كُتِب خلفاء بني أُمَيَّة، ثم خلفاء بني العباس بعدهم ببغداد .

وَأَعْلَم أنه قد تَقَدَّمَ في المقصد الأول من هذا الفصل أنه لم يُنْقَل أنه كُتِب للصديق رضى الله عنه ولا ابن وَلِي الخلافة بعده من الصَّحابة من غير عهد بيعة . ولما كانت خلافة بني أُمَيَّة، وآل الأمر إلى عَبْد الملك بن مَرْوان، وأقام الحجاج ابن يَوْسُف على إمارة العراق، وأخذ في أخذ البيعة لعبد الملك بالعراق، رَتَّب أيماناً مغلظةً تشتمل على الحليف بالله تعالى والطلاق والعناق والأيمان المُحرَّجات يُحْلَف بها على البيعة، واشتهرت بين الفقهاء بأيمان البيعة، وأُطْرِد أمرها في الدولة العباسية بعد ذلك . وجرى مصطلحهم في ذلك على هذا الأسلوب .

وهذه نسخة مبايعة، ذكرها أبو الحسين بن إسحاق الصابي في كتابه "غَرَرِ الْبَلَاغَةِ" وهي :

تَبَايعَ عَبْدَ اللَّهِ أمير المؤمنين فلانا ببيعة طَوْعٍ وَاخْتِيارٍ، وَتَبَرُّعٍ وَإِيثَارٍ، وَإِعْلَانٍ وَإِسْرَارٍ، وَإِظْهَارٍ وَإِخْتِمَارٍ، وَصِحَّةٍ مِنْ نَعْلِ، وَسَلَامَةٍ مِنْ غَيْرِ دَغَلٍ، وَثَبَاتٍ مِنْ غَيْرِ

تبدیل ؛ و وفار من غیر تأویل ؛ و اعتراف بما فيها من اجتماع الشمل ، و اتصال
الحبل ؛ و انتظام الأمور ، و صلاح الجمهور ؛ و حقن الدماء ، و سُكون الدهماء ؛
و سعادة الخاصة والعامة ، و حسن العائدة على أهل الملة والذمة - على أن عبد الله فلانا
أمير المؤمنين عبد الله ، الذى اصطفاه ؛ و خليفته الذى جعل طاعته جارية بالحق ،
و موجبة على الخلق ؛ و مودة لهم موارد الأمن ، و عاقدة لهم معاهد النین ؛ و ولايته
مؤذنة لهم بحمل الصنع ، و مؤدية بهم إلى جزيل النفع ؛ و إمامته الإمامة التى اقترن بها
الخير والبركة ، و المصلحة العامة المشتركة ؛ و أمل فيها قمع الملحد الجاحد ، و رد الجائر
الحائد ؛ و وقم العاصي الخالع ، و عطفت الغازي المنارع - و على أنك ولي أوليائه ،
و عدو أعدائه : من كل داخل في الجملة ، و خارج عن الملة ، و حائد عن الدعوه .
و متمسك بما يديه ، عن إخلاص من رأيك ، و حقيقة من وفائك ؛ لا تقص
ولا تنكث ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع ، ولا تداحى ولا تخايل ؛ علانيتك مثل
نيتك ، و قولك مثل طويتك - و على أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة
و شرائطها على مر الأيام و تطاؤها ، و تغير الأحوال و تغايرها ، و اختلاف الأزمان
و تقلبها - على أنك فى كل ذلك من أهل الملة الإسلامية و دعائها ، و أعوان الدولة
العباسية و رعائها ؛ لا يداخل قولك مواربة ولا مداهنه ، ولا تعترضه مغالطة
ولا تتعقبه مخافة ؛ و لا تخيس به أمانه ، ولا تغله خيانه ؛ حتى تلقى الله تعالى مقبياً
على أمرك ، و فيا بعدك ؛ إذ كان مبایع و لاة الأمور و خلفاء الله تعالى فى الأرض
﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

عليك بهذه البيعة - التى أعطيت بها صفة يدك ، و أضيفت فيها سريرة قلبك ؛
و ألزمت القيام بها ما طال عمرك ، و امتد أجلك - عهد الله إن عهد الله كان

مَسْئُولًا ؛ وَمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ مِنْ أَيْمَانٍ مَغْلُظَةٍ
وَعُهُودٍ مُؤَكَّدَةٍ ، وَمَوَاقِيقَ مَشَدَّدَةٍ ، عَلَى أَنْكَ تَسْمَعُ وَتُصْنَعِي ، وَتُطِيعِ وَلَا تَعْصِي ؛
وَتَعْتَدِلُ وَلَا تَمِيلُ ، وَتُسْتَقِيمُ وَلَا تَحِيدُ ؛ وَتَفِي وَلَا تَغْدِرُ ، وَتَثْبُتُ وَلَا تُغَيِّرُ ؛ فَتُفِي
زَلْتِ عَنْ هَذِهِ الْمَحَجَّةِ حَاقِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِذِيَانَتِكَ ؛ فَحَدَّثَ اللَّهُ تَعَالَى رُبُوبِيَّتَهُ ،
وَأَنْكَرَتَهُ وَحَدَانِيَّتَهُ ؛ وَقَطَعَتْ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَّتْهَا ، وَرَمَيْتْ
طَاعَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذَتْهَا ؛ وَفَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرْضَ عَلَيْهِ ، مُخَالِفًا
لَأَمْرِهِ ، وَخَائِنًا لْعَهْدِهِ ؛ وَهَقِيمًا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ؛ وَمُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ بِهِ ؛ وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ
اللَّهُ لَكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ يَوْمَ رُجُوعِكَ عَنْ بَذَلِكَ ، وَارْتِجَاعِكَ مَا أُعْطِيَتْهُ
فِي قَوْلِكَ : مِنْ مَالٍ مُوجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْرُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ،
وَسَائِمٍ وَمَعْقُولٍ ؛ وَأَرْضٍ وَضَمْنِيَّةٍ ، وَعَقَّارٍ وَعُقُودَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى
الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمَةٌ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ تَمْلِكُ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَى
تَتَرَوُّجُهَا بَعْدَهَا ، طَالُقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقُ الْحَرَجِ وَالسُّنَّةُ لَارِجَةٌ فِيهِ وَلَا مَشْوِيَّةٌ ؛
وَعَلَيْكَ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، رَاجِلًا
مَاشِيًا ؛ نَذْرًا لَازِمًا ، وَوَعْدًا صَادِقًا ؛ لَا يَبْرُئُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ؛
وَلَا قَبِيلَ اللَّهِ مِنْكَ تَوْبَةٌ وَلَا رَجْعَةٌ ؛ وَخَذَلَكَ يَوْمَ الْإِسْتِنْصَارِ بِحَوْلِهِ ، وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ
الْإِعْتِصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قُلْتُمَا قَوْلًا فَصِيحًا ، وَسَرَدْتُمَا سَرْدًا صَحِيحًا ؛
وَأَخْلَصْتُمَا فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتُمَا فِيهَا عَزْمًا صِدْقًا يَقِينًا ؛ وَالنِّيَّةُ فِيهَا
نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ ، وَالطَّوْيَةُ [فِيهَا طَوْيَتُهُ] دُونَ طَوْيَتِكَ ؛ وَأَنْتُمْ هَدَيْتُمْ
اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ بِذَلِكَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا .



وهذه نسخة بيعة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها ابن حمدون في تذكرته ، وربما وافق فيها بعض ألفاظ البيعة السابقة ، وهي :

تُبَاعِ الإمامَ أميرَ المؤمنينَ فلانا بيعة طوع وإِشَارَ ، وَاعْتِقَادٍ وَإِضْمَارَ ، وإِعْلَانِ وإِسْرَارِ ، وإِخْلَاصِ مِنْ طَوِيلَتِكَ ، وَصِدْقِ مِنْ نَيْتِكَ ؛ وَأَنْشِرَاجِ صَدْرِكَ وَصِحَّةِ عِزِّمَتِكَ ؛ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ ، وَمُنْقَادًا غَيْرَ مُجْبَرٍ ؛ مُقَرًّا بِفَضْلِهَا ، مُذِنًا بِحَقِّهَا ؛ مُعْتَرِفًا بِرِكَتِهَا ، وَمُعْتَدًّا بِحُسْنِ عَائِدَتِهَا ؛ وَعَالِمًا بِمَا فِيهَا وَفِي تَوْكِيدِهَا مِنْ صَلَاحِ الْكَافَّةِ ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ [مِنْ] الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وَلَمْ الشَّعْثِ ، وَأَمَّنَ الْعَوَاقِبِ ؛ وَسُكُونِ الدَّهْمَاءِ ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَعَجِ الْأَعْدَاءِ - عَلَى أَنْ فُلَانًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ، الْمَفْتَرَضُ طَاعَتُهُ ، وَالوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتُهُ وَوِلَايَتُهُ ؛ الْإِلَازِمُ لَهُمُ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالْوِلَاءُ بَعْدَهُ ؛ لَا تَشْكُ فِيهِ ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ . وَأَنْكَ وَلِيٌّ وَلِيَّهِ ، وَعَدُوٌّ عَدُوُّهُ : مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ ؛ مَتَمَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ ؛ سِرِّيَّتِكَ مِثْلُ عَلَانِيَتِكَ ، وَظَاهِرُكَ فِيهِ وَفْقُ بَاطِنِكَ - عَلَى أَنْ أُعْطِيَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَتَوْكِيدَكَ لِإِيَّاهَا فِي عُنُقِكَ ، لِفُلَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ ، وَاسْتِقَامَةٍ مِنْ عِزِّمَتِكَ ؛ وَاسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ - عَلَى أَنْ لَا تَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ فِيهَا ، وَلَا تَسْعَى فِي تَضْيِئِ شَيْءٍ مِنْهَا ؛ وَلَا تَقْعَدَ عَنْ نَصْرِهِ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ ، وَلَا تَدْعَ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ وَحَادِثَةٍ ؛ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ مُؤَدِّنًا بِهَا ، مُؤَدِّيًا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا ؛ إِذْ كَانِ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ وِلَاةَ الْأَمْرِ ، وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَمَأْثَمٌ مُبِينٌ ﴾ .

عليك بهذه البيعة - التي طَوَّقَتْهَا عُنُقُكَ ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ ، وَأَعْطَيْتَ فِيهَا صَفَقَتَكَ ؛ وَمَا شَرِطَ عَلَيْكَ فِيهَا : مِنْ وِفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ ، وَنُصْحٍ وَمَشَايِعَةٍ ، وَطَاعَةٍ وَمَوَاقِفَةٍ وَاجْتِهَادٍ وَمُتَابَعَةٍ - عَهْدُ اللَّهِ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَكَيْدَاتٍ وَمَوَاقِفَةٍ وَمُحْكَمَاتٍ عُهُودِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُنْسَكَ بِهَا وَلَا تُبَدَّلَ ، وَتُسَقِّمَ وَلَا تَمِيلَ ؛ وَإِنْ نَكَثْتَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَوْ بَدَّلْتَ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا ، أَوْ عَقَيْتَ رُسُومَهَا مِنْ رُسُومِهَا ، أَوْ غَيَّرْتَ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِهَا ؛ مَعْلِنًا أَوْ مُسِرًّا أَوْ مُحْتَالًا أَوْ مُتَوَلًّا ؛ أَوْ زِغْتَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يُسَلِّكُهَا مَنْ لَا يُحْقِرُ الْأَمَانَةَ ، وَلَا يَسْتَحِلُّ الْغَدْرَ وَالْخِيَانَةَ ؛ وَلَا يَسْتَجِيزُ حُلَّ الْعُقُودِ ، فَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرْقٍ أَوْ آتِيَةٍ ، أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ ، أَوْ زَرْعٍ ، أَوْ ضَرْعٍ ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْلاكِ الْمَعْتَدَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْمُدْنَحَةِ ؛ صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِكَ بِحِيلَةٍ مِنَ الْحِيلِ ، عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ تَخْرُجَ مِنْ تَحَارِجِ الْإِيمَانِ ؛ وَكُلُّ مَا تَعْتَدُهُ فِي بَقِيَّةِ عَمْرِكَ مِنْ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهُ أَوْ يَجِلُّ فَتْلُكَ سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تَتَوَفَّاكَ مِيتَتُكَ أَوْ يَأْتِيَكَ أَجَلُكَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ الْيَوْمَ : وَأُخْرَى تَتَرَوَّجُهَا بَعْدَهَا مَدَّةَ بَقَايِكَ طَالَتْ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقَ الْحَرْجِ وَالسَّنَةِ لَامْتَنُوبِيَّةٍ فِيهِ وَلَا رَجْعَةَ ؛ وَعَلَيْكَ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَافِيًا ، حَاسِرًا رَاجِلًا ؛ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِهَا ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَخَذَلَكَ يَوْمَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ وَبَرَكَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَبْهَلَكَ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا .

(١) فِي الْأَصُولِ "وَلَمْ يَمْلِكْ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ ذِكْرٍ وَأَنْتَى مَدَّةً" أَلْخَ وَهُوَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ كَمَا لَا يَخْفَى .



وهذه نسخة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها أبو الحسين الصابي
في "غرر البلاغة" وهي :

تَبَايَعُ أمير المؤمنين بِقُوَّةٍ من بَصِيرَتِكَ ، وَصِحَّةٍ من سِرِّرَتِكَ ؛ وَصَفَاءٍ من عَقِيدَتِكَ ،
وَصِدْقٍ من عَزِيمَتِكَ ؛ عَلَى الرِّضَا [به] وَالْوَفَاءِ لَهُ ، وَالْإِخْلَاصِ فِي طَاعَتِهِ ؛ وَالْإِجْتِمَاعِ
فِي مُنَاصَحَتِهِ ، وَعَقْدِ النِّيَّةِ عَلَى مُوَالَاتِهِ ، وَبَذْلِ الْقُدْرَةِ فِي مَمَالَاتِهِ ؛ وَأَنْ تَكُونَ لَانْصَارِهِ
عَوْنًا ، وَلَأَوْلِيَائِهِ حَرْبًا ، وَلَأَعْدَائِهِ حَرْبًا ؛ عَارِفِينَ بِمَا فِي ذَلِكَ من الْحِطِّ ، وَمَعْتَرِفِينَ
بِمَا يَلْزِمُ فِيهِ من الْحَقِّ ؛ وَمَحَافِظِينَ عَلَى مَا حَرَسَ الْمَلَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، وَالِدَوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ ؛
ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَهَا ، وَأَحْكَمَ مَعَاقِدَهَا ؛ وَزَادَهَا أَسْتِمْرَارًا عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَأَسَـتَقَرَّارًا
عَلَى كَرِّ الْعُصُورِ ؛ وَعِزًّا عَلَى ثِقَلِ الْأُمُورِ ، وَأَشْتِدَادًا عَلَى تَغْلِبِ الْمَقْدُورِ ؛ فَإِنْ خَالَفَتْ
ذَلِكَ مُسِرًّا أَوْ مُعَلِنًا ، وَحَلَّتْ عَنْهُ مُظْهِرًا أَوْ مُبْطِنًا ، وَحَلَّتْ عَقُودَهُ نَاقِصًا أَوْ نَاقِضًا ؛
وَتَأَوَّلَتْ فِيهِ مُحَاوِلًا لِلخُرُوجِ مِنْهُ ، وَاسْتَنْثَيْتْ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلرَّجُوعِ عَنْهُ ؛ فَبَرَأَنِي اللَّهُ مِنْ
حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَسَلَبَنِي مَا وَهَبَ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ؛ وَمَنْعَنِي مَا وَعَدَ مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛
وَحَلَّلَنِي مِنْ يَدَيْهِ ، يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ لَدَيْهِ ؛ وَحَنَثَ كُلَّ يَمِينٍ حَلَفَهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى
قَدِيمِ الْأَيَّامِ وَحَدِيثِهَا ، وَالتَّنَاهَى فِي تَأْكِيدِهَا وَتَشْدِيدِهَا ؛ وَأَعْرَوْهَا مِنْ لِبَاسِ الشُّبْهِ ؛
وَأَخْلَوْهَا مِنْ دَوَاعِيِ الْخَنَائَةِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ يَمِينِي : أَوْرَدْتُهَا عَلَى صِدْقٍ مِنْ نَبِيِّ ،
وَصِحَّةٍ مِنْ عَزِيمَتِي ، وَأَتَّقَايَ مِنْ سَرَى وَعَلَانِيَتِي ؛ وَسَرَدْتُهَا سَرْدًا مُتَابِعًا مِنْ غَيْرِ
فَضْلٍ ، وَتَلَفُظَتْ بِهَا تَلَفُظًا مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ ؛ وَالْيَدِيَّةُ فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ : عَلَى حُضُورٍ مِنْهُ
وَغَيْبٍ ، وَبُعْدٍ وَقُرْبٍ ؛ وَأَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا عَقَدْتُهُ عَلَى نَفْسِي مِنْهَا ، وَكُفِّي بِاللَّهِ
شَهِيدًا عَلَى مَنْ أَشْهَدُهُ ، وَحَسْبِيَ عَلَى مَنْ أَجْتَرَأُ عَلَى إِخْفَارِ عَهْدِهِ ، وَتَقْضِ عَقْدَهُ .

قلت : فإن كان من تؤخذ عليه المبايعة اثنين ، أتى في المبايعة بصيغة التثنية ؛ أو ثلاثة فأكثر ، أتى بصيغة الجمع . ولم أقف على كيفية وضعهم لذلك في الكتابة ، والذي يظهر أن المبايعة كانت تكتب على الصورة المنقّدة ، ثم يكتب المبايعون خطوطهم بصدورها عنهم ؛ كما يفعل الآن في تحليف من يحلف من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف بالمملكة المصرية والممالك الشامية ، أو يُشهد عليهم في آخر البيعة بمعاقدتهم عليها ورضاهم بها ونحو ذلك .

المذهب الثاني

(مما يكتب في بيعات الخلفاء)

أن تفتتح المبايعة بلفظ « من عبد الله وولّيه فلان أبي فلان الإمام الفلاني » إلى أهل دولته ، ونحو ذلك بالسّلام عليهم ، ويؤتى بما سَنَح من الكلام ؛ ثم يُقال : أمّا بعد ، فالحمد لله ؛ ويؤتى على وصفه بشريف المناقب ، واستحقاقه للخلافة ، واستيجاعه لشروطها ، وما يجرى هذا المجرى ؛ ثم يتخرط في سلك البيعة ، ويذكر القائم بأخذها على الناس من سلطان أو وزير عظيم أو نحو ذلك ؛ ويذكر من أمر ولاية الخليفة ما فيه استجلاب قلوب الرعية والأخذ بنخاطهم وما يتخرط في هذا السلك .

وهذه نسخة بيعة من هذا الأسلوب ، لوليّ عهد بعد موت الماهد ، كتب بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم بها ، وهي :

(١) لعله ونحو ذلك ويتبع ذلك الخ تأمل .

من عبد الله ووليه «أبي فلان فلان بن فلان» الإمام الفلاني، بأمر الله تعالى أمير المؤمنين، إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أمراء وأعيانها، وكبرائها وأولائها؛ على اتساع شعوبهم، وعساكرها على اختلاف ضروبهم، وقبائل عرَبها الفَيْسِيَّةَ وإيمانيَّة، وكافة من تشمله قطارها من أجناس الرعيَّة : الأمير منهم والمأمور، والمشهور منهم والمغمور؛ والأسود والأحمر، والأصغر والأكبر؛ وفقهم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديين، وسلم تسليما .

أما بعد، فالحمْد لله مولى المنّ الجسيم، ومبدي الطول العيم، ومانح جزيل الأجر بالصبر العظيم، فيفيد النعم المتشعبة النون، ومُدني المهج المتعالية لتناول المنون؛ ومُبيد الأعمار ومُفنيها، وناشر الأوائ ومُحييها؛ والفتاح إذا استغَلَّتِ الأبواب، والقائل : «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ» الذي لا يغيّر ملكه مرور الغير، ولا يصرف سلطانه تصرف القدر؛ ولا يذكّر قدمه وأزليته، ولا ينفد بقاؤه وسرمديته؛ مُسلم الأنام للحمام، ومُصمّي الأنفُس بِسهام الإخترام؛ ومورد البشر من المنيّة منهلًا ما برحوا في رنقه يكرعون، ولمزه المشرق يتجرعون؛ ومعز ذلك بقوله : «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالنَّارِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» .

والحمد لله الذي نصّب الأنبياء لمرآشده أعلاما، وحفظ بيعتهم من الحق والهدى نظاما؛ وجعل نبوة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم لنبواتهم ختامًا، وعصّد بوصيه أبينا

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كلاً للدين وإماماً ، واستخلص من دُزَيتَهما أئمةً هادين إثناناً لصنعتِهِ وإحكامِهما ، وأنامَ الحجَّة على الأئمَّ بأن أقامَ لكلِّ زمانٍ منهم إماماً ، وعاقَبَ بين أنوار الإمامَةِ فإذا آنقبَضَ نورُ آنَبَسطَ نورُ ، وتابَعَ ظُهورُ بدوهِ لِيُشْرِقَ طالِعُ إثر غاربِ يُغورُ ، رحمةً شاملةً للعالمين ، وحكمةً تامةً حتَّى يرِثَ اللهُ الأرضَ ومنَ عليها وهو خيرُ الوارِثينَ ؛ ولم يُخلِ نبيّاً مع ما شَرَفَه [به] من تناولِ وَحيهِ وتلقّيه ، ولا عَصَمَ إماماً مع اختِصاصِهِ بقُروعِ مَنصبِ الإمامَةِ وترقيهِ ، من لِقَاءِ المنيَّةِ ، ووداعِ الأميَّةِ ؛ بل أَجَلَ لكلِّ منهم أَجلاً مكتوباً ، وفَسَحَ له أمدًا محصوراً محسوباً ؛ لا يَصْرِفُهُ عن وُصُولِهِ فِضِيلُهُ ، ولا يَصِلُ إلى تَجَاوُزِهِ بِقُوَّةٍ ولا حِيلَةٍ ؛ قُدْرَةُ محكمةِ الأسبابِ ، وعِبْرَةُ واضحةٍ لأوَلِي الألبابِ ؛ وقِضِيَّةٌ أَوْصَحُّها فُرْقَانُهُ الذي أَقَرَّ بِإِعْجَازِهِ الجاحِدُونَ ، إذ يقول مخاطباً لنبيه : ﴿ وما جَعَلْنَا لِيُشِيرَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفْانَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ .

والحمد لله الذي مَنَحَ أمير المؤمنين من خِصائِصِ الإمامَةِ وأنوارِها ، وحازَلَهُ من دَخائِرِها وأودَعَهُ من أسرارِها ، ما خَوَّلَهُ فَائِزُ ثرائِها ، وأَصارَ لَهُ شَرَفَ مِيراثِها ؛ وجعلَهُ القائمَ بحَقِّهِ ، والمرشِدَ لخلقِهِ ؛ والمُلاحِ يَهْدَاهُ ليلًا من الضلالِ بهيما ، والحاوِيَ بخلافَتِهِ مجداً لا يزالُ ثناءُهُ عَظِيماً : ﴿ ذلكَ الفضلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَليماً ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين علي أن أَوْصَحَ بآبائِهِ الأئِمَّةِ سُبُلَ الحقائق ، فأصبحوا خِلفاءَ الخالِقِ وأئمَّةَ الخَلِائِقِ ؛ وخَوَّلَهُ ما اختَصَّمَهُ بِهِ من الإمامَةِ ، ورفَعَهُ بِها إلى أَشْبَحِ منازلِ العُلّا وأرفعِ مَواطِنِ الكَرامَةِ ؛ وَيَسْتَمِدُّهُ شُكْرُا يُوازِي النِّعمَ التي أثَبَّتْ [له] على سِريرِ الخِلافةِ وسِرِّها قَدَمًا ، وصَبْرًا يُوازِي الفَجِيعَةَ التي قَلَّ لها فِضْضُ المَدَامَعِ دَمًا .

ويسأله أن يصلي على جده محمد الذي فضَّ بجهاده جموعَ الإلحاد، وحصدَ
باجتهاده من مال عن الهدى وحاد؛ وصدعَ بما أمر به حتى عمَّ التوحيد، ودانت
لمُعجزاته الأئمة وقد دناها وهو الموقرُ الوحيد؛ ولم يزل مبالِغاً في مَرْضاة ربه،
حريصاً على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه؛ حتى استأثر به وقبضه، وبدله من الدنيا
شرفَ جواره وعوضه؛ وأصاره إليه أفضل نبيٍّ بصَّر وبشَّر، وأحيا دينَ الله وأنشَر؛
وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب إمام الأئمة، وأبي الأئمة؛ وقُدوة
السعداء، وسيّد الشهداء؛ وعاضِد الدين بذى الفقار، ومن لم يزل الحق إلى
دَبِّه شديد الإفقار؛ صلى الله عليه وعلى آبائه والأئمة من ذرِّيتهما الذين
أيقظوا العقول بإرشادهم من السنن، وأفاضوا من العدل والإحسان ما ألهم
بتفجيرهم الأئمة.

وإنَّ الإمامَ الفلانيّ لدين الله أمير المؤمنين كان ولياً لله شرفه الله واستخلصه،
وأفردَه بإمامة عصره وخصَّصه؛ وفوضَ إليه أمرَ خلافته، وأحلَّه محلّاً تقعَ مطارحُ
الهمم دونَ علوه وإنافه؛ فقام بحقَّ الله ونهض، وعملَ بأمره فيما سنَّ وفرض؛ وقهرَ
الأعداء بسطواته وعزائمهم، وصرفَ الأمورَ بأزمةِ التذيرِ وخزائمه؛ وبالغ في الذبِّ
عن أشياعِ الملَّة، واجتهدَ في جهادِ أعداءِ القبلة؛ ووقفَ على مصلحةِ العباد والبلادِ
أمله، ووقَّعَ على ما يُحظى عندَ الله قوله وعمَله؛ ولم يترك في مَرْضاة خالقه مشقةً
إلا احتمَلها، ولا رويةً إلا صرفها في إرشادِ خلقه وأعمالها؛ حتى بلغ الغايةَ المحدودة،
واستكملَ الأنفاسَ المحدودة؛ وأحسنَ الله له الاختيار، وآثرله الثقلَ من هذه الدارِ
والزُلفى بسُكنى دارِ القرار، والفوزَ بمصاحبةِ الأنبياءِ الأبرار، والحُلُولَ في حظائرِ
قُدسِهِ مع آبائه الأئمةِ الأطهار؛ فسارَ إليه طاهرَ السريره، جميلَ المذهبِ والصُّوره؛
مستوجباً بسُعيهِ أفضلَ رضوانِهِ، ممهداً بالتقوى لتذيرِهِ أكثافَ جناهُ.

وأمر المؤمنين [يحتسب] عند الله هذه الرزية التي عظم بها المصائب، وعظم عند
تجزعها الصاب؛ وأضرمت القلوب نارا، وأجرت الآفاق دما ممارا؛ وأطاشت^(١)
بهولها الأبداء بالحرق، وكلمات الأجفان بالآرق؛ وكادت لهجومها الصدور تقذف
أفئدتها، والدينيا تنزع نضرتها وبهجتها؛ وقواعد الملة تضعف وتهى، والخطوب^(٢)
الكارثة تُصر ولا تتبى، فإن الله وإنا إليه راجعون!! تسلياً لأمره الذي لا يُدفع،
وإذعائاً لقضائه الذي لا يُصد ولا يُمنع.

وكان الإمام الفلاني لدين الله أمير المؤمنين عند نقلته جعل لي عقد الخلافه؛
ونص علي بارتقاء منصبها المخصوص بالإتافه؛ وأفضى إلى بسرّها المكنون؛
وأودعني غامض علمها المصون؛ وعهد إلى أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف
والحنان، والرحمة والفقران، والمن الرائي الذي لا يكدره أمتنان؛ وأن أكون لأعلام
الهدى ناشرا، وبما أَرْضَى الله مجاهرا، ولأحزاب القبلة مظافرا مظاهرا،
ولأعداء الملة مرغما قاهرا؛ وللمنار التوحيد رافعا، وعن حوزة الإسلام بغاية
الإمكان دافعا؛ مع علمه بما خُصصْتُ به من كرم الشيم، وفُطِرْتُ عليه من الخلال
القاضية مصالح الأمم؛ وأوتيت من استحقاق الإمامة وأسئجابها، ومُنِحْتُ من
الخصائص المبرمة لأسبابها.

فتعزوا جميع الأولياء، وكافة الأمراء؛ وجميع الأجناد، والحاضر من الرعايا والباد؛
عن إمامكم المقول إلى دار الكرامة، بإمامكم الحاضر الموجود الذي أوره الله مقامه؛
وآدخُلُوا في بيعته بصُدُور مشروحة نقيه، وقلوب على محض الطاعة مطويه؛ ونيات

(١) ما زالدم سال وأما ره أساله . انظر القاموس .

(٢) أى تدم من قولهم أصر على الأمر داوم عليه .

فِي الْوَلَاءِ وَالْمَشَابِعَةِ مَرْضِيَّةً ، وَبَصَائِرَ لَا تَزَالُ بِنُورِ الْهُدَى وَالْإِسْتِجَارِ مُضِيَّةً ؛
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ إِمَامَتَهُ مَحْظُوظَةً بِالْإِقْبَالِ ، دَائِمَةً الْكَمَالِ ؛ ضَافِيَةً
مِنَ الْأَكْثَارِ ، مَعْضُودَةً بِمَوَانَةِ الْأَقْدَارِ ؛ وَيُوَالِي حَمْدَهُ عَلَى مَامَتِهِ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ
الَّذِي جَعَلَهُ لَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا قَوَامًا ، وَأَقَامَهُ لِلْبَرِيَّةِ سَيِّدًا وَإِمَامًا ؛ فَاعْمَلُوا هَذَا
وَأَعْمَلُوا بِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكُتِبَ فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا سَنَةِ كَذَا .



وَهَذِهِ نَسْخَةٌ بَيْعَةٍ : كُتِبَ بِهَا عَنِ الْحَافِظِ لَدَيْنَ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ بَعْدَ وَفَاةِ
أَبْنِ عَمِّهِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ ، قَامَ بِعَقْدِهَا الْوَزِيرُ أَبُو الْفَتْحِ يَانِسُ الْحَافِظِيُّ ؛
أَقْصَرَ فِيهَا عَلَى تَعْمِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَعَزَّى بِالْخَلِيفَةِ الْمَيِّتِ ؛ ثُمَّ آتَقَلَّ إِلَى مَقْصُودِ
الْبَيْعَةِ ، وَهِيَ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ عَبْدِ الْمَجِيدِ أَبِي الْمَيْمُونِ ، الْحَافِظِ لَدَيْنَ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِلَى كَافَّةِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ شَرِيفِهِمْ وَمَشْرُوفِهِمْ ، وَأَمِيرِهِمْ وَمَأْمُورِهِمْ ، وَكَبِيرِهِمْ
وَصَغِيرِهِمْ ؛ وَأَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ ، وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ وَبَارَكَ فِيهِمْ .

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ،
الْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّطِيفِ بِعِبَادِهِ وَبَرِيَّتِهِ ، الرَّءُوفِ فِي أَقْدَارِهِ وَأَقْصِيَّتِهِ ، الْمُهِمِّنِ
فَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ ؛ ذِي النِّعَمِ الْفَائِضَةِ الْغَامِرَةِ ، وَالْمِنَّنِ الْمَتَابِعَةِ

المتظاهره؛ والآلاء المتواليه المتاصره، القائل في محكم كتابه : ﴿يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ . مدبر أرضه بحلقائه، الذين هم
زينةٌ للعالم وبهجته، وهادى خلقه بأوليائه، لئلا يكون للناس على الله حجة؛ فسبحان
الذي هو للنعم مُسَبِّغ وبالكرم جدير، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَسُدُّ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين أن جعله خليفة دُونَ أهل زمانه، وأوجب ثواب المستجيبين
له بكفالاته وضمائنه، وجعلهم يوم الفزع الأكبر مكنوفين بحفظه مشمولين بأمانه؛
وأوزعه الشكر على ما أسترعه إياه من أمر هذه الأمة، ونقله إليه من ثراث آبائه
الهداة الأئمة، وكشفه بإمامته من أجمع نائبة وأفزع مله .

وصلّى الله عليهم جدنا محمد رسوله الذي أخبر الأنبياء المرسلون بصفتيه ونعته،
وتداولوا البشرى بما يُستقبل من زمانه وبعثه؛ وذكروه فيما أتوا به من كل كتاب
أوحاه الله وأنزله، وأعترفوا بأنه أفضل من كل من نبأه الله وأرسله؛ فبسر الله سبحانه
ما كان مُرتقباً من ظُهوره، وأذن في إشراق الأرض بما أنتشر في آفاقها من نوره؛
وبعثه - جلّت قدرته - إلى الأمة بأسرها قاطبه، وجعل السنة الأعماد مجادلةً
لمن خالف شرعه مخاطبه؛ فكان لآية الكفر ماحياً، وفي مصالح البرية ساعياً، وإلى
سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة داعياً؛ إلى أن لمعت آيات الحق وسطعت،
وأنحسمت مادة الباطل وأتقطعت؛ وظهر من آياته ما كبرله الخيرون، واشتهر من
معجزاته ما خصم به المعتضون، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله : ﴿إِنَّكَ مِثُّ
وَلَهُمْ مِثُّونٌ﴾ . فحينئذ نقله الله إلى ما أعد له من جناته، وخصه بشرف الشفاعة

في يوم مجازاته ، وصدقته وعده فيما بواه من النعيم المقيم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وعلى أئمتنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب أولى الناس بالنبي ، وأول من أتبعه من ذوى قرابة وأجنبي ، وابن عمه الذى اختصه بمواخاته ، وجعله خليفة على كافة الناس بعد وفاته ، وتجل بأمر الله ، فيما ولّاه وأولاه ، وخطب الناس فى حجة الوداع فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وعلى آلهما الكرام الأبرار ، وعترتهما المصطفين الأخيار ، وهداة المسلمين وفدوتهم ، وأمرء المؤمنين وأئمتهم ، الذين حكموا فافسطوا وما قسطوا ، وسلك الحيزون منهم سنن أسلافهم الذين فرطوا ، وأقفتوا آثارهم فى السياسة فما قصروا ولا تفرطوا ، ولم يزل كل منهم تاملاً من ذلك بما حسن أيامه ، فاعلاً فى أمر الدين مارع مناره ونشر أعلامه ، حتى اختار الله له ما عنده فنص على من أقامه الاستحقاق مقامه ، وسلم عليهم أجمعين سلاماً لا أنقضاء لأمدّه ، ولا أنقطاع لمدده ، فنيل المطالب بكرمه وملكوته كل شيء بيده .

وإن الحق إن خفي حيناً فلا بد لهلاله من الإبدار وأنيساط النور ، وإن الشمس إن توارت بالحجاب فما أوشك عودتها إلى البروغ والظهور ، وإن حسن الصبر إلى أن يبلغ الكتاب أجله يؤمن من تدلية الشيطان بالنور ، قال الله عز وجل فى كتابه ، الذى هدانا به ، : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

وإن الله تعالى لرأفته بمن أبدعه من خلقه وأنشاه ، ولسابق علمه فى عمارة هذه الدار على ما أرادته عز وجل وشاه ، لا يخل الأرض من نور يستضيء به السارى فى الليل البهيم ، ولا يدع الأمة بلا إمام يهتدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فهو جلّ وعلاً أعدل من أن يجعل جيد الإيمان من حلى الإمامة عاطلاً ، أو يترك

الخلق هملاً وقد قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِلَآءٍ .
بل يقطع أعدار العباد فيما خلقهم له ووقفهم ، ويهديهم بالأئمة إلى التوفيق على عمل
ما ألزمهم وكلفهم ؛ فالأمور محروسة الترتيب محفوظة النظام ، والأرض إذا أظلمت
لفقد إمام ، أضاعت وأشرفت لقيام إمام . وقد علم الكافة أن حجة الله في أرضه ،
والمجتنب من الأعمال ما لم يرضه ، والمحسن إلى البرية ببعثه على المصالح وحضه ؛
الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين الذي آتاه الله الحكم صبيّاً ، ورفع من إرث
النبوة مكاناً عليّاً ؛ وأستخلفه على خلقه فكان للفضل باسطاً ولراية العدل ناشراً ،
وجعله لشمس المحاسن جامعاً ولأئمة الخلفاء الراشدين عاشرّاً ؛ لم يزل ناظراً في البعيد
والقريب ، عاملاً في سياسة الأمة عمل المجتهد المصيب ؛ مستقصياً حرصه
في المحافظة على إعزاز الملة ، مستنفداً جهده في الجهاد فيمن خالف أهل القبلة ،
بإذلاً من جربل العطاء وكثيره ما لا يعرف معه أحد من خاصته بالفقر ولا ينسب
معه إلى القلة ؛ حتى استوفى مدته الموهوبة ، وأستوعب غايته المكتوبة ؛ وناله
من القضاء ما أخرجه من الدنيا سعيداً ، وأقدمه على الله شهيداً ، وأصاره إلى ما أعد
له من نعيم لا يريد به بديلاً ولا يطلب عليه مزيداً ؛ وكان انتقاله إلى جوار ربّه تبارك
وتعالى ، كأنقال أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نعيّاً من الكافرين وأغنياً .
وقد كان يذكر ما علمه من حق أمير المؤمنين تارةً مُحَاهِراً وتارةً مُحَافِثاً ، إلى أن صار
على بسط القول في ذلك وتبيينه مثاراً مُتَهِافِثاً ، وأفصح بما كان مستتبهما مستعجباً ،
وصرح بما لم يزل في كشفه ممرّضاً وعن إفصاحه مُحِجِجاً ، وذلك لما ألفاه أشرف
فرع من سنخ النبوة ، وراه أكرم في نخارة الأبوة ؛ وعلمه من أباه الأمير أبا القاسم^(٢)

(١) المراد به الحافظ لدين الله صاحب هذه البيعة .

(٢) جرى الكاتب على لغة القصر .

عَمَّهُ سَلامُ اللَّهِ عَلَيْهِ الَّذِي هُوَ سَلِيلُ الْإِمَامَةِ الْقَلِيلِ الْمَثَلِ ، وَنَجَلُ الْخِلَافَةِ الْمَخْصُوصِ
 مِنَ الْفَخْرِ بِأَجْزَلِ حِطٍّ وَأَوْفَرِ كِفْلٍ ؛ كَانَ الْمُسْتَنْصَرُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَمَاءً وَلِيَّ عَهْدِ
 الْمُسْلِمِينَ ، وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ مَا خَرَجَتْ بِهِ تَوْقِعَاتُهُ وَتَسْوِغَاتُهُ إِلَى الدَّوَابِّ ، وَثُبَّتْ
 فِي طُرُقِ الْأَبْنِيَةِ ، وَكُتِبَ الْأَبْيَاعَاتُ وَالْأَشْرِيَّةُ ، وَعِلْمَتُهُ الْكَافَّةُ عِلْمًا يَقِينًا ظَلَّتْ فِيهِ
 غَيْرُ مُرْتَابَةٍ وَلَا مِمْتَرِيَّةٍ ، وَفِي ضَمَنِ ذَلِكَ بَاطِنٌ لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مَنْ
 قَالَ فِيهِمْ : « وَمَا يَمُحِّدُ بَيِّنَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ » . وَذَلِكَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْغَرَضُ
 وَالْمَقْصِدُ ، وَالْبَغْيَةُ وَالْمَطْلَبُ ؛ وَلَهُ عَهْدٌ بِالتَّلَوُّحِ وَالْإِشَارَةِ ، وَإِلَيْهِ أَوْحَى بِالنَّصِّ وَإِنْ
 لَمْ يُقْضَ فِيهِ بِالْعِبَارَةِ ؛ وَكَانَ وَالِدُهُ الْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - بِعِزَّةِ
 الْأَشْجَارِ الَّتِي يُتَأَنَّى بِهَا إِلَى أَنْ يَظْهَرَ زَهْرُهَا ، وَالْأَكْثَامُ الَّتِي يُنْتَظَرُ بِهَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ
 ثَمَرُهَا ؛ وَالزَّرْجُونَةُ الَّتِي نَقَلَتِ الْمَاءَ إِلَى الْعُقُودِ ، وَالسَّجَابَةُ الَّتِي حَمَلَتِ الْغَيْثَ فَعَمَّ
 نَفْعُهُ أَهْلَ السُّهُولِ وَالضُّجُودِ ؛ وَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ وَيُوضِّحُهُ ، وَيَحَقِّقُهُ وَيَبْصِّحُهُ ؛ وَتَنْجِ
 بِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ صُدُورَ تَقْوَى أَفْسَدَهُ ؛ وَتَشْهَدُ الْبَصَائِرُ أَنَّ النِّعْمَةَ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مُتَابِعَةٌ
 مُتَجَدِّدَةٌ ، أَنَّ الْأُمُورَ إِذَا تَشَابَهَا مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مُدَدٌ مُتَطَوَّلَاتٌ
 مُتَبَاعِدَاتٌ ؛ فَالسَّابِقُ مِنْهُمَا يُمْتَدُّ لِلتَّالِي ، وَالْأَوَّلُ أَبَدًا رَمَزٌ عَلَى التَّالِي ؛ وَلَا خِلَافَ
 بَيْنَ كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ جَدَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقْدِ وَلَايَةِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَعَقَدَهَا لَهُ يَوْمَ غَدِيرِخَمٍّ ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلِيَّ بْنَ أَبِي عَمٍّ وَكَانَ لَهُ حِينَئِذٍ عَمٌّ حَاضِرٌ ، وَأَمَضَى مَا أَمَرَ بِهِ وَالْإِسْلَامُ يَوْمئِذٍ غَضٌّ
 وَعُودُهُ نَاضِرٌ ؛ وَكَذَلِكَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ ابْنُ عَمِّ الْإِمَامِ الْأَمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَقَدْ نَصَّ مَعَ حَضُورِ عُمُومَتِهِ عَلَيْهِ ، وَفَعَلَ مَا فَعَلَ جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ
 أَقْدَاءَهُ بِهِ وَاتَّهَاءَ إِلَيْهِ ؛ وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْمَنْصُورُ الْإِمَامُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، جَعَلَ ابْنَهُ عَبْدَ الرَّحِيمِ الْيَاسَّ وَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمِيزَةً بِذَلِكَ

على كافة الناس أجمعين ؛ ونقش اسمه في السكّة ، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمكّه ؛
والْبَسَهُ شِدَّةَ الْوَقَارِ الْمَرْصُوعَةِ بِالْجَوْهَرِ ، وَاسْتَنَابَهُ عَنْهُ إِمَامَ الْأَعْيَادِ فِي الصَّلَاةِ وَفِي رُقَى
الْمِنْبَرِ ؛ وَأَقَامَهُ مُتَمِّمًا نَفْسَهُ فِي الْأَسْتِغْفَارِ مَنْ يُتَوَقَّى مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَفِي الشَّفَاعَةِ
لَهُمْ بِمَقْبَلِ مُنَاجَاتِهِ وَمَسْمُوعِ دُعَائِهِ ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَنَالُ رُتْبَةَ الْخِلَافَةِ ، وَلَا يَبْلُغُ
دَرَجَةَ الْإِمَامَةِ ؛ وَأَنَّ الْإِمَامَ الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - هُوَ الَّذِي
خَلَقَ لَهَا ؛ وَحِينَ حُمِّلَ أَعْبَاءَهَا أَقْلَهَا وَمَا اسْتَنْقَلَهَا ؛ وَإِنَّمَا تَحْتَ ذَلِكَ مَعْنَى لَطِيفٍ
غَامِضٍ ، وَسَرٌّ عَنْ جُمْهُورِ النَّاسِ مُسْتَرٌّ وَبَرْقُهُ لِأَوَّلَى الْبَصَائِرِ وَامِضٌ : وَهُوَ أَنَّ مَكُونُ
الْحِكْمَةِ ، وَمَكْتُومَ عِلْمِ الْأَمَةِ ؛ يُدْلَلُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ الْمَنْصُورَ أَبَا عَلِيٍّ ، سَيَفْعَلُ فِيمَنْ
يَسْتَخْلِفُهُ بَعْدَهُ مِثْلَ فِعْلِ النَّبِيِّ ؛ وَقَدْ عِلِمَ الْإِمَامَ الْحَاكِمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّ الْمُرَادَ
بِذَلِكَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنْ أَوْلَدِهِ أَوْ أُنْسَلِهِ ، لِأَنَّ وَلَدَهُ حَاضِرٌ وَالْمَقْصُودُ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ ؛
بِفِعْلِ وِلَايَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْعَهْدِ تَأْسِيسًا لِمَا سَيَكُونُ ، وَتَقْلًا لِلنَّفُوسِ مِنَ الْإِزْعَاجِ إِلَى
أَنْ تَسْمَلَهَا الطُّغْمَانِيَّةُ وَالسُّكُونُ ؛ فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ أَبِي عَلِيٍّ الْإِمَامِ
الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافَةِ الَّتِي جَعَلَهَا وَاجِبًا لَهُ حَقًّا ، وَوَافَقَ جَدَّهُ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَانَ لِقَبِهِ مِنْ لَقَبِهِ مُشْتَقًّا ، ظَهَرَ الْمُنْكَدِمُ ، وَرَضَّحَ الْمُسْتَرِّ ؛ وَعَادَ
التَّعْرِیْضُ تَضَرُّعًا ، وَالتَّمْرِیْضُ تَضَحُّجًا ؛ وَالرَّمْزُ إِبَانَةً ، وَالنَّصُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَمَانَةً ؛ فَاقْتَدَى بِجَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اسْتِخْلَافِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مَعَ حُضُورِ عُمُومَتِهِ ، وَقَعَلَ فِي ذَلِكَ فَعْلَتَهُ وَجَرَى عَلَى قَضِيَّتِهِ ؛ وَكَشَفَ عَمَّا أَهْمُهُ
الْإِمَامُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ قَدَّسَ اللَّهُ لَطِيفَتَهُ فَتَسَاوَى الْخَاصُّ وَالْعَامُّ فِي مَعْرِفَتِهِ ؛ ثُمَّ حَلَّ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَحَلَّ نَفْسِهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَى الْأَسْمَطَةِ ، وَعَمِلَ لِأَوْلِيَائِهِ وَرَعِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ
بِالْقَضَايَا الْمُحِيطَةِ ؛ وَنَصَبَهُ مَنَصِبَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ جَرَتْ عَادَتُهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مِثْلِهِ ؛
وَجَمَعَ فِي اعْتِمَادِ ذَلِكَ بَيْنَ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ وَبَيْنَ امْتِنَانِهِ وَعَدْلِهِ ؛ وَإِذَا قَدْ تَيَّنَ هَذَا

الأمر الواضح الجليّ، وتساوى في علمه الشانئ والوليّ؛ وعلم هو ماخصّ الله به أمير المؤمنين من الإمامه، وأزاله عن العقول من ضباب متكاثف وعمامة؛ وشمله به من فضله ورافته، ونصّبه فيه من منصّب خلافته؛ التي أيدها بوليّه ووزيره، وعصّدها بصفية وظهيره، السيد الأجل أبي الفتح يانس الحافظيّ الذي جعله الله على أعتائه بدولة أمير المؤمنين من أوضح الشواهد والدلائل، وصرف به عن مملكته محذور الصروف والغوائل؛ وأقام منه لمناسبة الخلافة مخلصا جمع فيه أسباب المناقب والفضائل؛ وأيده بالتوفيق في قوله وفعله فأرّب على الأواحر والأوائل؛ ودلّت سيرته الفاضلة على أنه قد عمّر ما بين الله وبينه؛ وحكمت سنته العادلة أن كلّ مدح لا يبلغ ثناءه وكلّ وصف لا يقع إلّا دونه؛ والله يضاعف نعمه عنده ولديه، ويفتح لأمر المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها على يديه؛ وهذا يحقّق أن الإسلام قد أحدث له قوة وتمكينا، وأن دوى الإيمان قد ازدادوا إيمانا واستبصارا ويقينا؛ فيجب عليكم لأمر المؤمنين أن تدخلوا في بيعته منشرحة صدوركم، طيبة نفوسكم؛ مجتهدين له في خدمة تقابلون بها إحسانه، متقرّبين إليه بمناجحة تحظيكم عند الله سبحانه؛ عاملين بشرائط البيعة المأخوذة على أمثالكم الذين يتبعون في فعلهم، ويقع الإجماع بمثلهم؛ ولكم على أمير المؤمنين أن يكون بكم رحيا، وعن الصغائر متجاوزا كريما، وبالكافة رؤونا رفيقا؛ وعلى الرعايا عطفوا شفيقا، وأن يصفح عن المسيء ما لم يأت كبيره، ويبالغ في الإحسان إلى من أحسن السيرة؛ ويؤيّل من الإفضال ما يستخلص الضمائر، ويسبغ من الإنعام ما يقتضى لقاء السرائر؛ وأمير المؤمنين يسأل الله أن يعرفكم بركة إمامته، ويؤمن خلافة؛ وأن يجعلها ضامنة بلوغ المطالب، كافلة لكم بركة بسعادة المبادئ والعواقب؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المذهب الثالث

(أن تُفتَح البيعةُ بعدَ البسملةِ بِحُطْبَةٍ مَفْتُوحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ،

ثم يُؤْتَى بِالْبُعْدِيَّةِ وَيُخَلَّصُ إِلَى الْمَقْصُودِ ، وَقَدْ يُذَكِّرُ السُّلْطَانُ الْقَائِمُ بِهَا

وَقَدْ لَا يُذَكَّرُ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَكْتُبُ بَيْعَاتُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ

بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمَنْ أَدَّعَى الْخِلَافَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ)

وهذه نسخةُ بَيْعَةٍ كَتَبَ بِهَا طَاهِرُ الْأَنْدَلُسِيِّ ، فِي أَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِ دَانِيَّةَ
مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، لِلرَّشِيدِ بْنِ الْمَأْمُونِ الْأُمَوِيِّ ، وَهُوَ مُتَصِيبٌ فِي الْخِلَافَةِ : تَخَلَّفَتْ
تَوْهُمُهُ مِنَ الرِّعْيَةِ . أَقْتَصَرَ فِيهَا عَلَى تَحْمِيدَةِ وَاحِدَةٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا تَعَرُّضٌ لِسُلْطَانٍ قَائِمٍ
بِعَقْدِهَا ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ لِنِعَامِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَسَوَّغَ لِفَضَالِهِ هَامِلًا وَهَامِرًا ، وَأَعْجَزَ
عَنْ وَصْفِ إِحْسَانِهِ نَاطِلًا وَنَازِلًا ، وَقَهَرَ الْخَلْقَ نَاهِيًا وَآمِرًا ، وَتَعَالَى جَدُّهُ فَلَا تَرَى لَهُ
مُضَاهِيًا وَلَا مُظَاهِرًا ، وَلَا مُوَازِيًا وَلَا مُوَازِرًا ، وَنَصَرَ الْحَقَّ وَكَفَى بِهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِهِ
نَاصِرًا ، وَجَعَلَ جَدَّ الْمَطِيعِ صَاعِدًا وَجَدَّ الْعَصِيِّ عَاطِرًا ، وَحَدَّرَ مِنَ الْخِلَافِ بَادِيًا
وَحَاضِرًا ، وَمَاضِيًا وَغَائِبًا .

نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ حَمْدَ مَنْ أَصْبَحَ لِعُلَاقِ الْحَمْدِ ذَاخِرًا ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى مَنِّهِ وَلَنْ
يُعْدِمَ الْمَزِيدَ مِنْهُ شَاكِرًا ، وَنُضَرِّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ حِظَّنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْإِعْتِصَامِ وَافِرًا ،
وَوَجْهَ نَيْتِنَا فِي الْأَنْتِظَامِ سَافِرًا ، وَأَنْ يَمْنَحَ أَوْلِيَاءَهُ النَّصَرَ ظَاهِرًا وَالْفَتْحَ بَاهِرًا ، وَأَعْدَاءَهُ
الرُّعْبَ شَاجِيًا وَالرُّخَّ شَاجِرًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ أَقْزَلِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ
صَافِرًا ، وَأُصْنِي لِأَوَامِرِهِ مِمْتِلًا وَلِنَوَاهِيهِ مُحَازِرًا ، وَنُسَائِلُهُ أَنْ يَجْعَلَ حَرْبَ الْإِيمَانِ

ظافراً، ويمدّه بصره طالباً للثأر بآثراً، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الذى انتخبه من صفوة الصفوة كابراً فكابراً، وجعله بالفضيلة أولاً وبالرسالة آخراً؛ فاقطع بالدعاية ساهياً وناسياً وسكن بعد الإبانة منافياً ومنافراً، وأذهب بنوره ليلاً من الجهالة سائراً، وقام بجهاد الكفرة ليثاً خادراً، وباشر بنفسه المكاره دارعاً وحاسراً، وشهد بذراً مبادراً، وحينئذ منيراً بالخبر نادراً، وظهر عليهم فى كل المشاهد غالباً وما ظهروا نادراً، وعلى الله وأصحابه الذين منهم صاحبه وخليفته، المعلومة رأفته، أبو بكر الذى أفتح لهول الردّة مصابراً، وسلّ فى قتال الروم أهل الجلد والشدة سيفاً باتراً، ومنهم القوى فى ذات الله عمر الذى أصبح به ربّع الإسلام عامراً، ولم يحش فى الله عاذلاً ولم يرج غادراً، ومنهم الأصدق حياءً عثمان ملاقى البلوى صابراً، والخفير الذى لم ير للأدمة خافراً، ومنهم أقضاهم على الذى قاتل باغيّاً وكافراً، وبات لخوف الله ساهراً، ورضى الله عن الإمام المهديّ الذى أطلعه نوراً باهراً، وبحراً للمعلم زائحاً، وأتى به والضلال يمحّو رسته سادراً، والباطل يثبّت وينفى وإردا وصادراً، فحدد رسم الحق وكان دائراً، وقام بأرائه علماً هادياً وقرماً هادراً، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين من أصبح خائداً عن الحق جائراً، المجاهدين خائلاً بالعهد خائراً.

أما بعد، فإن الله سبحانه جعل الإمامة للناس عظمة، ومنجاة من ريب الالتباس ونعمة، بها يتمهد همارة الأرض، ويثبّد صلاح الكلّ والبعض، ولولاها ظهر الخلل، واختلط المرعى والمسل، وأرتكبت المآثم، واستديحت المحارم، واستحلت المظالم، واستقم من المظلوم الظالم، وفسد الائتلاف وأفرق النظام، وتساوى الحلال والحرام، فأختار لأمرهم رعاة أمرهم بالعدل فعدلوا، وبالتواضع

فِي ذَاتِ اللَّهِ وَالتَّقَاطُعِ فَقَطَعُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَوَصَلُوا ؛ وَعَدَلُوا بَيْنَ أَهْلِهِمْ وَأَقْرَبِيهِمْ
 فِيمَا وَثُّوا ، وَنَهَضُوا بِأَعْبَاءِ الْكِفَايَةِ وَالْحِمَايَةِ وَاسْتَقْلَبُوا ؛ وَالرُّمُحَ الْإِتِّفَاقَ وَالْإِتِّقَادَ ،
 وَحَظَرَ عَلَيْهِمُ الْإِنْسِتَاقَ وَالْعِنَادَ ؛ فَمَلَكُوا بِأَزْمَةِ الْعَقْلِ قِيَادَ الْأُمُورِ ، وَأَشْرَقَتْ بِسِيرَتِهِمُ
 الْمُبَارَكَةِ أَقَاصِي الْمَعْمُورِ ؛ وَشَاهَدَ النَّاسُ فَوَاضِلَ إِمَامِهِمْ ، وَتَيَّنُوا مِنْ سِيرَتِهِمُ الْعَادِلَةَ
 عُلُوَّ مَحَلَّتِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ وَمَقَامِهِمْ ؛ وَلَمْ يُطْرَقْ فِي مُدَّتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ جَنَابٌ ، وَلَا أَقْتَحَمَ
 لَهُ بَابٌ ؛ وَاثْنِي وَسُوفُهُمْ تَقَطَّرَ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ ، وَبِلَادُهُمْ سَاكِنَةُ الدِّهْمَاءِ ،
 وَالْكَفَرَةُ بِالرُّعْبِ الْخَامِرِ وَالدَّاءِ الْعِيَاءِ ؛ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ ، يَجْرُونَ ذُيُولَ الْعَزَائِمِ ، وَعَبْدَةُ
 الصُّلْبَانِ ، يَعْثُرُونَ فِي ذَيْلِ الْهَوَانِ الدَّائِمِ ؛ إِلَى أَنْ عَدِمَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ بِحَارَهَا الزَّوَانِحَ ،
 وَأَنْوَارَهَا الْبَوَاهِرَ ، وَرَأَتْ بَعْدَهُمُ الْعَيْنُ الْفَوَاقِيَّ وَالْمُنُونِ الْفَوَاقِرَ ؛ وَأَكْفَهَرَّ وَجْهُ
 اللَّأْوَاءِ ، وَتَفَرَّقَتِ الذَّرَقُ بِحَسَبِ الْأَهْوَاءِ ؛ وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ ، وَرُكِبَتِ الْمَضَلَّةُ الْعَمِيَاءُ ؛
 وَأَحْتَقِبَتِ الْجَوَائِرُ ، وَأَهْمِلَ الشَّرْعُ وَالشَّعَائِرُ ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدْنَى فِي كَشْفِ
 الْكُرْبِ ، وَأَطْلَعَ بِالْغَرْبِ نُورًا مَلَأَ الدُّنْيَا إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ؛ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي أَضَاءَ
 لِلْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَطَلَعَ عَلَى الْآفَاقِ طُلُوعَ النَّهَارِ ، وَذَهَبَتْ أَيَّامُهُ السَّعِيدَةُ لِدَرْكِ
 النَّارِ ؛ وَكَلِفَتْ بِهِ الْخِلَافَةُ وَطَالَ بِهَا كَلْفُهُ ، وَقَامَ بِالْإِمَامَةِ مِثْلَ مَا قَامَ بِهَا الْخُلَفَاءُ
 الرَّاشِدُونَ سَلَفُهُ ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ بِاللَّهِ آئِبُ الْخُلَفَاءِ
 الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَخَلَّدَ فِي عَقِبِهِمُ الْإِمَامَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَهُوَ
 الْأَسَدُ الْهَاصِرُ ، وَنَ ابْنُ الْهَاصِرِ وَجَدَهُ الْمُنْصُورَ ؛ الْعَرِيقُ فِي الْخِلَافَةِ ، وَالْحَقِيقُ
 بِالْإِمَامَةِ وَالْإِنَافَةِ ؛ جَمَعَ مَا افْتَرَقَ ، وَنَظَّمَ الْأُمُورَ وَتَسَّقَ ؛ وَمَنْعَ الْحَوْزَةَ أَنْ تُطْرَقَ
 وَالْمَلَّةَ أَنْ تَفْتَرِقَ أَوْ تُفَرَّقَ .



وهذه نسخة بيعه كتب بها أبو المطرف بن عُمَيْرَة الأندلسي بأخذ البيعة على أهل شاطبة من الأندلس لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي ، قام بعقدتها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود صاحب الأندلس ، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفسه ، وأن يكون أبنته ولي عهده بعده ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأرض قَرَارًا ، وأرسل السماء مِذْرَارًا ، وسخر ليلًا ونهارًا ، وقدر آجالًا وأعمارًا ، وخلق الخلق أطوارًا ، وجعل لهم إرادةً واختيارًا ، وأوحى لهم تفكيرًا واعتبارًا ، وتعاهدهم برحمته صغارًا وكبارًا .

نحمده حمد من يرجو له وقارًا ، ونبرأ من عانده استنكارًا ، وألحد في آياته سفاهةً وأغترارًا ، وصلى الله على سيدنا محمد الشريف نجارًا ، السامي فخارًا ؛ فرفع الله من شريعته للأمة منارًا ، وأطفأ برسائله للشرك نارًا ؛ حتى علا الإسلام مقدارًا ، وعزَّ جارا ودارًا ؛ وأذعن الكفر اضطرابًا ، وأستسلم ذلةً وصغارًا ؛ ففضى وقد ملأ البسيطة أنوارًا ، وعمها بدعوته أنجادًا وأغوارًا ؛ وأوجب لولاة العهد بعده طاعةً وأتمارًا ، فجازه الله أفضل ماجزى نبيًا مختارًا ، ورسولًا أجتباه أخيصاصًا وإيثارًا ؛ صلى الله عليه وعلى آله الطيبين آثارًا واختيارًا ، وعلى أصحابه الكرام مهاجرين وأنصارًا ؛ صلاة نوايلها إعلانا وإسرارًا ؛ وزجوها مغفرة ربنا إنه كان غفارًا .

أما بعدُ ، فإنَّ المستأثر بالدوام ، اللطيف بالآنام ؛ أنشأهم على التغير والتباين ، واضطربهم إلى التجاور والتعاون ؛ وجعل لهم مصلحة الاشتراك ، ومنفعة الالتحام

والإشتباك ؛ طريقاً إلى الأفضل في حياتهم ، والأسعد لغاياتهم ؛ وبعث النبيين
مرغبين ومحدّرين ، ومبشرين ومُنذرين ؛ فأدّوا عنه ما حُمِّل ، وابتنوا ما حُرِّم وحلّل ؛
وكان أعمهم دَعْوُهُ ، وأوثقهم عُرْوُهُ ؛ وأعلامهم في المنزلة عنده ذِروُهُ ، وأعطفهم
للقلوب وهي كالْحِجَارَةِ أو أشدَّ قسوّهُ ؛ المخصوص بالمقام المحمود ، والحوّض
المورود ؛ وشفاعة اليوم المشهود ، ولواء الحمد المعقود ؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم
أفضل صلاة تُقضى إلى الظلّ المدود ، وتبلغنا من شفاعته أفضل موعود ؛ بعثه الله
للأحمر والأسود ، والأدنى والأبعد ؛ فصَدَعَ بأمره وظلام الليل غير مُنْجَاب ،
والدّاعي إلى الله غير مُجَاب ؛ وأهل الجاهليّة كثير عددهم ، شديد جلدتهم ، بعيد
في الضلالة والغواية أمدهم ؛ فسلك من هدايتهم سيلاً ، وصبر لهم صبراً جميلاً ،
يُحِبُّ صلاحهم وهم العدو ، ويلين لهم إذا جدّ بهم العُتُو ، ويجهّد في إظهار دينه
ولدين الله الظهور والعلو ؛ حتى آنقأوا بين سابق سبقت له السّعادة ، ولاحق
تداركته المشيئة والإرادة ؛ ولما رُفِعَت راية الإسلام ، وشفعت حُجّة الكتاب حُجّة
الإسلام ؛ ودُعِيَ الناس إلى اتّزام الأحكام ، ونُهِوا عن الاستقسام بالأزلام ، أُخْتُوا^(١)
إلى ربِّ المعبود ، وأشفقوا من تعدّي الحدود ، ووعظوا في الإيمان والعُود ؛ فأتمروا
للشرع حين أمر ، وخافوا وخامه من إذا عاهد غدر ؛ فكان الرجل يدعُ الخوض
فيما لا يعلمه ، ويترك حقّه لأجل عيّن تلزمه ، وسُرِعت الإيمان في كلّ فنٍّ بحسب
المحلف عليه ، وعلى قدر الحاجة إليه ؛ فواحدة في المال لحقّ الأداء ، وأربع خمسة
عند مُلاعنة النساء ، وخمسون انتهى إليها في أحكام الدماء ، فتوثق للحدود على
مقاديرها ، وجرّت أمور العبادات والمعاملات على أفضل تقديرها ؛ وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم والعدل قائم ، والشرع على القوى والضعيف حاكم ، والربُّ

(١) لعل المراد بالأول الدين وبالثاني الاتقياء إن لم يكن مصحفاً عن الاستسلام .

جَلَّ جَلَالُهُ بِمَا تُخْفَى الصُّدُورُ عَالَمٌ ؛ وَقَامَ بَعْدَهُ الْخَلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ أَرْكَانُ الدِّينِ ،
وَأَعْضَادُ الْحَقِّ الْمُبِينِ ؛ يَجْلُونَ النَّاسَ عَلَى سَنَنِهِ الْوَاضِحِ ؛ وَيَقْدُونَ أُمُورَ الْمَصَالِحِ ،
وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الْأَحْكَامِ وَقُوفًا مَعَ الظَّاهِرِ وَتَرْجِيحًا لِلرَّاحِ ؛ وَكَانُوا يَتَوَقَّفُونَ فِي بَعْضِ
الْأَحْيَانِ ، وَيَطْلُبُونَ لِلشُّبْهِ وَجْهَ الْبَيَانِ ، وَيَسْتَظْهِرُونَ عَلَى تَحْقِيقِ كَثِيرٍ مِنَ الْوَقَائِعِ
بِالْإِيمَانِ ؛ حَتَّى كَانَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ يَسْتَنْبِطُ فِي الدَّرَايَةِ ، وَيَسْتَحْلِفُ الرَّاوِيَّ
عَلَى الرَّوَايَةِ ؛ وَمَا تَرَكَ ذَلِكَ أَحَدٌ ، وَلَا أَعُوْزُهُ مِنَ الشَّرْعِ مُسْتَنْبَدٌ ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَهْمَةً
بِالْعَدْلِ قَضَوْا ، وَعَلَى سَبِيلِهِ مَضَوْا ، وَالسَّيْرَةُ الْجَلِيلَةُ تَخَيَّرُوا وَأَرْتَضَوْا ؛ وَعَنْ سَيِّدِ
الْأَنْبِيَاءِ ، وَمُسْتَنْزِلِ دَرِّ الْعَالَمِ ، عَمِ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ الْحَامِي الْحَدِّبِ ،
وَالْمُعْقِلِ الْأَشْبِيبِ ؛ وَالغَيْثِ الْهَامِلِ الْمُنْسَكِبِ ، أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛
وَعَنْ الْفَائِزِينَ بِالرُّتْبَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَالصُّحْبَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَالْمَنَاقِبِ الْعَظِيمَةِ ؛ بِدُورِ الظَّلَامِ
وَبُحُورِ الْحَكَمِ ، وَصُدُورِ أُنْدِيَةِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ؛ وَشِيَارِ صَحَابِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ
أَسْلَمُوا عَلَى عَمْرِهِ ، وَأَسْلَفُوا جِدًّا فِي نَصْرِهِ ، وَأَدْرَكُوا مِنْ بَرَكَةِ عِيَانِهِ وَزَمَانِهِ مَا لَمْ يَدْرِكْ
لِحَصْرِهِ ؛ كَرَّمَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُمْ ، وَأَجَزَلَ ثَوَابَهُمْ ، وَشَكَرَهُمْ صَبْرَهُمْ وَأَحْسَنَ أَسْمَاءَهُمْ ؛ فَلَقَدْ عَقَدُوا
نِيَّةَ الصَّدَقِ عِنْدَ قِيَامِهِمْ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْإِطَاقَةِ ، وَاسْتَبَاحُوا صَلَاةَ الشُّكْرِ حِينَ رَفَعُوا
حَدَّثَ الرِّدَّةِ وَأَرَأَوْا سُورَ الشَّرْكِ وَقَدْ اسْتَحَقَّ بِنَجَاسَتِهِ الْإِرَاقَةَ ، وَأَثَرُوا كَسْرِي زَيْلَتَهُ
فَأَبْرَزُواهَا عَلَى سُرَاقَةٍ ؛ فَرَأَوْا عِيَانًا مَا أَخْبَرَهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَمَلَكُوا مَا رَوَى لَهُ مِنْهَا
فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ بِحَقِّهِ الْمُبِينِ ؛ وَذَهَبُوا فَاطْلَمَتِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَتَكَرَّرَتِ الْمَعَارِفُ
لِفَقْدِهِمْ ، وَاخْتَلَطَ الْحَمَلُ وَالْمَرْعَى ، وَتَشَابَهَ الصَّرِيحُ وَالِدَّعَى ؛ وَنَارَتِ الْفِتْنُ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ ، وَصَارَتِ الْحَقُوقُ نُهْبَةً [كُلِّ] نَاهِبٍ ؛ وَلَمَّا بَرِحَتِ الْعُهُودُ ، وَتَعَدَّتْ

(١) مراده على عهد النبي وفي زمنه .

(٢) لعله ولم تترك العهود . تأمل .

الحُدُودُ ؛ بَلَغَ الْوَقْتُ الْمَحْدُودَ ، وَطَلَعَتْ بَيَاضُ الْعَدْلِ الرَّايَاتُ السُّودُ ؛ تَحْتَمَا سَادَاتُ
النَّاسِ ، وَذَادَةُ مَوْقِفِ الْبَاسِ ؛ وَشَهَبُ الْيَوْمِ الْعَمَّاسُ ، وَجُجِبُ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مِنْ
بَنِي الْعَبَّاسِ ؛ فَأَعَادُوا إِلَى الْأَمْرِ رَوْقَهُ ، وَنَفَوْا عَنِ الصَّفُورِ نَقَهُ ، وَحَمَوْا حَرَمَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَحْيَوْا سُنَّةَ ابْنِ عَمَّتِهِمْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَأَصْبَحَتْ الْأُمُورُ مَضْبُوطَةً ،
وَالثُّغُورُ مَحْصُوطَةً ؛ وَالسُّبُلُ آمِنَةً ، وَالرَّعِيَّةُ فِي ظِلِّ الْعَدْلِ وَالْأَمْنِ سَاكِتَةً ؛ وَكَانَ النَّاسُ
قَبْلَهُمْ قَدْ رَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ ، وَامْتَطَوْا الْحَزْنَ وَالسَّهُولَ ؛ فَوَثِقُوا مِنْهُمْ بِطَائِعِهِمْ ،
وَأَسْتَحْلَفُوهُمْ عَلَى بَيْعَاتِهِمْ ؛ ذَلِكَ بَأْنَهُمُ أَلْزَمُوهُمْ مِنْهَا وَاجِبًا عَلَى الْقَطْعِ ، لَازِمًا بِالْإِزَامِ
الشَّرْعِ ؛ وَوَجَدُوا لِمَصْلَحَةِ الْإِرْتِبَاطِ بِالْإِيمَانِ شَوَاهِدَ مِنَ الْآثَارِ الْمُقْبُولَةِ ، وَالْأَصُولِ
الْمُقْبُولَةِ ؛ وَمَنْ أُعْطِيَ مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ مَا عَلَيْهَا ، وَرَاعَى جَمْلَةَ الْمَصَالِحِ وَكُلَّ مَا تَطَرَّقَ
إِلَيْهَا ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ فِي سَعَةٍ مِنْ هَذَا التَّكْلِيفِ الْمُسْتَعِدِّ إِلَى الْآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ ،
الِدَاخِلِ فِي أَقْسَامِ الْمَصَالِحِ الْمَرْغِيَّةِ ؛ كَمَا سَلَفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ ؛ أَبَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ابْنِ عَمِّ سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

لَمَّا دَعَا النَّاسَ بِالْمُلْكَةِ الْقُلَانِيَّةِ حَمَاهَا اللَّهُ إِلَى مُجْتَبَاهِ الْقَوِيَّةِ ، وَأَمْرَتِهِمُ الْهَاشِمِيَّةِ ؛
مَجَاهِدُ الدِّينِ ، بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، جَمَالَ الْإِسْلَامِ ، مَجْدُ الْأَنَامِ ، تَاجُ خَوَاصِّ
الْإِمَامِ ؛ نَغْرُ مَلُوكِهِ ، شَرَفُ أَمْرَائِهِ ؛ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُودَ ، أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَهُ ، وَنَصَرَ أَعْلَامَهُ ؛ وَقَامَ لِذَلِكَ مُتَوَحِّدًا
الْمَقَامَ الْكَرِيمَ ، مَشْمُورًا عَنْ سَاعِدِ التَّضَمُّيمِ ؛ مَاضِيًا عَلَى الْهَوْلِ مَضَاءَ الْحُسَامِ
الْقَاضِبِ ، غَاضِبًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرِضَاهُ عَلَى غَايَةِ هَذَا الْغَاضِبِ ؛ مَالَتْ إِلَيْهِ الْأَجْيَادُ ،
وَأَتَنَالَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ؛ فَانْتَظَمَ هَا مَدِينَةُ مَدِينَةٍ ، وَجَعَلَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ شَرِيعَةً
مَنْبِيعَةً وَذَرِيعَةً مُعِينَةً ؛ وَتَقَدَّمَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ
قَاطِبَةً لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ

أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين؛ وكان له في ذلك المرام السعيد، والمقام الحميد، والقدم^(١) الذي رضى إبداءه وإعادته المبدئ المعيد؛ وخطب الديوان العزيز النبوي - خلد الله شرفه - متضرعاً لوسائل خدمته، متعزضاً لعواطف رحمته؛ وبعث رسوله على أصدق رجاء في القبول، وأثبت أمل في الإسعاف بالأمول؛ وأثناء هذه الإرادة القويمة، والسعادة الكريمة؛ تفاوض أهل البلاد في توثيق عقدهم للسلطان فلان المشار إليه الذي هو حكم من أحكام الإجماع المتعقد، وأصل أفضى إليه نظر الناظر وأجتهاد المجتهد؛ إذ أجالوا الأمر فيما يزيد وثاقه، ويكسو وجهه على الأيام بشراً وطلاقة؛ ويجعل القلوب مطمئنة برسوخه في الأعقاب، وثبوته على الأحقاب؛ فلم يروا رأياً أسد، ولا عملاً أحصف وأشد؛ من أن يطلبوه بعقد البيعة لابنه الوائى بالله المعصم به أبى بكر محمد بن مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، على أن يكون ولي عهدهم مدة والده مد الله في حياته، وأميرهم عند الأجل الذي لأبد من موافاته؛ فامضى لهم ذلك من اتفاقهم، وأثبتوا على ما شرطته بيعته في أعناقهم؛ وبعد ذلك أتى صولة الإسلام، وصلة دار السلام؛ وورد رسول مثابة الجلاله، ونيابة الرسالة؛ وملتزم الملائك، ومعتمص الممالك؛ ومعه الكتاب الذي هو نص أغنى عن القياس، بل هو نور يمشى به في الناس؛ وأدى إلى السلطان فلان المشار إليه من تشریف الديوان العزيز النبوي ماوسمه من الفخار بأجل وشبه، وقلده السيف الصارم وسماه باسمه؛ فلاقى السيفان المضروب والضارب، وأشتبه الوصفان الماضى والقاضى؛ وبرزت تلك الخلج فايض وجه الإسلام من سوادها، ووضع الكتاب فكادت المنابر تسعى إليه شوقاً من أعوادها؛ وقرئت وصايا الإمام، على الأنام؛ فعلموا أنها من تراث الرسالة،

(١) ذكر القدم لأنه بمعنى السبق تأمل .

وقالوا : كَافِلُ الإِسْلَامِ جَدَّدَ لَهُ بِهَذَا الصَّفْعِ الْغَرِيبِ حُكْمَ الْكَفَالَةِ ؛ وَسَمِعُوا مِنْ
التَّقْدِيمِ بِإِنصَافِهِمْ ، وَالتَّهَمُّ بِمَوَاسِطِهِمْ وَأَطْرَافِهِمْ ؛ جُمْلًا عَقَرُوا لَهَا الْحَبَاهُ جُودًا
بِالْجَهْدِ ، وَسَجَدُوا لِلشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ؛ فَأَدْرَكُوا مِنْ بَرَكَةِ الْمَشَاهِدِ اثْمَتَ شَرَفٍ وَأَبْقَاءَ ،
وَرَأَوْا حَقِيقَةَ مَا كَادَتْ الْأَوْهَامُ تُزَوِّلُ عَنْ مَرْفَاقِهِ ؛ وَأَزْدَادًاوَا يَقِينًا بِفَضْلِ مَا صَارُوا
إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا عَيْنَانَا يَمُنَّ مَا بَايَعُوا عَلَيْهِ ؛ فَتَوَافَتْ طَوَائِفُهُمْ الْمَتَّبِعَةُ ، وَجَمَاهِيرُهُمُ
الْمَجْمُوعَةُ ؛ يَدَارًا إِلَى الْمَرَاضِي السَّرِيفَةِ ، وَبِنَاءً عَلَى وَصَايَا عَهْدِ الْخَلِيفَةِ ، أَنْ يُجَدِّدُوا
الْبَيْعَةَ لِمَجَاهِدِ الدِّينِ ، سَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَوَلَّى اللَّهُ عَضُدَهُ ؛ وَلَا بَنِيهِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ
الْمُعْتَصِمِ بِهِ أَنْهَضَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ ؛ وَلَمْ تَعُدْ أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ الطَّارِئَةُ شَرْطًا فِي تَقْرِيرِ
الْإِمْرَةِ الْمُؤَدَّاةِ وَإِثْبَاتِهَا ، أَوْ جَارِيَةٍ تَجْرِي السَّنْبُ التِّي يُؤَمِّرُ الْمَصْلَى بِالْإِعَادَةِ عِنْدَ
فَوَاتِهَا ؛ فَأَعَادُوا بَيْعَتَهُ أَدَاءً لِلْفَرِيضَةِ وَرَجَاءً لِلْفَضِيلَةِ ؛ وَاسْتَدْنَدُوا إِلَى الْإِشَارَاتِ
الْجَلِيلَةِ ، بَعْدَ الْإِسْتِخَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ؛ وَرَأَوْا أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا عَادَةَ الْبَيْعَاتِ الْعِبَاسِيَّةِ ،
وَاتَّخَذُوا حُكْمَ الْأَصْلِ طَرِيقَ الْإِلْحَاقَاتِ الْقِيَاسِيَّةِ ؛ فَبَايَعُوا عَلَى تَذَكُّرِ بَيْعَةِ أَكْثَرِهَا
بِالْعُهُودِ الْمُسْتَحْفَظَةِ ، وَوَقَّفُوهَا بِالْإِيمَانِ الْمَغْلَظَةِ ؛ وَبَادَرُوا بِهَا نِدَاءً مُنَادِيَهُمْ ، وَأَعْطَوْا
عَلَى الْإِضْفَاقِ بِهَا صَفْقَةً أَيْدِيَهُمْ .

وَلَمَّا أَتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ أَهْلِ فَلَانَةِ وَجْهَاتِهَا ، رَأَوْا أَنْ يَخْلِفَ مِنْ سَبَقِ ،
وَيَصْدُقُوا النَّيَّةَ مَعَ مَنْ صَدَقَ ، وَيَعْقِدُوا مَا عَقَدُوهُ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الْعَهْدُ الشَّرِيفُ
وَنَطَقَ ؛ فَخَضَرُ مِنْهُمْ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ ، وَالْأَجْنَادُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ ، وَالْكَافَّةُ عَلَى
تَبَايُنِهِمْ فِي الْمَرَاتِبِ ، وَتَفَاوُثِهِمْ فِي الْمَنَاصِبِ ، وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَوَاطِنِ وَالْمَكَاسِبِ ؛
فَامْضَوْهَا بَيْعَةً كَرِيمَةَ الْمَقَاصِدِ ، سَلِيمَةَ الْمَعَاقِدِ ؛ عَهْدًا مُحْكَمًا ، وَعَقْدًا مُبَرَّمًا ؛
وَمَوْجِبًا طَاعَةً وَسَمْعًا ، وَالتَّقِيدَ بِهَا سُنَّةً وَشَرْعًا ؛ وَيَعْمُرُونَ بِهَا أَسْرَارَهُمْ ، وَيَقْنُونَ
عَلَيْهَا أَعْمَارَهُمْ ؛ وَيَدِينُونَ بِهَا فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ ، وَرَبْحٍ وَخُسْرٍ ؛ وَضِيقٍ وَرَفَاهِيَةٍ ، وَحُبَّةٍ

وَكَرَاهِيَهُ ؛ تَبَرَّعُوا بِذَلِكَ كُلَّهُ طَوْعًا ، وَاسْتَوْفَوْهُ فَضْلًا فَضْلًا وَنَوْعًا نَوْعًا ؛ وَعَاهَدُوا عَلَيْهِ
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ؛ وَأَضْمَرُوا مِنْهَا عَلَى مَا أَبْرَعَ عَلَى الظَّاهِرِ وَأَوْفَى ؛ وَتَقَبَّلُوا مِنْ
الْوَفَاءِ بِهِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ خَلِيلَهُ إِذْ قَالَ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، وَبِمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ الْكَرَامِ مِنَ
الْعُهُودِ الْمُؤَكَّدَةِ ، وَالْمَوَاقِفِ الْمُشَدَّدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ حَادُوا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَأَنْقَادُوا
لِدَاعِي التَّخْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ؛ فَهُمْ بُرَاءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ ،
تَارِكُونَ ذِمَّتَهُ الْوَافِيَةَ لَذِمَّتِهِمْ ؛ وَالْأَيْمَانَ كُلَّهَا لَازِمَةً لَهُمْ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ ،
وَطَلَّاقِ كُلِّ امْرَأَةٍ فِي مِلْكِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَازِمٌ لَهُمْ ثَلَاثًا ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا
فِي الْبِلَادِ الْفُلَانِيَّةِ فَطَلَّاقُهَا لَازِمٌ لَهُ ، كُلُّمَا تَزَوَّجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَاحِدَةً خَرَجَتْ طَالِقًا
ثَلَاثًا ؛ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، مُحْرِمًا مِنْ مَنَزِلِهِ
بِحُجَّةِ كَفَّارَةٍ لِأُجْحَازٍ عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَعِيِيدُهُمْ وَأَرْقَاؤُهُمْ عُقُودٌ لَاحِقُونَ بِأَحْرَارِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَجَمِيعُ أَمْوَالِهِمْ عَيْنًا وَعَرْضًا ، حَيَوَانًا وَأَرْضًا ، وَسَائِرُ مَا يَحْيِيهِ الْمُتَمَلِّكُ
كُلًّا وَبَعْضًا ، صَدَقَةٌ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَاشَى عَشْرَةَ دَنَانِيرَ . كُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَشَدِّ
مَذَاهِبِ الْفَتَوَى ، وَأَلْزَمَهَا لِكَلِمَةِ التَّقْوَى ؛ وَأَبْعَدُهَا مِنْ مَخَالَفَةِ الْهَوَى وَالظَّاهِرِ
وَالْفَحْشَى ؛ أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَا الْخِلَافَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَالْفُلَانِيَّةِ (بَلَقِيَ السُّلْطَنَةُ) لِلسُّلْطَانِ
وَوَلَدِهِ الْمَاخُودِ لَهَا الْبَيْعَةُ بَعْدَ بَيْعَتِهِ ، وَأَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَكَفَى بِذَلِكَ اعْتِرَامًا
وَأَيْتَامًا ، وَشَدَّ الْمَا أَمْرَهُ وَاجْتِمَاعًا : ﴿ مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . وَهُمْ يَرْفَعُونَ دَعَاءَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَضَرُّعًا وَاسْتِسْلَامًا ،
وَيَسْأَلُونَهُ عِصْمَةً وَكَفَايَةً أَفْتِيحًا وَاجْتِمَاعًا ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَنْقَذْنَا هَذَا الْعَقْدَ اقْتِدَاءً
وَأَهْتِمَامًا ، وَقَضَيْنَا حَقَّهُ إِكْمَالًا وَإِتْمَامًا ، وَأَسْلَمْنَا وَجْهَنَا إِلَيْكَ إِسْلَامًا ؛ فَعَرَّفْنَا
مِنْ خَيْرِهِ وَبَرَكَتِهِ نَمَاءً وَدَوَامًا ، وَأَكْلَانًا بَعِيْنِكَ حَرَكَةً وَسُكُونًا وَبِقِطْعَةٍ وَمَمَامًا :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْعَالَمِينَ إِمَامًا ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
مُنْتَهَى الرِّغْبَاتِ ، وَجِبُّ الدَّعَوَاتِ ، وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على موت خليفة ، أنشأها على هذه الطريقة لموافقتها
رَأَى كُتَّابُ الزَّمَانِ فِي افْتِتَاحِ عُهُودِ الْمُلُوكِ عَنْ الْخُلَفَاءِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ
فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَتَعَرَّضْتُ فِيهَا إِلَى قِيَامِ سُلْطَانٍ بِعَقِيدَتِهَا : لِمُطَابَقَةِ
ذَلِكَ لِحَالِ الزَّمَانِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأُمَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ أَبْدَحَ الْأُمَمِ شَرَفًا ، وَأَكْرَمَهَا نِجَارًا وَأَفْضَلَهَا
سَلَفًا ، وَجَعَلَ رُتْبَةَ الْخِلَافَةِ أَعْلَى الرُّتَبِ رُتْبَةً وَأَعَزَّهَا كِتْفًا ، وَخَصَّ الشَّجَرَةَ الطَّيِّبَةَ
مِنْ قُرَيْشٍ بِأَنْ جَعَلَ مِنْهُمْ الْأَئِمَّةَ الْخُلَفَاءَ ، وَأَثَرُ الْأُسْرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْهَا بِذَلِكَ ، دَعْوَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ أَبِي عَمٍّ الْمُصْطَفَى ، وَحَفِظَ بِهِمْ نِظَامَهَا عَلَى الدَّوَامِ فَجَعَلَ مِنْ سَلَفٍ
مِنْهُمْ خَلَفًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ هَيَّأَ مِنْ مَقَدِّمَاتِ الرَّشْدِ مَا طَابَ الزَّمَانُ بِهِ وَصَفَا ، وَجَدَّدَ مِنْ رُسُومِ
الْإِمَامَةِ بِخَيْرِ إِمَامٍ مَادَّرَسَ مِنْهَا وَعَفَا ، وَأَقَامَ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا تَأَرَّجَ الْجُودُ بِنُشْرِهِ فَاصْبَحَ
الْوُجُودُ بِعَرَفِهِ مُعْتَرِفًا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُخْلِصَةً تَمَسِّكُ بِعَهْدِهَا فَوْقًا ،
وَأَعْطَاهَا صَفْقَةً يَدُهُ لِلْبَيَاعَةِ فَلَا يَنْبَغِي عَنْهَا مَصْرُفًا ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
تَدَارَكَ اللَّهُ بِهِ الْعَالَمَ بَعْدَ أَنْ أَشْفَى فَشْفَى ؛ وَنَسَخَتْ آيَةَ دِينِهِ الْأَدْيَانَ وَجَلَّ بِشَرْعِهِ
الْمُنِيرَةِ مِنْ ظُلُمَةِ الْجَهْلِ سَدَقًا ، وَجَعَلَ مُبَايَعَةَ مُبَايَعَةِ اللَّهِ يَأْخُذُهُ بِالنَّكَتِ وَيُؤْفِقُهُ أَيْحَرَهُ
عَلَى الْوَفَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ وَعِثْرَتِهِ الشَّرَفَاءِ ، وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين ليس منهم من عاهد الله ففدروا ولا واد في الله بحفا، خصوصاً من جاء بالصدق
وصدق به فكان له قرابة وصفوّة الصفا، والمرجوع إليه في البيعة يوم السقيفة
بعدما أشرأبت نحوها نفوس كادت تذوب عليها أسفا، والقائم في قتال أهل الردة
من بني حنيفة حتى استقاموا على الحنيفيّة السمحة حنفاً. ومن استحال دلو الخلافه
في يده غرباً فكان أفيده عبقرى قام بأمرها فكفى، وعمت فتوحه الأمصار وحملت
إليه أموالها فلم يمسكها إقتاراً ولم يُبدّر فيها سرفاً. ومن كان فضله لسهم الاختيار
من بين أصحاب الشورى هدفاً، وجمع الناس في القرآن على صحيفه واحدة وكانت
قبل ذلك صحفاً. ومن سرى إليه سر: "أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون
من موسى" فعدا يئتم من ذيل الفخار سجفاً، وأستولى على المكارم من كل جانب
فأز أطرافها طرفاً طرفاً، وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل الحق
ولطريق الهدى أقننى؛ صلاة ورضواناً يذهبان الداء العضال من وخامة الغدر
ويجلبان الشفا، ويرفعان قدر صاحبهما في الدنيا ويؤثان متحلهما من جنات
النعم عرفاً.

أما بعد، فإن عقد الإمامة لمن يقوم بأمر الأمة واجب بالإجماع، مستند لأقوى
دليل تنقطع دون تقضيه الأطماع، وتنبؤ عن سماع ما يخالفه الأسماع؛ إذ العباد
مجبولون على التباين والتفاير، مطبوعون على التحالف والتناصر؛ [مضطرون
إلى التعاون والتجاور، مفتقرون إلى التعاضد والتوازر]؛ فلا بد من زعيم يمنعهم
من التظالم، ويحلبهم على التناصف في التداعى والتحاكم؛ ويقيم الحدود فتصان
الحارم عن الإتهاك، وتحفظ الأنساب عن الاختلاط والإشتراك؛ ويحجى بيضة

الإسلام فَيَمْنَعُ أَنْ تُطْرَقَ ، وَيُصَوِّنُ الثُّغُورَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهَا أَوْ يُطْرَقَ : لِيَعَزَّ
 الإسلامُ داراً ، وَيَظْمِنَ المستَغْنَى لِيلاً وَيَأْمَنَ السَّارِبُ نَهَاراً ، وَيَذُبُّ عَنِ الْحَرَمِ
 فَتَحَرَّمَ ، وَيَذُودُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ فَلَا تُغْشَى بِلَ تَصْطَلَمَ ، وَيُجَهِّزُ الْجِيُوشَ فَتَنْكُ الْعُدُوْ ،
 وَتُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ فَتَمْنَعُهُمُ الْفَرَارَ وَالْهُدُوْ ، وَيُرْغِمُ أَنْفَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةَ وَيَقْمَعُهَا ،
 وَيُدْغِمُ الطَّائِفَةَ الْمُبْسِدَةَ وَيَرْدَعُهَا ، وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحَقِّهَا فَيُطَاوِعُ ،
 وَيَصْرِفُهَا إِلَى مُسْتَحَقِّهَا فَلَا يُنَازِعُ - لِأَجْرَمَ أَعْتَبَرَ لِلْقِيَامِ بِهَا أَكْلَ الشُّرُوطِ وَأَتَمَّ
 الصِّفَاتِ ، وَأَكْرَمَ الشِّمِّ وَأَحْسَنَ السَّمَاتِ .

وكان السيد الأعظم الإمام النبوي ، سليلُ الخلافة ، ووليُّ الإمامة ؛ أبو فلان
 فلان العباسي المتوكل على الله « مثلاً » أمير المؤمنين ، سلك الله تعالى به جدد آبائه
 الراشدين ؛ هو الذي جمع شروطها فوقها ، وأحاطَ منها بصفات الكمال واستوفأها ؛
 ورأى به أدنى مراتبها فبلغت إلى أغياها ، وتسور معاليها ففرق إلى أعلاها ، واتحد
 بها فكان صورتها ومعناها - وكانت الإمامة قد تأيمت من يقوم بأعبائها ، وعزت
 خطبائها لقلَّة أكتفائها ؛ فلم تَلَفْ لها بعلًا يكون لها قريناً ، ولا كُفْفاً تخطبه يكون
 لديها مكيئاً ، إلا الإمام الفلاني المشار إليه ، فدعته لخطبتها وهي بيتُ عرسه :
 « وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ » فأجاب خطبتها ، ولبى دعوته : لتحقِّقه
 رغبته إليه ، وعلمه بوجوب إجابته عليه ؛ إذ هو سبيلُها الناشئ بغاها ، وغياها
 المستمطر من سخاها ؛ بل هو أسدُها المصور ، وقطبُ فلكها الذي عليه تدور ؛
 ومعقلُها الأمانُ الحصين ، وعقدُها الأنفس الثمين ، وفارسُها الأروع وليُّها الشهير ،
 وابنُ بجندها الساقطة منه على الخير ؛ وتلاذُّها العليم بأحوالها ، والحديرُ بمعرفة أقوالها
 وأفعالها ؛ وترجمانها المتكلم بلسانها ، وعالمها المتفنن في أفنانها ، وطبيبها العارف بطبها ،
 ومنجدها الكاشف لكرها .

وحين بلغت من القصد سؤلها ، ونالت بالإجابة منه مأمولها ، وحرّم على غيره أن
يسومها لذلك تلويحا ، أو يعرج على خطبتها تعريضا وتصريحا ، أحتاجت إلى وليّ
يوجب عقدها ، وشهود تحفظ عهدها ، فعندها قام السلطان الأعظم الملك الفلانيّ
(بالألقاب السلطانية إلى آخرها) خلد الله سلطانه ، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه ؛
فانتصب لها وليا ، وأقام يفكر في أمرها مليا ؛ فلم يجد أحق بها منه فتجنب عضلها ،
فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ؛ فجمع أهل الحل والعقد ، المعتزين
للاعتبار والعارفين بالنقد : من القضاة والعلماء ، وأهل الخير والصلحاء ، وأرباب
الرأى والنصحاء ؛ فاستشارهم في ذلك فصوّبوه ، ولم يروا العدول عنه إلى غيره
بوجه من الوجوه ؛ فاستخار الله تعالى وبايعه ، فتبعه أهل الاختيار فبايعوا ، وأنقادوا
لحكمه وطاعوا ؛ فقابل عقدها بالتقبول بحضر من القضاة والشهود فلزمت ، ومضى
حكمها على الصحة وأبرمت . ولما تم عقدها ، وطلع بصبح الثمن سعدتها ، ألتبس
المقام الشريف السلطانيّ الملكيّ الفلانيّ المشار إليه أعلى الله شرف سلطانه ورفع
محلّه ، وقرن بالتوفيق في كلّ أمر عهده وحله ، أن يناله عهدها الوليّ ، ويرد منها
موردّها الصفيّ : ليرفع بذلك عن أهل الدين حجبها ، ويزداد من البيت النبويّ قربا ؛
فتعرض لنفحاتها من مقرّاتها ، وتطلب بركاتها من مظنّاتها ؛ ورغب إلى أمير المؤمنين ،
وآبن عم سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، أن يحدّد له بعهد السلطنة
الشريفة عقدا ، يأخذ له على أهل البيعة بذلك عهدا ؛ ويستحلفهم على الوفاء لها
بما عاهدوا ، والوقوف عند ما بايعوا عليه وعاهدوا : ليقترن السعدان فيعمّ نوءهما ،
ويجتمع الثيران فيبهز ضوءهما ؛ فلبّاه تلبية راغب ، وأجابته إجابة مطلوب وإن كان
هو الطالب ؛ وعهد إليه في كلّ ما تقتضيه أحكام إمامته في الأمة عموماً وشيوعا ،
وفوض له حكم الممالك الإسلاميّة جميعا ؛ وجعل إليه أمر السلطنة المعظمة بكلّ

نَظَاقَ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا وَصَرَفَهُ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَأَقَامَهُ فِي الْأُмَّةِ لِعَهْدِ الْخِلَافَةِ وَصِيًّا ، وَجَعَلَهُ لِلْإِمَامَةِ بِتَقْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَلِيًّا ، وَنَشَرَ عَلَيْهِ لَوَاءَ الْمُلْكِ وَقَلَّدهُ سَيْفَهُ الْعَضْبَ ، وَأَلْبَسَهُ الْخِلْعَةَ السَّودَاءَ فَابْيَضَّ مِنْ سَوَادِهَا وَجْهُ الشَّرِيقِ وَالْغَرْبِ ، وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدًا كَبَتَ عَدُوَّهُ ، وَزَادَ شَرَفَهُ وَضَاعَفَ سُمُوهُ ، وَطُوْلِبَ أَهْلُ الْبَيْعَةِ بِالتَّوْثِيقِ عَلَى الْبَيْعَتَيْنِ بِالْأَيْمَانِ فَادْعَعُوا ، وَاسْتَحْلِفُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَبَالَعُوا فِي الْأَيْمَانِ وَأَمْعَنُوا ، وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ فِي إِسْرَارِهِمْ وَإِعْلَانِهِمْ ، وَأَعْطَوْا الْمَوَائِيقَ الْمَغَالِطَةَ الْمَشْدَّدَةَ ، وَحَلَفُوا بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ الْمَعْقَدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ أَوْ أَدْبَرُوا ، وَبَدَّلُوا فِيهِ أَوْ غَيَّرُوا ، أَوْ عَرَّجُوا عَنْ سَبِيلِهِ أَوْ حَادُوا ، أَوْ تَقَصَّصُوا مِنْهُ أَوْ زَادُوا ، فَكُلُّ مَنْهُمْ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَخَارِجٌ مِنْ ذِمَّتِهِ الْحَصِينَةِ إِلَى ذِمَّتِهِ ، وَكُلُّ أَمْرَاءٍ فِي نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوُجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا ، وَكُلَّمَا رَاجَعَهَا فَهِيَ طَالِقٌ طَلَاقًا لَا يَقْتَضِي إِقَامَةً وَلَا ثَبَاتًا ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ فِي مِلْكِهِ أَوْ يَمْلِكُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حُرٌّ لَاحِقٌ بِأَحْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُلُّ مَا مَلَكَهُ أَوْ يَمْلِكُهُ مِنْ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَعَلَيْهِ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَسَائِرِ الْمَشَاطِرِ الْعِظَامِ ، مُخْرَمًا مِنْ دُورِيَةِ أَهْلِهِ مَاشِيًا ، حَاسِرًا عَنْ رَأْسِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ أَذَى حَافِيًا ، يَأْتِي بِذَلِكَ فِي ثَلَاثِينَ حُجَّةً مُتَابَعَةً عَلَى التَّمَامِ ، لَا تُمَجِّزُهُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِهْدَاءُ مِائَةِ بَدْنَةٍ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ كُلِّ سَنَةٍ عَلَى الدَّوَامِ ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ جَمِيعِ الدَّهْرِ إِلَّا الْمَنْهِيُّ عَنْهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَأَنْ يُفَكَّ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفْرِ فِي كُلِّ عَامٍ ، يَمِينُ كُلِّ مَنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، لَا نِيَّةَ لِلْحَالِفِ فِي ذَلِكَ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَلَا فِي ظَاهِرِهِ ، لَا يُورَى فِي ذَلِكَ وَلَا يَسْتَنَى ، وَلَا يَتَأَوَّلُ وَلَا يَسْتَفْتِي ، وَلَا يَسْعَى فِي تَقْضِهَا ، وَلَا يَخَالِفُ فِيهَا

ولا في بعضها؛ متى جَنَحَ إلى شيءٍ من ذلك كان آثِماً، وما تقدّم من تعقيد الإيمان له لازماً؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يُجْزِئُهُ عن ذلك كفارة أصلاً؛ كلُّ ذلك على أشدّ المذاهب بالتخصيص، وأبعدها عن التساهل والترخيص؛ وأمضوها بيعةً مميّونة، باليمن مبتدأةً بالنجج مقرونة؛ وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس العقد من الأئمة الأعلام، والشهود والحكام؛ وجعلوا الله تعالى على ما يقولون وكيلًا، فاستحقّ عليهم الوفاء بقوله عزّت قدرته: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ . وهم يرغبون إلى الله تعالى أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَثْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بيعة مرتّبة على خلع خليفة، أنشأتها على هذه الطريقة أيضاً، وتعرضت فيها لذكر السلطان القائم بها، على ما تقدّم في البيعة المرتّبة على موت خليفة، وهي :

الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمناً، وأقام سور الإمامة وقايةً للأنام وحصناً؛ وشدّ لها بالعصاة القرشية أزراً وشاد منها بالعصبة العباسية رُكناً؛ وأغاث الخلق بإمام هدى حسن سيرة وصفاً سريرة فراق صورة ورقّ معنى؛ وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن الاتقياد إليه أعلى ولا أدنى؛ ونزع جلبابها عن شغل غيرها فلم يُعْرِها نظراً ولم يُصْنَع لها أدناً، وصرف وجهها عن أساء فيها تصرفاً فلم يرفع بها رأساً ولم يعمر لها معنى .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ حَلَّتْ لِلنَّفُوسِ حِينَ حَلَّتْ ، وَمِنْ جَلَّتِ الْخُطُوبَ حِينَ جَلَّتْ ؛
وَمَسَارَّ سَرَتْ إِلَى الْقُلُوبِ فَسَرَتْ ، وَمَبَارَّ أَقْرَبَتِ الْعُيُونَ فَقَرَّتْ ؛ وَعَوَارِفَ أَمَّتِ
الْخَلِيقَةَ فَتَوَالَتْ وَمَا وَلَّتْ ، وَقَدِمَ صِدْقٍ ثَبَتَتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْخِلَافَةِ فَمَا تَزَلَّتْ
وَلَا زَلَّتْ .

وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَكُونُ لَنَا مِنْ دَرَكِ الشُّكُوكِ
كَالْيَتَمِّ ، وَلِيَهَامُورِ الشُّبْهِ دَارِنَهُ ، وَلِلْقَاصِدِ الْجَمِيلَةِ حَاوِيَهُ ، وَلِشُقَّةِ الزَّيْغِ وَالْإِرْتِيَابِ
ظُلُومِيهِ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي نَصَحَ الْأُمَّةَ إِذْ بَلَغَ فَشْفَى عَلَيْهِمَا ، وَأَوْرَدَهَا
مِنْ مَنَاهِلِ الرَّشْدِ مَا أَطْفَأَ وَهْجَهَا وَبَرَّدَ غَلِيلَهَا ؛ وَأَوْصَحَ لَهُمْ مَنَاجِحَ الْحَقِّ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهَا ،
وَأَبَانَ لَهُمْ سُبُلَ الْهُدَايَةِ : ﴿ فَمَنْ آهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أئِمَّةِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْأَئِمَّةِ ، وَرَضِيَ عَنْ أَصْحَابِهِ أَوْلِيَاءِ
الْعَدْلِ وَعُدُولِ الْأُمَّةِ ؛ صَلَاةً وَرِضْوَانًا يُعْمَانُ سَائِرُهُمْ ، وَيَشْمَلَانِ أَوْلَهُمْ وَأَجْرَهُمْ ؛ سَيِّمًا
الصَّدِيقِ الْفَائِزِ بِأَعْلَى الرُّتَبَتَيْنِ صِدْقًا وَتَصَدِّيقًا ، وَالْحَازِزِ قَصَبِ السَّبْقِ فِي الْفَضِيلَتَيْنِ
عِلْمًا وَتَحْقِيقًا ، وَمَنْ عَدَلَ الْأَنْصَارُ إِلَيْهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُבَادَةَ بَعْدَ مَا أَجْمَعُوا عَلَى تَقْدِيمِهِ ،
وَبَادَرَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى بَيْتِهِ اعْتِرَافًا بِتَفْضِيلِهِ وَتَكْرِيمِهِ . وَالْفَارُوقِ الشَّدِيدِ فِي اللَّهِ بِأَسَا
وَاللَّيْنِ فِي اللَّهِ جَانِبًا ، وَالْمُؤَفِّي لِلْخِلَافَةِ حَقًّا وَالْمُؤَدِّي لِلْإِمَامَةِ وَاجِبًا ؛ وَالْقَائِمِ فِي نُصْرَةِ
الدِّينِ حَقَّ الْقِيَامِ حَتَّى عَمَّتْ فَتُوْحُهُ الْأَمْصَارَ مَشَارِقَ وَمَغَارِبًا ، وَأَطَاعَتُهُ الْعُنَاصِرُ
الْأَرْبَعَةُ : إِذْ كَانَ لِلَّهِ طَائِعًا وَمِنَ اللَّهِ خَائِفًا وَإِلَى اللَّهِ رَاغِبًا . وَذِي النُّورَيْنِ الْمَعُولِ
عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَصْحَابِ الشُّورى تَتَوَيْهَا بِقُدْرِهِ ، وَالْمَخْصُوصِ بِالْإِخْتِيَارِ تَفْخِيمًا
لَأَمْرِهِ ؛ مَنْ حُصِرَ فِي بَيْتِهِ فَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ عَنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، وَشَاهِدِ
سُيُوفِ قَاتِلِيهِ عَيَانًا فَقَابِلِ فَتَكَاتِهَا بِجَمِيلِ صَبْرِهِ . وَأَبَى الْحَسَنِ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْ
الْخِلَافَةِ حِينَ سُئِلَهَا ، وَاسْتَعْفَى مِنْهَا بَعْدَ مَا أَضْطُرَّ إِلَيْهَا وَقِيلَ لَهَا ؛ وَكُشِفَ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ

الدنيا فأمَّ قِبَلَتَهَا بقلبه ولا وَلَى وَجْهَهُ قِبَلَهَا، وَصَرَّحَ بِمَقَاطِعَتِهَا بِقَوْلِهِ : « يَا صَفَرَاءُ غُرَّى غُرَّى يَا بَيْضَاءُ غُرَّى غُرَّى » لَمَّا وَصَلَهَا مِنْ وَصَلَتِهَا ؛ وَسَائِرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُمْ ، النَّاهِجِينَ تَهْجَهُمُ وَالْوَارِدِينَ وَرَدَّهُمْ .

أما بعدُ ، فَإِنَّ لِلْإِمَامَةِ شُرُوطًا يَجِبُ اعْتِبَارُهَا فِي الْإِمَامِ ، وَلَوْازِمٌ لَا يُقْتَفَرُ قَوَائِمُهَا فِي الْإِبْتِدَاءِ وَلَا فِي الدَّوَامِ ، وَأَوْصَافًا يَتَعَيَّنُ إِعْمَالُهَا ، وَأَدَابًا لَا يَسَعُ إِهْمَالُهَا ؛ مِنْ أَهْمِّهَا الْعَدَالَةُ الَّتِي مَلَائِكُهَا التَّقْوَى ، وَأَسَاسُهَا مِرَاقِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَبِهَا تَقَعُ الْهَيْبَةُ لِصَاحِبِهَا فَيَجَلُّ ، وَتَمِيلُ النُّفُوسُ إِلَيْهَا فَلَا تَمَلُّ ؛ فَهِيَ الْمَلَكَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى تَرْكِ الْبَكَائِرِ وَأَجْتِنَابِهَا ، وَالزَّاحِرَةِ عَنِ الْإِضْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ وَآرْتِكَائِهَا ؛ وَالبَاعِثَةُ عَلَى مُحَافَظَةِ النَّفْسِ وَنَهْيِهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَالصَّارِفَةُ عَنْ أَنْتِهَافِ حُرْمَاتِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْحُرْمَاتِ ؛ وَالمَوْجِبَةُ لِلتَّعَفُّفِ عَنِ الْحَاظِمِ ، وَالْحَامِلَةُ عَلَى تَجَنُّبِ الظُّلُمَاتِ وَرَدِّ الْمَظَالِمِ . وَالشَّجَاعَةُ الَّتِي بِهَا حِمَايَةُ الْبَيْضَةِ وَالذَّبُّ عَنْهَا ، وَالْإِسْتِظْهَارُ بِالْفَزْوِ عَلَى نِكََايَةِ الطَّائِفَةِ الْكَافِرَةِ وَالْقَضُّ مِنْهَا ؛ وَالْقُوَّةُ بِالشُّوْكَةِ عَلَى تَنْفِيذِ الْأَوَامِرِ وَإِمَاضِهَا ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاسْتِيفَائِهَا ، وَنَشْرِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَإِعْلَانُهَا ، وَدَحْضُ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ وَإِخْفَائِهَا ، وَقَطْعُ مَادَّةِ الْفَسَادِ وَحُسْمُ أَدْوَانِهَا ؛ وَالرَّأْيُ الْمُوَدِّدُ إِلَى السِّيَاسَةِ وَحُسْنُ التَّنْذِيرِ ، وَالْمُغْنَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ عَنْ مَزِيدِ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ ؛ وَالْمَعِينُ فِي خُدَعِ الْحَرْبِ وَمَكَايِدِهِ ، وَالْمُسْعِفُ فِي مَصَادِرِ كُلِّ أَمْرٍ وَمَوَارِدِهِ .

هَذَا وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ أُمَّةً وَسَطًا ، وَوَعَظَنَا بِنِ سَلَفٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ مَنْ تَمَرَّدَ وَعَتَا أَوْ تَجَبَّرَ وَسَطًا ، وَعَصَمَ أُمَّتَنَا أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَى الضَّلَالِ ، وَصَانَ جَمْعَنَا عَنِ الْخَطَلِ فِي الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ ؛ وَنَدَبَنَا إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَسَوَّغَ لَأُمَّتِنَا الْاجْتِهَادَ فِي التَّوَازُلِ وَالْأَحْكَامِ فَاجْتِهَادُهُمْ لَا يُنْكَرُ خُصُوصًا فِي شَأْنِ الْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ

أ كد أسباب المعالم الدينيّة وأقواها ، وأرفع المناصب الدنيويّة وأعلاها ؛ وأعزّ الرتب رتبةً وأعلاها ، وأحقّها بالنظر في أمرها وأولاها . وكان القائم بأمر المسلمين الآن فلان بن فلان الفلاني ممن حاد عن الصراط المستقيم ، وسلك غير النهج القويم ؛ ومال عن سنن الخلفاء الراشدين فأدركه الزلّ ، وقارف المآثم فعاد بالخلل ؛ فعاث في الأرض فسادا ، وخالف الرشد غنادا ؛ ومال إلى الغي اعتيادا ، وأسلم إلى الهوى قيادا ؛ قد أنتقل عن طور الخلافه ، وعزّيز الإنافه ؛ إلى طور العامّة فأنصف بصفتهم ، وأتسم بسماتهم ؛ فُنكر كُيِّبُ عليه إنكاره قد باشره ، وصديق سوء يتعين عليه إبعاده قد وازره وظاهره ؛ إن سلك فسيل التهمة والإرتياب ، أوقصد أمرا نحا فيه غير الصواب ؛ منهمك على شهواته ، منعكف على لذّاته ، متشاغل عن أمر الأئمة بأمر بنيّه وبناته ؛ الجبن رأس ماله ، وعدم الرأي قرينه في أفعاله وأقواله ؛ قد قنع من الخلافة بأسمها ، ورضى من الإمامة بوسمها ؛ وظنّ أنّ السؤدد في لبس السواد فمال إلى الخيف ، وتوهم أنّ القاطع الغمد فقطع النظر عن السيّف .

ولما أطلع الناس منه على هذه المنكرات ، وعرفوه بهذه السمات ، وتحقّقوا فيه هذه الوصمات ؛ رغبوا في استبداله ، وأجمعوا على خلعهم وزواله ؛ فليجئوا إلى السلطان الأعظم الملك الفلاني (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) نصر الله جنوده ، وأسمى جُودَه ، وأزهف على عُدّة الله حُدوده ؛ ففوضوا أمرهم في ذلك إليه ، وألقوا كلّهم عليه ؛ بجمع أهل الحلّ والعقد منهم ، ومن تصدر إليهم الأمور وترد عنهم ؛ فاستخاروا الله تعالى وخلعوه من ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وأنسلخوا عن طاعته ؛ وجرّدوه من خلافته ، تجريد السيّف من القراب ، وطوّوا حكم إمامته ، كطى السّجل للكتاب . وعند ماتمّ هذا الخلع ، وأنطوى حكمه على البتّ والقطع ، ألتمس الناس إماما يقوم بأمر الإمامة فيوفيهما ، ويجمع شروطها ويستوفيهما ؛ فلم يجدوا لها أهلا ،

ولا بها أحق وأولى، وأوفى بها وأمل، من السيّد الأعظم الإمام النبوى سليل
الخلافة، وولى الإمامة أبى فلان فلان العباسى الطائع لله «مثلا» أمير المؤمنين .
لازال شرفه باذخا، وعزّيته الشريف شاحجا، وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخا،
فساموه بيعتها فلى، وشاموا برقه لولايتها فأجاب وما تأبى، علمّا منه بأنها تعينت
عليه، وانحصرت فيه فلم تجد أعلى منه فتعدّل إليه؛ إذ هو أبّن يجدها، وفارس
تجدها، ومزيل نعمتها، وكاشف كربتها؛ ومجلى غياها، ومجّد عواقبها، وموصّح
مذاهبها؛ وحاكمها المكين، بل رشيدها الأمين؛ فهضّ المقام الشريف السلطانى
الملكى الفلانى المشار إليه : قرّن الله مقاصده الشريفة بالنجاح، وأعماله الصالحة
بالفلاح؛ وبدر إلى بيعته فبايع، وأتم به من حضر من أهل الحلّ والعقد فتابع،
وقابل عقدها بالقبول فضى، ولزم حكمها وأقضى؛ وأتصل ذلك بسائر الرعية
فأتقّدوا، وعلموا صوابه فمشوا على سننه وما حادوا؛ وشاع خبر ذلك فى الأمصار،
وطارت به مخلّقات البشائر إلى سائر الأقطار؛ فتعزّفوا منه اليمن فسارعوا إلى أمثاله،
وتحقّقوا صحته وثباته بعد اضطرابه واعتلاله؛ واستعدّوا من نقص يصيبه بعد تمامه
لهذا الخليفة وكيله؛ فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصراها، وجميل
وفائها وكرم مظهرها؛ وجادت بجزيل الإمتنان، وتلا لسان كرمها الوفى على وليّها
الصادق : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ بخد له بالسلطنة الشريفة عهدا،
وطوق جيده بتفويضها إليه عقدا؛ وجعله وصيه فى الدين، ووليه فى أمر
المسلمين؛ وقلده أمر الممالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها، وملكه أزممتها وحقق
له مواعيدها؛ وعقد له لواءها ونشر عليه أعلامها، وصرفه فيها على الإطلاق
وفوض إليه أحكامها؛ وألبسه الخلعة السوداء فكانت لسودده شعارا، وأسبغ عليه
رداءها فكان له دنارا؛ وكتب له العهد فسق المعاهد صوب العهاد، ولهج الأنام

بذكره فاطمات العباد والبلاد ؛ وعند ماتم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأصل ،
وأُستِ الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين ، وبنعمته مستبشرين ، طُوبَ
أهل البيعة بما يحملهم على الوفاء ، ويمنع بيعتهم من التكدّر بعد الصفاء : من توثيق
عقدها بمؤكد أيمانها ، والإقامة على الطاعة لخليفتها وسُلطانها ؛ فبادروا إلى ذلك
مُسرعين ، وإلى داعيه مُهطعين ؛ وبالغوا في الموائيق وأكدوها ، وشددوا
في الأيمان وعقدوها ؛ وأقسموا بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالم
خاتمة الأعين وما تُخفي الصدور في البدء والإعاده ، على الوفاء لهما والموالاة ، والنصح
والمصافاة ؛ والمواقفة والمشياعة ، والطاعة والمتابعة ؛ يوالون من والاها ، ويُعادون
من عاداهما ؛ لا يقعدون عن مناصرتيها عند المنام مله ، ولا يرقبون في عدوها
إلا ولا ذقه ؛ جارين في ذلك على سنن الدوام والإستمرار ، والثبوت وال لزوم
والإستقرار ؛ على أن من بدل منهم من ذلك شرطاً أو عفى له رسماً ، أو حاد عن
طريقه أو غير له حكماً ؛ أو سلك في ذلك غير سبيل الأمانة ، أو استحل الغدر
وأظهر الخيانة ، مُعلناً أو مُسراً في كله أو بعضه ، متأولاً أو مُحْتالاً لإبطاله أو نقضه ؛
فقد برئ من حول الله المتين وقوته الواقية ، وركنه الشديد وذمته الوافية ، إلى
حول نفسه وقوته ، وركنه وذمته ؛ وكلُّ امرأة في عصمته الآن أو يترجّحها مدة
حياته طالق ثلاثاً بصرح لفظ لا يتوقف على نيّة ، ولا يُفرق فيه بين سنة ولا بدعة
ولا رجعة فيه ولا مثنوية ؛ وكلُّ مملوك في ملكه أو يملكه في بقية عمره من ذكر
أو أنثى حرٌّ من أحرار المسلمين ؛ وكلُّ ما هو على ملكه أو يملكه في بقية عمره إلى
آخر أيامه من عين أو عرض صدقة للفقراء والمساكين ؛ وعليه الحج إلى بيت الله
الحرام ثلاثين حجةً ثلاثين عُمرّة راجلاً حاسراً ، لا يقبل الله منه غير الوفاء بها
باطناً ولا ظاهراً ؛ وإهداء مائة بدنة في كل حجة منها في عُمرته ويُسرته ، لا تُجزئه

واحدة منها عن حجة الإسلام وعمرته ؛ وصوم الدهر خلا المنهى عنه من أيام
السنة ، وصلاة ألف ركعة في كل ليلة لا يباح له دون أدائها غمض ولا سِنَّه ؛
لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ولا يُؤجر على شيء من ذلك قولاً ولا فعلاً ؛ متى
ورى في ذلك أو استثنى ، أو تأول أو استفتى ، كان الحنث عليه عائداً ، وله إلى دار
البوار قائد ، معتمداً في ذلك أشد المذاهب في سره وعلايته ، على نية المستحلف
له دون نيته ؛ وأمضوها ببيعة محكمة المباني ثابتة القواعد ، كريمة المساعي جميلة
المقاصد ؛ طيبة الحنى جليلة العوائد ، قاطعة البراهين ظاهرة الشواهد ؛ وأشهدوا
على أنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإسلام وعلمائه ، وأئمة
الدين وفقهائه ؛ بعد أن أشهدوا الله عليهم وكفى بالله شهيدا ، وكفى به الخائنين
خصيما : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورٌ عَلَيْهِ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . والله تعالى يجعل آتقائهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يسرى إلى يئسرى ؛
ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ .
إن شاء الله تعالى .

المذهب الرابع

(مما يُكْتَبُ فِي بَيْعَاتِ الْخُلَفَاءِ أَنْ يَفْتَحَ الْبَيْعَةَ بِقَوْلِهِ : هَذِهِ بَيْعَةٌ ، وَيَصِفُهَا وَيَذْكُرُ مَا يَنْبَغُ ، ثُمَّ يَعِزُّ بِالْخَلِيفَةِ الْمَيِّتِ ، وَيَهْنِئُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَقَرِّ ، وَيَذْكُرُ فِي حَقِّ كُلِّ مِنْهُمَا مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْوَصْفِ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ)

وهذه نسخة بَيْعَةِ أَنْشَأَهَا الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ ، عَلَى مَا رَأَيْتُهُ فِي ”الْجَوَاهِرِ الْمُتَقَطَّةِ“ الْمَجْمُوعَةِ مِنْ كَلَامِهِ ، لِلْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ^(١) «أَبِي الْعَبَّاسِ» «أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الرَّيِّعِ سُلَيْمَانَ» [الْمُسْتَكْنَى بِاللَّهِ] آبِنِ الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ . وَذَكَرَ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ نَازِطٍ الْجَلِيشِيُّ فِي ”دُسْتُورِهِ“ أَنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَهَا تَجْرِبَةً ^(٢) لِحَاطَرِهِ ، وَهِيَ مُرَتَّبَةٌ عَلَى مَوْتِ خَلِيفَةٍ .

ونصها بعد البسملة الشريفة :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْيُيُونَكَ إِنَّمَا يَأْيُيُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوثُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

هَذِهِ بَيْعَةُ رِضْوَانٍ وَبَيْعَةُ إِحْسَانٍ ، وَبَيْعَةُ رِضَا تَشْهَدُهَا الْجَمَاعَةُ وَيَشْهَدُ عَلَيْهَا الرَّحْمَنُ ؛ بَيْعَةُ يَلْزَمُ طَائِرُهَا الْعُنُقُ ، وَتَحْمُومُ بَشَائِرُهَا عَلَى الْأَفْقِ ، وَتَجَلُّ أَنْبَاءُهَا الْبَرَارِيُّ وَالْبَحَارُ مَشْهُونَةُ الطَّرِيقِ ؛ بَيْعَةُ تَصْلُحُ لِنَسَبِهَا الْأُمَّةُ ، وَتُنَجِّحُ بِسَبَبِهَا النِّعْمَةُ ، وَتُؤَلِّفُ بِهَا الْأَسْبَابُ وَتَجْعَلُ بَيْنَهُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ؛ بَيْعَةُ تَجْرَى بِهَا الرِّفَاقُ ، وَتَتَرَاخَمُ زَمَرُورُوسُ

(١) كَذَا فِي تَارِيخِ أَبِي الْقَدَاءِ ، وَأَبْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَالْعَبْرَاءُ أَيْضًا وَوَقَعَ فِي ج ٣ ص ٢٦٥ مِنْ هَذَا الْمُؤَلَّفِ أَنْ لَقِبَهُ

الْمُسْتَعْمِ وَالصَّوَابُ مَا هُنَا .

(٢) أَيْ امْتِنَانًا لِفِكْرِهِ .

الكواكب على حَوْضِ الْجَرَّةِ لِلْوَفَاقِ ؛ بِرِعةٌ سَعِيدَةٌ مَيَّونَةٌ ، بِرِعةٌ شَرِيفَةٌ بِهَا السَّلَامَةُ
 فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا مَضْمُونَةٌ ؛ بِرِعةٌ صَحِيحَةٌ شَرْعِيَّةٌ ، بِرِعةٌ مَلْحُوظَةٌ مَرْعِيَّةٌ ؛ بِرِعةٌ تُسَابِقُ
 إِلَيْهَا كُلُّ نِيَّةٍ وَتُطَاوِعُ كُلُّ طَوِيَّةٍ ، وَتُجْمَعُ عَلَيْهَا أَشْيَاءُ الْبَرِيَّةِ ؛ بِرِعةٌ يَسْتَهْلُ بِهَا الْعَلَمُ ،
 وَيَهْلُلُ الْبَدْرُ التَّمَامَ ؛ بِرِعةٌ مُتَّفَقٌ عَلَى الْإِجْمَاعِ عَلَيْهَا ، وَالْإِجْتِمَاعِ لِنَسْطِ الْأَيْدِي إِلَيْهَا ؛
 أَنْعَقَدَ عَلَيْهَا الْإِجْمَاعُ ، وَأَنْعَقَدَتْ صِحَّتُهَا مِنْ سَمْعِ اللَّهِ وَأَطَاعِ ، وَبَدَلٌ فِي تَمَامِهَا كُلِّ
 أَمْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، وَحَصَلَ عَلَيْهَا اتِّفَاقُ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَوَصَلَ بِهَا الْحَقُّ إِلَى
 مَسْتَحِقِّهِ وَأَقْرَبُ الْخَصْمِ وَأَقْنَطُ التَّرَاجُعِ ؛ وَتَضَمَّنَهَا كِتَابُ كَرِيمٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ،
 وَيَتَلَقَّاهُ الْأُئِمَّةُ الْأَقْرَبُونَ .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ : ﴿ ذَلِكَ مِنْ
 فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ . وَإِنَّا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَإِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ . أَجْمَعَ عَلَى هَذِهِ
 الْبَيْعَةِ أَرْبَابُ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَأَصْحَابُ الْكَلَامِ فِيمَا قَلَّ وَجَلَّ ؛ وَوُلَاةُ الْأُمُورِ
 وَالْأَحْكَامِ ، وَأَرْبَابُ الْمَنَاصِبِ وَالْحُكَّامِ ؛ وَحَمَلَةُ الْعِلْمِ وَالْأَعْلَامِ ، وَحُمَاةُ السِّيُوفِ
 وَالْأَقْلَامِ ، وَكَارِبِي عِبْدِ مَنْفٍ ، وَمِنْ أَنْتَفَضِ قَدْرِهِ وَأَنَافٍ ؛ وَسَرَوَاتُ قُرَيْشٍ
 وَوُجُوهُ بَنِي هَاشِمٍ وَالبَقِيَّةُ الطَّاهِرَةُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَخَاصَّةُ الْأُئِمَّةِ وَعَامَّةُ النَّاسِ ؛
 بِرِعةٍ تَرَسَّى بِالْحَرَمَيْنِ خِيَامُهَا ، وَتَحْقِيقُ عَلَى الْمَازِمِينَ أَعْلَامُهَا ، وَتَتَعَرَّفُ عِرْفَاتُ
 بَرَكَاتِهَا وَتُعَرِّفُ بَيْنَ أَيَّامُهَا ؛ وَيَوْمَنْ عَلَيْهَا يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ، وَتُؤَمُّ مَابَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ
 وَالْمِنْبَرِ ؛ وَلَا يُتَنَغَّى بِهَا إِلَّا وَجْهُ اللَّهِ الْكَرِيمِ ، وَفَضْلُهُ الْعَمِيمِ ؛ لَمْ يَبْقَ صَاحِبٌ سَنَجِقِ
 وَلَا عِلْمٌ ، وَلَا ضَارِبٌ بِسَيْفٍ وَلَا كَاتِبٌ بِقَلَمٍ ؛ وَلَا رَبُّ حُكْمٍ وَلَا قَضَاءٍ ، وَلَا مَنْ
 يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي اتِّفَاقٍ وَلَا إِمْضَاءٍ ؛ وَلَا إِمَامٌ مُسَجِّدٌ وَلَا خَطِيبٌ ، وَلَا ذُو قُتْيَا يُسْأَلُ

(١) لعله ترى بالحرمين تأمل .

(٢) في الأصل سيف وهي تصحيف .

فُجِيبَ ، وَلَا مَنْ بَيْنَ جَنْبَيْ الْمَسَاجِدِ وَلَا مَنْ تَضَمُّهُمْ اجْنِحَةُ الْحَارِيبِ ، وَلَا مَنْ يَمْتَدُّ فِي رَأْيٍ فُيْخِطُ أَوْ يُصِيبُ ، وَلَا مَتَحَدُّ بِحَدِيثٍ ، وَلَا مَتَكَلَّمٌ بِقَدِيمٍ وَحَدِيثٍ ؛ وَلَا مَعْرُوفٌ بِدَيْنٍ وَصَلَاحٍ ، وَلَا فُوسَانُ حَرْبٍ وَكِفَاحٍ ؛ وَلَا رَاشِقٌ بِسَهَامٍ وَلَا طَاعِنٌ بِرِمَاحٍ ، وَلَا ضَارِبٌ بِصَفَاحٍ ، وَلَا سَاجِعٌ عَلَى قَدَمٍ وَلَا طَائِرٌ بِغَيْرِ جَنَاحٍ ؛ وَلَا مُخَالِطٌ لِلنَّاسِ وَلَا قَاعِدٌ فِي عُزْلَةٍ ، وَلَا جَمْعُ كَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ ؛ وَلَا مَنْ يَسْتَقِيلُ بِالْخُوزَاءِ لِوَأُوهُ ، وَلَا يَقِلُّ فَوْقَ الْفِرْقَدِ ثَوَاوُهُ ؛ وَلَا بَادٍ وَلَا حَاضِرٌ ، وَلَا مُقِيمٌ وَلَا سَائِرٌ ؛ وَلَا أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ، وَلَا مُسِرٌّ فِي بَاطِنٍ وَلَا مُعْلِنٌ فِي ظَاهِرٍ ؛ وَلَا عَرَبٌ وَلَا عَجَمٌ ، وَلَا رَاعِي لِبَلٍ وَلَا غَنَمٌ ؛ وَلَا صَاحِبُ أَنَاةٍ وَلَا إِبْدَارٍ ، وَلَا سَاكِنٌ فِي حَضَرٍ وَبَادِيَةٍ بِدَارٍ ؛ وَلَا صَاحِبُ عَمَدٍ وَلَا جِدَارٍ ، وَلَا مَلْجَأٌ فِي الْبَحَارِ الزَّائِرَةِ وَالْبَرَارِيِّ الْقِفَارِ ؛ وَلَا مَنْ يَتَوَقَّلُ صَهَوَاتِ الْخَلِيلِ ، وَلَا مَنْ يُسِيلُ عَلَى الْعَجَاجَةِ الذَّلِيلِ ، وَلَا مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِ شَمْسُ النَّهَارِ وَتُجُومُ اللَّيْلِ ؛ وَلَا مَنْ تُظِلُّهُ السَّمَاءُ وَتُقِلُّهُ الْأَرْضُ ، وَلَا مَنْ تُدَلُّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ عَلَى اخْتِلَافِهَا وَتَرْتَفِعُ دَرَجَاتُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ حَتَّى آمَنَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ وَأَتَمَّنَ عَلَيْهَا ، وَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ إِلَيْهَا ؛ وَأَقْرَبَهَا وَصَدَّقَ ، وَغَضَّ لَهَا بَصَرَهُ خَاشِعًا وَأَطْرَقَ ؛ وَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ بِالْمُبَايَعَةِ ، وَمُعْتَقَدَهُ بِالْمُتَابَعَةِ ؛ رَضِيَ بِهَا وَأَرْضَاهَا ، وَأَجَازَ حُكْمَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْضَاهَا ؛ وَدَخَلَ تَحْتَ طَاعَتِهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

والحمد لله الذى نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو أحكم الحاكمين ، والحمد لله الذى أخذ حق آل بيت نبيه من أيدي الظالمين ؛ والحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله رب العالمين .

وإنه لما آتانا الله بعبيده سليمان أبي الربيع الإمام المستكفي بالله أمير المؤمنين - كرم الله مثواه - وعوضه عن دار السلام بدار السلام ، ونقله فزكى بدنه عن

شهادة السَّلام بِشهادة الإسلام؛ حيثُ آثره رَبُّه بِقُرْبِهِ، ومَهَّدَ لجنبه وأقدمه على ما أقدمه مَنْ يَرْجُوهُ لعمَلِهِ وَكَسْبِهِ، وخارَله في جِوَارِهِ رَفِيقًا، وجعل له على صالح سَلَفِهِ طَرِيقًا، وأنزله ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. الله أَكْبَرُ لِيَوْمِهِ لولا خَلْفُهُ كَادَتْ تَضِيقُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، وتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ؛ وتُنَى كُلُّ سَرِيرَةٍ بِمَا أَدْنَحَتْ وما خَبَتْ؛ لقد أَضْطَرَّ سَعِيرٌ، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْجَوَانِحِ، لقد أَضْطَرَّ مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ، لولا خَلْفُهُ الصَّالِح، لقد أَضْطَرَّ مَأْمُورٌ وَأَمِيرٌ، لولا الْفِكْرُ بَعْدَهُ فِي عَاقِبَةِ الْمَصَالِحِ؛ لقد غَاضَتِ الْيَحَارُ، لقد غَابَتِ الْأَنْوَارُ، لقد غَالَبَ الْبُدُورُ مَا يَلْحَقُ الْأَهْلَةَ مِنَ الْمِحَاقِ وَيُذِرُكَ الْبَدْرُ مِنَ السَّرَارِ؛ تُسِفَتِ الْجِبَالُ تَسْفًا، وَخَبَتْ مَصَابِيحُ النُّجُومِ وَكَادَتْ تُطْفِئُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. لقد جَمَعَتِ الدُّنْيَا أَطْرَافَهَا وَأَزْمَعَتْ عَلَى الْمَسِيرِ، وَجُمِعَتِ الْأُمَّةُ لَهْوِ الْمَصِيرِ، وَزَاغَتْ يَوْمَ مَوْتِهِ الْأَبْصَارُ: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾. وَبَقِيَتِ الْأَلْبَابُ حَيَارَى، وَوَقَفَتْ تَارَةً تُصَدِّقُ وَتَارَةً تُنَارِي؛ لَا تَعْرِفُ قَرَارًا، وَلَا عَلَى الْأَرْضِ اسْتِقْرَارًا: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾.

ولم يكن في النَّسَبِ الْعَبَّاسِيُّ وَلَا فِي جَمِيعِ مَنْ فِي الْوُجُودِ، لَا فِي الْبَيْتِ الْمُسْتَرَشِدِيِّ وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنْ بِيُوتِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَقَايَا آبَاءٍ لَهُمْ وَجُدُودٌ، وَلَا مَنْ تَلِدُهُ أُخْرَى اللَّيَالِي وَهِيَ عَاقِرٌ غَيْرُ وَلُودٍ؛ مَنْ تَسَلَّمَ إِلَيْهِ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَدَ نِيَّاتَهَا، وَسَرَّ طَوِيَّاتَهَا؛ إِلَّا وَاحِدٌ وَأَيْنَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ هُوَ وَاللَّهُ مِنْ أَنْخَصَرَفَ فِيهِ اسْتِحْقَاقُ مِيرَاثِ آبَائِهِ الْأَطْهَارِ، وَتُرَاثِ أَجْدَادِهِ وَلَا شَيْءَ هُوَ إِلَّا مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ رِذَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ وَهُوَ ابْنُ الْمُتَقَلِّ إِلَى رَبِّهِ، وَوَلَدُ الْإِمَامِ الْذَاهِبِ لَصُلْبِهِ؛ الْمَجْمَعُ عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَنَامِ،

فَرُدُّ الْأَيَّامَ ، وَوَاحِدٌ وَهَكَذَا فِي الْوُجُودِ الْإِمَامَ ؛ وَأَنَّهُ الْحَاضِرُ لِمَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُ
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَالْفَائِزُ بِمِلْكِ مَا بَيْنَ الشَّارِقِ وَالْغَارِبِ ؛ الرَّاقِي فِي صَفِيحِ السَّمَاءِ
هَذِهِ الذَّرْوَةُ الْمُنِيفَةُ ، الْبَاقِي بَعْدَ الْأَئِمَّةِ الْمَاضِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ؛ الْمَجْتَمِعُ
فِيهِ شُرُوطُ الْإِمَامَةِ ، الْمُتَضَعُ لِلَّهِ وَهُوَ مَنْ يَدِيَّتْ لَا يَزَالُ الْمُلْكُ فِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛
الَّذِي تَصَفَّحَ السَّحَابَ نَائِلُهُ ، وَالَّذِي لَا يُغَرُّ عَازِرُهُ وَلَا يُغَيِّرُهُ عَاذِلُهُ ؛ وَالَّذِي :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * شَنَّاها لَقَبِضَ لَمْ تُطْعَمْ أَنَامِلُهُ

وَالَّذِي :

لَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضَيِّعٌ نَصِيبَهُ * وَلَا وَرِقٌ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاذِلُهُ

وَالَّذِي مَا آرْتَقَى صَمُوءَ الْمُنْبَرِ بِحُضْرَةِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ إِلَّا قَالَ نَاصِرُهُ وَقَامَ قَائِمُهُ ؛
وَلَا قَعَدَ عَلَى سِرِّيرِ الْخِلَافَةِ إِلَّا وَاعْرِفَ بِأَنَّهُ مَا خَابَ مُسْتَكْفِيهِ وَلَا غَابَ حَاكِمُهُ ؛
نَائِبُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالْقَائِمُ بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلِيفَتُهُ وَابْنُ عَمِّهِ ،
وَتَابِعُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَوَارِثُ عِلْمِهِ ، سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ « أَحْمَدُ أَبُو الْعَبَّاسِ »
الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِبِقَائِهِ الدِّينَ ، وَطُوقُ بَسِيفِهِ [رِقَابِ]
الْمُلْحِدِينَ ، وَكَبَتَتْ تَحْتَ لَوَائِهِ الْمُعْتَدِينَ ؛ وَكُتِبَ لَهُ النُّصْرَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَكَفَّ
بِجِهَادِهِ طَوَائِفَ الْمُفْسِدِينَ ، وَأَعَادَ بِهِ الْأَرْضَ مَمْنًى لَا يَدِينَ بِدِينٍ ؛ وَأَعَادَ بَعْدَهُ أَيَّامَ
آبَائِهِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ؛ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ،
وَعَلَيْهِ كَانُوا يَعْمَلُونَ ؛ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ ، وَقَدَّرَ اقْتِدَارَهُ ، وَأَسْكَنَ فِي قُلُوبِ الرِّعْيَةِ سِكِينَتَهُ
وَوَقَّارَهُ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْوُجُودِ وَجَعَ لَهُ أَفْطَارَهُ .

وَلَمَّا آتَقَلَّ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ السَّيِّدُ وَلَحِقَ بِدَارِ الْحَقِّ أَسْلَافَهُ ، وَنُقِلَ إِلَى سِرِّيرِ الْجَنَّةِ
عَنِ سِرِّيرِ الْخِلَافَةِ ؛ وَخَلَا الْعَصْرُ مِنْ إِمَامٍ يُمَسِّكُ مَا بَقِيَ مِنْ نَهَارِهِ ، وَخَلِيفَةً يُغَالِبُ

مُرَبَّدَ الليل بأنواره ، ووارث بنى بمثله ومثل أبيه آستغنى الوجود بعد ابن عمه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم عن نبي مقتفٍ على آثاره ؛ ونسَى ولم يَعْتَهْد فلم يبقَ إذ لم يُوجَد النصُّ إِلَّا الإجماع ، وعليه كانت الخلافةُ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع ، أقتضت المصلحة الجامعة عقدَ مجلسٍ كلِّ طَرَفٍ به معقود ، وعقدَ بيعةٍ عليها الله والملائكةُ مشهود ، وجميع الناس له ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ . فحَضَرَ من لم يُعْبَأَ بعده بن تحلف ، ولم يربأ^(١) معه وقد مدَّ يده طائفاً من مدّها وقد تكلف ؛ واجتمعوا على رأيٍ واحدٍ واستخاروا الله تعالى فيه نَحَارَ ، وناهيكَ بذلك من مُخْتَارٍ ؛ وأخذت يمينُ مُمَدِّ إليها الأيمان ، ويُسَدُّ بها الإيمان ؛ وتعطى عليها المَوَائِقُ ، وتعرض أمانتها على كلِّ فريق ؛ حتى تقلد كلُّ من حضر في عُنقه هذه الأمانة ، وحطَّ يده على المصحف الكريم وحلف بالله العظيم وأتمَّ أيمانه ؛ ولم يقطع ولم يستثن ولم يتردد ، ومن قطع من غير قصد أعاد وجَدَدَ ؛ وقد نوى كلُّ مَنْ حلف أنَّ النيةَ في يمينه نيةٌ من عُقِدَت هذه البيعة له ونيةٌ من حلف له ، وتذمُّ بالوفاء في ذمته وتكفله ؛ على عادةِ أيمان البيعة بشروطها وأحكامها المرددة ، وأقسامها المؤكدة ؛ بأن يبذل لهذا الإمام المفترضة طاعته الطاعة ، ولا يفارق الجمهورَ ولا يُظْهِرَ عن الجماعة أنجاءه ؛ وغير ذلك مما تضمنته نُسُخُ الأيمان المكتتب فيها أسماء من حلف عليها مما هو مكتوبٌ بخطوط من يكتب منهم ، وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتب وأذنوا لمن يكتب عنهم ؛ حسب ما يشهد به بعضهم على بعض ، ويتصادق عليه أهل السماء والأرض ؛ بيعةٌ تمَّ بمشيئة الله تمامها ، وعمَّ بالصوب العَدَقُ غمائمها ؛ ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ . وهبَ لنا الحسن ؛ ثم الحمد لله الكافي عبده ، الوافي وَعْدَهُ ، المُوَافِى لمن يُضَاعِفُ على كلِّ

(١) أى لم يبال به ولم يكثر . انظر اللسان والقاموس .

مَوْهَبَةً حَمَدَهُ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمٍ يَرْغَبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَزْدِيادِهَا ، وَيَرْهَبُ إِلَّا أَنْ يِقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِأَمْدَادِهَا ؛ وَيَرَأُبُ بِهَا مَا أَثْرَفِيَا أَثْرَ مَالِكَه (؟) مَا بَانَ مِنْ مُبَايَنَةِ أَضْدَادِهَا .

نَحْمَدُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةً لَا تَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهَا ، وَلَا تَبْخُلُ بِمَا يُفَوِّقُ السَّهَامَ مِنْ سَدَادِهَا ؛ وَلَا تَنْظُلُ إِلَّا عَلَى مَا يُوْجِبُ كَثْرَةَ أَعْدَادِهَا ، وَتُسَيِّرُ إِقْرَارَ عَلَى أَوْرَادِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَقَايَسُ دَمُ الشَّهَدَاءِ وَمَدُّ مِدَادِهَا ، وَتَتَنَافَسُ طُرُرُ الشَّيَابِ وَغُرُرُ السَّحَابِ عَلَى أَسْتِمْدَادِهَا ؛ وَتُجَانَسُ رُقُومُهَا الْمَدْيِيَّةُ وَمَا تَلْبَسُهُ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ مِنْ شِعَارِهَا ، وَاللَّيَالَى مِنْ دَنَارِهَا ، وَالْأَعْدَاءُ مِنْ حِدَادِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمَاعَةِ آلِهِ مِنْ سَقَلٍ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَمِنْ سَلَفٍ مِنْ أَجْدَادِهَا ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَكْسَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ مَا كَانَ لِحَدِّهِ ، وَوَهَبَهُ مِنَ الْمُلْكِ السُّلَيْمَانِيَّ عَنْ أَبِيهِ مَا لَا يُنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلَّمَهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ بِمَا تَجَمَّلُهُ حَمَائِمُ الْبَطَائِقِ مِنْ بَدَائِعِ الْيَبَانِ ، وَسَخَّرَ لَهُ مِنَ الْبَرِّ يَدَ عَلَى مُثُونِ الْخَيْلِ مَا سَخَّرَ مِنَ الرَّيْحِ لِسُلَيْمَانَ ؛ وَأَتَاهُ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مَا أَمَدَّهُ بِهِ أَبُوهُ سُلَيْمَانُ وَتَصَرَّفَ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْفَخَارِ مَا أَطَاعَهُ بِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ ؛ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ لِبَاسِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا يَقْضِي لَهُ سَوَادُهُ بِسُودَدِ الْأَجْدَادِ ، وَيَنْفُضُ عَلَى كَلِّ الْهَدْبِ مَا فَضَّلَ عَنْ سُودَاءِ الْقَلْبِ وَسَوَادِ الْبَصَرِ مِنَ السَّوَادِ ؛ وَيَمُدُّ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَلَّ دَارُ مُلْكٍ وَكُلُّ مَدِينَةٍ بَعْدَادُ ؛ وَهُوَ فِي لَيْلِهِ السَّجَادُ ، وَفِي نَهَارِهِ الْعَسْكَرِيُّ وَفِي كَرَمِهِ جَعْفَرُ الْجَوَادِ يُدِيمُ الْإِبْتِهَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِ ، وَالْإِبْتِهَاجَ بِمَا يُغْنِي كُلَّ عَدُوٍّ بِرِيقِهِ ؛ وَيَبْدَأُ يَوْمَ هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ مِنْ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ ، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ مِمَّا يَتَحَلَّى

به الإمام، ويُقدِّم التقوى أمامه، ويُقرن عليها أحكامه، ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقِف الناس، ومن لا يَجِلُّ أمره طائعاً على العين حمله بالسيف غَضَباً على الرأس، ويعجلُ أمير المؤمنين بما يَشْفِي به النفوس، ويُزيل به كَيْدَ الشيطان إنه يَسُوس، يأخذُ بقلوب الرعايا وهو غنى عن هذا ولكن يسوس، وأمير المؤمنين يُشهد الله وخليقته عليه أنه أقرَّ كلَّ أمرٍ من ولاة الأمور الإسلامية على حاله، واستمرَّ به في مَقِيلِهِ تحت كَنَفِ ظِلَالِهِ، على اختلاف طبقات ولاة الأمور، وتفرُّقهم في الممالك والثغور، براً وبحراً، سهلاً ووعراً، وشرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وكلَّ جليلٍ وحَقِيرٍ، وقليلٍ وكثيرٍ، وصغيرٍ وكبيرٍ، ومملكٍ ومملوكٍ وأميرٍ، وجُنْدَى يَبْرُقُ له سيفٌ شهيرٌ، ورُوحٌ طَيرِيٌّ، ومن مع هؤلاء من وزراء وقضاة وكتّاب، ومن له يدٌ تَبْقَى في إنشاء وتحقيق حساب، ومن يتحدث في بريدٍ وخراج، ومن يُحتاج إليه ومن لا يُحتاج، ومن في الدُّروس والمدارس والرُّبُط والزوايا والخوانق، ومن له أعظمُ التعلقات وأدنىُ العلائق، وسائرُ أربابِ المراتب، وأصحابِ الرواتب، ومن له في مال الله رِزْقٌ مقسومٌ، وحقٌّ مجهولٌ أو معلومٌ، واستمرارُ كلِّ أمرٍ على ما هو عليه، حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه، فما زاد تأهيله، زاد تفضيله، وإلا فأمير المؤمنين لا يُريدُ سوى وجهِ الله، ولا يُحايِ أحداً في دين، ولا يُحايِ [عن] أحدٍ في حقٍّ، فإن المحاماة في الحقِّ مداجاةٌ على المسلمين، وكلُّ ما هو مستمرٌّ إلى الآن، مستقرٌّ على حُكْمِ الله مما فهمه الله له وفهمه سليمان، لا يغيرُ أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه، معتبرٌ مستمرٌّ بما شكر الله على نعمه وهكذا يُجازي من شكر، ولا يكدر على أحدٍ موزداً تَرَهُ الله به نِعَمَهُ الصافية عن الكدر، ولا يتأوَّل في ذلك متاوِّلاً ولا من بحرِ النعمة أو كَفَر، ولا يتعلَّل متعلِّلاً فإن أمير المؤمنين يعودُ بالله ويُعيدُ أيامه من الغير، وأمرُ أمير المؤمنين - أعلى الله أمره -

أَنْ يُعْلَنَ الْخُطْبَاءُ بِذِكْرِهِ وَذِكْرِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْآفَاقِ ، وَأَنْ تُضْرَبَ
بِاسْمِهِمَا الْبُقُودُ الْمُتَعَامِلُ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَيُنْتَهَجَ بِالْإِدْعَاءِ لَهَا عَطْفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَيُصْرَحَ مِنْهُ بِمَا يُشْرِقُ بِهِ وَجْهُ الدَّرْهِمِ وَالْدِّينَارِ ؛ وَتُبَاهَى بِهِ الْمَنَابِرُ وَدَوْرُ الضَّرْبِ :
هَاتِيكَ تَرْفَعُ أَسْمَهُمَا عَلَى أَسْرَةِ مُهُودَهَا ، وَهَذِهِ عَلَى أَسَارِيرِ نُقُودِهَا ؛ وَهَذِهِ تَقَامُ بِسَبَبِهَا
الصَّلَاةُ ، وَتِلْكَ تُدَامُ بِهَا الصَّلَاتُ ؛ وَكِلَاهُمَا تُسْتَأَلُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَلَا يُلَامُ عَلَى مَا تَعِيهِ
الْآذَانُ وَتُوعِيهِ الْجُيُوبُ ؛ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ تُحَدِّقُ بِجَوَارِهِ الْأَحْدَاقُ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ
الْأَعْنَاقُ ؛ وَتُبْلَغُ بِهِ الْمَقَاصِدُ ، وَيَقْوَى بِهِمَا الْمُعَاضِدُ ؛ وَكِلَاهُمَا أَمْرُهُ مَطَاعٌ ، مِنْ غَيْرِ
نَزَاعٍ ، وَإِذَا لَمَعَتْ أَزِمَةُ الْخُطْبِ طَارَ لِلذَّهَبِ سُعَاعٌ ؛ وَلَوْلَاهُمَا مَا آجَتَمَعَ جَمْعٌ
وَلَا آفَضَ ، وَلَا عَرَفَ الْأَنَامُ مِنْ تَأْتَمٍّ ؛ فَالْخُطْبُ وَالذَّهَبُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ ، وَبِهِمَا
يَذْكُرُ اللَّهُ قِيَمَاءُ^(١) الْمَسَاجِدِ ؛ وَلَوْلَا الْأَعْمَالُ ، مَا بُذِلَتِ الْأَمْوَالُ ، وَلَوْلَا الْأَمْوَالُ ، مَا وُلِّيتِ
الْأَعْمَالُ ؛ وَلَاجَلُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ النَّسْبَةِ ، قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ لَهُ السَّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ ؛ وَقَدْ
أَسْمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْجَمْعِ الْمُشْهُودُ مَا يَتَنَاقَلُهُ كُلُّ خَطِيبٍ ، وَيَتَدَاوَلُهُ كُلُّ بَعِيدٍ
وَقَرِيبٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِأَوَامِرٍ وَنَهَى عَنْ نَوَاهٍ وَهُوَ رَقِيبٌ ؛ وَتُسْتَفْزَعُ الْأَوْلِيَاءُ لَهَا
السَّجَايَا ، وَتُتَضَرَّعُ الْخُطْبَاءُ فِيهَا بِنُعُوتِ الْوَصَايَا ؛ وَتَكَلُّ بِهَا الْمَزَايَا ، وَيَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاعِظُ
وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَشَافِحِ الْخَبَايَا مِنَ الزَّوَايَا ؛ وَتُسَمَّرُ بِهَا الشُّمَارُ وَيَتَرَنَّمُ الْحَادِي وَالْمَلَّاحُ ،
وَيُرُوقُ شَجْوُهَا فِي اللَّيْلِ الْمُقْمِرِ وَيُرْقَمُ عَلَى جَنْبِ الصَّبَاحِ ؛ وَتُعْطَرُ بِهَا مَكَّةُ بَطْحَاءَهَا
وَتَحْيَا بِحَدِيثِهَا قُبَاهُ ، وَيَلْقَنَهَا كُلُّ أَبِي فَهْمٍ آئِنَهُ وَيَسْأَلُ كُلُّ أَبْنٍ أَنْ يُجِيبَ أَبَاهُ ؛ وَهُوَ
لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رُشْدٌ وَعَلَيْكُمْ بَيْنُهُ ، وَإِلَيْكُمْ مَا دَنَاكُمْ بِهِ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ وَلَوْلَا قِيَامُ الرَّعَايَا بِهَا
مَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا ، وَلَا أَمْسَكَ بِهَا الْبَحْرُ وَدَحَا الْأَرْضُ وَأَرْسَى جِبَالَهَا ؛ وَلَا آفَضَتْ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي بَعْضِ النُّسخِ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ قِيَامٌ ، أَوْ قَوَامٌ . تَأَمَّلْ .

الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجرأذيالها ، وأخذها دون بني أبيه ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ؛ وقد كفأكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح لكم من أبواب الأرزاق ، وأسباب الارتفاق ؛ وأحسن لكم على وفأفكم وعلمكم مكارم الأخلاق ، وأجركم على عوائدكم ولم يمسك خشية الإملاق ؛ ولم يبق على أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بما ينتفع به من يحيى - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - من بعده ، ويزيد على كل من تقدم ، ويقيم فروض الحج والجهاد ، ويقيم الرعايا بعذله الشامل في مهاد ؛ وأمير المؤمنين يقيم على عباده موسم الحج في كل عام ، ويشمل سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ؛ ويجهز السبيل على عايتيه ويرجو أن يعود إلى حاله الأول في سالف الأيام ، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويُرسل إلى ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام ؛ ويقوم بقومة قبور الأنبياء - صلوات الله عليهم - أين كانوا وأكثرهم في الشام ؛ والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سنتها ، وقويم سنتها ؛ وستزيد في أيام أمير المؤمنين بمن أنضم إليه ، وبما يتسلمه من بلاد الكفار ويسلم على يديه .

وأما الجهاد ، فيكتفى بأجتهد القائم عن أمير المؤمنين بأمره ، المقلد عنه جميع ماوراء سريره ؛ وأمير المؤمنين قد وكل إليه - خلد الله سلطانه - عناء الأيام ، وقلده سيفه الرابع بوارقه ليسله واجده على الأعداء [وإلا] سل خياله عليهم في الأحلام ؛ ويؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ماغلب عليه العدا ، وأنترج [مابا] يديهم من بلاد الإسلام لأنه حقه وإن طال عليه المدى ؛ وقد قدم الوصية بأن يوالى غزو العدو الخندول برا وبحرا ، ولا يكف عمن يظفر به منهم قتلا وأسرا ، ولا يفك أغلالا ولا إصرار ؛ ولا ينفك يرسل عليهم في البحر غرابانا ، وفي البر من الخيل عقبانا ؛ يحمل

فيهما كلَّ فارسٍ صَفْرًا ، ويحیی الممالكَ ممن يحوزُ أطرافها بإقدام ، ويتخولُ أكفافها
الأقدام ؛ وينظرُ في مصالح القلاع والحُصُون والثُغُور ، وما يُحتاج إليه من آلات
القتال ، وما يُحتاج به الأعداء ويعجزُ عنه الحُتال ؛ وأمّهات الممالك التي هي مرابطُ
البُود ، ومرابطُ الأسود ، والجناح المدد ؛ ويتفقدُ أحوالهم بالعرض ، بما لهم
من خيلٍ تفقدُ [بالعجاج] ما بين السماء والأرض ؛ وما لهم من زرد مصُون ، وبيض
مسها ذائبٌ ذهبٍ فكانت كأنها بيضٌ مكنون ؛ وسيوفٌ قواضب ، ورماحٌ لكثرة
طعنها من الدماء خواضب ، وسهامٌ توأصل القسي وتُفارقها فتجنُّ حينَ مفارق
وترجُرُ القوس زجرجة مغاضب .

وهذه جملةُ أرادَ أميرُ المؤمنين بها تطيبَ قلوبكم ، وإطالةُ ذيلِ التطويل
على مطلوبكم ؛ وماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حِمايةٍ إلا ما أباح الشرعُ المطهرُ ،
ومزيدُ الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر .

وأما جُريئات الأمور ، فقد علمتم بأنَّ فيمن تقلدَ عن أمير المؤمنين غنى عن مثل
هذه الذكري ، وفتى حقَّ لا يتسغل بطلب شيءٍ فكراً ؛ وفي ولّاة الأمور ، ورعاة
الجمهور ؛ ومن هو سداد عمله ، ومدادُ أمّله ، ومُرادُ من هو منكم معشر الرعايا
من قبله ؛ وأنتم على تفاوتِ مقاديركم وديعةُ أمير المؤمنين ومن خولكم وأنتم وهم
فما منكم إلّا من استعرف أمير المؤمنين وتمشى في مرضى الله على خلقه ، وينظر
ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى في طاعة الله في خلقه ؛ وكلّكم سواء في الحق عند
أمير المؤمنين وله عليكم أداءُ النصيحة ، وإبداءُ الطاعة بسريّةٍ صحيحة ؛ وقد دخل
كلّ منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رافته ، ولزم حكمَ بيعته ؛ وألزم طائره
في عنقه ، ويستعمل كلّ منكم في الوفاء ما أصبح به علياً : ((ومن أوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)) .

هَذَا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى هَذَا عَهْدُ إِلَيْهِ وَبِهِ يَعْهَدُ، وَمَا سَوَى هَذَا فَهُوَ جُحُورٌ لَا يُشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ وَلَا يُشْهَدُ؛ وَهُوَ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ كُلَّهُ مَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَيَحِلُّ مِنْهُ مَا يَصْلُحُ بِهِ الْحَالُ وَالْمَالُ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَيَسْتَعِيدُّ بِاللَّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ؛ وَيَحْتَمُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلَهُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ وَهُوَ مِنَ الْخَلْقِ «أَحْمَدُ» وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ مُلْكَ سَلِيمَانَ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَنِعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا وَهَبَهُ، وَيَمْلِكُهُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَيُورِثُهُ بَعْدَ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ عَقِبَهُ؛ وَلَا يَزَالُ عَلَى أَسْرَةِ الْعِلْيَاءِ قُعُودُهُ، وَلِبَاسُ الْخِلَافَةِ بِهِ أَهْبَةُ الْجَلَالَةِ كَأَنَّهُ مَامَاتٍ مَنْصُورُهُ وَلَا رَدَى مَهْدِيَّةٍ وَلَا ذَهَبَ رَشِيدِهِ ^(١).

المقصود السادس

(فِيمَا يَكْتُبُ فِي آخِرِ الْبَيْعَةِ)

إِذَا آتَمَتْهُ إِلَى آخِرِ الْبَيْعَةِ، شَرَعَ فِي كِتَابَةِ الْخَوَاتِمِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَيَكْتُبُ :
«إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» ثُمَّ يَكْتُبُ التَّارِيخَ . ثُمَّ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قِيَاسُ الْعُهُودِ أَنَّهُ يَكْتُبُ
الْمُسْتَنَدَ عَنِ الْخَلِيفَةِ فَيَكْتُبُ «بِإِذْنِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ الْإِمَامِيِّ النَّبَوِيِّ الْمُتَوَكِّلِيِّ» -
مِثْلًا - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى «وَكَأَنَّ الْخَلِيفَةَ الَّذِي عُقِدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ هُوَ الَّذِي أُذِنَ
فِي كِتَابَتِهَا» .

قُلْتُ : وَلَوْ أُسْقِطَ الْمُسْتَنَدُ فِي الْبَيْعَاتِ فَلَا حَرَجَ بِخِلَافِ الْعُهُودِ : لِأَنَّهَا صَادِرَةٌ
عَنْ مُوَلٍّ وَهُوَ الْعَاهِدُ، فَحُسْنُ إِضَافَةِ الْمُسْتَنَدِ إِلَيْهِ، بِخِلَافِ الْبَيْعَةِ فَإِنَّهَا إِنَّمَا تَصْدُرُ
عَنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَيَكْتَفَى فِي الْمُسْتَنَدِ عَنْهُمْ بِكِتَابَةِ خُطُوطِهِمْ فِي آخِرِ

(١) هذه المعاهدة من قلم القاضي الفاضل ليست لابسة حلل بلاغته ولا متسرلة جلايب فصاحته فهي تجربة لم تنقح ومسودة لم تصحح كما أشار إليه ابن ناظر الجيوش فليتبته .

البيعة كما سيأتي ؛ ثم بعد كتابة المستند - إن كُتِبَ - تُكْتَبُ الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة ، على ما تقدم في الكلام على الفوائج والخواتم في مقدمة الكتاب .

ثم يَكْتُبُ مَنْ بايع من أهل الحل والعقد والشهود على البيعة .

فأما من تَوَلَّى عَقْدَ البيعة من أهل الحل والعقد فيكتب : « بايعته على ذلك ، وكتب فلان بن فلان » ويدعو في خلال ذلك قبل اسمه بما يناسب : مثل أن يقال « بايعته على ذلك قدس الله خلافته » أو « زاد الله في شرفه » أو « زاد الله في اعتلائه » وما أشبه ذلك .

وأما الشهود على البيعة فالواجب أن يكتب كل منهم : « حضرت جريان عقد البيعة المذكورة ، وكتب فلان بن فلان » كما يكتب الشاهد بجريان عقد النكاح ونحوه ؛ ولا بأس أن يدعو في رسم شهادته قبل كتابة اسمه بما يناسب : مثل « قرنها الله تعالى باليمن أو بالسداد » أو « عرف الله المسلمين بركتها » وما أشبه ذلك .

المقصود السابع

(في قطع الورق الذي تُكْتَبُ فيه البيعة ، والقلم الذي تُكْتَبُ به ،

وكيفية كتابتها ، وصورة وضعها)

وأعلم أن البيعات لم تكن متداولة الاستعمال لقلّة وقوعها ، فلم يكن لها قطع ورق ، ولا تصوير متعارف فيتبع ؛ ولكنه يؤخذ فيها بالقياس وعموم الألفاظ .

فأما قطع ورقها ، فقد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق تقلا عن محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » أن قطع البغدادى الكامل للخلفاء والملوك . ومقتضى

ذلك أنَّ البيعات تُكتب فيه ، وهو قياسُ ما ذكره المقرَّ الشَّهابيُّ بنُ فضل الله في "التعريف" من أنَّ للعهود قطعَ البغدادىِّ الكامل على ماسياتى ذكره .

قلت : لكن سياقى فى الكلام على عهود الخلفاء أنها الآن قد صارت تُكتبُ فى قطع الشامى الكامل ، وبينهما فى العَرَض والطُّول بَوْنٌ كبير على ما تقدم بيانه فى الكلام على قطع الورق ؛ وحينئذٍ فينبغى أن تكون كتابةُ البيعات فى قطع الشامى مناسبة لما تُكتبُ فيه عهودُ الخلفاء الآن .

وأما القلم الذى يُكتب به فيحسب الورق الذى يُكتب فيه : فإن كُتبت البيعةُ فى قطع البغدادى ، كانت الكتابةُ بقلمٍ مختصر الطُّوارِ إذ هو المناسبُ له ؛ وإن كُتبت فى قطع الشامى ، كانت الكتابةُ بقلمِ الثُلث الثقيلِ إذ هو المناسبُ له .

وأما كيفيةُ الكتابةِ وصورةُ وضعها ، فقياسُ ما هو متداولٌ فى كتابة العهود وغيرها ، أنه يتبدأ بكتابة الطُّرة فى أول الدَّرَج بالقلم الذى تُكتب به البيعةُ سطوراً متلاصقةً لا حُلُولَ بينها ، ممتدةً فى عَرَض الدَّرَج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابةُ فى قطع البغدادىِّ الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة فى عهود الملوك عن الخلفاء على ماسياتى ذكره ؛ ويتركُّ بعد الوصل الذى فيه الطُّرة ستة أوصالٍ بياضاً من غير كتابة : لتصير بوصل الطُّرة سبعة أوصال ؛ ثم يكتبُ البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاته تكاد تلحقُ الوصل الذى فوقه بهامشٍ عريضٍ عن يمينه قدرَ أربعة أصابعٍ أو خمسة مطبوقَةٍ ؛ ثم يكتبُ تحت البسملة سطرًا من أول البيعة ملاصقًا لها ؛ ثم يخلِّ مكان بيت العلامة قدرَ شبرٍ بحرًا على قاعدة العهود وإن لم تكن علامة تُكتب ، كما يخلِّ بيتُ العلامة فى بعض المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ؛ ثم يكتب السطر الثانى تحت بيت العلامة على

سَمَتَ السَّطْرَ الَّذِي تَحْتَ الْبِسْمَةِ فِي بَقِيَّةِ الْوَصْلِ الَّذِي فِيهِ الْبِسْمَةُ ؛ وَيُحَرِّصُ
 أَنْ تَكُونَ نِهَائِيَّةُ السَّجْعَةِ الْأُولَى فِي أَثْنَاءِ السَّطْرِ الْأَوَّلِ أَوِ الثَّانِي ؛ ثُمَّ يَسْتَرْسِلُ فِي كِتَابَةِ
 بَقِيَّةِ الْبَيْعَةِ وَيَجْعَلُ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ قَدْرَ رُبْعِ ذِرَاعٍ بِذِرَاعِ الْقَمَاشِ كَمَا سَيَأْتِي
 فِي الْعُهُودِ ؛ وَيَسْتَضِحِبُ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْبَيْعَةِ ، فَإِذَا آتَتْهُ إِلَى آخِرِهَا كَتَبَ
 ”إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى“ ثُمَّ التَّارِيخَ ، ثُمَّ الْمُسْتَنْدَ ، ثُمَّ الْحَمْدَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْحَسْبَةَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الْفَوَاتِحِ وَالْخَوَاتِمِ فِي مَقْدَمَةِ الْكِتَابِ ؛
 ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ بَايَعٍ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ خُطُوطَهُمْ ، ثُمَّ الشُّهُودَ عَلَى الْبَيْعَةِ بَعْدَهُمْ .
 وَإِنْ كَانَتِ الْكِتَابَةُ فِي الْقَطْعِ الشَّامِي ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْقُصَ عَدْدُ أَوْصَالِ الْبَيَاضِ
 الَّذِي بَيْنَ الطَّرَةِ وَالْبِسْمَةِ وَصَلَيْنِ فَتَكُونَ خَمْسَةً ، وَيَنْقُصُ الْهَاشِ فِيَكُونَ قَدْرَ ثَلَاثَةِ
 أَصَابِعٍ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ قَانُونُ الْكِتَابَةِ .

وهذه صورة وضعه في الورق ممثلاً لها بالطرّة التي أنشأها لذلك ، والبيعة الثانية
 من البيعتين اللتين أنشأتهما

بِأُصْبَعٍ بِيَاضٍ بِأَعْلَى الدَّرَجِ

هَذِهِ بَيْعَةٌ مُمَيَّنَةٌ ، بِالْأَيْمَنِ مَبْتَدَأَةً بِالسَّعْدِ مَقْرُونَةً ؛ لِمَوْلَانَا السَّيِّدِ الْجَلِيلِ الْإِمَامِ
 النَّبِيِّ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ابْنِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ
 أَبِي الْفَتْحِ أَبِي بَكْرٍ الْعَبَّاسِي : زَادَ اللَّهُ تَعَالَى شَرَفَهُ عَلَواً ، وَفَخَارَهُ سُمُومًا . قَامَ بِعَقْدِهَا
 السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَعْظَمُ ، وَالشَّاهَنْشَاهُ الْمُعْظَمُ ، الْمَلِكُ الظَّاهِرُ أَبُو سَعِيدٍ بَرْقُوقَ ،
 خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانَهُ ، وَنَصَرَ جُيُوشَهُ وَأَعْوَانَهُ ؛ يَجْمَعُ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ ،
 وَالْأَعْتِبَارِ وَالنَّقْدِ : مِنَ الْقُضَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ ، وَوُجُوهِ النَّاسِ وَالْوُزَرَاءِ وَالصُّلَحَاءِ
 وَالنَّصَحَاءِ ؛ وَإِمَاضُهَا عَلَى السَّبَادِ ، وَالتَّجْحُّجُ وَالرِّشَادُ .
 عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ

بياض ستة أوصال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هاشم الحمد لله الذى جعلَ بيتَ الخلافةِ مَنَابَةً للناسِ وأَمَنًا . وأقام

بيت العلامة

تقدير شبر

سُورَ الإمامةِ وَقَايَةً لِلْأَنَامِ وَحِصْنًا ؛ وَشَدَّ مِنْهَا بِالْعَصَابَةِ

تقدير ربع ذراع

الْقُرْشِيَّةَ أَزْرًا وَشَادَ مِنْهَا بِالْعُصْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ رُكْنًا . وَأَغَاثَ

تقدير ربع ذراع

الْخَلْقَ بِإِمَامٍ هُدًى حَسَنٍ سِيرَةٍ وَصَفًا سَرِيرَةٍ فَرَاقَ صُورَةً وَرَقًّا مَعْنَى .

ثم يأتى على الكلام إلى آخر البيعة على هذا النمط إلى أن ينتهى إلى

قوله : والله تعالى يجعلُ أُنْتَقالهم من أدنى إلى أعلى ومن يُسرى إلى يئنى ،

ويحقق لهم بمن أستخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ هَامِش

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا .

إن شاء الله تعالى

كتب في الثاني من جمادى الأولى مـ

سنة إحدى وتسعين وسبعائة

بالإذن العالى المولوى الإمامى النبوى المتوكلى مـ

أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

بإيعته على ذلك	بإيعته على ذلك	بإيعته على ذلك
زاد الله تعالى في أعتلائه	زاد الله تعالى في شرفه	قدس الله تعالى خلافته
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

صورة خط المايين
للخليفة من أهل الحل والعقد

حضرت	حضرت	حضرت
جریان عقد	جریان عقد	جریان عقد
البيعة المذكورة	البيعة المذكورة	البيعة المذكورة
عَرَفَ اللهُ المسلمين	قَرَنَهَا اللهُ تعالى	قَرَنَهَا اللهُ تعالى
بِرَكَّتِهَا	بِالسَّداد	بِالْيَمْنِ والبركة
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

رواه خط
بسم الله

النوع الثاني

(من البيعات ، بيعات الملوك)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بَنَ فَضَلَ اللهُ قَدْ ذَكَرْنِي "التعريف" : أَنَّ مَنْ قَامَ مِنَ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ عَهْدٍ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ تُكْتَبَ لَهُمْ مَبَايِعَةٌ ؛ وَكَأَنَّهُ يَرِيدُ أَصْطِلَاحَ بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْأَمْرِيَّةِ ؛ أَمَّا بِلَادُ الْمَغْرِبِ فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ مُصْطَلَحِهِمْ بِكُتَابَةِ الْبَيْعَاتِ لِلْمُلُوكِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ عَنْدهُمْ خَلِيفَةٌ يَدِينُونَ لَهُ ، يَتَقَلَّدُونَ الْمُلْكَ بِالْعَهْدِ مِنْهُ . بَلْ جُلُومُهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ يَدْعِي الْخِلَافَةَ فَهُمْ يَكْتُبُونَ الْبَيْعَاتِ لِهَذَا الْمَعْنَى .

وهذه نسخة بيعة من هذا النوع ، كُتِبَ بِهَا لِلْمُلْكِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ نَصْرٍ مِنَ الْأَحْمَرِ الْأَنْصَارِيِّ ، صَاحِبِ حِمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، مَفْتُوحَةً بِحُطْبَةِ عَلَى قَاعِدَتِهِمْ فِي بَيْعَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ؛ وَرَبَّمَا تَكَرَّرَ الْحَمْدُ فِيهَا دَلَالَةً عَلَى عِظَمِ النِّعْمَةِ . مِنْ إِنْشَاءِ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَطِيبِ صَاحِبِ دِيْوَانِ إِنْشَائِهِ ، عَلَى مَا رَأَيْتُهُ فِي دِيْوَانِ تَرْسُلِهِ ، وَهِيَ :

الحمد لله الذى جلّ شأنه ، وعزّ سلطاناً ؛ وأقام على رُبوبيّته الواجبة فى كلّ شىء خلقه بُرهاناً ، الواجب الوجود ضرورةً إذ كان وجودُ ماسواه إمكاناً ؛ الحى القيوم حياةً أبديةً سرمديةً منزّهة عن الابتداء وال انتهاء [فلا تعرّف وقتاً ولا تستدعى زماناً ؛ العليم الذى يعلم السرّ وأخفى^(١)] فلا يعزّب عن علمه مثقال ذرّة فى الأرض ولا فى السماء إلّا أحاط بها علمها وأدركها عياناً ؛ القدير الذى ألقت الموجودات كلّها إلى عظمته يد الخضوع استسلاماً له وإذعاناً . المرید الذى بمشيئته تصرّف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، فإن منع منع عدلاً وإن منع منع إحساناً ؛ شهيد تدأول الملوك بدوام ملكه ودلّ حدوث ماسواه على قدمه ، وأنثت ألسنة الحى والجماد على مواهبه وقسمه ، وفاض على عوالم السماء والأرض بجرّ جوده العميم النوال من قبل السؤال وكرمه ، وإن من شىء إلّا يسبح بحمده ويثنى على نعمه سرا وإعلاناً . فهو الله الذى لا إله إلّا هو ليس فى الوجود إلّا فعله ، ألا له الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر كلّهُ ، وسع الأكوان على تباينها فضله ، وقدّر المواهب والمقاسم عدله ، منعا ومنحا وزيادة ونقصانا .

والحمد لله الذى بيده الإختراع والإنشاء ، مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، سبق فى مكنون غيبه القضاء ، وخفيت عن خلقه الأسباب وعميت عليهم الأنباء ، وعجزت عقولهم أن تدرك منها كنهها أو تكشف منها بَياناً .

والحمد لله الذى رفع قبة السماء ما اتّخذ لها عمّاداً ، وجعل الأرض فراشاً ومهاداً ، وخلق الجبال الراسية أوتاداً ؛ ورتّب أوضاعها أجناساً متفاضلة ، وأنواعاً متباينة متقابلة : حيواناً ونباتاً وجماداً ؛ وأقام فيها على حكمة الإبداع دلائل باهرة الشعاع

(١) الزيادة من ربحانة الكتاب لأبن الخطيب (ص ٤٨ ج ١) .

وأشهدا ، وجعل الليل والنهار خِلْفَةً والشمس والقمر حُسباناً . وقدر السياسة
سياجا لعالم الإنسان يَضُمُّ منه ما آتَشَرَ ، وَيَطْوِي من تعديهِ ما نَشَرَ ، ويَحْمِلُهُ على
الآداب التي تُرَشِّدُهُ إذا ضَلَّ وتُقيِّمُهُ إذا عَثَرَ ، وتجبرُهُ على أن يلتزم السنن ويتَّبِعَ
الأثر ، لُطْفًا منه سَمِلَ البَشَر وَحَنَانًا .

ولما عمَّر الأرض بهذا الجنس الذي فضله وشرَّفه ، وهبَ له العقل الذي تفكَّر
به في حكمته حتَّى عرَفَه ، وبما يجبُ لرؤيائه الواجبةِ وصفه ، جعلهم درجاتٍ
بعضها فوقَ بعض فقرا وغنيّ وطاعةً وعِصياناً . واختار منهم سَفَرَةَ الوحي وحَمَلَةَ
الآيات ، وأرسل فيهم الرُّسل بالمعجزات ، وعرَّفهم بما كَفَّفهم من الأعمال
المفترَضات : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .
يومَ اعتبار الأعمالِ وأَعتبار الحَسَنات ، ونَصَبَ العدلَ والمُجازاةَ في يومِ العَرْضِ عليه
قِسْطًا ومِيزَانًا .

نَحْمَدُهُ وله الحمدُ في الأولى والآخِرِه ، ونُثْنِي على مَوَاهِبِه الجَمَّةِ وآلائِهِ الوافِرِه ،
ونُتَمِّدُ يدَ الضَّراعةِ ، في مَوْقِفِ الرِّجاء والطَّاعةِ ، إلى المَزِيدِ من مَنِّهِ الهامِيَةِ الهامِرَةِ ،
ونسأله دَوَامَ الطَّافِ الخَافِيَةِ وعِصَمِهِ الظَّاهِرَةِ ، وأَتَصَالُ نِعْمِهِ التي لا تَزَالُ تَتَعَرَّفُهَا
مَتْنًى ووَحْدَانًا . ونشهدُ أَنَّهُ اللهُ الذي لا إِلَهَ إِلَّا هو وحده لا شريكَ له . [شهادة
نُحْمَدُهَا في المَعَادِ عُدَّةً وَاقِيَه ، ووسيلةً للأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَيْهِ رَاقِيَه ، وذخيرةً صَالِحَةً
بَاقِيَه ، ونُورًا يَسْعَى بين أَيْدِينَا وَيَكُونُ على الرِّضَا والقبولِ فينا عُنْوَانًا ^(١)] . ونشهدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا ومولانا مُحَمَّدًا النَّبِيَّ العَرَبِيَّ القُرَشِيَّ الهاشميَّ عَبْدَهُ ورسوله الذي أَصْطَفَاهُ
وآخْتارَهُ ، وَرَفَعَ بين النَّبِيِّينَ والمرسلينَ مِقْدَارَهُ ، وطَهَّرَ قلبه وَقَدَّسَ أَسْرَارَهُ ، وبلغه

من رِضاهُ أَخْيَارَه ، وأعطاه لِوَاءَ الشَّفَاعَةِ يَقْفُو آدَمَ وَمَنْ بعده مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ
 أَنَارَه ، وجعله أَقْرَبَ الرُّسُلِ مَكَانَةً وَأَرْفَعَهُمْ مَكَانًا . رَسُولُ الرَّحْمَةِ ، وَنُورُ الظُّلُمَةِ ،
 وَإِمَامُ الرُّسُلِ الْأَيُّمِّه ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَرْيَةِ السَّبْقِ وَمَرْيَةِ التَّيَمِّه ؛ وجعل طَاعَتَهُ
 مِنَ الْعَذَابِ الْمُقِيمِ أَمَانًا . صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي تَوْمَلُ ، وَالْوَسِيلَةُ الَّتِي إِلَى اللَّهِ بِهَا
 يُتَوَسَّلُ ، وَالدرَجَةُ الَّتِي لَمْ يُؤْتَهَا الْمَلِكُ الْمُقَرَّبُ وَلَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، وَالرَّبِّيَّةُ الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا
 اللَّهُ سِوَاهُ إِنْسَانًا . انْتَجَبَهُ مِنْ أَشْرَفِ الْعَرَبِ أُمًّا وَأَبَا ، وَأَزَكَى الْبَرِيَّةِ طِينَةً وَأَرْفَعَهَا
 نَسَبًا ، وَابْتَعَثَهُ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ عَجًّا وَعَرَبًا ، وَمَلَأَ بُنُورَ دَعْوَتِهِ الْبَسِيطَةَ جَنُوبًا وَشَمَالًا
 وَمَشْرِقًا وَمَغْرِبًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الَّذِي آمَنْتَ بِهِ الْخُنَّ لِمَا سَمِعْتَهُ وَقَالُوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا
 قُرْآنًا نَجْمًا ﴾ . تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَبَيَّنَا . فَصَدَعَ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ مِنْ آخِثَارِ ذَاتِهِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْطَفَاهَا ، وَأَدَّى أَمَانَةَ اللَّهِ وَوَقَّاهَا ،
 وَرَأَى الْخَلَائِقَ عَلَى شَفَى الْمَتَالِفِ فَتَلَّاهَا ، وَتَبَعَ أَدْوَاءَ الضَّلَالِ فَشَفَاهَا ، وَحَا مَعَالِمَ
 الْجَهْلِ وَعَقَّاهَا ، وَشَادَ لِلْخَلْقِ فِي الْحَقِّ بُنْيَانًا . مُؤَيِّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي حُجِّجُهَا تُقْبَلُ
 وَتُسَلَّمُ : فَمَنْ جَدَعَ لِفِرَاقِهِ يَتَأَلَّمُ ، وَجَمَادٍ بِصِدْقِ نُبُوتِهِ يَتَكَلَّمُ ، وَجَبِشَ شَكَا الظُّمَأِ
 فَفَجَّرَ لَدَيْهِ الْمَعِينِ مِنْهُ بَنَانًا . وَأَيُّ مُعْجِزَةٍ كَكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ ،
 فَهُوَ أَلِيمٌ وَالْعُلُومُ النَّافِعَةُ كُلُّهَا مَذَانِبُهُ ، وَأَفْقُ الْحَقِّ الَّذِي تَهْدِي فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 كَوَاكِبُهُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فُرْقَانًا . فَاشْرَقَتْ الْأَرْضُ
 بِنُورِ رَبِّهَا وَآيَاتِهِ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَبَلَغَ مُلْكُ أُمَّتِهِ
 مَا زَوَى لَهُ مِنْ أَقْطَارِ الْمَعْمُورِ وَجِهَاتِهِ ، حَتَّى عَمَرَ مِنْ أَكْثَافِ الْبَسِيطَةِ ، وَأَرِيفِ
 الْبَحَارِ الْمُحِيطَةِ ، وَهَادَا وَكُنَّابَنَا . وَثِقَلَتْ كُنُوزُ كَسْرَى بِعِزِّ دَعْوَتِهِ الْغَالِبَةِ ، وَظَفِرَتْ
 بِقَلْعِ الْخِصَامِ أَيْدَى عِزَائِمِهَا الْمُطَالِبَةِ ، وَأَصْبَحَ إِيوَانُ فَارَسَ مَجَرِّ رِمَاحِ الْعَرَبِ
 الْعَارِبَةِ ، وَقَدَفَتْ جُنُودَ قِصَرٍ مِنْ ذَوَائِلِهَا بِالشُّهْبِ النَّاقِبَةِ ، حَتَّى قَرَعَ عَنْ مَدَرَتِهِ الطَّيْبَةِ

أَتَبَّأَ بِالصَّفْقَةِ الْخَائِبَةِ، وَخَلَصَتْ إِلَى فُسْطَاطِ مَصْرَ بِكَائِبِهَا الْمُتَعَاكِفِ، فَلَا تَسْمَعُ
الْأَذَانُ فِي إِقَامَتِهِمْ إِلَّا إِقَامَةً وَأَذَانًا . وَلَا دَلِيلَ أَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْقَطْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ
الْغَرِيبِ الَّذِي خَلَصَتْ إِلَيْهِ سُيُوفُهَا أَثْبَاجَ الْبَحَارِ، عَلَى بَعْدِ الْمَرَاحِلِ وَتُرُوحِ الدِّيَارِ،
وَتَكَائِفِ الْعَمَلَاتِ وَآخْتِلَافِ الْأَمْصَارِ، وَمُنْقَطَعِ الْعِمَارَةِ بِأَفْضَى الشَّمَالِ وَمَحْطِ السُّفَارِ،
طَلَعَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اللَّهِ طُلُوعَ النَّهَارِ، وَاسْتَوْطَنَتْهُ قِبَائِلُ الْعَرَبِ الْأَحْرَارِ، وَأَرْغَمَتْ فِيهِ
أَنْوَفَ الْكُفَّارِ، ضَرَابًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَطِعَانًا .

وَلَمَّا اسْتَقَامَ الدِّينَ، وَتَمَّ مَعَالِمُ الْإِيمَانِ الرُّسُولُ الْأَمِينِ، وَظَهَرَ الْحَقُّ الْمُبِينِ،
وَرَأَى مِنْ وَجْهِ الْمِلَّةِ الْخَفِيفَةِ السَّمْحَةِ الْجَيِّنِ، وَأَخَذَ الْمَسَالِكَ وَالْمَاخِذَ الْإِفْصَاحِ
وَالْتَبِينَ، وَتَفَرَّتِ الْمُسْتَنْدَاتُ الْمَعْتَمِدَاتُ سُنَّةً وَقَرَأْنَا، أَشْعَرَهُ الْوَحْيُ بِالرَّحْلَةِ
عَنْ هَذِهِ الدَّارِ، وَالْإِتِّقَالَ إِلَى مَحَلِّ الْكَرَامَةِ وَدَارِ الْقَرَارِ، وَخَيَّرَهُ الْمَلِكُ فَاخْتَارَ الرَّفِيقَ
الْأَعْلَى مُوَفَّقًا إِلَى كَرَمِ الْأَخْيَارِ، [و] وَجَدَ صَحْبَهُ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْإِسْتِخْلَافِ بَعْدَهُ
وَالْإِيشَارِ مُجَبَّجًا مُشْرِقَةً الْأَنْوَارِ، أَطْلَقَتْ بِالْحَقِّ يَدًا وَأَنْطَقَتْ بِالصَّدَقِ لِسَانًا .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبَاتِهِ، وَأُسْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ وَعِصَابَتِهِ، وَأَنْصَارِهِ وَأَصْحَارِهِ
وَقَرَابَتِهِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي مُعَاوَدَتِهِ إِخْوَانًا، وَعَلَى إِعْلَاءِ أَمْرِ الْحَقِّ أَعْوَانًا . نُجُومُ
الْمِلَّةِ وَأَقْمَارِهَا، وَغُيُوثُهَا الْهَامِيَّةُ وَبِحَارِهَا، وَسُيُوفُ اللَّهِ الَّتِي لَا تُبْثَوُ شَفَارُهَا، وَأَعْلَامُ
الْهُدَى الَّتِي لَا تُبْثَلَى آثَارُهَا، وَدَعَائِمُ الدِّينِ الَّتِي رَفَعَتْ مِنْهُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى أَرْكَانًا .

وَحَيَّا اللَّهُ وَجْهَهُ حَتَّى الْأَنْصَارِ بِالنِّعَمِ وَالنَّضْرَةِ، أُولَى الْبَأْسِ عِنْدَ الْحَفِظَةِ وَالْعَفْوِ
عِنْدَ الْقُدْرَةِ، الرَّاضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَيَذْهَبُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنِعِمَّتِ الْمُنْقَبَةُ وَالْأَثَرَةُ، الْخَائِزُونَ بَبِيعَةِ الرِّضْوَانِ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا .
وُزَّرَ أَوْهُ وَظَهَرَ أَوْهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَخَالَصَتْهُ يَوْمَ أَحُدٍ وَبَدْرٍ، لَمْ يَزَالُوا صَدْرًا فِي كُلِّ

قَلْبٌ وَقَلْبٌ فِي كُلِّ صَدْرٍ ، يَصَلُّونَ دُونَهُ كُلِّ جَمْرٍ ، وَيَقْدُونَ بِنُفُوسِهِمْ فِي كُلِّ سِرٍّ
وَجَهْرٍ ، وَيَعْمَلُونَ فِي إِعْلَاءِ دِينِهِ بِيضًا عِضَابًا وَشُمْرًا لِدَانَا . صَلَاةٌ لَا تَزَالُ سَحَائِبُهَا
تُرَى ، وَنَحْيَةٌ دَائِمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ، مَا لَهَجَتْ الْأَلْسُنُ بِثَنَائِهِمْ ، وَوَقَفَتْ الْمَفَاحِرُ عَلَى عَلَيَانِهِمْ ،
وَتَعَلَّمَتِ الْمَوَاهِبُ مِنْ آلَانِهِمْ ، وَقَصُرَتِ الْحَمَامِدُ عَلَى مُسَمِّيَاتِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ ، وَكَانَ
حُبُّهُمْ عَلَى الْفُوزِ بِالْحَنَةِ ضَمَانًا .

وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ لِهَذَا الْأَمْرِ النَّصِيرَ الَّذِي سَبَبَهُ بِسَبَبِهِمْ مُضُولٌ ، وَهُمْ لِقُرُوعِهِ
السَّامِيَةِ أَصُولٌ ، فَيَا هَذَا مِنْ نُصُولِ خَلْقَتِهَا نُصُولٌ ، أَنْجَزَتْ وَعْدَ النُّصْرَةِ وَهُوَ مُطُولٌ ،
وَأَحْيَتْ رُبُوعَ الْإِيمَانِ وَهِيَ طُلُولٌ ، نَصْرًا عَزِيزًا وَقَتًّا مَبِينًا ، وَتَأْيِيدًا عَلَى أَعْدَائِكَ
وَتَمَكِينًا ، وَمُلْكًا يَبْقَى فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ وَسُلْطَانًا . وَأَعِنَّا اللَّهُمَّ عَلَى
مَا أَوْجَبَتْ لَهُ مِنْ مَفْرُوضِ الطَّاعَةِ ، وَتَادِيَةِ الْحَقِّ بِجَهْدِ الْإِسْتِطَاعَةِ ، وَأَعِصْمْنَا
بِبِلَائِهِ الْعَادِلَةِ مِنَ الْإِضَاعَةِ ، وَآحِلْنَا مِنْ مَرْضَاتِهِ عَلَى سَنَنِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَاجْعَلْهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَآخِزْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ .

أَمَّا بَعْدَ مَا أَفْتَتَحَ بِهِ مِنْ تَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ ، وَالشَّاءِ الَّذِي تَتَعَطَّرُ الْأَنْدِيَّةُ بِتَرْيْدِهِ ؛
فَإِنَّ مِنَ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْوُجُودُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَالْمَعْلُومِ الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ ضَلَّ
مِنْ يُنْكِرُهُ أَوْ يُنْحَدُّهُ ، وَالذَّائِعِ بِكُلِّ قَطْرٍ تَرْوِيهِ رُؤَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُسَيِّدُهُ ؛ مَا عَلَيْهِ هَذَا
الْمُلْكُ النَّصِيرِيُّ الْحَيُّ ، الْأَنْصَارِيُّ الْمُتَمَتِّعُ ؛ الَّذِي يُصِيبُ شَاكِلَةَ الْحَقِّ إِذَا رَمَى ،
وَيَعْمُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ غَيْثُهُ مَهْمَا هُمَا ؛ مِنْ أَصَالَةِ الْأَعْرَاقِ ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ؛
وَالْفَضْلِ الْبَاهِرِ الْإِشْرَاقِ ، وَالْجِهَادِ الَّذِي هُوَ سَمَرُ الرِّكْبِ وَحَدِيثُ الرَّفَاقِ ؛ وَأَنَّ قَوْمَهُ
الْمُلُوكَ الْكَرَامَ إِنْ قُوِّحُوا بِنَسَبٍ ذَكَرُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَمَجْدَهُ ، أَوْ كُوِّثُوا بِعَدَدٍ غَلَبُوا
بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، أَوْ اسْتَنْصَرُوا فَتَجَرَّوْا كُلَّ شِدَّةٍ ، وَاسْتَظْهَرُوا مِنْ [عِزِّهِمْ] ^(١) الْمَوْهُوبِ ،

وَصَبَرَهُمْ عَلَى الْخُطُوبِ ، بِكُلِّ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ ؛ دَارَهُمُ النَّغْرُ الْأَقْصَى وَنِعْمَتِ الدَّارِ ،
وَشِعَارُهُمْ « لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ » وَنِعَمَ الشَّعَارِ ؛ زُهَادٌ إِذَا ذُكِرَ الدِّينُ ، أَسْوَدٌ إِذَا حَمِيتِ
الْمَيَادِينُ ؛ جَبَالٌ إِذَا زَحَفَتِ الصُّفُوفُ ، بُدُورٌ إِذَا أَظْلَمَتِ الرُّجُوفُ ؛ غِيُوثٌ إِذَا
مُنِعَ الْمَعْرُوفُ ، أَفْرَادٌ إِذَا ذُكِرَتِ الْأُلُوفُ ؛ إِنْ بُوِيَعُوا فَلَمَّلَا لَكَّةً وَفُودَ [وَحَمَلَةُ الْعِلْمِ ^(١)]
وَحَمَلَةُ السَّلَاحِ شُهُودٌ ؛ وَإِنْ وَلَدُوا فَالْسُيُوفُ تَمَاضٍ وَالسُّرُوجُ مُهُودٌ ، وَإِنْ أَفْخَرُوا
لِلْعُدُوِّ فَالظُّلَالُ بُنُودٌ ، وَجُنُودُ السَّبْعِ الطَّبَاقِ جُنُودٌ ، وَإِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَسْهَرُوا جُفُونَهُمْ
فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْجُفُونُ رُقُودٌ .

وإِنَّ هَذَا الْقَطَرَ الَّذِي آتَيْتُهُ سَيْلُ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ إِلَى نَاحِيَتِهِ ، وَأُجِيلَتْ قِدَاحُ
الْفُوزِ بِالْدَّعْوَةِ الْحَقِيقَةِ عَلَى الْأَفْطَارِ فَأَخَذَ الْإِسْلَامُ بِنَاصِيَتِهِ ؛ كَانَ مِنْ فَتْحِهِ الْأَوَّلِ
مَا قَدْ عَلِمَ ، حَسَبَ مَا سَطَّرَ وَرَسَمَ ؛ وَإِنَّ مُوسَى بْنَ نَصِيرٍ وَفَتَاهُ ، حَلَّ مِنْ فُرْضَةٍ بِمَجَازِهِ
مَحَلَّ مُوسَى وَفَتَاهُ ؛ وَحَلَّ الْإِسْلَامُ مِنْهُ دَارَ قَرَارٍ ، وَخِطَّةً خَلِيقَةً بَارِثِيَادٍ وَأَخْتِيَارٍ ؛
وَبَلَدًا لَا يُحْصَى خَيْرُهُ ، وَلَا يَفْضُلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمِزْيَةِ مَا عَادَا الْحَرَمَيْنِ غَيْرُهُ ؛ وَأَمْتَدَّتْ
الْأَيَّامُ حَتَّى تَأْتِيَ الْعُدُوُّ لِرَوْعَتِهِ ، وَخَفَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ صَرَعَتِهِ ؛ وَقَدَحَ فَأَوْرَى ،
وَأَعْضَلَ دَاوَاهُ وَأَسْتَشْرَى ، وَصَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْكُبْرَى ؛ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَمَدَ
الدِّينِ مِنْهُمْ بِالْعُمْدَةِ الْوَثِيقَةِ ، حُمَاةَ الْحَقِيقَةِ ، وَأُئِمَّةَ الْخَلِيقَةِ ، وَسُلَالَةَ مَفْتِيحِ الْيَمَامَةِ
وَمَفْتِيحِ الْحَدِيقَةِ ، لِأَجْهَازِ النَّصْلِ ، وَأَجْنُثَ مِنَ الدِّينِ الْفَرْعُ وَالْأَصْلُ ؛ لَكُنْهُمْ
أَتَدْبُوا إِلَى إِمْسَاكِ الدِّينِ بِهَا أَتَدْبَا ، وَوَصَلُوا لِلْإِسْلَامِ أَسْبَابًا ، وَتَنَاقَلُوا مِنْهُمْ صَقْرٌ
قَيْلِ الْخَرَجِ ، ذُو الْحُسَامِ الْمُضَرَّجِ ، وَالنَّاءِ الْمَوْجَّجِ ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَالِبُ بِاللَّهِ مُحَمَّدٌ
أَبْنُ يُوسُفَ بْنِ نَصْرٍ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ، الْمُنْتَدَبُ لِإِقَامَةِ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، قُدُوةُ الْمُلُوكِ
الْمُجَاهِدِينَ : نَصَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَقَبَّلَ جِهَادَهُ ، وَشَكَرَ دِفَاعَهُ عَنْ حُوزَةِ الْإِسْلَامِ

[وَجَلَادَهُ ؛ فَأَقْشَعَتِ الظُّلَمَةُ ، وَتَمَسَّكَتِ الْأُمَّةُ ؛ وَكَفَّ الْعَدُوُّ وَأَقْصَرَ ، وَرَأَى
 الْإِسْلَامُ بَيْنَ أَسْتَنْصَرٍ ، وَأَسْتَبْصَرَ فِي الطَّاعَةِ ^(١) مِنْ أَسْتَبْصَرَ ؛ وَهَبَتْ بَنَصِرُ اللَّهِ
 الْعَزَائِمَ ، وَكَثُرَتْ عَلَى الْعَدُوِّ الْمَهْزَائِمَ ؛ وَتَوَارَتْ مُلْكُهَا وَلَدَا عَنْ أَبِ ، مُسْتَنْدِينَ
 إِلَى عَدْلٍ وَبَذَلٍ وَبَسَالَةٍ وَجَلَالَةٍ وَحَسَبٍ ؛ تَتَضَخَّعُ فِي أَفْقِ الْجَلَالِ نَجْمُ سِيرِهِمْ هَادِيَةً
 لِلْسَّائِرِينَ ، وَتَفَرِّقُ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ فِي اللَّهِ أَسْوَدُ الْعَرِينِ ؛ إِلَى أَنْ قَامَ بِالْأَمْرِ وَسَطِي
 سِنْلِكِهِمْ ، وَبَرَكَتُهُ مُلْكُهُمْ ؛ الْخَلِيفَةُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةِ بِالْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ ، الشَّهِيرُ
 الْجَلَالَةِ وَالْبَسَالَةِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ بِوَأَجِبِ الْحَقِّ ؛ سَاحِبُ أَذْيَالِ
 الْعَقَافِ وَالطَّهَارَةِ ، السَّعِيدُ الْإِيَالَةِ وَالْإِمَارَةِ ، الْبَعِيدُ الْغَارَةِ ؛ مَنْ دُعِيَ الْعَدُوُّ لِبَاسِ
 حُسَامِهِ ، وَذُخِرَ الْفَتْحُ الْهَنِيءُ لِأَيَّامِهِ ؛ صَدْرُ الْمُلُوكِ الْمَجَاهِدِينَ ، وَكَبِيرُ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ ،
 الْبَعِيدُ الْمَدَى فِي حِمَايَةِ الدِّينِ ؛ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ ، أَبُو الْوَلِيدِ ، ابْنُ الْمُؤَلَّى الْهَامِ الْأَوْحَدِ ،
 الْرَفِيعُ الْمَجْدُ ؛ الظَّاهِرُ الظَّاهِرِ الْأَعْلَى ، الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ الْجَلِيلُ الْمُقَدَّسُ الْأَرْضِي ؛
 « أَبِي سَعِيدٍ » بَنُ أَبِي الْوَلِيدِ ، بَنُ نَصْرٍ . فَأَحْيَا رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَالِمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ،
 وَجَلَّى بُنُورَ عَدْلِهِ غِيَاظَ الدُّجْنَةِ ، وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَحَمَاهُ ، وَرَمَى ثَغْرَةَ الْكُفْرِ فَأَضْمَاهُ ؛
 قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ الطَّيِّبَ ، وَسَقَى لِحَدِّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الْغَمَامَ الصَّيِّبَ ؛ وَأَوْرَثَ الْمُلُوكَ
 الْجِهَادِيَّ مِنْ وَلَدِهِ خَيْرَ مَلِكٍ قَبْلَتْ مِنْهُ كَفِّ ، وَأَسْتَدَارَ بِهِ مَوْكِبُ الْجِهَادِ مُلْتَفٍّ ؛
 وَشَمَخَ بِخِدْمَتِهِ أَنْفَ ، وَسَمَّا إِلَى مَشَاهِدَتِهِ طَرْفَ ؛ وَتَارَّجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَرَفَ ، وَجَرَى
 إِلَى بَابِهِ حَرْفَ ؛ مَوْلَانَا الْمَلِكُ الْهَامُ ، الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ ؛ مِنْ أَشْرَقَ بُنُورُ إِيَالَتِهِ الْإِسْلَامَ ،
 وَتَشَرَّفَتْ بِوُجُودِهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ ؛ بِدَرُ الْمُلُوكِ وَشَمْسُهُ ، وَسِرُّ الزَّمَانِ الَّذِي قَصُرَ عَنْ
 يَوْمِهِ أَمْسُهُ ؛ الَّذِي أَشْتَهَرَ عَدْلُهُ ، وَبَهَرَ فَضْلُهُ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ عِنَايَةُ رَبِّهِ ، وَكَانَ
 الْخُضُوعَ لَهُ فِي سَلْمِهِ وَحَرْبِهِ ؛ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُدُوةُ الْمُلُوكِ الْمَجَاهِدِينَ وَالْأُمَّةِ

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب لابن الخطيب وهي لازمة لاستقامة الكلام .

العارفين ؛ السعيد ، الشهيد ، الطاهر ، الظاهر ؛ الأوحى الهام ، الخليفة الإمام
(أبو المحجّاج) رفع الله درجته في أوليائه ، وحشّره مع الذين أنعم عليهم من أنبيائه
وشُهداءه ؛ فوضّحت المسالك وبانت ، وأشرقَت المعاهد وأزدانت ؛ وشَمِل الصُّنْعُ
الإلهي واللطف الخفي أقطار هذه الأمة حيث كانت . ولما اختار الله له
ما عنده ، وبلغ الأمد الذي قدره سبحانه لحياته وحده ؛ وقبضه إليه مستغفراً لذنبه ،
مطمئناً في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه ؛ كانما تأهب للشهادة
[فاختار] مكانها وزمانها ، وطهر بالصوم نفسه التي كرم الله شأنها ، وطيب روحها
وريحانها ؛ ف وقعت آراء أرباب الشورى التي تصح الإمامة باتفاقها ، وتعتقد بعقد
ميثاقها : من أعلام العلم بقاعدة [ملكه] غرناطة حرمها الله تعالى التي غيرها لها تبع ،
ومحاة الإسلام الذين في آرائهم للدين والدنيا متفع ؛ وخلصان الثقات ، ووجوه
الطبقات ، على مبايعة وارث ملكه بحقه ، الحائز في ميدان الكمال وإحراز مال الإمامة
من الشروط وإللال خصل سبقه ؛ كبير ولده ، وسابق أمده ؛ ووارث ملكه ،
ووسطى سلوكه ؛ وعماد قسطاطه ، وبدر الهالة من بساطه ؛ مولانا قمر العلّيا ، ودرة
الخلفاء ، وفرع الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ؛ الذي ظهرت عليه مخايل
الملك ناشئاً ووليداً ، وأستشعرت الأقطار به وهو في المهد أماناً وتمهيداً ؛ وأستشرف
الدين الحنيف فأطلع جيداً ، وأستأنف شباباً جديداً ؛ ناصر الحق ، وغياث الخلق ؛
الذي تميز بالسكينة والوقار ، والحياء المنسدل الأستار ، والبسالة المرهوبة الشفاعة ؛
والجود المنسكب الأمطار ، والعدل المشرق الأنوار ؛ وجمع الله فيه شروط الملك
والإختيار ، مولانا ، وعمدة ديننا ودُنيانا ؛ السلطان الفاضل ، والإمام العادل ؛ والهام
الباسل ، الكريم الشامل ؛ شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ؛ أمير المسلمين ،
وقوة أعين المؤمنين ، أبو عبد الله : وصل الله أسباب سعده ، كما حلّ أجياد

المنابر بالدعاء لمجده ؛ وجعل جنود السماء من جنده ، ونصره بنصره العزيز في النصر
إلا من عنده ؛ ورأوا أن قد ظفرت بالعروة الوثقى أيديهم ، وأمن في ظل الله
رائحهم وغاديتهم ، ودلت على حسن الخواتم مبادئهم ؛ فتبادروا وأنثأوا ، وتبخثوا
في ملايس الأمن واختالوا ؛ وهبوا إلى بيعته تطيرهم أجنحة السرور ، ويعين
انطلاق وجوههم بانسراح الصدور ؛ واجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور :
ما بين الشريف والمشروف ، والرؤساء أولى المنصب المعروف ؛ وحمل العلم وحمل
السيف ، والأمناء ومن لديهم من الألوف ، وسائر الكافة أولى البدار لمثلها
والخفوف ؛ ففقدوا له البيعة الوثيقة الأساس ، السعيدة بفضل الله على الناس ،
البرى عهدا من الإرتباب والالتباس ؛ الحائزة شروط الكمال ، الماحية بنور البيان
ظلم الإشكال ؛ الضمينة حسن العقبى ونجح المال ، على ما يوسع عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن له من الصحابة والآل ؛ وعلى السمع والطاعة ، وملازمة
السنة والجماعة ؛ فايديهم في السلم والحرب ردة بيده ، وطاعتهم إليه خالصة في يومه
وعده ؛ وأهواؤهم متفقة في حالي الشدة والرخاء ، وعقودهم محفوظة على تدابير السراء
والضراء ؛ أشهدوا عليها الله وكفى بالله شهيدا ، وأعطوا صفقات أيمانهم تثبيتا للوفاء
بها وتأكيذا ، وجعلوا منها في أغناقهم ميثاقا وثيقا وعهدا شديدا ؛ والله عز وجل
يقول : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . ومن أصدق من الله وعدا أو وعيدا . وهم قد بسطوا أيديهم
يستزئون رحمة الله بالإخلاص والإتابة ، وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالدعاء
ووعدهم بالإجابة ؛ يسألونه خير ما يقضيه ، والسير على ما يرضيه .

اللهم بآبك عند تقلب الأحوال عرفنا ، ومن بحر نعمك العميمة آغترفنا ،
وعفوك ستر من عيوبنا كل ما آجرتنا وآقترفنا ؛ ومن فضلك أغيتنا ، وبعينك التي

لَا تَأْتُمْ حَرَسَتَنَا وَحِمَيْتَنَا [فَانْصُرْ حِينًا وَأَرْحَمْ مِيتَنَا] ^(١) وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَنَا؛ وَاجْعَلْ لَنَا الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِيمَا إِلَيْهِ هَدَيْتَنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّ قَطْرَنَا مِنْ مَادَّةِ الْإِسْلَامِ بَعِيدٌ ، وَقَدْ أَحْدَقَ بَنَا بِحَرْزٍ زَاخِرٍ وَتَدْوٍ شَدِيدٍ ، وَفِينَا أَيْمٌ وَضْعِيفٌ وَهَرِمٌ وَوَيْدٌ [وَأَنْتَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عَيْدٌ .

اللَّهُمَّ مَنْ بَايَعْنَا فِي هَذَا الْعَقْدِ ^(١) فَأَسْعِدْنَا بِمُبَايَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَكَنْ لَهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ اسْتِنْفَادِ جُهِدِهِ فِي التَّحْقِظِ وَاسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَكُفِّ عَنْهُ كَفٌّ عَدُوِّكَ وَعَدُوَّهُ كُلُّمَا هَبَّتْ بِهِ رِيَّاحُ طَاعَتِهِ ؛ يَا مَنْ يُفَرِّدُ الْعَبْدَ بِضِرَاعَتِهِ ، وَيُعَوِّذُ بِحِفْظِهِ مِنْ إِضَاعَتِهِ .

اللَّهُمَّ أَدْعِنَا حَقَّهِ فَإِنَّا لَا نَقْوَى عَلَى إِدَائِهِ ، وَتَوَلَّ عَنَّا شُكْرَ مَا حَمَدْنَا مِنْ سِيرَتِهِ وَسِيرَةِ آبَائِهِ ، وَاحْمِلْهُ مِنْ تَوْفِيقِكَ عَلَى سَوَائِهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا إِلَيْهِ نَاطِرُونَ ، وَعَنْ أَمْرِهِ صَادِرُونَ ، وَلَا نَجَازَ وَعْدِكَ فِي نَصْرٍ مِنْ يَنْصُرُكَ مِثْطَرُونَ ؛ فَاعِنْهُ عَلَى مَاقَلَدَتِهِ ، وَأَنْجِزْ لَدِينَنَا عَلَى يَدَيْهِ مَا وَعَدْتَهُ ؛ فَافْقَدْ شَيْئًا مِنْ وَجَدِكَ ، وَلَا خَابَ مِنْ قَصْدِكَ ، وَلَا ضَلَّ مِنْ اعْتِمَادِكَ ، آمِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وَكُتِبَ الْمَلَأُ الْمَذْكُورُونَ أَسْمَاءُهُمْ بِخُطُوطِ أَيْدِيهِمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِمَا آلَتَرَمَوْهُ دُنْيَا وَدِينًا ، وَسَلَكُوا [مِنْهُ] سَبِيلًا مُبِينًا ؛ وَذَلِكَ فِي الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ لَشَوَّالٍ مِنْ عَامِ نَحْسٍ وَنَحْسِينَ وَسَبْعِينَ .

قلت : وقد أخبر آخر هذه البيعة بأن المبايعين للسلطان تُؤْخَذُ خُطُوطُ أَيْدِيهِمْ فِي كِتَابِ الْبَيْعَةِ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِمَا بَايَعُوا عَلَيْهِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ كِتَابَةَ الْبَيْعَةِ عِنْدَهُمْ كَمَا فِي مَكَاتِبَتِهِمْ فِي طُومَارٍ وَاحِدٍ كَبِيرٍ مُتَضَائِقٍ السُّطُورِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ طَرَّةٌ بِأَعْلَاهُ كَمَا فِي كِتَابَةِ الْمَصْرِيِّينَ .

الباب الثالث

من المقالة الخامسة في العهود، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معنى العهد)

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معانٍ :

أحدها — الأمان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَيَّمُوا إِلَيْنَا عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ .

الثاني — اليمين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ .

الثالث — الحفظ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ” حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ “ .

الرابع — الذمة . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ” لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ “ .

الخامس — الزمان . ومنه قولهم : ” كَانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ فُلَانٍ “ .

السادس — الوصية . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى ﴾ وهو المراد هنا .

قال الجوهري : ومنه اشتق العهد الذي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ ^(١) .

(١) بهامش الاصل هنا حاشية نصها «ولهم سابع» وهو قولهم في الدعاء لملك بعد موته : سقى الله عهده

برحمته أى مكانه المدفون فيه يسقى بالرحمة . فصح أن يطلق على الزمان والملك .

الفصل الثانى

(فى بيان أنواع العهود ، وهى ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من ثمانية أوجه)

الوجه الأول

(فى أصل مشروعيتها)

والأصل فى ذلك ما ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه قيل لعمر عند موته "ألا تعهد؟" فقال : ألتحل أمركم حيا وميتا؟ إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، [يعنى أبا بكر] : وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاثبت استخلاف أبى بكر رضى الله عنه بذلك ، مشيراً إلى ما روى : "أنه لما اشتد بأبى بكر الصديق رضى الله عنه الوجع ، أرسل إلى على وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار ، فقال : قد حضر ما ترون ، ولا بد من قائم بأمركم ، فإن شئتم استخروكم لأنفسكم ، وإن شئتم استخرتكم لكم . قالوا : بن اختر لنا ، فأمر عثمان فكتب عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (على ماسياتى ذكره) فقال عمر : لا أطيق القيام بأمر الناس . فقال أبو بكر هاتوا سيفي ! وتهده فانقاد عمر ، ثم دخل عليه طلحة فعاتبه على استخلاف عمر . فقال : إن عمر والله خير لكم وأنتم شر له ، والله لو وليتك لجلعت أنفك فى قفاك ، ولرقت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذى يضعها . أتيتي وقد وكفت عينك ، تريد أن تفتني عن ديني

وَرَدَّنِي عَنْ رَأْيِي، قُمْ لَا أَقَامَ اللَّهُ رَجْلَكَ، وَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ غَمَصْتَهُ وَذَكَرْتَهُ بِسُوءٍ
لَأُحِقَّنَكَ بِمَحْضَاتِ قُنَّةٍ حَيْثُ كُنْتُمْ تُسْقَوْنَ وَلَا تَرَوْنَ، وَتَرَعُونَ وَلَا تَسْبَعُونَ، وَأَنْتُمْ
بِذَلِكَ يَجْحُونَ رَاضُونَ، فَقَامَ طَلْحَةُ فَخَرَجَ .

قال العسكري : المحضات جمع غمضة ضَرْبٌ مِنَ التَّنْبِتِ ، وَالْقُنَّةُ أَعْلَى الْجَبَلِ .

قال الماوردي : وَكَانَ اسْتِخْلَافُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُمَرَ بِاتِّفَاقٍ مِنَ الصَّحَابَةِ
مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ فَكَانَ إِجْمَاعًا .

وَقَدْ عَهَدَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى سِتَّةٍ ، وَهُمْ عُمَانٌ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَتَرْكُهَا شُورَى بَيْنَهُمْ ، فَدَخَلُوا فِيهَا
وَهُمْ أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَشْرَافُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

الوجه الثاني

(فِي مَعْنَى الْإِسْتِخْلَافِ)

قال البغوي رحمه الله في كتابه " التهذيب " في الفقه : الْإِسْتِخْلَافُ أَنْ يُجْعَلَ
خَلِيفَةً فِي حَيَاتِهِ ثُمَّ يُخْلَفُهُ بَعْدَهُ . قال : وَلَوْ أَوْصَى بِالْإِمَامَةِ فَوْجَهَانِ^(١) : لِأَنَّهُ يُخْرَجُ
بِالْمَوْتِ عَنِ الْوِلَايَةِ فَلَا يَصِحُّ مِنْهُ تَوَلِيَةُ الْغَيْرِ . وَاسْتَشْكَلَ الرَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا
التَّوْجِيهَ بِكُلِّ وَصِيَّةٍ ، وَبِأَنَّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ جَعْلِهِ خَلِيفَةً بَعْدَهُ : إِنْ أُريدَ بِهِ اسْتِنَابَتُهُ
فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَهْدًا إِلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ . وَإِنْ أُريدَ جَعْلُهُ إِمَامًا فِي الْحَالِ ، فَهُوَ :
إِمَامًا خَائِعٌ نَفْسَ الْعَاهِدِ ، وَإِمَامًا أَجْتَمَعَ إِمَامِينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ أُريدَ جَعْلُهُ خَلِيفَةً
أَوْ إِمَامًا بَعْدَ مَوْتِهِ فَهُوَ الْوَصِيَّةُ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ .

(١) أى وأحدهما عنده علم الجواز . بدليل التعليل .

قلت : وهذا جُنوحٌ من الرافعي رحمه الله إلى صِحَّةِ الخلافة بالوصية أيضا ،
كما تصح بالإسنيخلاف .^(١)

الوجه الثالث

(فيما يجبُ على الكاتب مراعاته)

وأعلم أنه يجبُ على الكاتب أن يرعى في كتابة العهد بالخلافة أمورا :

منها — براءة الاستهلال بذكر ما يتفق له : من معنى الخلافة والإمامة
وأشتقاقيهما ، وحال الولاية ، ولقب العاهد والمعهود إليه ، ولقب الخلافة ، إلى غير
ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات .

ومنها — أن يُنبّه على شرف رتبة الخلافة ، وعُلُو قدرها ، ورفعة شأنها ، ومسيس
الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا .

ومنها — أن يُنبّه على اجتماع شروط الإمامة في المعهود إليه من حين صدور
العهد بها من العاهد ، فقد قال الماوردي : إنه تُعتبر شروط الإمامة في المعهود
إليه من وقت العهد ، حتى لو كان المعهود إليه صغيراً أو فاسقاً وقت العهد وبالغا
[عدلاً] عند الموت ، لم تصح خلافته حتى يستأنف أهل الاختيار بيعته . قال
الرافعي رحمه الله : وقد يُتوقف في هذا . قال النووي رحمه الله في "الروضة" :
لا يُتوقف . والصواب ما قاله الماوردي .

ومنها — أن يُنبّه على اجتهد العاهد وتروى نظره في حقية المعهود إليه : فقد
قال الماوردي : وإذا أراد الإمام أن يعهد بالإمامة ، فعليه أن يُجهد رأيه في الأحق
بها ، والأقوم بشروطها ، فإذا تعين له الاجتهاد في أحد ، عهد إليه .

(١) في الأصول كما لا تصح الخ والظاهر أن « لا » زائدة من النسخ تأمل .

ومنها — أن يُشِير إلى تقدُّم الاستخارة على العهد ، وأنَّ استخارته أدته إلى المعهود إليه ؛ فإنَّ الاستخارة أمرٌ مطلوب في كل أمر ، خصوصاً أمر المسلمين وعموم الولاية عليهم ، فإنَّ اختيار الله للخلق خيرٌ من اختيارهم لأنفسهم ، والله يقول الحق وهو يهْدِي السَّبِيل .

ومنها — أن يَنْبَ على أنْ عهدَ إليه بعد مشورة أهل الاختيار ومراجعتهم في ذلك ، وتصويهم له ، خروجاً من الخلاف . فقد حكى الرافعي رحمه الله وجهين فيما إذا كان المعهود إليه أجنبياً من العاهد ليس بولَد ولا والدٍ : هل يجوز أن يتفرَّد بعقد البيعة له وتفويض العهد إليه ولا يستشير فيه أحداً؟ أصحُّهما الجواز؛ لأنَّ العهد إلى عمر رضى الله عنه لم يُوقَف على رضا الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأنَّ الإمام أحقُّ بها ، فكان اختياره فيها أمضى ، وقوله فيها أنْفَذ .

وحكى الماوردي في جواز أفراد العاهد بالبيعة فيما إذا كان المعهود إليه والداً أو ولداً ثلاثة مذاهب :

أحدها — ما اقتصر الرافعي رحمه الله على نسبته إلى الماوردي ، ومقتضى كلامه ترجيحه : أنه يجوز الأفراد بعقدها للولَد والوالد جميعاً ؛ لأنه أمير للأمة نافذ الأمر لهم وعليهم ؛ فغلب حكم المنصب على حكم النسب ؛ ولم يجعل للثمة طريقاً على أمانته ، ولا سبيلاً إلى معارضته .

والثاني — أنه لا يجوز أفرادها بها لولَد ولا والد حتى يُساوَر فيه أهل الاختيار فيرونه أهلاً لها ، فيصحُّ منه حينئذ عقد البيعة ؛ لأن ذلك [منه] تركية [له] تجرى مجرى الشهادة ، وتقليده على الأمة يجري مجرى الحكم ؛ والشهادة والحكم ممنعان من الولد والوالد للثمة ، لما جُبل عليه من الميل إليهما .

والثالث — أنه يجوز أن ينفرد بعقد البيعة لوالده دون ولده : لأن الطبع إلى الولد أميل ؛ فأما عقدها لأخيه وغيره من الأقارب والمتناسين فكمقدها للأجانب في جواز الأفراد بها .

ومنها — أن ينبّه على العلم بحياة المعهود إليه ووجوده إن كان غائبا . فقد قال الماوردي : إنه لو عهد إلى غائب مجهول الحياة لم يصح عهده ، وإن كان معلوم الحياة صح ، ويكون موقوفا على قدومه .

ومنها — أن ينبّه على أن المعهود إليه منصوص عليه بمفرده ، أو وقع العهد شورى في جماعة وأفضيت الخلافة إلى واحد منهم بإخراج الباقي أنفسهم منها ، أو اختيار أهل الحل والعقد أحدهم : إذ يجوز للخليفة أن يعهد إلى اثنين فأكثر من غير تقديم البعض على البعض ؛ ويختار أهل الاختيار بعد موته واحداً من عهد إليه : فإن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جعلها شورى في ستة ، فقال : الأمر إلى علي وبازائه الزبير بن العوام ؛ وإلى عثمان وبازائه عبد الرحمن بن عوف ؛ وإلى طلحة وبازائه سعد بن أبي وقاص . فلما توفى عمر رضي الله عنه ، جعل الزبير أمره إلى علي ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف ؛ فخرج منها ثلاثة ، وبقيت شورى^(١) في عثمان وعلي ؛ ثم بايع علي عثمان . والمعنى في الشورى أنه لا يجوز أن يجعل الإمامة بعد العاهد في غير المعهود إليهم .

ومنها — أن ينبّه على عدد المعهود إليهم وترتيبهم إن كان قد رتب الخلافة في أكثر من واحد ، إذ يجوز أن يعهد إلى اثنين فأكثر على الترتيب . فلورتب

(١) أي بعد أن أخرج عبد الرحمن منها نفسه . وفي كتاب الأحكام السلطانية للماوردي فصارت الشورى بعد الستة في هؤلاء الثلاثة ونرج منها أولئك الثلاثة ثم بعد الثلاثة في اثنين علي وعثمان .

الخِلافةَ في ثلاثة مثلاً - فقال : الخليفةُ بعدى فلان ، فإذا مات ، فالخليفةُ بعده فلان ؛
 [فإذا مات فالخليفةُ بعده فلان] كانت الخِلافةُ منتقلةً إليهم على ما رتبها . ففى صحيح
 البخارى من رواية ابنِ عمر رضى الله عنهما ” أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 اسْتَخْلَفَ عَلَى جَيْشِ مُؤَتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ - وقال : إِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
 فَإِنْ أُصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَإِنْ أُصِيبَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ رَجُلًا ، فَتَقَدَّمَ زَيْدٌ
 فَقُتِلَ ، فَاخْذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ، فَاخْذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ،
 فَاخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ” . قال الماوردى : وإذا جاز ذلك
 فى الإمارة جاز مثله فى الخِلافة . قال : وقد عَمِلَ بِذَلِكَ فى الدولتين مَنْ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ
 أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَصْرِ :

فعهد سليمانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثُمَّ بَعْدَهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأَقْرَبَهُ عَلَيْهِ مَنْ عَاصَرَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ لَانَاخِذُهُ فى اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ .
 وَرَتَّبَهَا الرَّشِيدُ فى ثَلَاثَةٍ مِنْ بَنِيهِ : الْأَمِينِ ، ثُمَّ الْمَأْمُونِ ، ثُمَّ الْمُؤْتَمِنِ ، مِنْ غَيْرِ
 مَشُورَةٍ مِنْ عَاصِرِهِ مِنْ قُضَلَاءِ الْعُلَمَاءِ .

ولو قال العاهد : عَهِدْتُ إِلَى فلان ، فَإِنْ مَاتَ فلانٌ بَعْدَ إِفْضَاءِ الْخِلافةِ إِلَيْهِ ،
 فَالْخليفةُ بَعْدَهُ فلان ، لَمْ تَصَحَّ خِلافةُ الثَّانِي ، وَلَمْ يَنْعَقِدْ عَهْدُهَا : لِأَنَّهُ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْهِ
 فى الْحَالِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ وَلِيًّا عَهْدِهِ بَعْدَ إِفْضَاءِ الْخِلافةِ إِلَى الْأَوَّلِ ، وَقَدْ يَمُوتُ قَبْلَ
 إِفْضَائِهَا إِلَيْهِ فَلَا يَكُونُ عَهْدُ الثَّانِي بِهَا مُنْتَبِهاً .

ومنها — أَنَّ يُنْبَئَهُ عَلَى أَنَّ صِدُورَ الْعَهْدِ فى حَالِ تَقْضِىهِ أَمْرَ الْعَاهِدِ وَجَوَازِ تَصَرُّفِهِ ،
 فَإِنَّهُ لَوْ أَرَادَ وَلِيُّ الْعَهْدِ قَبْلَ مَوْتِ الْعَاهِدِ أَنْ يُرَدَّ مَا إِلَيْهِ مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ إِلَى غَيْرِهِ

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٠ ويظهر أنها سقطت من قلم النسخ .

(٢) فى ” الأحكام السلطانية ” عن مشورة الخ حرر .

لم يُجْزَ : لأنَّ الخلافة لا تستقرُّ إلا بعد موت المستخلف . وكذا لو قال : جعلته ولىَّ عهدٍ إذا أفضتِ الخلافةُ إلى لم يُجْزَ : لأنه ليس في الحال بخليفة ، فلم يصحَّ عهدُه بالخلافة .

ومنها — أن يُنبه على قبول المعهود إليه العهدَ ، فإنه إذا عهد الإمام بالخلافة إلى مَنْ يصحُّ العهدُ إليه على الشروط المعتبرة فيه ، كان العهدُ موقوفاً على قبول المعهودِ إليه : فإن قيل صحَّ العهدُ وإلا فلا ، حتى لو امتنع من القبول بوسع غيره . والعبرة في زمن القبول بما بين عهد العاهد وموته على الأصح ، لتنتقل عنه الإمامة إلى المعهود إليه مستقرةً بالقبول المتقدم . وقيل : إنما يكون القبول بعد موت العاهد : لأنه الوقت الذي يصحُّ فيه نظرُ المعهودِ إليه .

ومنها — أن يُورد من وصايا العاهد للمعهود إليه ما يليق به . وقد ذكر الماوردي أن الذي يلزمه من أمور الأئمة عشرة أشياء :

أحدها — حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأئمة ، وأنه إن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه ، أوضح له الحجّة ، ويبيّن له الصواب ، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود : ليكون الدين محروساً من الخلل ، والأئمة ممنوعة من الزلل .

الثاني — تنفيذ الأحكام ، بين المتشاجرين ، وقطع الخصام ، بين المتنازعين ، حتى تعم النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

الثالث — حماية البيضة ، والذب عن الحرم : ليتصرف الناس في المعاش ، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال .

الرابع — إقامة الحدود لتُصان محارمُ الله تعالى عن الإِثْمَاك ، وتُحَفَظَ حُقُوقُ عباده من الإِثْلَافِ والاستِهْلَاكِ .

الخامس — تحصينُ الثُّغُورِ بِالْعُدَّةِ الْمَانِعَةِ ، والقُوَّةِ الدَّافِعَةِ ، حتَّى لَا يَظْفَرَ الْأَعْدَاءُ بِفِرَّةٍ يَنْتَهِكُونَ بِهَا مَحَرَّمًا ، أَوْ يَسْفِكُونَ فِيهَا مَسْلِمًا أَوْ مَعَاهِدًا دِمًّا .

السادس — جِهَادٌ مِّنْ عَائِدِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الدَّعْوَةِ حَتَّى يُسْلِمَ أَوْ يَدْخُلَ فِي الذِّمَّةِ : لِيَقَامَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِظْهَارِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ .

السابع — جِبَايَةُ الْفِيءِ وَالصَّدَقَاتِ عَلَى مَا أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ نَصًّا وَاجْتِهَادًا مِنْ غَيْرِ حَيْفٍ وَلَا عَسْفٍ .

الثامن — تَقْدِيرُ الْعَطَاءِ وَمَا يُسْتَحَقُّ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَقْتِيرٍ ، وَدَفْعُهُ فِي وَقْتٍ لَا تَقْدِيمَ فِيهِ وَلَا تَأْخِيرَ .

التاسع — أَسْتِكْفَاءُ الْأَمْنَاءِ ، وَتَقْلِيدُ النُّصَحَاءِ ، فِيمَا يَقْضِيهِ [إِلَيْهِمْ مِنْ الْأَعْمَالِ] ^(٢) وَيَكُلُّهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ : لَتَكُونَ الْأَعْمَالُ بِالْكَفَاةِ مَضْبُوتَةً ، وَالْأَمْوَالُ بِالْأَمْنَاءِ مُحْفُوظَةً .

العاشر — أَنْ يُبَاشِرَ بِنَفْسِهِ مُشَارَفَةَ الْأُمُورِ وَتَصَفِّحَ الْأَحْوَالَ : لِيَنْهَضَ بِسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ ، وَحِرَاسَةِ الْمَلَّةِ ؛ وَلَا يُعَوَّلَ عَلَى التَّفْوِيضِ تَسَاغُلًا بِلَذَّةٍ أَوْ عِبَادَةً ، فَقَدْ يَخُونُ الْأَمِينَ وَيُعْشِشُ النَّاصِحَ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . فَلَمْ يَقْتَصِرِ اللَّهُ

(١) يطلق الفى على النية والخراج والمراد هنا الثانى .

(٢) الزيادة من "الأحكام" .

تعالى على التفويض دون المباشرة ، بل أمره بمباشرة الحكم بين الخلق بنفسه .
وقد قال صلى الله عليه وسلم : ” كُلُّكُمْ رَاجِعٌ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ “ والله در
محمد بن يزيد وزير المأمون ، حيث قال مخاطباً له :

مَنْ كَانَ حَارِسَ دُنْيَا إِنَّهُ قَيْنٌ * أَنْ لَا يَنَامَ وَكُلَّ النَّاسِ تُؤَامُ !

وَكَيفَ تَرْقُدُ عَيْنَا مَنْ تَضَيِّفُهُ * هَمَّانٍ مِنْ أَمْرِهِ : حَلٌّ وَإِبْرَامُ !

وحينئذ فيجب على الكاتب أن يضمّن هذه الأمور العشرة في وصايا المعهود
إليه . وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في ” التعريف “ في وصية ولي العهد
بالخلافة ومن في معناه من الملوك وولاة عهدهم هذه الأمور ممتزجة بأمور أخرى
من مهمات الملك وحسن تديره وسياسته .

قلت : إنما يحسن إيراد هذا كله في وصايا ولاة العهد إذا كان الأمر على ما كانت
الخلافة عليه أولاً من عموم التصرف ، أما الآن فالواجب أن يقتصر في وصاياهم
على حسن التأني في العهد بالسلطنة لمن يقوم بأعبائها ، وأن يكون ماتقدّم مختصاً
بوصايا الملوك في المعهود عن الخلفاء .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يتضمنه العهد)

وهذه نسخة طرة أنشأتها لينسج على منوالها ، وهي :

هذا عهد إمامي قد علّت جدوده ، وزاد في الارتقاء في العلياء صعوده ، وفصلت
بالجواهر قلائده ونظمت بنفيس الدر عهوده . من عبد الله ووليه الإمام المتوكل

على الله أبى عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر، بالخلافة المقدسة، لولده السيد الجليل ذخيرة الدين، وولى عهد المسلمين بـ أبى الفضل العباس : بلغه الله فيه غاية الأمل ، وأقر به عين الأمة كما أقر به عين أمير المؤمنين وقد فعل على ما شرح فيه .

الوجه الخامس

(فيما يكتب لأولياء العهد من الألقاب)

[وهو] كما سيأتى فى الطريقة الثانية من المذهب الأول مما يكتب فى متن العهد من كلام المقر الشهابى بن فضل الله فى " التعريف " أنه يقال فيه : الأمير السيد الجليل ، ذخيرة الدين ، وولى عهد المسلمين ؛ أبى فلان فلان . وفى المذهب الثالث فيما كتب به للمستوفى بن المستفى ما يوافق ، وقد تقدم أنه لا يقع فى ألقابهم إطناب ، ولا تعدد ألقاب ، فليقتصر على ذلك أو ما يشابهه .

الوجه السادس

(فيما يكتب فى متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا »)

مثل : « هذا ما عهد به فلان لفلان » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا كتاب آكتبه فلان لفلان » ونحو ذلك .

وللكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدمين)

وهي أن لا يأتي بحُطبة في أثناء العهد ، ولا يتعرّض إلى ذكر أوصاف المعهود إليه والثناء عليه ، أو يتعرّض لذلك باختصار ؛ ثم يأتي بالوصايا ؛ ثم يختتمه بالسلام أو بالدعاء أو بغير ذلك مما يُناسب . وعلى ذلك كانت جهود السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، أتباعاً للصديق رضى الله عنه فيما كتب به لعمر بن الخطاب ، كما تقدمت الإشارة إليه في الاستشهاد .

ونسخته فيما رواه البيهقي في " السنن " واقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في " حسن التوسل " .

« هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن برّ وعدل فذلك ظني به ، وإن بدّل أو غير فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت بكم ، ولكلّ أمرئ ما آكتسب من الإثم : (وسيعلم الذين ظلموا أيّ متقلبٍ ينقلبون) » .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائل " عن المدائني أنه حين دعا عثمان ابن عفان رضى الله عنه لكتابة العهد بالخلافة بعده قال : آكتب « هذا ما عهد أبو بكر بن أبي حنيفة في آخر عهده بالدنيا [نازحاً عنها] وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يتوب الفاجر ، ويؤمن الكافر ، ويصدق الكاذب ؛ وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وقد استخلف » - ثم دهمته غشية فكتب عثمان : « عمر بن الخطاب » . فلمّا أفاق ، قال : أكتبته شيئاً ؟ قال نعم عمر

ابن الخطاب . قال : « رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ كَذَبْتَ نَفْسَكَ لَكُنْتَ أَهْلًا لَهَا ، أَكْتُبُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَضِيَهُ لَكُمْ ، فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ ، وَإِنْ بَدَلَ فَلِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا آكَسَبَتْ ، وَالْخَيْرُ أَرَدْتُ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) » .

وعلى هذه الطريقة كُتِبَ عهدُ عمر بن عبد العزيز بالخلافة عن سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
وهذه نسخته فيما ذكره أَبُو قَتَيْبَةَ فِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ :

هَذَا مَا عَهِدَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ .
عَهِدْتُ أَنَّهُ يَشْهَدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ؛ وَأَنْ يَعْزِّزَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعَثَهُ إِلَيَّ مُحْسِنِي عِبَادِهِ بِشِيرَا ، وَإِلَى مُذْنِبِيهِمْ نَذِيرَا . وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ حَقًّا : خَلَقَ الْجَنَّةَ رَحْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَالنَّارَ نِقْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ عَصَاهُ ؛ وَأَوْجَبَ الْعَفْوَ جُودًا وَكَرَمًا لِمَنْ عَفَا عَنْهُ . وَأَنَّ سُلَيْمَانَ مُقَرَّرٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَبِمَا تَعَلَّمَهُ نَفْسُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ؛ مُوجِبًا عَلَى نَفْسِهِ اسْتِحْقَاقَ مَا خَلَقَ مِنَ النَّقْمَةِ ، رَاجِيًا لِنَفْسِهِ مَا خَلَقَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَوَعْدَ مِنَ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَأَنَّ الْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا مَقْدُورَةٌ بِإِرَادَتِهِ ، مَكُونَةٌ بِتَكْوِينِهِ ؛ وَأَنَّهُ الْهَادِي فَلَا مُغْوِيٍّ وَلَا مُضِلٍّ لِمَنْ هَدَاهُ وَخَلَقَهُ لِرَحْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ يُفَتِّنُ الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ بِالسُّؤَالِ عَنْ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أُمَّتِهِ ، لَا مُنْجِيَ لِمَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا لِمَنْ اسْتَنْثَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عِلْمِهِ . وَسُلَيْمَانُ يُسْأَلُ اللَّهُ الْكَرِيمَ بِوَاسِعِ فَضْلِهِ ، وَعَظِيمِ مَنِّهِ ، الثَّبَاتَ عَلَى مَا سَرَّ وَأَعْلَنَ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِّهِ وَحَقِّ نَبِيِّهِ عِنْدَ

(١) كذا في الأصول بالنصب وكذلك وقع في كتاب الامامة والسياسة لأبن قتيبة .

(٢) في كتاب الامام والسياسة لأبن قتيبة «خيرها وشرها من الله وأنه هو الهادي الخ» .

مَسْأَلَةُ رُسُلِهِ ؛ وَالنَّجَاةَ مِنْ هَوْلِ فِتْنَةٍ قَتَانِيَةٍ . وَيَشْهَدُ أَنَّ الْمِيزَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ يَقِينٌ ، يَزِنُ سِيِّئَاتِ الْمُسِيئِينَ ، وَحَسَنَاتِ الْمُحْسِنِينَ : لِيُرَى عِبَادَهُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا أَرَادَهُ مِنْ [الْخَيْرِ] لِعِبَادِهِ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ؛ وَأَنَّ مِنْ ثَقُلَتِ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَئِذٍ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنَّ حَوْضَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمَوْقِفِ لِلْعَرْضِ حَقٌّ ، وَأَنَّ عِدَّةَ آيَاتِهِ كُنُجُومِ السَّمَاءِ ، مِنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَسَلِيمَانِ يَسْأَلُ اللَّهُ بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ أَنْ لَا يُرَدَّهُ عَنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ عَطْشَانٌ . وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بَعْدَهُمَا حَيْثُ الْخَيْرُ وَفِيْمَنْ الْخَيْرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . وَأَنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةُ كُلُّهَا الْمَذْكُورَةُ فِي عَهْدِهِ هَذَا يَعْلَمُهَا اللَّهُ مِنْ سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ وَعَقْدِ ضَمِيرِهِ ، وَأَنَّهُ بِهَا عَبْدٌ رَبِّهِ فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَمَاضِي عُمْرِهِ ، وَعَلَيْهَا أَمَّا يَقِينُ رَبِّهِ ، وَتَوَقَّاهُ أَجَلُهُ ، وَعَلَيْهَا يُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ كَانَتْ لَهُ بَيْنَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ بَلَايَا وَسِيَّئَاتٌ ^(١) لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْهَا تَحِييدٌ وَلَا بَدَلٌ ، جَرَى بِهَا الْمَقْدُورُ مِنَ الرَّبِّ النَّافِذُ إِلَى إِتِمَامِ مَا حَدَثَ ؛ فَإِنْ يَعْفُ وَيَصْفَحُ فَذَاكَ مَا عُرِفَ مِنْهُ قَدِيمًا وَنُسِبَ إِلَيْهِ حَدِيثًا ، وَتِلْكَ صِفَتُهُ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ ، وَكَلَامِهِ النَّاطِقِ ؛ وَإِنْ يُعَاقَبُ وَيَذْتَقِمُ فَبِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَأَنَّ سَالِمَانَ يُخْرِجُ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَهْدَهُ هَذَا وَسَمِعَ مَا فِيهِ مِنْ حِكْمَةٍ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَمُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنْ يَدَعَ الْإِحْنَ الْمُضْغَنَةَ ، وَيَأْخُذَ بِالْمَكَارِمِ الْمُدْجَنَةِ ؛ وَيَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ بِالضَّمِيرِ النَّصُوحِ وَالْدُّعَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالصَّفْحِ الصَّرِيحِ ؛ يَسْأَلُهُ الْعَفْوَ عَنِّي ، وَالْمَغْفِرَةَ لِي ، وَالنَّجَاةَ مِنْ فَرَجِي وَالْمَسْأَلَةَ فِي قَبْرِي ، لَعَلَّ الْوُدُودَ ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْكُمْ مُجَابَ الدَّعْوَةِ بِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ

(١) فِي كِتَابِ الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ « لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْهَا مَحِيصٌ وَلَا دُونَهَا مَقْصَرٌ بِالْقَدْرِ السَّابِقِ وَالْعِلْمِ النَّافِذِ فِي مُحْكَمِ الْوَحْيِ فَإِنْ يَعْفُ » الخ .

من صفحہ يعود؛ إن شاء الله . وأنّ وليّ عهد سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، وصاحب أمره بعد موته ، في جُنده ورعيّته وخاصّته وعامته ؛ وكلّ من استخلفني الله عليه ، واسترعاي النظر فيه ، الرجل الصالح «عمر بن عبد العزيز» بن مروان ابن عمي ، لما بلوت من باطن أمره وظاهره ، ورجوت الله بذلك [وأردت] رضاه ورحمته إن شاء الله . ثم من بعده تُسلم إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان إن بقي بعده ، فإنّي مارأيت منه إلّا خيرا ولا أطلعت له على مكروه . وصغار ولدي وكبارهم إلى عمر ، إذ رجوت أن لا يألوهم رشدا وصلاحا ؛ والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين وهو أرحم الراحمين ؛ وأقرءوا عهدي عليكم السلام ورحمة الله . ومن أبى أمري هذا أو خالف عهدي هذا - وأرجو أن لا يخالفه أحد من أمة محمد - فهو ضالّ مضلّ يُستعَب ؛ فإنّ أعتَبَ وإلّا فإنّي لمن صاحب^(١) (?) عهدي فيهم بالسيف السيف والقتل القتل ، فانهم مستوجبون لهم ، وهم لهيئته ملقحون ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان .

تم ذلك والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله .



وعلى نحو من ذلك كتب المأمون العباسيُّ عهدَ عليّ بن موسى العلويّ (المعروف بالرّضيّ) بالخلافة بعده .

وهذه نسخته فيما ذكر صاحب العقد :

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده ، لعليّ بن موسى بن جعفر وليّ عهده .

(١) في كتاب الامامة والسياسة « والا فالسيف والله المستعان » وهي واضحة .

أما بعد، فإن الله عز وجل أصطفى الإسلام ديناً، وأصطفى له من عباده رُسلًا
 دالّين عليه، وهادين إليه، ينشرون أوّلهم بأحرهم، ويصدق تاليمهم ماضيهم؛ حتى أتته
 نبوة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرُّسل، ودروس من العلم، وانقطاع
 من الوحي، وأقتراب من الساعة؛ فحتم الله به النبيين وجعله شاهدًا لهم، ومهيمنًا
 عليهم؛ وأنزل عليه كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
 تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. فأحلّ وحرّم، ووعد وأوعد؛ وحذّر وأنذر، وأمر به
 ونهى عنه؛ لتكون له الحجة البالغة على خلقه؛ و﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا
 مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما
 أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد والغلبة
 حتى قبضه الله إليه، وأختار له ما عنده صلى الله عليه وسلم من النبوة وختم
 الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة، جعل قوام الدين، ونظام أمر
 المسلمين، بالخلافة وإتمامها وعزّها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تُقام بها
 فرائض الله وحُدوده، وشرائع الإسلام وسُننه، ويُجاهد بها عدوّه. فعلى خُلفاء الله
 طاعته فيما استَحفظهم وأسترعاهم من دينه وعبادته، وعلى المسلمين طاعة خُلفاءهم
 ومعاونتهم على إقامة حقّ الله وعدله، وأمن السبيل وحَقن الدماء، وصالح ذات
 البين، وجمع الألفة؛ وفي إخلال ذلك اضطرابُ حبل المسلمين واختلالهم،
 واختلاف ملتهم، وقهر دينهم، واستعلاء عدوّهم، وتفرُّق الكلمة، وخسران الدنيا
 والآخرة. فحقّ على من استخلفه الله في أرضه، وأُتمنه على خلقه [أن] يُؤثر ما فيه
 رضا الله وطاعته ويُعد [ل] فيما الله وأفقّه عليه وسائله عنه، ويُحكّم بالحق ويعمل
 بالعدل فيما حمّله الله وقلّده؛ فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام:

﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ . وقال عز وجل : ﴿قَوْرَبَكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .
وبلغنا أن عمر بن الخطّاب قال : « لوضاعت سَخْلَةُ بِجَانِبِ الْفُرَاتِ لَتَخَوَّفَتْ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهَا » . وأيم الله إنَّ المسئول عن خاصّة نفسه ، الموقوف على عمله ، فيما بين الله وبينه ، لمُتَعَرِّضٌ لأمر كبير ، وعلى خَطَرٍ عَظِيمٍ ، فكيف بالمسئول عن رعاية الأُمّة ، وبالله الثّقة ، وإليه المَفْزَعُ والرّغبة في التوفيق مع العِصمة ، والتّسديد والهداية إلى ما فيه ثُبُوتُ الْحُجَّةِ ، والفوز من الله بِالرّضوان والرحمة . وأنظر الأُمّة لنفسه ، وأنصَحْهُمْ في دينه وعباده وخلافه في أرضه ، مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَكَتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدَّةِ أَيَّامِهِ ، وَاجْتَهَدَ وَاجْتَهَدَ رَأْيَهُ وَنَظَرَهُ فِيمَنْ يُؤَلِّيه عَهْدَهُ ، وَبَخْتَارَهُ لِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَرِدَائِهِمْ بَعْدَهُ ، وَيَنْصِبُهُ عَلَمًا لَهُمْ ، وَمَقَرًّا فِي جَمْعِ أَقْتَمِهِمْ ، وَلَمْ شَعْنِهِمْ ، وَحَقَّنْ دَعَائِهِمْ ، وَالْأَمْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ فُرْقَتِهِمْ ، وَفَسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ ، وَرَفَعَ نَزْعَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ عَنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْعَهْدَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ تَمَامِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَكِمَالِهِ وَعِزِّهِ وَصَلَاحِ أَهْلِهِ ، وَأَهْمُ خُلَفَاءِهِ مِنْ تَوْسِيدِهِ لِمَنْ يَخَارُونَهُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَشَمِلَتْ مِنْهُ الْعَافِيَةُ ، وَتَقَضَّى اللَّهُ بِذَلِكَ مَرَّةً أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالْعَدَاوَةِ وَالسَّعْيِ فِي الْفُرْقَةِ وَالرَّفْضِ لِلْفِتْنَةِ ^(١) ، وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ أَفْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ فَاخْتَبَرَتْ بَشَاعَةَ مَدَاقِهَا ، وَثَقَلَ بِحَمْلِهَا وَشَدَّةِ مَثْوِيهَا ، وَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ تَقَلَّدَهَا مِنْ أَرْتِبَاطِ طَاعَةِ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ فِيمَا حَمَلَهُ مِنْهَا ، فَأَنْصَبَ ^(٢)

(١) في اللسان ج ٧ ص ١٥ « المرفطح الميم الحبل » .

(٢) أى تركها تسير في الناس ، ففى اللسان الرّفْضُ أن يطرد الرجل غنمه وابله إلى حيث يهوى فإذا بلغت لها عنها وتركها .

(٣) لعله ناظرا فيها بما يقتضيه منصبها وما يجب الخ وبه يستقيم الكلام بعد تأمل .

بدنه، وأسهر عينه؛ وأطال فكره فيما فيه عز الدين، وقمع المشركين؛ وصلاح
 الأمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة؛ ومنعه ذلك من الخلف والذلة بهي
 العيش: علما بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقي الله مناجته في دينه وعباده، ومغنا
 لولاية عهده، ورعاية الأمة من بعده، أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه،
 وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه؛ مناجيا لله بالاستخارة في ذلك، ويسأله إلهامه ما فيه
 رضاه وطاعته في ليله ونهاره، ومعملا في طلبه والتماسه من أدل بيته من ولد عبد الله
 ابن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، ومقتصرا فيمن علم حاله ومذهبه منهم على
 علمه، وبالغا في المسألة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته، حتى استقصى أمورهم
 بمعرفته، وأبتلى أخبارهم مشاهدته، وكشف ما عندهم مسألة؛ فكانت خيرته بعد
 استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده، من البيتين جميعا «علي بن
 موسى بن جعفر» بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: لما رأى
 [من] فضله البارِع، وعلمه الناصع؛ وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخلية من
 الدنيا، وتساميه من الناس؛ وقد استبان له ما لم تبي الأخبار عليه متواطئه، والألسن
 عليه متفقة والكلمة فيه جامعة؛ ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا وناشئا،
 وحدئا ومكتهلا؛ فعقد له بالعقد والخلافة إيثارا لله والدين، ونظرا للمسلمين، وطلباً
 للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرَبِّ العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصته، وقواده، وخدمته، فبايعوه
 مشرعين مشرورين، طالين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم
 ممن هو أشبك به رحما وأقرب قرابة، وسماه «الرضي» إذ كان رضىا عند
 أمير المؤمنين.

فبإيعوا معشر بيت أمير المؤمنين ومن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده، وعامة المسلمين « الرضى » من بعده ، على أسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده ؛ بيعة مبسوطة إليها أيديكم ، منفرحة لها صدوركم ، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وأثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها ، شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته في رعايتكم ، وحرصه على رشدكم وصلاحكم ، راجين عائدته في ذلك في جمع ألفتكم ، وحسن دمائكم ، ولم شعيتكم ، وسدد نغوركم ، وقوة دينكم ، ورغم عدوكم ، واستقامة أموركم . وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فإنه الأمر إن سارعتم إليه ، وحديثم الله عليه ؛ عرفتم الحظ فيه . إن شاء الله تعالى .



وعلى هذه الطريقة كتب الوزير أبو حفص بن برد عهد الناصر لدين الله عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر العاصري ، عن المؤيد بالله هشام بن الحكم الأموي ، الخليفة بالأندلس . وهذه نسخته :

هذا ما عهد هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامه ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة وأعطى به صفة يمينه بيعة تامه ؛ بعد أن أنعم النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله إليه من الإمامة ؛ وعصب به من أمر المؤمنين ، وأتق حُلُول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يُصرف ، وخشى أن يحم محتوم ذلك عليه ، ونزل مقدوره به ، ولم يرفع لهذه الأمة علما تأوى إليه ، وملجا تنعطف عليه ، أن يكون يليق ربه تبارك وتعالى مفرطاً ساهياً عن أداء الحق إليها ؛ ويغمص عند ذلك من أحياء قریش وغيرها من يستحق أن يسند هذا الأمر إليه ، ويعول في القيام به عليه ؛ ويستوجه بدينه وأمانته ، وهديه وصيانيته ؛

بعد أطراح الهوى والتحرى للحق ، والتلّف إلى الله جلّ جلاله بما يرضيه .
وبعد أن قطع الأواصر ، وأنخط الأقارب ؛ فلم يجد أحداً أجدر أن يولّيه عهدَه ،
وفوض إليه الخلافة بعده : لفضل نفسه ، وكرم خيمه ، وشرف مرتبته ، وعلو
منصبه ؛ مع ثقاه وعفافه ، ومعرفته وحزمه وتقواه ؛ من المأمون العيب ، الناصح
الحبيب «أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور» أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه
الله ؛ إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله - أبتلاه واختبره ، ونظر في شأنه وأعتبره ؛
فراه مسارعاً في الخيرات ، سابقاً في الحلبات ؛ مستولياً على الغايات ، جامعاً للأثرات ؛
ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ؛ فلا غرو أن يبلغ من سبيل البر مداه ،
ويجوى من جلال الخير ماحواه ؛ مع أن أمير المؤمنين - أيده الله - بما طالعه من
مكنون العلم ، ووعاه من مخزون الأثر ؛ يرى أن يكون وليّ عهده القحطانيّ الذي
حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة : «أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من خطان يسوق الناس بعصاه " فلما
استوى له الاختيار ، وتقابلت عنده في الآثار ؛ [و] لم يجد عنه مذهباً ، ولا إلى غيره
معدلاً ، صرح إليه في تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ؛ طاعاً
راضياً مجتهداً ، وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازاه وأنفذه ، ولم يشترط فيه مشيئة
ولا خياراً ؛ وأعطى على الوفاء به في سرّه وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه ،
وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء الراشدين من آبائه ؛ وذمة نفسه :
أن لا يبدل ، ولا يغير ، ولا يحول ، ولا يزول ؛ وأشهد الله على ذلك والملائكة
(« وكفى بالله شهيداً ») . وأشهد من أوقع اسمه في هذا ، وهو جائز الأمر ، ماضى
القول والفعل ، بحضرم وليّ عهده المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور
وفقّه الله ، وقبوله ما قلّده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ؛ وذلك في شهر ربيع الأول

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . وكتبَ الوزراءُ والقضاةُ وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم بذلك .

الطريقة الثانية (طريقة المتأخرين من الكُتّاب)

أن يأتي بالتحميد في أثناء العهد، ويأتي من ألقاب ولى العهد بما يناسب على الاختصار؛ وعليها أقصر المقرّ الشّهَابِي بن فضل الله في "التعريف" فقال : وأعلم أنّ عهود الخلفاء عن الخلفاء لم تجر عادة من سلف من الكُتّاب أن يستفتحها إلا بما يذكر، وهو :

«هذا ما عهد [به] عبد الله ووليه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، عهد إلى ولده، أو [إلى] أخيه الأمير السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولى عهد المسلمين أبي فلان فلان، أيده الله بالتمكين، وأمدّه بالنصر المبين، وأقرّبه عين أمير المؤمنين» . ثم يُنفق كل كاتب بعد هذا على قدر سعته، ثم يقول :

«أما بعد، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو، ويصلّى على نبيه محمّد صلى الله عليه وسلم» ويخطب في ذلك خطبة يُكثر فيها التحميد وتنتهى فيه إلى سبعة؛ ثم يأتي بعد ذلك بما يُناسب من القول : يصف فكر الذى يعهد فيمن بعده؛ ويصف المعهود إليه بما يليق من الصفات الجليسة . ثم يقول : «عهد إليه وتلّده بعده جميع ما هو مقلّده، لما رآه من صلاح الأمة، أو صلاح الخلق، بعد أن استحار الله تعالى في ذلك، ومكث مدة يتدبر ذلك ويروى فيه فكره وخاطرّه، ويستشير أهل الرأى والنظر، فلم ير أقوم منه بأمور الأمة ومصلح

الدنيا والدين» ومن هذا ومثله ؛ ثم يقال : «إنَّ المعهودَ إليه قِيلَ ذلك منه» ويأتى في ذلك بما يليق من محاسن العبارة وأحاسن الكلام .

قلت : ولم أظفر بنسخة عهدٍ على هذا الأسلوب الذى ذكره المقرُّ الشَّهابي ؛ وقد أنشأت عهداً على الطريقة التى أشار إليها ، آمثحاناً للخطاط : لأنَّ يكونَ عن الإمام المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد أبى الفتح أبى بكر ، خليفة العصر ، لولده العباس : ليكونَ أئموذجاً يُنسَج على منواله .

ومن غريب الاتفاق أنَّ أنشأته في شُهور سنةٍ إحدى وثمانمائة آمثحاناً للخطاط كما تقدّم ، وضمّته هذا الكتاب وتمادى الحالُّ على ذلك إلى أن قبَضَ الله تعالى الإمام المتوكل - قدس الله تعالى روحه - في سنة ثمان وثمانمائة ؛ فأجمع أهلُ الحلِّ والعقد على مبايعته بالخلافة ؛ فبايعوه وحقق الله تعالى ما أجراه على اللسان من إنشاء العهد باسمه في الزمن السابق ؛ ثم دعَتني داعيةٌ إلى التمثل بين يديه الشريفتين في مستهلِّ شهر ذي القعدة الحرام سنة تسع وثمانمائة ، فقرأته عليه من أوله إلى آخره ، وهو مُضغ له مظهرُ الابتهاج به ؛ وأجاز عليه الجائزة السنية . ثم أنشأت له رسالةً وضمّنته إياها وأوَّعت بخزانته العالية عمرها الله بطول بقائه .

وهذه نسخته :

هذا عهدٌ سعيدُ الطالع ميمونُ الطائر ، مباركُ الأوّل جميلُ الأوسط حميدُ الآخر ؛ تشهد به حضراتُ الأملاك ، وترقُّه كَفُ الثرَيّا بأقلام القبول في صحائف الأفلاك ؛ وتُبَاهي به مُلوكُ الأرض ملائكة السماء ، وتسرّى بنشره القبولُ إلى الأقطار فتُنشر له بكلِّ ناحية علما ، وتُطلِّع به سعادةُ الجَدِّ من مُلوك العدل في كلّ أفقٍ نجما ، وترقُص من فرحها الأنهار فتتنقّطها شمسُ النهار بذهب الأصيل على صَفحات الماء ؛ عهدٌ به

عبدُ الله وولَّيه أبو عبد الله محمدُ المتوَكِّلُ على الله أميرُ المؤمنين إلى ولده السيد
الجليل عُدَّة الدين وذخيرته ، وصَفَى أمير المؤمنين من ولده وخيرته ؛ المستعين بالله
أبي الفضل العباس بلغ الله فيه أمير المؤمنين غاية الأمل ، وأقربه عين الخلافة
العباسية كما أقربه عين أبيه وقد فعل .

أما بعدُ ، فالحمد لله حافظ نظام الإسلام وواصل سببه ، ورافع بيت الخلافة
ومادة طنبه ، وناظم عقد الإمامة المعظمة في سلك بني العباس وجاعلها كلمة باقية
في عقبه .

والحمد لله الذي عَدَّقَ أمرَ الأمة منهم بأعظمهم خطراً ، وأرفعهم قدراً ؛
وأرجحهم عقلاً وأوسعهم صدرًا ، وأجزلهم رأياً وأسلمهم فكراً .

والحمد لله الذي أقترعَ عينَ أمير المؤمنين بخيرِ وليٍّ وأفضلِ ولدٍ ، وشَدَّ أزره بأكرم
سيد وأعزَّ سند ، وصَرَفَ اختياره إلى مَنْ إذا قام بالأمر بعده قيل هذا السُّبُلُ
من ذاك الأسد .

والحمد لله الذي جمع الآراء على اختيار العاهد فما قَلَّوه ولا رَفَضُوه ، وجَبَلَ
القلوبَ على حُبِّ المعهود إليه فلم يَرَوْا العُدُولَ عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمد لله الذي جَدَّدَ للرعية نعمةً مع بقاء النعمة الأولى ، وأقام لأمرِ الأمة من
بني عمِّ نبيِّه المصطفى الأولى بذلك فالأولى ، واختار لعهد المسلمين مَنْ سَبَقَتْ إليه
في الأزل إرادته فأصبح في النفوس معظماً وفي القلوب مقبُولاً .

والحمد لله الذي أضْحَكَ الخلافةَ العباسية بوجود عباسها ، وأطاب بِذِكْرِه رِياها
فتعطرَ الوجودَ بطيبِ أنفاسها ؛ ورفع قَدْرَه بالعهد إليه إلى أعلى رُتبة مُنيفه ،

(١) وَخَصَّهُ بِمِشَارِكَةِ جَدِّهِ الْعَبَّاسِ فِي الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ فَفَازَ بِمَا لَمْ يُفْزَ بِهِ قَبْلَهُ مِنْهُمْ سِتُّ وَأَرْبَعُونَ خَلِيفَةً .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى الْكَافَّةِ طَاعَةَ أَوَّلِي الْأَمْرِ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، وَأَرْزَمِهِمُ الدُّخُولَ فِي بَيْعَةِ الْإِمَامِ وَالْإِتِّقَادَ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ فَكَيْفَ بَيْنَ أَجْمَعٍ عَلَى سُودِّهِ الْأَئِمَّةِ ، وَأَوْصَحَ السَّبِيلَ فِي التَّعْرِيفِ بِمَقَامِ الْآلِ وَالْعِتْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ﴿فَلَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا مَنَحَهُ مِنْ طَيِّبِ أَرْوَمَةٍ سَمَّتْ أَصْلًا وَزَكَتْ فَرْعًا ، وَحَبَاهُ مِنْ شَرَفٍ مَحْتَدٍ رَاقٍ نَظَرًا وَشَاقٍ سَمْعًا ، وَوَصَلَهُ بِهِ مِنْ نِعَمٍ آثَرَتْ نَفَاقًا وَأَثَرَتْ نَفْعًا ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَوَارَثُونَهَا كَالْخِلَافَةِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَيُوصَى بِهَا أَبَدًا الْأَوَّلُ مِنْهُمْ الْآخِرُ ، وَيُؤْذِنُ قِيَامُهُمْ بِنُصْرَتِهَا أَنَّهُمْ مَعْدَنُ جَوْهَرِهَا النَّفِيسِ وَنِظَامُ عَقْدِهَا الْفَاحِرُ ، وَيَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الَّذِي خَصَّ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ بِكَرِيمِ الْحَبَاءِ وَشَرِيفِ الْإِنَاقَةِ ، وَنَبَّهَ عَلَى بَقَاءِ الْأَمْرِ فِي بَيْتِهِ بِقَوِيٍّ ضَلَّ مَنْ أَظْهَرَ عِنَادَهُ أَوْ أَضْمَرَ خِلَافَهُ ، حَيْثُ أَسْرَّ إِلَيْهِ : ” أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ بِي خُتْمِ النَّبُوَّةِ وَبَوْلَدِكَ تُخْتَمُ الْخِلَافَةُ “ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَوةً تَعْمُ بَرَكَتُهَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، وَيَشْمَلُ مَعْرُوفُهَا الْمَعْهُودَ إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ شَرَفُهَا الْعَاهِدَ ، وَيَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا الْمَقْرُوءَ وَلَا يَسَعُ إِنكَارُهَا الْجَاهِدُ ، مَانُوَّةً بِذِكْرِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَائِرِ ، وَخَفَقَتِ الرِّايَاتُ السُّودُ عَلَى عَسَاكِرِ الْمَوَاكِبِ وَمَوَاكِبِ الْعَسَاكِرِ ، وَسَلَّمَتْ سَلَامًا كَثِيرًا .

(١) ذَكَرَ اسْمَ الْعَدَدِ عَلَى حَدِّ مَا أَشْدَّ الْفَرَاءَ .

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى * وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ الْكَمَالِ

هذا وكل راجع مستؤول عن رعيته ، وكل أمرئ مجبول على نيته ، مخبر بظاهره عن جميل ما أكنه في صدره وما أسرّه في طويته ؛ والإمام منصوب للقيام بأمر الله تعالى في عبادته ، مأمور بالنصيحة لهم جهده طاقته وطاقة اجتهاده ، مطلوب بالنظر في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبدء أمرهم ومعاذته ؛ ومن ثم اختلفت آراء الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت مقاصدُهم ، وتوَعَّتِ اختياراتُهم بحسب الاجتهاد واختلفت مواردُهم ؛ فعهد الصديق إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه متبثنا ، وتركها عمر شورى في سنة وقال : « أتحمّل أمركم حيا وميتا ! » وأتى رضى الله عنه لكل من المذهبين بما أذن له الخضم وسلم ، فقال : « إن أعهذ فقد عهذ من هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم » فأخذ الخلفاء في ذلك بستئهما ، ومشوا فيه على طريقتهما ؛ فمن راغب عن العهد وراغب فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أو أخيه ؛ كل منهم بحسب ما يؤدى إليه اجتهاده ، وتقوى عليه عزيمته ويترجح لديه اعتاده .

ولما كان أمير المؤمنين - أحسن الله مآبه - قد نور الله عين بصيرته ، وخصه بطهارة سِرِّه وصفاء سيرته ؛ وآناه الله الملك والحكمه ، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح أمر الأمة ؛ وعلمه مما يشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم ، وأصطفاه على أهل عصره وزاده بسطة في العلم والجسم ؛ فلا يعزم أمرا إلا كان رشادا ، ولا يعتمد فعلا إلا ظهر سدادا ؛ ولا يترقب رأيا إلا ألغى صوابا ، ولا يشير بشيء إلا أحدث آثاره بداية ونهاية واستصحبها ؛ ومع ذلك فقد بلا الناس وخبرهم ، وعلم بالتجربة حالهم وخبرهم ، وأطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم ، وما به مصلحة خاصتهم وجمهورهم ؛ وترجح عنده جانب العهد على جانب الإهمال ، ورأى المبادرة إليه أولى من الإهمال ؛ ولم يزل يروى فكرته ، ويعمل رويته ؛ فيمن يصلح لهذا الأمر

بعده ، وينهض بأعبائه الثقيلة وحده ؛ ويتيسع فيه سبله ويسلك طرائقه ، ويقتنى في السيرة الحسنة أثره ويشيم في العدل بوارقه ؛ ويقبل على الأمر بكنيته ويقطع النظر عما سواه ، ويتفرغ له من كل شاغل فلا يخلطه بما عداه .

وقد علم أن الأحق بأن يكون لها حليفاً من كان بها خليفاً ، والأولى بأن يكون لها قريناً من كان بوصلها حقيقاً ، والأجدر أن يكون لديها مكيماً من آتخذ معها يداً وإلى مرضاتها طريقاً ؛ والأليق بمنصبها الشريف من كان بمطلوبها ملياً ، والأخري بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وقياً ، والأوفق لمقامها العالي من كان خيراً مقاماً وأحسن ندباً ؛ وكان ولده السيد الأجل أبو الفضل المشار إليه هو الذي وجهت الخلافة وجهها إلى قبلته ، وبالغت في طلبه وألحت في خطبته ؛ على أنه قد أُرِضَ بلبانها وربى في حجرها ، وانتسب إليها بالبنوة فضمته إلى صدرها ؛ وكيف لا تنتسب بجباله ، وتتعلق بأذياله ، وتطمع في قربه ، وتتغالى في حبه ؛ وتميل إلى أنسه ، وتراوده عن نفسه ، وهو كفؤها المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتها ، ونسيبها السامى إلى أعاليها الراقى على شرفاتها ؛ إذ هو شبلها الناشئ في آجامها ، بل أسدها الحامى لحماها ؛ ومجيرها الوافى بذمامها ؛ وفارسها المقدم في حلبة سباقها ووارثها الخائر لجميع سهامها ؛ وحاكمها الطائع لأمرها ، ورشيد المأمون على سرها ؛ وناصرها القائم بواجبها ، ومهديها الهادى إلى أفضل مذاهبها ؟ قد ألحفت من الخلافة بردائها ، وسكن من القلوب في سويدائها ، وتوسمت الآفاق تفويض الأمر إليه بعد أبيه فظهر الخلق في أرجائها ؛ وأتبع سيرة أبيه في المعروف وأقتفى أثره في الكرم ، وتشبه به في المفارح (ومن يساهيه أبه فما ظلم) وتقبل الله دعاء أبيه فوهب له من لدنه ولياً ، وأجاب نداءه فيه فكان له في الأرض وآتاه الحكم صبيّاً ؛ فاستوجب أن يكون حينئذٍ للمسلمين ولياً عهدهم ، والياً على أمورهم في حلهم وعقدهم ؛ متكفلاً بالأمر في قربه وبعده ،

مُعِينًا لِأَيِّسِهِ فِي حَيَاتِهِ خَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَأَنْ يَصْرَحَ لَهُ بِالِاسْتِخْلَافِ وَيُوضِّحَ ،
وَيَتَلَوَّ عَلَيْهِ بِلِسَانِ التَّفْوِيزِ ﴿أَخْلَقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ﴾ .

وَأَقْتَضَتْ شَفَقَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْفَتُهُ ، وَرِفْقُهُ بِالْأُمَّةِ وَرَحْمَتُهُ ؛ أَنْ يَنْصِبَ لَهُمْ
وَلِيَّ عَهْدٍ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مُتَّصِفًا ، وَمِنْ بَحْرِهِ الْكَرِيمِ مُغْتَرِفًا ، وَمِنْ ثِمَارِ مَعْرُوفِهِ
الْمَعْرُوفِ مُقْتَطِفًا ؛ وَلِتَنْهَلَهُ الْعَذْبُ وَإِرْدَا . وَعَلَى بَيْتِهِ الشَّرِيفِ وَسَائِرِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
عَائِدًا ؛ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ هُوَ مُسْتَكْمَلٌ لْجَمِيعِهَا ، مُسْتَوْعِبٌ لِأَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا ؛ وَهُوَ بِمَطْلُوبِهَا
أَمْلَى ، وَعَلَى قُلُوبِ الرِّعْيَةِ أَحْلَى ؛ وَلِلْغَلِيلِ أَشْفَى ، وَبِالْعَهْدِ الْجَمِيلِ أَوْفَى ؛ مِنْ وَلَدِهِ
الْمُشَارِ إِلَيْهِ . فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ، وَأَمْرَائِهِ
وَوُزَرَائِهِ ، وَخَاصَّتِهِ وَذَوِيهِ ، وَأَقَارِبِهِ وَبَنِيهِ ، وَأَعْيَانِ أَهْلِ الْعَصْرِ وَعَامَّتِهِ ، وَجُمْهُورِهِ
وَكَافَّتِهِ ؛ فَرَأَوْهُ صَوَابًا ، وَلَمْ يَعْرِهُمْ فِيهِ ظَنَّةٌ وَلَا مُسْتَرَابًا ، وَلَا وَجَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى بَابِ
غَيْرِهِ طَرِيقًا وَلَا إِلَى طَرِيقِ غَيْرِهِ بَابًا ؛ فَاسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَأَقْبَلَ خَاطِرُهُ الشَّرِيفُ
عَلَيْهِ ، وَكَرَّرَ الِاسْتِخَارَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَحِيدًا إِلَّا إِلَيْهِ .

فَلَبَّ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ أُنْعِدَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَعُدِمَ فِيهِ الْمَخَالَفُ
بَلْ لَمْ يَكُنْ أَصْلًا ؛ حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَأُثْنُ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ التَّوْفِيقَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ ؛ وَجَدَّ
الِاسْتِخَارَةَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَقَلَّدَهُ مَا هُوَ مُتَقَلِّدُهُ مِنْ اخْتِلَافَةِ الْمُقَدَّسَةِ بَعْدَهُ
عَلَى عَادَةٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ ، وَقَاعِدَةٍ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ؛
وَفَوْضَ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا ، وَأَصُولِهَا وَمَعَالِمِهَا : مِنْ عَهْدٍ وَوَصَايَا ،
وَعَزْلِ وَوَلَايَا ؛ وَتَفْوِيزٍ وَتَقْلِيدٍ ، وَاتِّزَاعٍ وَتَحْلِيدٍ ؛ وَتَفْرِيقٍ وَجَمْعٍ ، وَإِعْطَاءٍ
وَمَنْعٍ ، وَوَصْلٍ وَقَطْعٍ ؛ وَصِلَةَ وَإِدْرَارٍ ، وَتَقْلِيلٍ وَإِكْثَارٍ ؛ جُزْئِيًّا وَكُلِّيًّا ، وَخَفِيًّا

وجليها ؛ ودانيتها وقاصيها ، وطائعتها وعاصيها ؛ تفويضاً شرعياً ، تاماً مرضياً ، جامعاً لأحكام الولاية جمعاً يعم كل نطاق ، ويسرى حكمه في جميع الآفاق ، ويدخل تحته سائر الأقاليم والأمصاير على الإطلاق ؛ لا يغير حكمه ، ولا يغيّر رسمه ؛ ولا يطيّش سبهم ، ولا يافل نجه .

قبل المعهود إليه - أعلى الله مقامه - ذلك بمحض من القضاة والحكام ، والعلماء الأعلام ؛ ولزم حكمه وأثرهم ، وكتب في سبيلات الأفلاك وأرتم ، وحملت رسائله مع برد السحاب فطافت به على سائر الأمم ؛ وهو - أبقاء الله - مع ما طبع عليه طباعه السليمه ، وجبليت عليه سجاياه الشريفة وأخلاقه الكريمه ؛ قد تلقى عن أمير المؤمنين من شريف الآداب ما عُدّي به في مهده ، وتلقف منه من حُسن الأدوات ما يرويه بالسند عن أبيه وجده ؛ مما أنطبع في صفاء ذهنه الصّقل وأنقش في فهمه ، واختلط من حال طفولته بدمه ولحمه وعظمه ؛ حتى صار طبعا ثانيا ، وخلقا على ممر الزمان باقيا ؛ واجتمع لديه الغريزى فكان أصلا ثابتا ، وقرعا على ذلك الأصل القوى ثابتا ؛ لكن أمير المؤمنين يوصيه تبركا ، ويشرح له ما يكون به - إن شاء الله - متمسكا ؛ والمرء إلى الأمر بالخير مندوب ، ووصية الرجل لبنيه مطلوبة فقد قال تعالى : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ .

فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجى ، و [اجعل] التقوى رأس مالك : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ والجا إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لجا ؛ وكتب الله هو الحبل المتين ، والكتاب المبين ؛ والمهج القيم ، والسبيل الواضح والصراط المستقيم ؛ فتمسك منه بالعروة الوثقى ، وأسلك طريقته المثلى وأهتد بهديه فلا تضل ولا تسقى ؛ وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالإقتداء بأفعالها الواضحة ، والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة ؛ عالما بأن الكتاب والسنة أخوان لا يفترقان ،

وَمُتَلَاذِمَانِ بِجَبَلِ التَّبَائِنِ لَا يَتَعَاقَانِ ، وَالْإِلَادَ وَالرَّعَايَا خُطُوهَا بَنَظْرَكَ مَا اسْتَطَعْتَ ،
وَتَثَبَّتْ فِي كُلِّ قَطْعٍ وَوَصَلَ فَأَنْتَ مُسْتَوِلٌ عَنْ كُلِّ مَا وَصَلَتْ وَقَطَعْتَ ، وَالْآلَ
وَالْعِتْرَةَ النَّبَوِيَّةَ فَفِيهِمَا حَقُّ الْقَرَابَةِ مِنْكَ وَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
أَشْرَقَتْ بِهِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا أَكْرَمْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنَّمَا أَكْرَمْتَهُ بِسَبِيهِ ، وَأَتَّبَعَ فِي السَّيْرِ
سِيرَةَ آبَائِكَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَا تَتَزَعَّغْ عَنْهَا ، وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا بِهَا وَبِمَا هُوَ - إِنْ
اسْتَطَعْتَ - خَيْرٌ مِنْهَا ، وَأَقِفْ فِي الْمَعْرُوفِ أَنَا رَهْمُ الْمُقَدَّسَةِ لِنَحْوِي مِنَ الْمَأْثِرِ مَا حَوَّأَ ،
وَأَحْذِ حَذْوَهُمْ فِي طَرِيقِهِمُ الْمُبَارَكَةِ وَأَبْنِ الْمَجْدَ كَمَا بَنَوْا ، وَأَحْيِ مِنَ الْعَمَلِ سُنَّةَ سَلَفِكَ
الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، وَأَحْرِضْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأُتَمَّةِ الَّذِينَ يُظَاهِمُ اللَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ :
﴿ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .
وَأَسْلَفَ خَيْرًا تُذَكِّرُهُ بِهِ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي ، وَيَنْتَظِمُ ذِكْرُهُ فِي عُقُودِ الْأَيَّامِ كَمَا تَنْتَظِمُ فِي السَّلَكِ
الْأَلَايِ ، وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ وَجْهَ اللَّهِ لِيَكُونَ فِي نُصْرَتِكَ فَإِنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نُصْرَتِهِ
لَا يُبَالِي ، وَلْتَعْلَمْ حَقَّ الْيَقِينِ أَنَّ حَسَنَةَ الْإِمَامِ تُضَاعَفُ بِحَسَبِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ
الْمَصَالِحِ أَوْ يَتَجَدَّدُ بِسَبَبِهَا ، وَسَيِّئَتُهُ كَذَلِكَ فَمَنْ سَنَّ سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ لِمُثْمَرِهَا وَإِثْمٌ مِنْ
عَمَلِهَا ، وَدُرٌّ مَعَ الْحَقِّ كَيْفَ دَارَ وَمِلٌّ مَعَهُ حَيْثُ مَالٌ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا بَقِيَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَأْنَفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَالٍ ، وَلَا تُحْطَرُ بِبَالِكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَتَمَّ إِلَيْكَ بِقُوَّةٍ ، أَوْ يُغْفَرَ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ
النَّاءِ عَلَيْكَ فَالْثَّأَثُ بِالْمَدْحِ يُحْلِلُ بِالْمُرُوءَةِ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى نَسَبِكَ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَدْخَلَهُ
الْجَنَّةَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبِشِيًّا ، وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ وَلَوْ كَانَ هَاشِمِيًّا قُرَشِيًّا ، وَاسْتَنْصِرَ
اللَّهُ يَنْصُرَكَ وَاسْتَعِينَ بِهِ يَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَظَهِيرًا ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴾ وَكُنْ [مِنْ] اللَّهِ حَافِئًا وَمِنْ مَكْرِهِ مِنَ الْمُشْفِقِينَ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينَ .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، ووصيتهُ ثملي عليك ؛ ﴿ وَذَكَرْنَا اللَّهَ كَرِيًّا
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ والله تعالى يبلغه منك أملاً ، ويحقق فيك علماً ويزكي بك عملاً ؛
والاعتمادُ على الخطِّ المقدس الإمامي المتوكلِّ - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، حجة فيه
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(أن يفتتحَ العهدَ بعد البسملة بلفظ « من فلان إلى فلان » كما يكتب في المكاتبات
ثم يأتي بالبعدية ويأتي بما يناسبه مما يقتضيه الحال من ذكر الولاية ،
ووصف المتولي ، واختيار المولي له ونحو ذلك)
ثم قاعدةُ كتابهم أنهم يأتون بعد ذلك بالتحميد في أثناء العهد .

وهذه نسخةُ عهد من ذلك ، كُتِبَ بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي ، ولولده
حيدرة بأن يكون وليَّ عهد الخلافة بعده ؛ وليس فيها تعرضٌ لتحميد أصلاً ، وهو .
من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى ولده وتجله ، وسلالته الطاهرة ونسله ، وأجمع على شرفه والعامل بمرضاة
الله في قوله وفعله ، وعقده وحله ؛ الأمين أبي تراب حيدرة ، ولي عهد
أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلام عليك : فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويسأله أن
يصلّي على جدّه محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ،
الأئمة المهديين ؛ وسلم تسليماً .

أما بعد ، فإنَّ الله تعالى ليدبّر حكيمه ، ووسيع رحمته ، استودعُ خلفاءه من خلقه
وبرأه ، وأستكفى أمانه من صورهِ وذراه ؛ وربّهم مرتبةَ النفوس من الأجساد ،

ونزَّههم بمنزلة الضَّيَاء من الأَزْنَاد ؛ وجعلهم مستخدمين لأفكارهم في مصالح البرية التي غدت في أمانهم ، وحصلت في ضمائهم ؛ فظلت في ذمائمهم ، وسعدت في عزِّ مقامهم وظلَّ أيامهم : لأنهم نُصِبوا للنظر فيما جَلَّ ودَقَّ ، وتعبوا لراحة الكافة تعباً صعباً وعظماً وشقّاً ؛ وكان ذلك سراً من أسرار الحكمة ، وضرباً من أفضل تدبير الأئمة ؛ إذ لو ساوى بينَ الرئيس والمرئوس ، والسائس والمُسوس ؛ لاختلطَ الخصوص بالعموم ، ولم يبقَ فرقٌ بين الإمام والمأموم .

وقد استخلص الله أمير المؤمنين من أشرف أسرة وأكرم عصابة ، وأيده في جميع آرائه بالحزامة والجزالة والأصالة والإصابة ؛ وقضى لأغراضه أن يكون السعد لها خادماً ، وحتم لمقاصده أن يصاحبها التوفيق ولا ينفك لها ملازماً ؛ وجمع له ما تفرق في الخليفة من المفانح والمناقب ، وألهمه النظر في حسن الخواتم وحيد العواقب .

ولما كان وليُّ عهد أمير المؤمنين أكبر أبناء أمير المؤمنين ، والمنتهى لأشرف المراتب من تقدم السنين ؛ وقد استولى على الفخر باكتسابه وانتسابه ، وتصدَّت له مخطوبات الرتب ليحوزها باستحقاقه واستيجابه ؛ وله من فضيلة ذاته ما يدلُّ على النبوة العظيمة ، وعليه من أنوار النبوة ما يهتدى به السارى في الليل البهيم ؛ وحين حوى تاليد الفخر وطارفه ولم يستغنِ بالقديم عن الحديث ولا بالحديث عن القديم ؛ والصفات إذا اختلفت أربابها لا تقع إلا دونه ، والثواب الجزيل مما أعدَّه الله للذين يُخلصون فيه ويتولَّونه ؛ وليفخر بأن خُصَّ من العناية الملَكوتية بالخطِّ الأجرل ، ولتسمَّح على البرايا ليكون ممدوحاً بالكتاب المنزل ؛ وليدخَّ إنَّ وصفه لا تبلغ غايته وإن استُخدمت فيه الفكر ، وليبجح إن فضله لا يدرك حقيقة إلا إذا تليت السور ، فامتعه الله بمواهبه لديه وأمتع أمير المؤمنين به ، وأجرى أموره عاجلاً وأجلاً بسببه .

(١) رأى أمير المؤمنين أن يختصه بولاية عهد أمير المؤمنين تمييزاً له بهذا النعت الشريف، وسموا به إلى ما يجب لحجده الشاخص وعمله المنيف؛ وأقتداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يُشرفون به أبناءهم الأكرمين، وتخصيصاً له بما يبقى نخره على متجدد الأزمان ومتناول السنين. وأمر أمير المؤمنين أن يُختار من رجال دولته، ووجوه أجناده وشيعته؛ طائفة يكون إليه أئمتاؤها، وإلى شرف هذا النعت أنسابها واعتراؤها؛ فتوسم بالطائفة العهدية، وتخطي إذا أخلصت في الولاية بالسعادة الدائمة الأبدية؛ وتظل موقوفة على خدمته، متصرفة على أوامره وأمثلته؛ منتهية في طاعته إلى أغراضه ومآربه، ملازمة للأزم المتعين من ملازمة الخدمة في مواكبه؛ والله تعالى يجعل ماراه أمير المؤمنين من ذلك كافلاً بالخيرات، ضامناً لشمول المنافع وعموم البركات؛ إن شاء الله تعالى: والسلام على ولي عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.



وهذه نسخة بولاية العهد من خليفة لولده بالخلافة على هذه الطريقة، من إنشاء القاضي الفاضل؛ أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاث مرات، وهي:

من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في العهد قبله.

(٢) أما بعد، فالحمد لله الذي استحق الحمد بفضلِهِ، وأجرى القضاء [على ما أراده] ووسّع الجرائم بعفوهِ وعدله؛ وصرف المراحم بين قوله وفعله، وأعلى منار الحق

(١) لعل هذا جواب الشرط في أول الفقرة قبل ويكون العامل في حين بعده محذوفاً دل هذا عليه. تأمل.

(٢) بياض في الأصل والتصحيح من المقام.

وَأَرْشَدَ إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَاخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِينًا وَعَصَمَ الْمُعْتَلِقِينَ بِحَبْلِهِ ، وَأَوْضَحَ سُبُلَ النِّجَاةِ بِمَا أَوْضَحَ لِسَالِكِيهِ مِنْ سُبُلِهِ ؛ وَتَعَالَى عُلَاهُ إِلَى الصِّفَاتِ ، فَلَمْ يُوصَفْ بِمِثْلِ قَوْلِهِ :
 ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ﴾ وَتَنَزَّهَ عَنْ أَشْتَرَكَ التَّشْبِيهَاتِ ، فِي كُلِّ جَلِيلٍ الْوَصْفِ مُسْتَقَلَّةً وَغَيْرِ مُسْتَقَلَّةً ؛ عِلْمٌ مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ خَطَرَاتُ الْأَسْرَارِ ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ نَظَرَاتُ الْأَبْصَارِ ، وَأَتَفَرَّجَتْ عَنْهُ غَمَرَاتُ الْأَخْطَارِ ، وَأَخْفَتْهُ سَتَرَاتُ الظُّلُمَاءِ وَبَاحَتْ بِهِ جَهَرَاتُ الْأَنْوَارِ : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ عِنْدَهُ الْإِسْلَامَ ، فَهِنْ أَبْتَغَى غَيْرَهُ ضَلَّ الْمَنْهَجَ ، وَأَبْعَدَ الْمَعْرَجَ ، وَاسْتَلْقَحَ الْمُخْدَجَ ، وَغَلِطَ الْمَخْرَجَ ، وَفَارَقَ النُّورَ الْأَبْلَجَ ، وَرَكِبَ الطَّرِيقَ الْأَعْوَجَ ، وَأَتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاللِّسَانِ الْمُلْجَلَجِ ؛ وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ فَازَ بِالسَّعْيِ النَّجِيجِ ، وَحَازَ الْمُنْتَجَرَ الرَّيِّجَ ؛ وَوَرَدَ الْمَوْرِدَ الْأَخْمَدَ ، وَتِمَّ الْقَصْدَ الْأَقْصَدَ ، وَوَجَدَ الْجَدَّ الْأَسْعَدَ ، وَسَلَكَ الْمَنْهَجَ الْأَرْشَدَ ؛ فَهُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى ، وَالدرَجَةُ الْعُلْيَا ؛ وَأَمَرَ بِهِ خَيْرُ الْمُرْسَايِنِ ، الْمُنْعَوْتُ فِي سَيْرِ الْأَوَّلِينَ ، الْمُبْعُوْتُ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَالْقَائِمُ رَسُولًا فِي الْأُمِّيِّينَ ، وَالْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَالدَّاعِي الَّذِي مَنْ أَجَابَهُ وَآمَنَ بِهِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأُجِيرَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، وَالْمُسْتَقِيلُ [بِالْعِبَادَةِ] الْعَظِيمِ ، بِفَضْلِ مَا مُنِحَ مِنْ انْخِلَاقِ الْعَظِيمِ ، وَالْمُدْوَحُ بِقَوْلِهِ :
 ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَصَلَ النُّبُوَّةَ بِالْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَخَصَّهَا بِالْخَصَائِصِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِنَسَائِمِ الْكَرَامَةِ ، وَأَجَارَهَا بِخَلْقِهِ مِنْ مَتَالِفِ

الطامة وبوادي الندامة ، وهدى بشرف مقامه إلى دار المقامه ؛ وأستردّ بأنوار تدبيره
من ظلام الباطل الظلامه ، وأحسن بما أجراه من نظره النظر للخاصة والعامة ،
(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِين) .

يمجده أمير المؤمنين أن رفعه إلى ذلك المحلّ المنيف ، وأستعمر به المقام الشريف ،
وأظهر كرامة الدين الحنيف ، ونفى عنه تعالى التعمق وتجديف التحريف ،
وبين بموافقة توفيق هديه طريق التكليف ، وأمدّه بمواد إلهية تشهر فتستغني عن
التعريف ، وتصل فتقطع مواد التكليف .

ويسأله أن يصلّ على جدّه مجد الذي نسّخ بشريعته الشرائع ، وهذب بهدياته
المشارع ، وأيده بالحجج القواطع ، والأنوار السواطع ، وجعل من ذريته جبال الله .
القوارع ، ومن مشكاته نجوم الهدى الطوالع ، وعِدَتْ صنائعه بالله إذا أفتخرت
المنعمون بالصنائع ؛ وعلى أخيه وأبنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب المخصوص
بأخوته ، وأبي الثقلين من عثرته ، والسابق إلى الإسلام فهو بعده أبو عذريته ؛
وإلى تفرج الكرب عن وجهه في الحرب فهو ابنُ بجدته . وعلى الأئمة من ذريتهما
مصاييح الظلمات ، ومفاتيح الشكوك المبهمات ، والمنحوحين من شرف السمات ،
ماجلّ عن المسامات ، والمدوحين بفضل الجاه في الأرضين والسّموات .

وإن الله بحكمته البديعه ، ورحمته الوسيعة ؛ أقام الخلفاء خلقه قواماً وبحقه
قواماً ، وجعل نار الحوادث بنورهم برداً وسلاماً ، وجعل لهم الهداية بأمره لزاماً ،
وأستصرف بهم عن الخلق عذاب جهنّم (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) ؛ فهم أرواح
والخلائق أجسام ، وصباح والمسالك أظلام ، وثمرات والوجود أحكام ، وحكام
والحقائق أحكام ، يسهرون في منافع الأنام وهم نيام ، وينفردون بوصب النصّب

وَيُقِرُّونَهُمْ بِلَذَاتِ الْجَسَامِ ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدَايَاتِهِمْ إِلَى مَا تَدِقُّ عَنْهُ حَوَائِطُ الْأَفْهَامِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بَوَسَائِطِ إِلْهَامٍ . وَقَدْ أَصْطَفَى اللَّهُ الْأَمِيرَ مِنْ تِلْكَ الْأُسْرَةِ ، وَرَقَّاهُ شَرَفَ تِلْكَ الْمَنَاسِرِ وَمُلْكَ تِلْكَ الْأُسْرَةِ ، وَأَنَارَ بِمَقَامِهِ نُجُومَ السَّعَادَةِ الْمُسْتَسْرَةِ ، وَأَسْتَخْدَمَ الْعَالَمَ لِأَغْرَاضِهِ ، وَسَدَّدَ كُلَّ سَهْمٍ فِي رَمْيِهِ إِلَى أَغْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَهُوَ وَاقِعٌ بِحُسْنِ عَوَاقِبِ إِقْرَاضِهِ ، وَأَفْتَرَضَ طَاعَتَهُ فِي خَلْقِهِ فَالْسَّعِيدُ مِنْ تَلَقُّ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَفْتِرَاضِهِ ، وَأَمْضَى أَوَامِرُهُ عَلَى الْأَيَّامِ فَمَا يَقَالُهَا صَرْفٌ مِنْ صُرُوفِهَا بِاعْتِرَاضِهِ ، وَأَدَارَ الْحَقِّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ ، وَكَشَفَ لَهُ مَا أَسْتَجَنَّ تَحْتَ أَسْتَارِ الْأَقْدَارِ ، وَوَقَفَ الْخَيْرَ وَالنُّصْرَةَ عَلَى آرَائِهِ وَرَايَاتِهِ فَهُوَ الْمُسْتَشَارُ وَالْمُسْتَخَارُ ، وَأَهْلَمَهُ أَنْ يَحْفَظَ لِلْأُمَّةِ غَدَهَا كَمَا حَفِظَ لَهَا يَوْمَهَا ، وَأَنْ يُجَرِّىَ لَهَا مَوَارِدَ تَوْفِيقِ الْإِرْتِيَادِ وَلَا يُطِيلَ حَوْمَهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ الْمُؤْمِنَ عَلَى تَلَجٍّ مِنَ الصُّدُورِ ، وَقَلْبٍ مِنَ الظُّهُورِ ، وَيُودِعَ عِنْدَهَا بَرْدَ الْيَقِينِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى مُسْتَوْدَعِ الثَّوَرِ ، وَيَجْعَلَهَا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَتَتَّبِعَهَا ، وَيُجِلِّهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُصْبِ فَتَرْتَبِعَهَا ، وَيُعْلِمُ نَدَى خَيْرِهِ لِيَكُونَ غَايَتَهَا وَمَقَرَّعَهَا ، وَيُعْرِفَهَا مِنْ تَنْظَرِهِ فَتَنْتَظِرُهُ مَالَهَا وَمَرْجِعَهَا ، وَيَقْتَدِي فِي ذَلِكَ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ ، وَيُسِيرُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ الْمَشِيرُ مَقَامَ الْبَشِيرِ .

وَلَمَّا كُنْتَ حَافِظَ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يُتَوَجَّعَ بِهِ السَّرِيرُ ، وَالنَّجْمِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ نَسْتَطِيلَ إِلَى أَنْوَارِهِ وَنَسْتَطِيرَ ، وَالذَّخِيرَةَ الَّتِي أَدَّحَرَهَا اللَّهُ لِنَيْلِ كُلِّ خَطَرٍ وَدَفَعَ كُلَّ خَطِيرٍ ، وَالسَّحَابَ الَّذِي فِيهِ الثَّجُّ الْمَطِيرُ ، وَالنَّجْمُ الْمُنِيرُ ، وَالرَّجْمُ الْمُبِيرُ ، وَقَدْ تَجَلَّتْ لَكَ أَوْجُهُ الْكَرَامَاتِ وَتَبَدَّتْ ، وَتَبَرَّجَتْ لَكَ مَخْطُوبَاتُ الْمَقَامَاتِ وَتَصَدَّتْ ، وَطَلَبَتْكَ كُفًاءً لِنَيْلِ عَقِيلَتِهَا وَسُكْنَى مَعْقِلِهَا فَمَا تَعَدَّتْ ، وَأَدَّتْ إِلَيْكَ لَطَائِفَ فَهْمِكَ مِنْ أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ مَا أَدَّتْ ، وَعَرَفَتْ مِنْ سِيَمَاكَ هَدَى النُّبُوَّةِ ، وَاجْتَمَعَ لَكَ مَرْيَةُ الشَّرَفَيْنِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْأَبُوءِ وَالنُّبُوَّةِ ، وَأَخَذْتَ كِتَابَ الْحِكْمَةِ

وَمَصُونِ الْعِصْمَةِ بِقُوَّةٍ ، وَأَجْرَتِ الْقُلُوبَ الَّتِي بِعَوَارِضِ الشَّكِّ مَمْنُونَةٌ ، وَآثَرَتِ الْعَقَائِدَ
الَّتِي بِنَوَاقِصِ الْعَقْدِ مَمْلُوءَةٌ ، وَغَدَّتْ وَجُوهَ الْأَنَامِ بِأَيَّامِكَ مَجْلُوءَةٌ ، وَتَوَافَقَتِ الْأَلْسُنُ عَلَى
مَذْحِكٍ وَلَا مِثْلَ مَا مُدِخَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمَثْلُوءَةِ ، وَكَنتَ بِحَيْثُ تَذْهَبُ بِالْأَهْوَالِ
الْمُسْلُوءَةِ ، وَتُقْبِلُ بِالْأَمَالِ الْمَرْجُوءَةِ ؛ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا ضَلَّ لَهْدَاهُ نُورُكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ،
وَلَوْ أَنَّ ذِكْرَكَ شَدَّ تَبَدُّدِي فِي الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَوْ أَنَّكَ طَلَعْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ
لَمَا تَسَاءَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا فِي النَّبَاِ الْعَظِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ قَدِيمًا عَلَا فَوْقَ كُلِّ حَدِيثٍ لَقَامَ لَكَ
الْحَدِيثُ مَقَامَ الْقَدِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنَامِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لَصَعِدَتْ دُونَهُمُ الْمَقَامُ
الْكَرِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ يَدَكَ الْبَيْضَاءُ تَجَسَّمَتْ لِلنَّاطِرِينَ لِأَعْدَتِ آيَةَ مُوسَى الْكَلِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ
هِدَايَتِكَ الْغَرَاءَ تَسَمَّتْ لِلذَّاكِرِينَ لِأَحْيَيْتَ بِهَا الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، وَلَوْ أَنَّ عُلُومَكَ
أَنْتَشَرَتْ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَتَلَوُا : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلِيمٌ ﴾ وَلَوْ أَنَّ لَيْلَةَ وِلَادَتِكَ رَصَدَتْهَا
الْبَصَائِرُ ، رَأَتْ كَيْفَ يُفَرَّقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، وَالصِّفَاتُ إِذَا أَحْتَفَلُ أَرْبَابُهَا وَقَفَتْ
لَكَ عَيْسِدًا ، وَالْأَيَّامُ إِذَا كَانَتْ ظُرُوفًا لِفَضَائِلِكَ كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا لِلْعَبِيدِ عَيْدًا ،
وَالْأَنْسَابُ إِذَا عَدَدَتْهَا كَانَ الْجَدُّ سَعِيدًا ؛ فَلْتَفَخَّرْ قَبْلَ السَّيْرِ بِأَنْ أُمِلْتَ عَلَيْهَا السُّورُ ،
وَأَبَشِرْ بِأَنْ الْمُنْتَظَرُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لَكَ فَوْقَ مَا تَعَجَّلُهُ النَّظَرُ ، وَاشْمَعْ بِأَنْ سَادَةَ الْقِبَائِلِ
مُضَرُّ وَأَنْكَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدُ مُضَرٍّ ، وَأَبْدُخْ بِأَنْكَ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ مَنْ غَابَ
وَمَاعِنَكَ عِوَضٌ فِي كُلِّ مَنْ حَضَرَ ، وَابْجَحْ بِأَنْكَ قَدْ أَهَلَّتْ لِأَمْرِ أَبِي اللَّهِ لَهُ إِلَّا أَوْلَى
الْعَزْمِ وَالْخَطَرِ ، وَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ خَلْقِكَ لَهَا بِقَدَرٍ ، وَمَزِيَّةٍ لَا يُوقِفُ حَقَّهَا مِنْ أَضْمَرِ
فَأَغْرَقَ أَوْ نَطَقَ فَشَكَرَ : وَقِيلَ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ
هَدَانَا اللَّهُ ﴾ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ .

فإليك هذا الأمرُ يَصِيرُ، وأنتَ لَهُ واللهُ لك نِعَمُ المولى ونِعَمُ النَّصيرِ؛ وتأهَّبْ له في درجته التي لا يَنَالُها باعٌ قَصيرٌ، ولا يَمْتَطِيها إلَّا من آخِثَرَهُ اللهُ على عِلْمٍ من أهل الثقلين ولو أنَّ بعضهم لبعضٍ ظهيرٌ، ولا نرى لها أهلاً إلَّا مَنْ أَرَاهُ اللهُ من آيَاتِهِ أَنَّهُ هو السَّمِيعُ البصيرُ، وفَاوِضُ أمير المؤمنين في مُشْكِلَاتِ الأمرِ ولا يَنْبُتُكَ مثلُ خَيْرٍ، وأَقْدَمُهُ مِنْهُ مَنْ هو [في] أهل دهره وَصَى الوصى وَنَظِيرُ النَّذيرِ، وأَهْدَى بَنُورِهِ الَّذِي هو بالنور البائن دُونَ الخلق بشيرٌ، وَسِرٌّ إِذَا اسْتَعْمَلَكَ اللهُ فِيهِمْ بما رَأَيْتَ أمير المؤمنين به فِيهِمْ يَسِيرُ، وأَدْعُ اللهُ بِأَنْ يُسِّرَ عَلَى يَدِكَ مَنَاجِحَهُمْ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ، وَأَعْرِفْ مَا أَتَرَكَ اللهُ بِهِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِيَدِكَ كُفْؤًا إِلَّا ذَا الْفَقَارِ وَلَا لَقَدَمَكَ كُفْؤًا إِلَّا الْمَنْبَرُ والسريِرُ، وتحدَّثْ بنعمة الله وإجرائها فأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ أَمِيرٌ وَأَنْتَ غَدًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُ لَهُ خَيْرًا مِنَ اللَّهِ﴾ .

وأما العَدْلُ وإِفَاضَتُهُ ، والجَوْرُ وإِغَاضَتُهُ ، والصَّعْبُ ورياضَتُهُ ، والجَلْبُ وترويضُهُ ، والخَطْبُ وتقويضُهُ ؛ والجِهَادُ ورفَعُ عِلْمِهِ ، والذَّبُّ عن دينِ الله وحِفْظُ حُرْمِهِ ؛ والأَمْرُ بالمعروفِ ونَشْرُ دِيانِهِ ، والنَهْيُ عن المنكرِ وطَيُّ أَعْتِدَائِهِ ؛ وإِقَامَةُ الحَدِّ بِالصَّفْحِ والحَدِّ ، والمُساوَاةُ في الحَقِّ بين المولى والعبدِ ؛ وبَثُّ دَعْوَةِ اللهِ في كلِّ غَوْرٍ مِنَ الْبِلَادِ وتَجَدُّ ، وأَمْرُ عِبَادِ اللهِ بِإِنْ عِبَادِ اللهِ فِي زَمَنِكَ الرِّغْدِ ؛ فَذَلِكَ عَهْدُ الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ ، وهو إِلَيْكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ الْعَقْدِ : وهو سُنَّةُ فَضْلِ الْخُلَفَاءِ الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا تَحْوِيلًا ، ومعْنَى الْعَهْدِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِالْوَفَاءِ بِهِ فَقَالَ : ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

وهل يُوصَى البحرُ بتلاطُمِ أمواجه؟ وتَدَانُعِ أفواجه؟ وبِتَرَاخُرِ عجاجه؟ وهل يُحْصَى الْبَدْرُ الْمُنِيرُ عَلَى أَنْ يُبَيِّرَ سِرَاجَهُ ، وَيَطْلُعَ لِيَتَّضِحَ لِلسَّالِكِ مِنْهَاجَهُ ؟ أَوْ يُنَبِّهَ عَلَى هِدَايَتِهِ

إذا تهادته أبرأجه ؟ عليك من سرائر أنوار الله ما يغنيك أن توصي ، ولديك من ظواهر لطائف الله ما يميز به عن الخلق إذ أضحيت به مخصوصا ، ومن شواهد اختيار الله ما تظاهرت عليك آياته نصوصا ، فيسلام الله يحييك المؤمنون ، وبالأعتلاق بعصمة ولائك في يوم الفرع الأكبر يأمنون ، والله منجز لك وعده كما أنجزه لمن جعلهم أئمة لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ، والله سبحانه يهدي إليك تحية من عنده مباركة طيبة ، ويؤدي إلى مقام شرفك سحابة رحمة غدقة صبيته ، ويجعل ما رآه أمير المؤمنين من ولايتك عهدته ، وكفالتك للأمة بعده ، للسرات ناظما ، وللساعات حاسما ، وللبركات جامعا ، وللباطل خافضا وللحق رافعا . وأمر أمير المؤمنين أن يعين على رجال من أولياء دولته ، ووجوه شيعته ، وأنصار سريته ، عدة يكون إليك اعتراضها ويك اعتراضها ، وببابك العالی إقامتها وإلى جانبك أنحيارها ، فتكون موسومة بالعبودية ، ومتعرضة بالولاء للسعادة الأبدية ، فتتمثل على ما تمثله من المراسم ، وتتصرف على ما تصرفها عليه من الغزائم ، وتكون أبدا لما ينفذ عنك من أحكام الهبات والمكازم ، وتقوم من ملازمة الخدمة في موايك بما هو لكل خادم فرض لازم ، وتسارع في مطالبك إلى ما يسارع إليه الخازم ، وتجوّد باسماء الإنعام بالغدق الساجم . وتقدر لها من الواجبات والزيادات ما تقتضيه همم المكازم ، تبدل في الخدمة الاجتهاد ، وتنافس فيما تستمد [به] الخطوة بحضرته والإحاد ، وعرضها من الإحسان الجم للآزدياد ، وبلغها المراد بما تبلغ بها من المراد : لتتشرف بأن تكون تحت ركابه العالی متصرفه ، وتفتخر بأن تكون أنسابها باسمه العالی مشرفة ، إن شاء الله تعالى .

المذهب الثالث

(أن يَفْتَحَ العهد بعد البسملة بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» ثم يَأْتِيَ بالبعدية،
ويأتى بما يُناسبُ الحال على نحو ما تقدم، وعليه عمل أهل زماننا
مع الاختصار على تجميد واحدة، والاختصار في القول)

وهذه نسخة أوردتها على بن خُلف من إنشائه في كتابه "مواد البيان" لترتيب
الكتابة في زمن الفاطميين، وهي :

الحمد لله مُعِزِّ دِينِهِ بِخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَمُرْتَبِّ حَقِّهِ بِأَوْلِيَائِهِ الْهَادِينَ؛ الَّذِي اخْتَارَ
دِينَ الْإِسْلَامَ لَصَفْوَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَخَصَّ بِهِ مَنْ اسْتَخْلَصَهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ؛ وَجَعَلَهُ
حَبْلَهُ الْمَتِينَ، وَدِينَهُ الَّذِي أَظْهَرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ؛ وَسَبِيلَهُ الْأَفْصَحَ، وَطَرِيقَهُ الْأَوْضَحَ؛
وَأَتَّبَعَتْ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَأَعْلَنَ بِذِكْرِهِ؛ وَالنَّاسُ فِي فِتْرَةِ
الضَّلَالَةِ، وَعَمْرَةِ الْجَهَالَةِ؛ فَلَمَّا أُجِزَ فِي نُصْرَةِ حَقِّهِ، وَتَأْيِيدِهِ لِسُعدَاءِ خَلْقِهِ [قبضه]^(١)
إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ الْأَثَرُ، طَيَّبَ الْخَبَرَ [وقام]^(١) بِخِلَافَتِهِ، مَنْ أَسْتَحَبَّ مِنْ طَهْرَةِ عِثْرَتِهِ؛ وَأَوْدَعَهُمْ
حِكْمَتَهُ، وَكَفَّلَهُمْ شَرِيعَتَهُ؛ فَاتَّقُوا سَبِيلَهُ، وَأَتَّبِعُوا دَلِيلَهُ؛ كُلُّمَا قَبَضَ مِنْهُمْ سَلَفًا إِلَى
مَقَرِّ مَجْدِهِ، أَصْطَفَى خَلَفًا لِلْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

يُحْمَدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَفْضَى إِلَيْهِ بَرَاثَ الْإِمَامَةِ وَالرَّسَالَةِ، وَهَدَى بِهِ كَمَا هَدَى
يُجَدُّهُ مِنَ الزَّيْنِ وَالضَّلَالَةِ؛ وَأَخْتَصَّ بِمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ، وَنَصَبَهُ رَحْمَةً لِلْكَافَةِ؛ وَأَتَمَّ
نِعْمَتَهُ [عليه] كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى آبَائِهِ، وَأَجَزَلَ حَقَّهُ مِنْ حُسْنِ بَلَانِهِ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا اسْتَرْعَاهُ،
وَوَفَّقَهُ فِيمَا وَلَّاهُ؛ وَأَنْهَضَهُ بِإِعْزَازِ الْمَلَّةِ، وَإِكْرَامِ الْأُمَّةِ؛ وَإِمَامَةِ الْبِدْعِ، وَإِبْطَالِ

(١) بياض بالأصل، والتصحيح ما يقتضيه المقام .

الْمَذْهَبِ الْمُخْتَرَعِ ؛ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ ، وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَى لَاحِظِ السُّنَنِ ؛ وَوَهَبَهُ مِنْ بَيْنِهِ
وَذُرِّيَّتِهِ ، مُوَازِرِينَ عَلَى مَا حَمَلَهُ مِنْ أَعْبَاءِ خِلَافَتِهِ ، وَمُظَاهِرِينَ عَلَى مَا كَلَّفَهُ مِنْ إِمَاعَانِ
النَّظَرِ فِي بَرِيَّتِهِ .

وَيَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى عَجْدِ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَالْخَيْرَةِ مِنْ خُلَصَائِهِ ؛ الَّذِي شَرَّفَهُ بِخِتَامِ
رُسُلِهِ ، وَإِقْرَارِ نِيَابَتِهِ فِي أَهْلِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ وَبَابِ حُكْمَتِهِ ،
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَوَصِيِّهِ فِي أُمَّتِهِ ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، مَنَهِجِ رَحْمَتِهِ ،
وَسُرُجِ هِدَايَتِهِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْخِلَافَةَ لِلْكَافَّةِ عِصْمَهُ ، وَلَأَهْلِ الْإِيمَانِ رَحْمَهُ ، تَجَمُّعَ
كَلِمَتِهِمْ ، وَتَحْفِظَ أُلُفَّتِهِمْ ؛ وَتُصْلِحَ عَامَّتِهِمْ ، وَتُقِيمَ فَرَائِضَهُ وَسُنَنَهُ فِيهِمْ ، وَتُمَدُّ رُوقُ
الْعَدْلِ وَالْأَمْنَةِ عَلَيْهِمْ ؛ وَتُحْسِمُ أَسْبَابَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ ، وَتَقْمَعَ أَهْلَ الْعِنَادِ
وَالشَّقَاقِ ؛ وَلِذَلِكَ وَصَلَ اللَّهُ حَبْلَ الْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقَبِ أَوْلِيَائِهِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَلَمَّا نَظَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعِينَ الْيَقِينِ ، وَأَقْبَسَ مِنَ الْحَقِيقَةِ قَبَسَ [الْحَقِّ] الْمُبِينِ ،
عَرَفَ مَا بُنِيَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا مِنْ سُرْعَةِ الزَّوَالِ ، وَوَشَكَ التَّحَوُّلَ وَالْإِنْتِقَالَ ؛ وَأَنَّ
مَا قَوَّضَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ خِلَافَتِهِ لَا بَدَّ أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْهُ إِلَى أَبْنَائِهِ الْمَيَامِينِ ، كَمَا أَنْتَقَلَ إِلَيْهِ
عَنْ آبَائِهِ الرَّاشِدِينَ ؛ فَلَمْ يَغْتَرَّ بِمَوَاعِيدِهَا الْمُحَالِ ، وَأَضْرَبَ عَمَّا تَخَدَّعَ بِهِ مِنَ الْأَمَانِيِّ
وَالْأَمَالِ ؛ وَأَشْفَقَ عَلَى مَنْ كَفَّلَهُ اللَّهُ بِسِيَاسَتِهِ ، وَحَمَلَهُ رِعَايَتَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
الْمُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِ دَعْوَتِهِ ؛ الْمُسْتَمِلِينَ بِظُلِّ بَيْعَتِهِ ، عِنْدَ تَقْضَى مُدَّتِهِ وَزُرُوعِهِ إِلَى آخِرَتِهِ ؛
فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ، بِالْأَجْلِ الْمَحْتَمُومِ : مِنْ أَنْتِشَارِ الْكَلِمَةِ ، وَأَنْبِيَاءِ الْعِصْمَةِ ؛
وَأَنْشِقَاقِ الْعَصَا ، وَإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ ؛ وَاسْتِيْلَاءِ الْفَتَنِ ، وَتَعْطِيلِ الْقُرُوضِ وَالسُّنَنِ ؛ فَنَظَرَ

لهم بما ينظم شملهم ، ويوصل حبلهم ؛ ويبرز ظلماتهم ، ويجمع كلمتهم ، ويؤلف
أفئدتهم ؛ ورأى أن يعهد إلى فلان ولده : لأنه قريبه في عليه وفضله ، وعقبيه
في إنصافه وعدله ؛ والملموح من بعده ، والمرجوئ ليومة وغده ، ولما جمع الله له
من شروط الإمامة ، وجمعه له من أدوات الخلافة ، وجبله عليه من الرحمة والرأفة ؛
وخصه به من الرصانة والرجاحة ، والشجاعة والسباحة ؛ وآتاه من فضل الخطاب ،
وجوامع الصواب ومحاسن الآداب ؛ ووقاية الدين ، والغلظة على الظالمين ، واللطف
بالمؤمنين ؛ بعد أن قدم استخارة الله تعالى فيه ، وسأله توفيقه لما يرضيه ؛ ووقف
فكره على اختياره ، ولم يكن باختياره مع إيتاره ؛ ويُلوح في شمائله ، ويستوضح
في مخايله ؛ أنه الولي المجتبي ، والخليفة المصطفى ؛ الذي يحيى الله به ذمار الحق ،
ويعلّي بسلطانه شعار الصدق ؛ وأنه - سبحانه - قد أفضى إليه بما أفضى به إلى
الخلفاء من قبله ، وأفاض عليه من الكامنات ما أفاضه على أهله ؛ وبعد أن عاقده
وعاهدته على مثل ما عاهدته عليه آبؤه : من تقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعار
خيفته ومراقبته والعمل بكتابه وسنته ؛ وإقامة حدود الله التي حدّها ، بفروضة التي
وكدها ، والافتداء بسلفه الراشدين ، في المكافأة عن الدين ، والمساهمة عن أوزار
المسلمين ؛ وبسّط العدل على الرعية ، والحكم بينهم بالسوية ؛ وإنصاف المظلوم
من الظلوم ، وكف يد المغتصب الغشوم ؛ وصرف ولّاة الجور عن أهل الإسلام ،
وتخير من ينظر بينهم في المظالم والأحكام ؛ وأن لا يؤلّى عليهم إلّا من يثق بعدالته ،
ويسكن إلى دينه وأمانته ؛ ولا يفسح لشريف في التعدي على مشرّوف ، ولا يقوى
في التسلّط على مضعوف ؛ وأن يحل الناس في الحقوق على التساوي ، ويخريهم
في دولته على التناصف والتكافؤ ؛ ويأمر مجابه وتوابعه بإبصال الخاصة والعامة إليه ،
وتمكينهم من عرض حوائجهم ومظالمهم عليه : ليعلموا : الولّاة والعلماء ، أن رعيته

على ذكر منه وبأل ؛ فیتَحَامُوا التثقیلَ علیهم والإضرارَ بهم . وأشهدُ علیهِ بكلِّ ماشرطه
وحَدَّده ، والعملِ بما یحمدُ إلیهِ فیما تقلَّده . على أَنَّهُ غَفَى عَنْ وَصِيَّةٍ وَتبصیرٍ ، وتنبیهٍ
وتذکیرٍ ؛ إِلَّا أَنَّ مُحَمَّدًا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ یقولُ لعلىَّ صَلَّی اللهُ عَلَیْهِمَا ” أَرْسَلُ عَاقِلًا
(١)
الافأوصه “ .

فبایعُوا علىَّ بركةَ الله تعالى طَائِعِينَ غَیْرَ مُكْرِهِينَ ، برَغْبَةٍ لَا برَهْبَةٍ ، وبإخلاصٍ
لَا بُدْأَهنَّه ، بیعةَ رِضَا وَاختیارٍ ، وَأَقْبَادٍ وَإِثَارٍ ؛ بصَحَّةٍ مِنْ نِيَّاتِكُمْ ، وسلامةٍ
مِنْ صُدُورِكُمْ ؛ وصفاءٍ مِنْ عَقَائِدِكُمْ ، ووفاءٍ وَأَسْتِقَامَةٍ فیما تَضَعُونَ علیهِ أیمانَكُمْ :
لِیَعْرِقَکُمُ اللهُ [مِنْ] سُبُوغِ النِّعَمَةِ ، وَتُشْمُولِ الْخَبَرِ ؛ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ ، وَأَتْفَاقِ الْكَلِمَةِ ؛
مَائِقِرَ نَوَاطِرِكُمْ ، وَیُرْدَ ضَمَائِرِكُمْ ؛ وَیَذْهَبُ غَلُّ صُدُورِكُمْ وَیُعْزُّ جَانِبَكُمْ ، وَیُذِلُّ
مُجَانِبَكُمْ ؛ فاعلمُوا هَذَا وَاعْمَلُوا بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ .

وقد یُغْنِیْ هَذَا الْکِتَابُ الَّذِی ذَکَرْنَاهُ مَعْنَى الْعَهْدِ ، فَلَا یُحْتَاجُ إِلَى عَهْدٍ :
وعلى ذلك کُتِبَ عَنِ الْإِمَامِ الْمُسْتَكْفَى بِاللَّهِ أَبِی الرَّبِیعِ سَلیمان ، أَبْنِ الْحَاکِمِ بِأَمْرِ
اللهِ أَحْمَد ، عَهْدٌ وَلَدِهِ الْمُسْتَوْتِقِ بِاللَّهِ « بَرَكَة » بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ . وهذه نسخته :
الحمدُ لله الَّذِی أَيْدَى الْخِلَافَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ بِأَجَلٍ وَالِدٍ وَأَبْرَؤَلَدٍ ، وجعلها كلمةً باقيةً
فِي عَقِبِهِ وَالسَّيْنِدَ كَالسَّيْنَدِ ، وَأَوَاهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ فَالْكَهْفِ وَإِنْ تَنَاهَى
الْعَدَدُ ؛ وَزَانَ عِظْفَهَا بِسُودَدِ سَوَادِ شِعَارِهِمُ الْمُسَجَّلَةِ أَنْوَارِهِمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ النُّورَ
فِي السَّوَادِ ، وَعَدَقَ بِصَوْلَتِهِمُ النَّبَوِيَّ مُعْجِزُهَا كُلِّ مُنَادٍ .
(٢)

(١) كذا في الأصول مضبياً عليه وحرر .

(٢) لعله وقدع . أى كف . تأمل .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ فِيهِمْ ، وَتُرُوءِ الرِّحَةِ بِتَوَافِيهِمْ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مَحْضَةً الْإِخْلَاصِ ، كَافِلًا مَحْضُهَا بِالْفِكَاكِ مِنْ أَسْرِ الشِّرْكِ وَالْخَلَاصِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِمَا أَوْصَحَ سَبَلُ الرِّشَادِ ، وَقَعَ أَهْلُ الْعِنَادِ ، وَالشَّفِيعُ الْمَشْفَعُ يَوْمَ التَّنَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا أَنْقِضَاءَ لَهَا وَلَا نَقَادَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (وَيَذْكُرُ اسْمَهُ) يَتَعَصَّمُ بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ مَا جَعَلَ اللَّهُ [لَهُ] مِنَ التَّفْوِيضِ ، وَيُشِيرُ إِلَى الصَّوَابِ فِي كُلِّ تَصْرِيحٍ مِنْهُ وَتَعْرِيزٍ ، وَإِنَّهُ شَدَّ اللَّهُ أَرْزَهُ ، وَعَظَّمَ قُدْرَهُ ، أَسْتَخَارَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْوَصِيَّةِ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمَعْظُمَةِ الْمَفْتَخَمَةِ الْمُوَرَّثَةِ عَنِ الْآبَاءِ وَالْجُدُودِ ، الْمُلقَاةِ إِلَيْهِ مَقَالِيدُهَا كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوَالِدِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْمَوْلُودِ ، وَلَوْلَدِهِ السَّيِّدِ ، الْأَجَلِّ ، الْمَعْظَمِ ، الْمَكْرَمِ ، فَلَانٍ ، سَلِيلِ الْخِلَافَةِ وَشَيْبِلِ غَايِبِهَا ، وَنُحْبَةِ أَحْسَابِهَا وَأَنْسَابِهَا ، أَجَلَهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ ، وَجَمَّلَ بِهِ عِطْفَ الْأَمَانَةِ وَقَوْفَهُ : لِمَا تَلَمَّحَ فِيهِ مِنَ النَّجَابَةِ اللَّائِحَةِ عَلَى شِمَائِلِهِ ، وَظَهَرَ مِنْ مَسْتَوْتِيقِ إِبْدَاءِ سِرِّهِ فِيهِ بَدَلَاتِلُ بُرْهَانِهِ وَبُرْهَانِ دَلَالَتِهِ ، وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ - صَانِعِهَا اللَّهُ تَعَالَى - مَوْلَانَا أَوْ سَيِّدُنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ حَضَرَ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ : قُضَاةَ قُضَايَاهُمْ ، وَعِلْمَائِهِمْ ، وَعُدُولِهِمْ ، يَجْلِسُ الشَّرِيفُ ، أَنَّهُ رَضِيَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي الْخِلَافَةِ الْمَعْظُمَةِ ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ الْآنَ لَوْلَدِهِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ فَلَانٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَسَّحَ اللَّهُ فِي أَجَلِهِ ، وَعَهْدَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلَ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدُهَا ، وَجَعَلَ بِيَدِهِ زِمَامَ مُبْدِيَّتِهَا وَمُعِيدَتِهَا ، وَصَّى لَهُ بِذَلِكَ جَرِيئَةً وَكُفَّةً ، وَغَامِضَةً وَجَلِيَّةً ، وَصِيَّةً شَرْعِيَّةً بِشُرُوطِهَا الْإِلَازِمَةِ الْمَعْتَبَرَةِ ، وَقَوَاعِدِهَا الْمَحْرُورَةِ ، أَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي تَارِيخِ كَذَا .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد ولى الخلافة عن الخليفة ، وما يكتبه
الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته
من قبول المعهود إليه ، وشهادة الشهود على العهد)

أما ما يكتب في المستند ، فينبغى أن يكون كما يكتب في عهود الملوك عن الخلفاء ،
على نحو ما تقدم في البيعات ؛ وهو أن يكتب : « بالإذن العالى ، المولوى ، الإمامى ،
النبوى ، الفلانى » (بقلب الخلافة) أعلاه الله تعالى « أو نحو ذلك من الدعاء .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فينبغى أن يكتب : « عهدي إليه
بذلك » : لأنه اللفظ الذى ينعقد به العهد . ولو كتب : « فوضت إليه ذلك »
كما يكتب الخليفة في عهد السلطان الآن على ماسياتى ، كفى ذلك . والالئق بالمقام
الأول .

وأما ما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته ، فالمقول فيه عن المتقدمين
ما كتب به « على الرضى » تحت عهد المأمون إليه بالخلافة ، وهو :

الحمد لله الفعال لما يشاء ، لأمعق لحكمه ، ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة
الأعين وما تخفى الصدور ؛ وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين ، وآله الطيبين
الطاهرين . أقول وأنا على بن موسى بن جعفر : إن أمير المؤمنين عَصَّده الله
بالسداد ، ووفقه للرشاد ؛ عَرَفَ من حقنا ما جهله غيره : فوصل أرحاما قُطعت ،
وأمن أنفساً فِرَعَتْ ، بل أحيها وقد تَلَفَتْ ، وأغناها إذ أفقرت ؛ مُتَبِعاً رضا رب
العالمين ، لا يريد جزاء من غيره وسيَجْزى الله الشاكرين ، ولا يُضِيعُ أجر المحسنين ؛

وإنه جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده؛ فمن حلَّ عُقْدَةً أمر الله بشدّها، أو قَصَمَ عُرْوَةَ أَحَبِّ الله إليها، فقد أباح حريمه وأحلَّ محرمه؛ إذ كان بذلك زارياً على الإمام، متبركاً حرمة الإسلام؛ بذلك جرى السالف فصبر منهم على القتل، ولم يُعترض بعدها على العزّات؛ خوفاً على شتات الدين، وأضطراب حبل المسلمين؛ ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تُتَهَرَّبُ، وباقية تُتَدَرَّبُ؛ وقد جعلتُ لله تعالى على نفسي إن استرعى على المسلمين، وقلدني خلافته، العمل فيهم عامّة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصّة بطاعته وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا أسفك دمًا حراماً، ولا أبيع فرجاً ولا مالاً؛ إلا ماسفكته حدوده، وأباحته فرائضه؛ وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي. جعلتُ بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني [الله] عنه، فإنه عز وجل يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾. فإن أحدث أو غيرت أو بدلت، كنت للغير مستحقاً، وللنكال متعرضاً؛ وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أُرْغِبُ في التوفيق لطاعته، والحوّل بيني وبين مَعْصِيَتِهِ، (في عامّة المسلمين؛ والخاصّة والحزبيّة) (١) على ضدّ ذلك) : ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾. لكنني آمنتُ أمر أمير المؤمنين وآثرتُ رضاه، والله يعصمني وإياه؛ واشهدتُ الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً. وكتبتُ بخطي بحضرة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكرم، وإسیر بن المعتز، وحماد ابن الثعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

ثم كتب فيه من حضر من هؤلاء، وهذه صورة كتابهم .

فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ماضوته :

(١) ثبتت هذه العبارة في الاصل وعليها علامة التوقف . ولم نثر عليها في غير هذا الكتاب . تأمل .

”رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب: ظهره وبطنه، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد، ومرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد؛ وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق، بما أوجب أمير المؤمنين المحبة به على جميع المسلمين، وأبطال الشبهة التي كانت أعترضت آراء الجاهلين: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾. وكتب ”الفضل بن سهل“ في التاريخ المعين فيه“.

وكتب عبد الله بن طاهر ماصورته « أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر بن الحسين ».

وكتب يحيى بن أكرم القاضي ماصورته: « شهد يحيى بن أكرم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها، وكتب بخطه بالتاريخ ».

وكتب حماد بن الثمان ماصورته: « شهد حماد بن الثمان بمضمون ظهره وبطنه، وكتب بيده بتاريخه ».

وكتب بشر بن المعتمر ماصورته: « شهد بذلك بشر بن المعتمر، وكتب بخطه بالتاريخ ».

قلت: وعلى نحو ما تقدم من كتابة المعهود إليه بالقبول وشهادة الشهود على العهد ينبغي أن يكون العمل أيضا في زماننا: ليجمع خط العاهد بالتفويض على ما تقدم، وشهادة الشهود. ولو اقتصر المعهود إليه في الكتابة على قوله: « قُلتُ ذلك » كان كافيا، وإن كان أميا أكتفى بشهادة الشهود.

الوجه الثامن.

(في قطع الورق الذي يُكْتَب فيه عهودُ الخلفاء، والقلم الذي يُكْتَب به،
وكيفية كتابتها وصورة وضعها)

أما قطعُ الورق فمقتضى قول المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" أن للعهود قطعَ البغدادى الكامل، وأن عهودَ الخلفاء تُكْتَب في البغدادى كما هو مستعمل في عهود الملوك عن الخلفاء، على ما سياتى في موضعه إن شاء الله تعالى. وهو مقتضى ما تقدم في الكلام على قطع الورق في مقدمة الكتاب نقلاً عن محمد بن عمر المدائنى في كتاب "القلم والدواة" أن القطع الكامل للخلفاء.

قلت : وقد أخبرنى من يُوثَّق به أنه وقف على عهد المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر، وألِد المتوكل على الله : أبى عبد الله محمد خليفة العصر، وهو مكتوب في قطع الشامى الكامل، وأنه كُتِب عهد المتوكل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء. وكأنهم لما تفهقرت الخلافة وضعف شأنها، وصار الأمر إلى الملوك المتغلبين على الخلفاء، تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع كامل البغدادى إلى قطع الشامى. وهذا هو المناسب للحال في زماننا.

وأما القلم الذى يُكْتَب به، فالحكم فيه ما تقدم في البيعات، وهو إن كُتِب العهد في قطع البغدادى، كُتِب بقلم مختصر الطومار. وإن كُتِب في قطع الشامى، كُتِب بقلم الثلاثين الثقيل.

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها، فعلى ما تقدم في كتابة البيعات، وهو أن يبدأ بكتابة الطرة في أول الدرج بالقلم الذى يُكْتَب به العهد سطوراً متلاصقة ممتدة

في عَرْض الدَّرَج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابة في قَطْع
 البَغْدَادِيَّ الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عهود الملوك عن الخلفاء ؛ فترك
 بعد الوصل الذي فيه الطرة ستة أوصال بياضا من غير كتابة ، ثم يكتبُ البسملة
 في أول الوصل الثامن بحيث يلحق أعلى ألفاته بالوصل الذي فوقه ، بهامش قدر
 أربعة أصابع أو خمسة ؛ ثم يكتب تحت البسملة سَطرا من أول العهد ملاصقا لها ،
 ثم يخلى مكان بيت العلامة قدر شبر كما في عهود الملوك ؛ ثم يكتب السطر الثاني
 تحت بيت العلامة على سمت السطر الذي تحت البسملة . ويحرص أن تكون نهاية
 السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني ؛ ثم يسترسل في كتابة بقية العهد إلى آخره ،
 ويجعل بين كل سطرين قدر رُبع ذراع بذراع القماش . فإذا انتهى إلى آخر العهد ،
 كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند ، ثم الحمدلة ، والصلاة على النبي صلى الله
 عليه وسلم والحسبة ، على ما تقدم في الفواتح والخواتم . ثم يكتب المعهود إليه
 والشهود بعد ذلك . وإن كتب في قطع الشامي ، فعلى ما تقدم في البيعات : من
 أنه ينبغي أن يقتصر في أوصال البياض على خمسة أوصال ، ويكون الهامش قدر
 ثلاثة أصابع .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلا فيها بالطرة التي أنشأها ، على ما تقدم ذكره
 في العهد الذي أنشأته على لسان الإمام المتوكل على الله خليفة العصر لولده العباس .
 وهو العهد الأخير من المذهب الأول من عهود الخلفاء عن الخلفاء

هذا عهد إمامي قد علت جُدودُهُ ، وزاد في الارتقاء في العلياء صُعودُهُ ، وفُصِّلَتْ
بالجواهر قلائدُهُ ونُظِّمَتْ بنفيس الدرِّ عُقُودُهُ ؛ من عبدِ الله وولَّيهِ الإمام المتوكِّل
على الله أبي عبد الله محمد ابن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر ، بالخلافة
المقدَّسة لولَدِهِ السيد الجليل ؛ ذَخِيرَةِ الدِّين ، وولِيَّ عهد المسلمين ، أبي الفضل
العبَّاس ، بلغه الله تعالى فيه غاية الأمل ، وأقرَّ به عين الأئمة كما أقرَّ به عين أبيه
وقد فعَّل على ما شرح فيه

بياض ستة أوصال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دامش هذا عهد سعيد الطالع ميمون الطائر مبارك الأول

عهدت إليه بذلك

وكتب فلان بن فلان

جَمِيلُ الْأَوْسَطِ حَمِيدُ الْآخِرِ تشهد به حضراتُ الأملاك

وَتَرْفُؤُهُ كَفُّ الثُّرَيَّا بِأَقْلَامِ الْقَبُولِ فِي صَحَائِفِ الْأَفْلَاكِ وَتُبَاهِي

بِهِ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، وَتَسْرِي بِنَشْرِهِ الْقَبُولُ إِلَى الْأَقْطَارِ

هَامِش
فَتَنْشُرْ لَهُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ عِلْمًا، وَتُطْلَعُ بِهِ سَعَادَةُ الْجَدِّ مِنْ مُلُوكِ الْعَدْلِ
فِي كُلِّ أَفْقٍ نَجْمًا .

ثُمَّ يَأْتِي عَلَى الْكَلَامِ إِلَى آخِرِ الْعَهْدِ عَلَى هَذَا النَّمَطِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى
قَوْلِهِ فِيهِ «وَاللَّهِ تَعَالَى يَبْلُغُهُ مِنْكَ أَمَلًا، وَيَحَقِّقُ فِيكَ عِلْمًا وَيُزَكِّيَّ بِكَ عَمَلًا»

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

كُتِبَ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُحَرَّمِ
سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِمِائَةٍ

بِإِذْنِ الْعَالِي ، الْمُؤَلَّوِيِّ ، الْإِمَامِيِّ ، النَّبَوِيِّ ، الْمَتَوَكِّلِيِّ ،

أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَامُهُ

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

شَهِدَ عَلَى الْعَاهِدِ وَالْمَعْهُودِ إِلَيْهِ
فِيهِ زَادَهُمَا اللَّهُ شَرَفًا
وَكُتِبَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ
وَكَذَا بَقِيَّةُ الشُّهُودِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَبِلْتُ ذَلِكَ
وَكُتِبَ فُلَانٌ وَلِيُّ
عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

صورة خط المهود

النوع الثاني

(عهود الخلفاء للوك ، ويتعلق النظر به من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعتها)

والأصل فيها مارواه ابن إسحاق وغيره : أنه لما رجع وفد بني الحريث بن كعب إلى قومهم باليمن بعد وفود [هم] على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأربعة أشهر ، بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ولى وقدهم عمرو بن حزم ، يفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم . وكتب له كتاباً عهد فيه عهده ، وأمره فيه أمره ، على ماسياتي ذكره في أول نسخ العهود الواردة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمره إيمان في حياته إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه . وذلك أصرح دليل وأقوم شاهد لما نحن فيه .

الوجه الثاني

(في بيان [معنى] الملك والسلطنة اللتين يقع العهد بهما)

قد تقدم في الكلام على الألقاب نقلاً عن " الفروق " في اللغة للعسكري أن الملك أخص من السلطنة : لأن الملك لا يطلق إلا على الولاية العامة ، والسلطنة تُطلق على أنواع الولايات ؛ حتى إن الفقهاء يعبرون عن القاضي ووالي البلد في أبواب الفقه بالسلطان .

ثم تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يدبرها ويقوم بأعبائها على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — وهو أعلاها وزارة التفويض، وهو أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على آجتهاده، وينظر فيها على العموم . وعلى ذلك كانت السلطنة في زمن الخلفاء الفاطميين بمصر على ماسياتى ذكره . قال الماوردي في "الأحكام السلطانية" : ولا يمتنع جواز مثل ذلك : لأن كل ما وكل إلى الإمام من تدبير [الأمة] لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستئابة^(١)، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور، [من تفرد بها] ليستظهر^(٢) به على نفسه ولنفسه، فيكون أبعد من الزلل، وأمنع من الخلل . قال : وتعتبر في [تقليد] هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده . وقد تقدم بيان شروط الإمامة في الكلام على البيعات . ثم قال : وكل ما صح من الإمام صح من وزير التفويض إلا في ثلاثة أشياء :

أحدها — ولاية العهد . فإن للإمام أن يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

الثاني — أن للإمام أن يستعفى الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير .

الثالث — أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام .

وتفارق هذه الوزارة الخلافة في عموم النظر فيما عدا ذلك من وجهين :

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

(٢) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

أحدهما — مختص بالإمام وهو أن يتصفح أفعال الوزير وتدير الأمور : ليقتر منها ماوافق الصواب ، ويستدرك ماخالفه : لأن تدير الأمة إليه موكل ، وعلى أجهاده محمول .

والثاني — مختص بالوزير . وهو مطالعة الإمام بما أمضاه من تدبير ، وأنفذه من ولاية وتقليد : لئلا يصير بالاستبداد كالإمام .

أما وزارة التنفيذ فسيأتي الكلام عليها في تقليد الوزارة إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني — إماره الاستكفاء .

وهي التي تتعد عن اختيار من الخليفة . وتشتمل على عمل محدود ونظر معهود ، بأن يفوض الخليفة إليه إمارة بلد أو إقليم ولاية على جميع أهله ، ونظراً في المعهود من سائر أعماله ، فيصير عام النظر فيما كان محدوداً من عمل ، ومعهوداً من نظر . قال الماوردي : فينظر فيما إليه في تدير الجيش ، وترتيبه في النواحي ، وتقدير أراقيهم إن لم يكن الإمام قد قدرها ، وإدارها عليهم إن كان الإمام قد قدرها ، وكذلك [النظر في] الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام ، وجباية الخراج ، وقبض الصدقات والعمل فيهما ، وتفريق ما يستحق منهما ، وحماية الحرم ، والدب عن البيضة ، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل ، وإقامة الحدود في حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين ، والإمامة في الجمع والجماعات بالقيام بها ، والاستخلاف عليها ، وتسيير الحجيج من عمله ومن يتر عليه من غير عمله ، وجهاد من يليه من العدو ، وقسم الغنائم في المقاتلة ، وأخذ محسها لاهل الخمس . وله أن يتخذ وزير تنفيذ لا وزير تفويض .

وعلى هذا كانتِ الأمراءُ والمُعالِم في الأقاليم والأُمصار من ابتداء الإسلام إلى أن تغلب المتغلبون على الأمر واستضعف جانبُ الخلفاء .

قال الماوردي : ويعتبر في هذه الإمارة ما يُعتبر في وزارة التفويض من الشروط : إذ ليس بين عموم الولاية وخصوصها فرق في الشروط المعبرة فيها .

القسم الثالث - إمارة الاستيلاء .

وهي أن يقلده الخليفةُ الإمارة على بلاد ويفوض إليه تديرها ، فيستولى عليها بالقوة ، فيكون [الأمير] باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير ، والخليفةُ بإذنه ينفذ أحكام الدين : لتخرج عن الفساد إلى الصحة ، ومن الحظر إلى الإباحة ، نافذ التصرف في حقوق الملة وأحكام الأمة . وهذا ما صار إليه الأمر بعد التغلب على الخلفاء ، والاستبداد بالأمر بالغلبة والقوة .

قال الماوردي : وهذا وإن خرج عن عُرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه ، ففيه [من] حفظ قوانين الشرع وحراسة الأحكام الدينية مالا يجوز أن يترك مختلاً مدخولاً ، ولا فاسداً معلولاً ، فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ، ما امتنع في تقليد الاستكفاء والإختيار : لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز .^(٢) قال : والذي يُحفظ بتقليد المستولي من قوانين الشريعة سبعة أشياء ، يشترك في الترامها الخليفةُ المولى والأميرُ المستولى ، ووجوبها في جهة المستولى أغلظ .

(١) عبارة "الأحكام السلطانية" وإمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطراب فهي أن يستولى بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه الخ وهي أوضح وأصرح .

(٢) في المصباح . وله مكنة أى قوة وشدة .

أحدها - حِفْظُ مَنْصِبِ الإِمَامَةِ فِي خِلاَفَةِ النُّبُوَّةِ، وَتَدْيِيرُ أُمُورِ الْأُمَّةِ : لِيَكُونَ مَا أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ مِنْ إِقَامَتِهَا مُحْفُوظًا، وَمَا تَقَرَّعَ عَنْهَا مِنَ الْحَقُوقِ مُحْرُوسًا .

والثاني - ظُهُورُ الطَّاعَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا حُكْمُ الْعِنَادِ فِي الدِّينِ ، وَيَنْتَفِي بِهَا مَأْتَمُ الْمُبَايَنَةِ لَهُ .

والثالث - أَجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَى الْأَلْفَةِ وَالتَّنَاصُرِ : لِيَكُونَ الْمُسْلِمُونَ يَدًّا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ .

والرابع - أَنْ تَكُونَ عُقُودُ الْوِلَايَاتِ الدِّينِيَّةِ جَائِزَةً، وَالْأَحْكَامُ وَالْأَقْضِيَّةُ [فِيهَا] نَافِذَةً ؛ لَا تَبْطُلُ بِفَسَادِ عُقُودِهَا، وَلَا تَسْقُطُ بِخَلَلِ عُهْدِهَا .

الخامس - أَنْ يَكُونَ اسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ الشَّرْعِيَّةِ بِحَقِّ تَبَرُّأٍ بِهِ ذِمَّةٌ مُؤَدِّيَهَا ، وَيَسْتَيْبِحُ اخِذَهَا وَمُعْطِيَهَا .

السادس - أَنْ تَكُونَ الْحُدُودُ مُسْتَوْفَاءَةً بِحَقِّ ، وَقَائِمَةً عَلَى مُسْتَحَقِّ ؛ فَإِنَّ جَنْبَ الْمُؤْمِنِ حِمَى إِلَّا مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُدُودِهِ .

السابع - أَنْ يَكُونَ لِلْأُمَّةِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَازِعٌ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، بِأَمْرِ بِحَقِّهِ إِنْ أُطِيعَ، وَيَدْعُو إِلَى طَاعَتِهِ إِنْ عُصِيَ . ثُمَّ قَالَ : فَإِنْ كُنْتُ فِيهِ شُرُوطُ الْإِخْتِيَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ، كَانَ تَقْلِيدُهُ حَتْمًا اسْتِدْعَاءً لَطَاعَتِهِ ، وَدَفْعًا لِمَشَاقِقَتِهِ وَخِلَافَتِهِ ؛ وَجَرَى عَلَى مَنْ اسْتَوَزَرَهُ أَوْ اسْتَنْابَهُ أَحْكَامُ مَنْ اسْتَوَزَرَهُ الْخَلِيفَةُ أَوْ اسْتَنْابَهُ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ [فِيهِ] شُرُوطُ الْإِخْتِيَارِ ، جَازَ لَهُ إِظْهَارُ تَقْلِيدِهِ اسْتِدْعَاءً لَطَاعَتِهِ وَحَسْمًا لِمَخَالَفَتِهِ وَمَعَانَدَتِهِ ؛ وَكَانَ نَفْذُ تَصَرُّفَاتِهِ فِي الْحَقُوقِ وَالْأَحْكَامِ مَوْقُوفًا عَلَى أَنْ يَسْتَيْبِغَ الْخَلِيفَةُ

له من تكاملت فيه الشروط . قال : وجاز مثل هذا وإن شذَّ عن الأصول : لأن
الضرورة تُسقط ما أعوز من شروط المكنة .

قلت : ومملكة الديار المصرية من حين الفتح الإسلامى وهلمَّ جرًّا إلى زماننا
دائرة بين هذه الأقسام الثلاثة ، لا تكاد تُخْرُج عنها : فكانت في بداية الأمر « إمارة
أستكفاء » يولَّى عليها الخليفة في كلِّ زمن من يقوم بأعبائها ، ويتصرَّف في أمورها ،
قاصر الولاية عليها ، واقف عند حدٍّ ما يرد عليه من الخليفة من الأوامر والنواهي ،
إلا ما كان في أيام بني طولون من الخروج عن طاعة الخلفاء في بعض الأحيان .
فلما استولوا عليها الفاطميون واستوزروا أرباب السيف في أواخر دولتهم ،
وعظمت كلمتهم عندهم ، صارت سلطنتها « وزارة تفويض » . وكان الخليفة يُحتجب
والوزير هو المتصرَّف في المملكة كالمُلوِّك الآن أو قريب منهم . وكانوا يُلقَّبون باللقاب
المُلوِّك الآن : كالمُلك الأفضل رضوان وزير الحافظ ، وهو أوَّل من لُقِّب بالمُلك
منهم فيما ذكره المؤيِّد صاحب حماة في تاريخه . والمُلك الصالح طلائع بن رزيك
وزير الفاتر ثم العاضد . والمُلك المنصور أسد الدين شيركوه بن شاذي وزير العاضد ،
وأبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وزير العاضد أيضا ، قبل أن يستقلَّ
بالمُلك ويخطب بالديار المصرية لبني العباس ببغداد . ولا تُكرِّف تسمية الوزير مُلكا ،
فقد قيل في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيهِ
أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ إنَّ المراد بالمُلك الوزير لا المُلك نفسه . ولما اتَّزعت من
الفاطمين وصارت إلى بني أيوب ، وكانوا يُلَوِّنها عن خلفاء بني العباس ،
صارت « إمارة أستبلاء » لأستبلائهم عليها بالقوة ، وأستبئادهم بالأمر والتدبير
مع أصل إذن الخليفة وتقليده . وكان الرشيد قد لُقِّب « جعفر بن يحيى البرمكي »

في زمن وزارته له بالسلطان ، ولم يأخذ الناس في التلقيب به . فلما تغلب
 الملوك بالشرق على الخلفاء وأسبّدوا عليهم ، صار لقب السلطان سمة لهم ، مع
 ما يختصهم به الخليفة من ألقاب التشريف : كَشَرَف الدّولة ، وعَضُد الدّولة ،
 ورُكْن الدّولة ، ومُعزّ الدّولة ، وعِزّ الدّولة ، ونحو ذلك . وشاركهم في لقب السلطنة
 غيرهم من ملوك النواحي ، فلقّب بذلك صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، وتلقّب
 بالملك الناصر عند استبداده بالملك على العاضد الفاطمي بعد وزارته له ، ونقل
 ما كان من وزارة التفويض والعهد بها إلى السلطنة ، وصارت الوزارة عن السلطان
 معدومة بقدر مخصوص من التصرف . وبقى الأمر على ما هو عليه من الاستيلاء
 والاستبداد بالملك ، مع أصل إذن الخليفة وكتابة العهد بالملك ، وهي على ذلك إلى
 زماننا ، إلا ما كان في زمن تعطيل جيد الخلافة من الخلفاء ، من حين قتل التتار
 « المستعصم » آخر خلفاء بني العباس ببغداد إلى حين إقامة الخليفة بمصر
 في الدولة الظاهرية ببرس . على أن في السلطنة الآن شَبها من وزارة التفويض ،
 فإن الخليفة يفوض إليه في تقليده تدير جميع الممالك الإسلامية بالتفويض العام
 لا يستثنى منها شيئا . وغير هذه المملكة وإن كان خارجا عن يده فهو داخل في عموم
 ولايته ، حتى لو غلب على شيء منها أو فتحه لم يحتج فيه إلى تولية جديدة من
 الخليفة . ولا مانع لذلك : فسيأتي في الكلام على المناشير أنه يجوز للإمام أن يقطع
 أرض الكفر قبل أن تفتح ، وإذا جاز ذلك في الإقطاع ففي هذا أولى . وحينئذ
 فتكون سلطنة الديار المصرية الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء .

الوجه الثالث

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه)

وأعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور :

منها — براعة الاستهلال بما يتبها له من أسيم السلطان أو لقبه الخاص : مثل فلان الدين ، أو لقبه بالسلطنة : مثل الناصر ، والظاهر ، ونحوهما ؛ أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيعات وعهود الخلفاء .

ومنها — التنييه على شرف السلطنة وعلو رتبتها ، ووجوب القيام بأمر الريسة ، وتخل ذلك عن الخليفة .

ومنها — الإشارة إلى اجتهد الخليفة وإعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة ، وأنه لم يجز بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه ، فيصفه بالصفات الجميلة ، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك .

ومنها — الإشارة إلى جريان لفظ تنعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض ، وقبول ذلك ، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد .

ومنها — إيراد ما يليق بالمقام من الوصية ، بحسب ما يقتضيه الحال : من علو رتبة الخلافة وانخفاضها ، مبينا لما يلزمه القيام به : من حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وتنفيذ الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وحماية البيضة ، والذب عن الحرم ، وإقامة الحدود ، وتحصين الثغور ، وجهاد أعداء الله وغزوهم ، وجباية الفىء والصدقات على ما أوجبه الشرع من غير حيف ولا عسف ،

وتقدير العطاء، وصرف ما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، في وقت الحاجة إليه، وأستكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء للأعمال والأموال، ومباشرة الأمور بنفسه وتصفّح الأحوال ؛ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة : من إقامة موسم الحج، وتأمين الحرم الشريف وإكرام ضرائح الأنبياء وبيت المقدس، وتحرير مقادير المعاملات، وغير ذلك مما يقتضيه أمر المملكة .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرّة، وهو نعتان)

التمط الأول — ما كان يُكتب في وزارة التفويض في دولة الفاطميين .

وكان الخليفة هو الذي يكتب بيده . وهذا أمر وإن كان قد تُرك فالمعرفة به خير من الجهل ، خصوصاً وقد أثبت المقرّ الشهابي بن فضل الله عهدئ أسد الدين شيركوه وابن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد، في جملة عهود الملوك على ما سيأتي ذكره . وسنوردُهما في جملة عهود الملوك عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما كتب به العاضد في طرّة عهد أسد الدين شيركوه المتقدم ذكره، وهو :

« هذا عهد لا عهد لوزيرٍ بمثله ، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لحمله، والحجة عليك عند الله بما أوصحه لك من مرّاشد سُبُلِه ، فخذ كتاب أمير المؤمنين

يُقُوهُ، وَأَسْجَبَ ذَيْلَ الْفَخَّارِ بَانَ أَعْتَرَتْ خِدْمَتُكَ إِلَى بُنُوةِ التُّبُوهُ، وَاتَّخَذَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْفُوزِ سَبِيلًا ﴿وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ .



ومن ذلك ما كتب به العاضدُ أيضا في طرّة العهد المكتتب عنه بالوزارة
للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قبل استيلائه بالسلطنة، وهو :

« هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وَحُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ؛ فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ
وَيَمِينِكَ، وَخُذْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِيَمِينِكَ؛ وَلَمَنْ مَضَى بِحُدُودِنا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنُ أَسْوَاهُ، وَلَمَنْ بَقِيَ بَقَرْنَا أَعْظَمُ سَلَوَهُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ﴾ . »

النمط الثاني — ما يُكْتَبُ فِي طَرَّةِ عُهُودِ الْمُلُوكِ الْآنَ .

وهو قريب مما كان يُكْتَبُ أولا مما تقدم ذكره؛ إِلَّا أَنَّهُ يُبَدَّلُ فِيهِ لَفْظُ الْوِزَارَةِ
بِالْمُلْكِ وَالسَّلْطَنَةِ؛ وَيَكُونُ الَّذِي يَكْتُبُهُ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ الْعَهْدَ دُونَ الْخَلِيفَةِ . ثم هو
بحسب ما يؤثّرهُ الْكَاتِبُ مَا يَدُلُّ عَلَى صَدْرِ الْعَهْدِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ .

وهذه نسخة طرّة عهدٍ، كتب بها القاضي محي الدين بن عبد الظاهر،
في نسخة عهدٍ أنشأه للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، في سنة سبع عشرة
وسبعمائة، وهو :

« هذا عهدٌ شريفٌ تجددتْ مَسَرَّاتُ الْإِسْلَامِ بِتَجْدِيدِهِ، وَتَأَكَّدَتْ أَسْبَابُ
الْإِيمَانِ بِتَأْكِيدِهِ؛ وَوُجِدَ النَّصْرُ الْعَزِيزُ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ بِوُجُودِهِ، وَوَفَدَ الْإِثْمُ وَالْإِقْبَالُ

على الخليفة بوفوده، وورد الأمان مؤرد الأمان بؤروده . من عبد الله ووليه الإمام
المستكني بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس
أحمد . عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد ، خلد الله سلطانه ،
ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه .



ثم الجزء التاسع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العاشر

وأزله الوجه الخامس

(فيما يكتب فى القباب الملوك عن الخلفاء ، وهو نمطان)



والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسينا الله ونعم الوكيل



فهرس

الجزء التاسع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

القسم الثانى - من مقاصد المكاتب الإخوانيات ... ،

وهى على سبعة عشر نوعا ٥

النوع الأول - التهانى، وهى على أحد عشر ضربا ٥

الضرب الأول - التهنية بالولايات ٦

» الثانى - » بكرامة السلطان، وأجوبته ٢٥

» الثالث - » بالعود من الحج ٣١

» الرابع - » بالقدوم من السفر ٣٣

» الخامس - » بالشهور والمواسم والأعياد ٣٩

» السادس - » بالزواج والتسرى ٥٤

» السابع - » بالأولاد ٥٦

» الثامن - » بالإبلال من المرض والعافية من السقم ... ٦٣

» التاسع - » بقرب المزار ٧٠

» العاشر - » بتزول المنازل المستجدة ٧١

» الحادى عشر - نوادر التهانى ٧٣

النوع الثانى - من مقاصد المكاتب التعازى، وهى على أضرى ٨٠

الضرب الأول - التعزية بالأبن ٨٠

» الثانى - » بالبنت ٨٥

» الثالث - » بالأب ٨٦

» الرابع - » بالأم ٨٧

» الخامس - » بالأخ ٨٨

» السادس - » بالزوجة ٩٠

» السابع - التعازى المطلقة ٩٢

صفحة

النوع الثالث - من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة ...	١٠٠
» الرابع - الشفاعات والعنايات ...	١٢٤
» الخامس - التشوق ...	١٤٢
» السادس - فى الأستراحة ...	١٥٠
» السابع - فى أخطاب المودة وأفتاح المكاتبه ...	١٥٥
» الثامن - فى خطبة النساء ...	١٥٩
» التاسع - فى الأسترضاء والأستعطاف والأعتذار ...	١٦٥
» العاشر - فى الشكوى ...	١٧٣
» الحادى عشر - فى آستراحة الحوائج ...	١٧٦
» الثانى عشر - فى الشكر ...	١٨٣
» الثالث عشر - فى العتاب ...	١٨٩
» الرابع عشر - فى العيادة والسؤال عن حال المريض ...	٢٠٣
» الخامس عشر - فى الذم ...	٢١٧
» السادس عشر - فى الأخبار ...	٢١٩
» السابع عشر - فى المداعبة ...	٢٢٥
الفصل الثامن - فى إخفاء ما فى الكتب من السر، وهو على نوعين	٢٢٩
النوع الأول - ما يتعلق بالكتابة ، وهو على ضربين ...	٢٢٩
الضرب الأول - ما يتعلق بالمكتوب به ...	٢٢٩
» الثانى - ما يتعلق بالخط المكتوب ...	٢٣٠
النوع الثانى - الرموز والإشارات التى لاتعلق لها بالخط والكتابة	٢٤٩
المقالة الخامسة - فى الولايات، وفيها أربعة أبواب ...	٢٥٢
الباب الأول - فى بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه	
ثلاثة فصول ...	٢٥٢

صفحة

٢٥٢	الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات
٢٥٢	الطبقة الأولى - الخلافة
٢٥٢	» الثانية - السلطنة
		» الثالثة - الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن
		السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر
٢٥٢	والشام والحجاز، وهي على خمسة أنواع
٢٥٣	النوع الأول - ولايات أرباب السيوف
٢٥٥	» الثاني - ولاية أرباب الأقلام
٢٥٩	» الثالث - ولاية أرباب الوظائف الصناعية
٢٥٩	» الرابع - ولايات زعماء أهل الذمة
٢٦٠	» الخامس - ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع
		الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
		ما تجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات
٢٦١	على سبيل الإجمال
		الفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
		ما يقع به التفاوت في رتب الولايات . وذلك
٢٦٣	من سبعة أوجه
٢٦٣	الوجه الأول - الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع
٢٦٣	النوع الأول - ألقاب الخلفاء
٢٦٣	» الثاني - » الملوك
٢٦٤	» الثالث - ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان
٢٦٦	الوجه الثاني - ألقاب إسناد الولايات إلى صاحب الوظيفة
٢٦٨	» الثالث - الأفتاحات
		» الرابع - تعدد التعميد في الخطبة أوفى أثناء الكلام
٢٦٩	وأتحاده

صفحة

- الوجه الخامس - الدعاء ٢٦٩
- » السادس - طول الكلام وقصره ٢٧٠
- » السابع - قطع الورق ٢٧١
- الباب الثانى - من المقالة الخامسة فى البيعات، وفيه فصلان ٢٧٣
- الفصل الأول - فى معناها... .. ٢٧٣
- » الثانى - فى ذكر تنويع البيعات، وهى نوعان ٢٧٤
- النوع الأول - بيعات الخلفاء، وفيها سبعة مقاصد... .. ٢٧٤
- المقصد الأول - فى أصل مشروعيتهما ٢٧٤
- » الثانى - فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية ٢٧٥
- » الثالث - فى بيان ما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة البيعة... .. ٢٧٦
- » الرابع - فى بيان مواضع الخلافة التى تستدعى الحال ٢٧٩
- كتابة المبايعات فيها ٢٧٩
- » الخامس - فى بيان صورة ما يكتب فى بيعات الخلفاء، وفيه أربعة مذاهب ٢٨٠
- المذهب الأول - أن تفتتح المبايعه بلفظ «تبايع فلانا أمير المؤمنين» خطابا لمن تؤخذ عليه البيعة ٢٨٠
- » الثانى - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتتح المبايعه بلفظ «من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الامام الفلانى» إلى أهل دولته ٢٨٦
- » الثالث - أن تفتتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتوحة بالحمد لله الخ ٢٩٨
- » الرابع - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتتح البيعة بلفظ «هذه بيعة الخ» ٣٢٠